

الاتجاهات النحوية لدى القدماء

دراسة تحليلية

في ضوء المناهج المعاصرة

الدكتورة

حليمة أحمد عمارة

قسم اللغة العربية التطبيقية - جامعة البلقاء التطبيقية



مجمع البحوث
وزارة الثقافة

الاتجاهات النحوية لدى القدماء

دراسة تحليلية

في ضوء المناهج المعاصرة

الدكتورة
حليمة أحمد محمد عمايرة
قسم اللغة العربية التطبيقية - جامعة البلقاء التطبيقية

رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية : (٢٠٠٥/٩/٢٢١٣) ٤١٥

عميرة ، حليلة
الاتجاهات النحوية لدى القدماء: دراسة تحليلية في ضوء المناهج المعاصرة/ حليلة
أحمد عميرة. - عمان، دار وائل، ٢٠٠٥.
(٣٥٢) ص

ر. - ا. : (٢٠٠٥/٩/٢٢١٣)
الواصفات: قواعد اللغة / للغة العربية

* تم إعداد بيانات الفهرسة والتصنيف الأولية من قبل دائرة المكتبة الوطنية

(رمك) ISBN 9957-11-628-2

- * الاتجاهات النحوية لدى القدماء - دراسة تحليلية في ضوء المناهج المعاصرة
- * الدكتورة حليلة أحمد عميرة
- * الطبعة الأولى ٢٠٠٦
- * جميع الحقوق محفوظة للنشر



دار وائل للنشر والتوزيع

* (الأ. دار - عمان - ج. ٥ - المنطقة الصناعية - عمان - الأردن) - هاتف: ٠٩٥٥٥٥٥٥ - فاكس: ٠٩٥٥٥٥٥٥ - بريد إلكتروني: dawael@alwatan.com.jo

المحتويات

الموضوع	الصفحة
مقدمة	١١
الفصل الأول	
المناهج اللغوية والدرس النحوي عند المعاصرين	
تقديم	٢١
المبحث الأول: المنهج التاريخي المقارن	٢٣
- جهود المستشرقين في درس العربية	٢٥
- المنهج التاريخي التطوري	٢٨
- الباحثون العرب المتأثرون بالمنهج التاريخي	٣١
- مأخذ على المنهج التاريخي	٣٢
المبحث الثاني: المنهج الوصفي	٣٤
- أهم أسس المنهج الوصفي	٣٤
- مدرسة براغ	٣٧
- الوصفية الأمريكية	٣٩
أ- الشكلية	٣٩
ب- التوزيعية	٤٠
- أبرز الباحثين العرب المتأثرين بالوصفية الأمريكية	٤٢
- المنهج الوصفي السياقي	٤٢
- أبرز الباحثين العرب المتأثرين بهذا المنهج	٤٤
- المنهج الوصفي الإحصائي	٤٧
- أبرز الباحثين العرب المتأثرين بهذا المنهج	٤٩
المبحث الثالث: المنهج التوليدي التحويلي، ويشمل:	٥١
١- أهم الأسس التي قام عليها هذا المنهج	٥١
٢- أبرز التعديلات التي أجريت عليه	٥٥

الموضوع	الصفحة
٣- أبرز الباحثين العرب المتأثرين به	٥٦
الفصل الثاني	
الانتماءات النحوية عند النحاة العرب القدماء	
تقديم	٧١
المبحث الأول: الاتجاه الوصفي	٧٤
١- وصف الكلمة المفردة	٧٤
٢- وضع المصطلحات وتعريفها	٧٦
٣- القياس الوصفي	٧٩
٤- التعليل الوصفي	٨٤
٥- الاتجاه الوصفي الإحصائي	٨٨
٦- النهجات	٩٠
٧- عناصر الموقف الكلامي	٩٥
أ- التنعيم	٩٥
ب- البعد الاجتماعي	٩٨
المبحث الثاني: الاتجاه العقلي	١٠٢
١- الاتجاه العقلي الفلسفي	١٠٢
أ- أثر الفلسفة الإغريقية في التفكير النحوي	١٠٢
ب- بعض الأمثلة الدالة على التفكير الفلسفي عند النحاة	١٠٥
٢- الاتجاه العقلي المنطقي	١٠٨
أ- القياس المنطقي	١٠٨
ب- التعليل المنطقي	١١٤
٣- الاتجاه العقلي المعياري	١١٩
- المعيارية ومستويات اللغة	١١٩
- المعيارية والشواهد	١٢١
- المعيارية والأمثلة المصنوعة	١٢٣

الموضوع	الصفحة
- المعيارية والجوانب التعليمية	١٢٤
- المعيارية بين الشكل والمضمون	١٣٠
المبحث الثالث: الاتجاه التاريخي	١٤١
١- الملمح التاريخي المقارن	١٤١
٢- الملمح التاريخي التطوري	١٤٨
الفصل الثالث	
موازنة بين الاتجاهات المنهجية عند القدماء والمحدثين	
تقديم	١٥٥
المبحث الأول: المنهج الوصفي	١٥٦
١- التفريق بين اللغة والكلام	١٥٦
٢- العلاقة بين الدال والمدلول	١٥٧
٣- اللغة نظام	١٦١
٤- مبدأ المكونات المباشرة	١٦٣
٥- التوزيعية	١٧٠
٦- المعلم وغير المعلم	١٧٥
٧- النظم	١٧٨
٨- القياس الوصفي	١٨١
٩- التعليل الوصفي	١٨٤
١٠- الاتجاه الوصفي الاجتماعي	١٩٠
- السياق اللغوي	١٩١
- السياق العاطفي	١٩٣
- السياق الثقافي	١٩٥
- التنعيم	١٩٨
- مأخذ على المنهج الوصفي	٢٠١
المبحث الثاني: المنهج التحليلي	٢٠٣

الموضوع	الصفحة
١- العلاقة بين الفكر واللغة	٢٠٣
٢- ثنائية (الكفاية - والاداء)	٢٠٥
٣- السليقة	٢٠٦
٤- الدلالة	٢٠٧
٥- التعليق	٢١٠
٦- الجملة البسيطة والمركبة	٢١٣
٧- الجملُ الملتبسة	٢١٤
٨- توحد المعنى وتعدد المبنى	٢١٧
٩- عناصر التحويل	٢٢٠
- التقديم والتأخير	٢٢٠
- قواعد الحذف	٢٢٣
- التضييق	٢٢٨
- الزيادة	٢٢٩
- التوسعة	٢٣٦
- الإحلال	٢٣٨
المبحث الثالث: المنهج المعياري	٢٤٠
١- أمثلة على مفهوم المعيارية في المناهج اللغوية الحديثة	٢٤٠
أ- المعيارية في المنهج الوصفي	٢٤٠
ب- المعيارية في المنهج التحويلي	٢٤٣
مأخذ على المعيارية التحويلية	٢٤٤
٢- تقويم المعيارية في التراث النحوي العربي	٢٤٨
المبحث الرابع: المنهج التاريخي	٢٥٣
١- تأصيل ليس	٢٥٣
٢- تأصيل الاسم الموصول	٢٥٤

الموضوع	الصفحة
٣- تأصيل مُذّ ومنذ	٢٥٥
٤- تأصيل لفظ الجلالة (الله)	٢٥٦
٥- تأصيل أداء النداء (هيا)	٢٥٨
٦- تحديد معيار للحكم على الدخيل	٢٥٩
٧- تأصيل علامة الجمع	٢٥٩
٨- تأصيل تاء التأنيث	٢٦٠
٩- الإعراب والبناء	٢٦٢
١٠- مزايا المنهج التاريخي	٢٦٢

الفصل الرابع

تعدد تقويم الظاهرة اللغوية بتعدد النظرة المنهجية إليها

تقديم	٢٧٣
- أسلوب التنازع	٢٧٤
- أسلوب الشرط	٢٨٢
- أسلوب الاستثناء	٢٩٦
- أسلوب التوكيد	٣٠٢
- لغة (يتعاقبون فيكم)	٣٠٨
- لا النافية للجنس	٣١١
- تقم الاسم على الفعل	٣١٨
- كان - بين الفعلية والحرفية	٣٢٢
الخاتمة	٣٢٥
المصادر والمراجع العربية	٣٣١
الدوريات	٣٤٥
المراجع الأجنبية	٣٤٧
ثبت المصطلحات الإنجليزية	٣٤٩

مقدمة

يواجه منهج النحاة القدماء في دراسة الظاهرة اللغوية وتعييدها نقداً كبيراً في أوساط الباحثين المحدثين، فمنهم من يرى أن البحث اللغوي عند العرب "خليط من ألوان التفكير، ومزيج من طرائق البحث، بالإضافة إلى ما يبدو في هذا الأسلوب من قصور، وما يظهر فيه من ضعف يقعه عن الوصول إلى هدفه الحقيقي.. وأنهم وقعوا في أخطاء منهجية لا يقرها البحث الحديث" (١).

ومنهم من يرى أن الدراسات اللغوية القديمة اتسمت بسمة "الاتجاه إلى المبنى أساساً، ولم يكن قصدها المعنى إلا تبعاً وعلى استحياء" (٢). وعلى هذا فإن المعطيات النحوية العربية القديمة ناقصة، ولا تعالج كل صور الكلام، وهي تتحلل تراكيب مصطنعة للدلالة على قواعد النحاة.

ومنهم من نقد النحاة لاهتمامهم بالحركات، ووصف جهودهم النحوية بأنها اقتصرت على دراسة أحوال أواخر الكلمات من حيث الإعراب والبناء، يقول إبراهيم أنيس: 'النحو العربي قصر نفسه على تعرف أحوال أواخر الكلمات إعراباً وبناءً، فبحثهم قاصر على الحرف الأخير من الكلمة، بل على خاصة من خواصه، وهي الإعراب والبناء' (٣)، وقد ذهب إبراهيم أنيس إلى أبعد من ذلك فشكك في القيمة الدلالية لهذه الحركات.

وقد طرح هؤلاء الباحثون وغيرهم في سبيل إصلاح الاتجاه القديم لدراسة اللغة آراء تقوم في مجملها على تأثر واضح بالمنهج الغربية المعاصرة، حتى بلغت هذه الحلول بين بعض الباحثين المحدثين من المنتمين إلى المنهج الواحد، حد التعارض وذلك نحو دعوة تمام حسان لدراسة اللغة دراسة تبرز المعنى وتؤكد متأثراً بالمنهج الوصفي: في أحد امتداداته المتمثلة بالمدرسة الإنجليزية، وعلى رأسها فيرث Firth ودعوة حسن

(١) كمال بشر، دراسات في علم اللغة، ط٢، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧١م. ص ٢٥.

(٢) تمام حسان، اللغة العربية معناها وميثاقها، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٣م. ص ١٢.

(٣) إبراهيم أنيس، من أسرار اللغة، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر، ص ٢٢٦.

عور إلى دراسة اللغة من خلال التركيز على الشكل، متأثراً بالمهج الوصفي في امتداد
بحر له منمثل في مدرسة بلومفيلد Bloomfield .

لا شك أن هذه النظرات النقدية للمحدثين، تمثل ثمرة ما أملت عليه مباحثهم
المتعددة، وهي بطرات تستهدف تفويم جهد مهجي عند النحاة القدماء. وهذا ما أكد في
النفس بحماساً بأن النظرة المبهجية من أهم ما ينبغي أن نتوجه إليه الأنظار .

إن الآراء السابقة في مجال تعارض الآراء بين العلماء، ليست سوى نمادح بسيرة
للآراء المتعددة التي تثبت أن الظاهرة اللغوية كيان معقد، يحتاج لاكتشافه مريداً من
الأصواء، أو قل مريداً من المباحث، التي تحيط باللغة، وتكشف النقاب عن أسرارها، وقد
سعت هذه الدراسة إلى طرح تساؤلات منها

هل الترم النحاة القدماء بحيط مهجي واحد، صنعوا منه نسيج تفكيرهم النحوي؟ أو
كان لهم توجهات فكرية متعددة أسهمت في الأخرى في صنع هذا النسيج؟

ما الملامح المبهجية المتنوعة؟ وما مدى استثمارهم لها؟ وكيف وفقوا بين الاتجاهات
المبهجية التي احتطوها؟ وإذا ما حدث تعارض بين الاتجاهات فكيف كان تصرفهم؟ وكم
كان انعكاس ذلك على تفكيرهم اللغوي سلباً وإيجاباً؟ وإلى أي مدى يمكن أن تُعد
الاتجاهات التراثية مقدمات تلقي مع الاتجاهات المبهجية المعاصرة؟ هل تعدد النظرة
المبهجية للظاهرة اللغوية سمة إيجابية أو سلبية؟

وهل وفق المحثون في الإمام بصورة متكاملة للنسيج المبهجي عند القدماء؟ أو أن هؤلاء
اهتموا إلى بعض الحيوط المبهجية وفاتهم أن يكونوا الصورة المتكاملة التي ألقت مهج
التراث اللغوي النحوي .

هذه الأسئلة كانت تمثل موعاً من الهاجس الذي كان يشعل الناحية ويدفعها نحو
محاولة الإجابة عن مواطن الاستفهام هذه.

وعلى هذا فالبحث يرمي إلى تتبع الحيوط المبهجية المتعددة التي وردت في الفكر
النحوي التراثي، إذ بدت بعض الاتجاهات على نحو من النصح والكمال، وبدأ بعضها
حطوطاً عريضة، وحيوطاً متناثرة، لا تشكل نسيجاً مبهجياً واضحاً، ولكنها نصلح
إرهاصات ومقدمات لم آلت إليه في مسيرة تكاملها في العصور اللاحقة.

ولا شك أن هذه الإحساس بأهمية المصباح ساور بعض الباحثين المحدثين، ومن ثم فإنه ينبغي للباحث في الدراسات الإنسانية - بوجه خاص أن يستعين بما يمكن أن يكون دراسات سابقة، وفرت إضاءات على طريق البحث، حتى يعرف الباحث من أين يبدأ؟ وماذا ينبغي أن يحقق؟ وانطلاقاً من هذا المبدأ، فقد أهدت من أقرب المؤلفات التي تمس موضوع بحثي من ذلك

دراسة تقويم الفكر النحوي لعلي أبو المكارم، وهي دراسة تعنى عناية جيدة خاصه بالجوانب المعيارية التقليدية، ولكنها لا تكاد تستفيد شيئاً يذكر من مباحث البحث اللغوي الحديث في تقويم الفكر النحوي

ومن الدراسات التي وقعت عليها مؤلفات تمام حسان نحو "اللغة العربية مباحثاً ومعاهداً" و "مفالات في اللغة والأدب" وغيرها. وهي مفيدة بلا شك في تقديم تصور للدرس اللغوي الحديث، إلا أنها لا تعنى كثيراً بإظهار المصطلحات المنهجية التراثية

ومن الدراسات التي أفدت منها دراسة نهاد الموسى، نظرية النحو العربي في ضوء النظر اللغوي الحديث، وقد حاول من خلالها أن يربط بين نظرية النحو العربي، والمباحث المعاصرة، وهي محاولة قيمة أصعب أمام البحث. هذا المسعى نحو تقويم الدرس اللغوي القديم من منظور معاصر ومن ذلك أيضاً مؤلفات مازن الوعر نحو "دراسات لسانية تطبيقية" فقد حاول من خلالها أن يقدم دراسة تطبيقية، لبعض أبواب النحو ومعاً لمصباح لغوي معاصر هو النظرية التوليدية التحويلية. وقد مثلت هذه الدراسة نوعاً من الربط بين القدماء والمحدثين من خلال التماس أوجه الشبه بينهم في إطار هذه النظرية

أما منهج هذه الدراسة، فإنه يقوم على محاولة الإلمام بالمحاور المنهجية ومحاولة استكشافها من بين تراكبات الفكر النحوي فليست العاية في المعلومات والجريئات، ولكن في كيفية تأثير هذه الأسس، تبعاً لاختلاف النظرية المنهجية في إعادة ترتيب المادة النحوية على نحو أو آخر بحسب المنهج وطرائق العرض ولذا فإن استقراء النصوص النحوية من خلال التتبع المنهجي الذي يُظهر فلسفة التسوية، وكيفية المعالجة بقصد استخلاص الصور المنهجية، سيكون المنهج المتبع في هذه الدراسة ولا شك في أن

الاستعانة بتطور الدرس اللغوي الحديث، وبصاح المدهج في صورته الحديثة سيكون عوناً في سبيل تحقيق هدف العرض، ولذا كان لزام أن تُكَمَّ هذه الدراسة بهذه المدهج، مع التنبيه إلى ما بين وجهي المقابلة من فروق رمزية أو مطلقات فكرية، والقدمات شقوا طريق المدهج بأمتة محدودة وخطوات ابتدائية. أما المحدثون فجاءوا هذه الخطوات ورسوموا معالمها بنقطة نسبية، وأما مطلقات القدماء فكانت ترسمها أهداف فكرية وتعليمية محددة، تمحصت عن إنصاح النظرة المعيارية التي تسعى إلى تأطير اللغة في سبيل التأصيل الذي يرمي إلى حفظها من الصبغ، وعلى سبيل التعليم الذي يسهل على الناشئة من أهلها، والمقبلين عليها من غيرهم، أن يلموا بها، على أن تكون هذه المعايير مبنية بالنمط القراني، ساعية إلى تثبيتها والحفاظ عليه.

وقد وقعت هذه الدراسة في أربعة فصول.

الفصل الأول: المناهج اللغوية والدرس اللغوي عند المعاصرين، وقد عرّضت في هذا الفصل لأهم الأسس المنهجية التي قامت عليها أبرز المناهج المعاصرة، في المباحث الآتية:

المبحث الأول: المنهج التاريخي The Historical Linguistics

غلب هذا المنهج بشقيه التطوري والمقارن على البحوث اللغوية في أوروبا في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، ويسعى للمنهج التاريخي التطوري إلى تتبع الظاهرة اللغوية في اللغة الواحدة، ليبين ما يطرأ عليها من تغيرات صوتية وصرفية ودلالية، عبر رحلة استعمالها زماناً ومكاناً.

ويركز المنهج التاريخي المقارن على بحث الظاهرة اللغوية في أكثر من لغة وذلك بهدف تأصيلها، وقد عرّضت لأبرز الناحيتين المحدثتين العرب، اللتين تأثروا بهن المنهج، وحاولوا الاستفادة منه في دراسة اللغة العربية وكان من دواعي للبحث في هذا المنهج، ما قد يجده المرء من إرغصات له عند القدماء، على شكل إشارات عابرة، سعيه إلى إبراز أمثلة منها في هذه الدراسة.

المبحث الثاني: المنهج الوصفي Descriptive Linguistics :

ويتناول هذا المنهج دراسة لغة واحدة، أو لهجة واحدة في زمن بعينه، ومكان بعينه. وقد عرّضت للأفكار الرئيسية التي قام عليها هذا المنهج، مُمثلة في آراء "دي سوسير" de saussure الذي يُعدُّ مؤسس علم اللغة المعاصر، وذلك لما قدمه من أفكار صميمة، كتعريفه للغة، وتمييزه بين اللسان والكلام، وبيان العلاقة بين الدال والمندول وغيرها

ومن ثمَّ عرّضت لأهم الاتجاهات التي تفرعت ضمن حدود المنهج الوصفي وهي

- ١- مدرسة براغ وأبرر أعلامها تروبتسكوي.
- ٢ المدرسة السلوكية وأبرر أعلامها بلومفيلد
- ٣ المدرسة التورية، وأبرر أعلامها هلمسليف.
- ٤ الاتجاه الوصفي السياقي (مدرسة هيرث).
- ٥ الاتجاه الوصفي الإحصائي

إن تناول المنهج الوصفي يعد من متطلبات النظر في أصوله الأولى عند القدماء وهو أمر أغرى بعض الباحثين المحدثين بوصف بعض الجهود اللغوية التراثية بأنها جهود وصفية^(١)

المبحث الثالث: المنهج التحويلي

The Transformational Generative Linguistics

وقد عرّضت لأبرر الأسس التي قام عليها هذا المنهج، وذلك نحو انطلاقه في تفسير الظاهرة اللغوية بوصفها تمثل قدرة فعالة، مخصصة بالإنسان، ومن ثمَّ فإنه منهج يهتم بالتميز بين الكفاية اللغوية التي هي ملكة دائية تتمثل في القدرة على إنتاج الجمل وتكتملها في عملية تكلم اللغة، وتمثل البنية العميقة للكلام

(١) فريد جيتريش فيشر، انظر المراحل الرسمية للدراسة الفصحى ترجمة بسامعير عمارة، المجلة الثقافية، الجامعة الأردنية، العدد (١٢ ١٣) ١٩٨٧

والأداء اللعوي وهو الاستعمال الآتي للغة ضمن سياق معين وتمثل البنية السطحية للكلام

ومن ثم عرّضت لأبرز التعديلات التي طرأت على هذا المصهح مما أغرى بعض الباحثين المحدثين بإجراء بعض الدراسات النصيوية لهذا المصهح على اللغة العربية، والموارعة بينه وبين بعض ملامحه عند القدماء

الفصل الثاني: الاتجاهات السحوية عند القدماء، وقد عرّضت فيه لأهم الاتجاهات المصهجية في التفكير السحوي عند النحاة العرب القدماء، وقد تركز الحديث على المباحث الآتية: المبحث الأول: الاتجاه الوصفي، والوصفي الإحصائي.

المبحث الثاني: الاتجاه العقلي ممثلاً في

أ الاتجاه العقلي الفلسفي

ب الاتجاه العقلي المبطني.

ج الاتجاه المعياري.

المبحث الثالث: الاتجاه التاريخي ممثلاً في:

أ لاتجاه التاريخي المعاصر

ب الاتجاه التاريخي التطوري

الفصل الثالث: موارد بين الاتجاهات المصهجية عند القدماء والمحدثين

وقد وازنت في هذا الفصل بين الاتجاهات السحوية القيمة والمصهح اللعوي المعاصرة، وذلك من خلال إجراء موارد في المباحث الآتية

المبحث الأول: المصهح الوصفي

المبحث الثاني: المصهح التحويلي.

المبحث الثالث: المصهح المعياري

المبحث الرابع: المصهح التاريخي

الفصل الرابع: اختلاف تقويم الطاهرة اللعوية باختلاف النظرة المذهبية إليها
وقد عرّضت في هذا الفصل لنماذج من أساليب البحث اللعوي حتى يتسنى بيان
نعدّد تفسير الطاهرة من خلال المذهب المختلفة في نظرة تكاملية تسعى إلى الإحاطة
بالطاهرة اللعوية، وتسحير المباح لتعميقها والوقوف على جوهرها
وقد تطلّبت مني هذه الدراسة أن أعود إلى عدد كبير من المصادر التي يمكن
قسّمها إلى الأقسام الآتية:

١ المصادر اللعوية.

٢ كتب تفسير القرآن ومعانيه وعرايه.

٣ الدراسات اللعوية المعاصرة سواء أكانت تلك التي تشرح أصول المباح المعاصرة أم
الكتب المترجمة، أو تلك الدراسات التي شتملت على تطبيقات لأي من هذه المباح
على اللغة العربية.

ولا ريب أن الطريف شاقة وطويلة إلى توحيد الدراسات اللعوية بمفهومها
المذهبي، والله نسأل أن يسدّد الحظي وأن يوفق في حشد كل الطاقات من أجل خدمة لعنة
الحالدة.

حليمة عمايرة

الفصل الأول

المناهج اللغويّة والدرس النحويّ عند المعاصرين

تقديم

يهدف هذا الفصل إلى التعريف بالمناهج اللغوية الحديثة، وذلك بعرض الأسس المنهجية التي قامت عليها هذه المدهج في العرب، ومن ثم عرضاً لأبرز الباحثين العرب المتأثرين بتلك المناهج، والذين أنشأت عروصهم النظرية بتطبيقات واسعة على اللغة العربية، وأهم هذه المناهج:

١ - المنهج التاريخي والتاريخي المعاصر

٢ المنهج الوصفي والوصفي الإحصائي.

٣ المنهج التحليلي

ويجوز بنا قبل التفصيل في هذا البحث أن نحدد المقصود بمصطلحي الصرف والنحو عند القدماء والمحدثين.

يُدرس علم اللغة ^(١) حديثاً على أنه نظام مستقل، شأنه في ذلك شأن سائر الأنظمة التي تسهم في تكوين النشاط الإنساني، وهي مكونة من مجموعة من المستويات المتداخلة لا يفصل بينها إلا لأغراض البحث، وهي: ^(٢)

١ المستوى الصوتي Phonetics

٢ المستوى الصرفي (علم بناء الكلمة) Morphology

٣ المستوى النحوي (علم التراكيب أو علم بناء الجملة) Syntax

٤ المستوى المعجمي Lexicology

٥ المستوى الدلالي Semantics

ولا نجد تمايزاً واضحاً بين هذه المستويات عند القدماء وبخاصة، المستوى الصرفي والمستوى النحوي اللذين انصوبا تحت لواء علم النحو

فقد عرف ابن جني النحو بأنه "التداع سميت كلام العرب في تصرفه، من إعراب وغيره، كالتثنية والجمع، والتحقير، والتكثير، والإضافة والنسب والتراكيب وغير

(١) يطلق على علم اللغة تسميات علم النفس والتسليفت (في جملة الجرائر) والألسنية (في الجملة التوسمية)، اللسانيات، واللغويات ترجمة لمصطلح Linguistics وتدخل هذه المصطلحات تدخلا يدعو إلى ضرورة توحيد المصطلح

(٢) انظر على سبيل المثال محمود فهمي حجازي ليس علم اللغة العربية، للقاهرة، ١٩٧٩، ص ٣٣٠

ذلك، ليلحق من ليس من أهل اللغة العربية بأهلها في الفصاحة، فيطبق بها، وإن لم يكن منهم، وإن شد بعضهم عنها رُدَّ به إليها" (١)

وربما كان هذا أكثر وصوحاً في تعريف أبي حيان حيث قال: علم النحو مشتمل على أحكام الكلمة، والأحكام على قسمين.

قسم يلحقها حالة التركيب، وقسم يلحقها حالة الأفراد، فالأول قسمان قسم إعرابي، وقسم غير إعرابي وسُمي هذان القسمان علم الإعراب تعليفاً لأحد القسمين، والثاني أيضاً قسمان قسم تتعير فيه الصيغ لاختلاف المعاني، نحو صرب، وصارب، وتصارب و اضطراب كالتصغير والتكسير، وبناء الآلات، وأسماء المصادر وغير ذلك وقسم تتعير فيه الكلمة لاختلاف المعاني، كالنقص، والإبداع والقلب، والنقل، وغير ذلك (٢) وكذلك الحال عند الباحثين المحدثين فهم يرون أن علم النحو يشمل: (٣)

١ المورفولوجيا Morphology وهو يقابل المستوى الصرفي (علم بناء الكلمة)

٢ السنتاكس Syntax وهو ما يقابل علم التراكيب أو علم بناء الجملة .

ومع أن المستوى النحوي يشمل نظرياً المستويين السابقين (الصرفي، والتركيبى)، غير أن أذهان الباحثين قديماً وحديثاً تنصرف في الغالب إلى المستوى التركيبى عند ذكر المستوى النحوي، وربما عاد ذلك إلى ظهور مؤلفات مستقلة في المستوى الصرفي للغة

وسوف يستند هذا البحث في موارئته وأمثله إلى المستوى النحوي بمعنى (معرفة أحكام تركيب الكلمات في الجمل)، وقد يستعين ببعض الأمثلة الأخرى إن كان ذلك ضرورياً لخدمة أغراض البحث.

(١) ابن جني، الخصائص، تحقيق محمد النجار، دار للكتب المصرية، القاهرة ١٩٥٦، ج ١، ص ٤٣

(٢) السيوطي، الهمع، تحقيق عبد العال سالم مكرم، دار البحوث العلمية، الكويت، ١٩٨٠م، ج ٦، ص ٢٢٨

(٣) انظر Leonard Bloomfield Language George Allen and Unwin, London, P 184

المبحث الأول المنهج التاريخي المقارن Comparative Linguistics

انتمت دراسة اللغة في أوروبا، قبل عصر النهضة بالنسبة إلى خدمة النص من خلال الوقوف على جملة المعايير والقواعد التي تُعين على فهمه، ولا يخلو ذلك من انكفاء على النظر العقلي المجرد، والفلسفي أحياناً، في إيجاد العلل والأقبيسة التي كانوا يرونها لازمة لتعليل معاييرهم، ولا أدل على ذلك من عودتهم إلى الأطر الفلسفية لدى أرسطو وأفلاطون^(١).

ولما بدأ عصر النهضة، واتصل العربيون بالأمم الأخرى، بدوافع أبرزها الاستيلاء على حيرات تلك الأمم، وبشر مبادئهم الثقافية، كان لابد من دراسة لغات تلك الأمم، وقد وصعوا لها قواعد ومعاجم^(٢).

وصادف ذلك تآثر مذهب دراسة اللغة بنظرية "دارون" في التطور التي شكلت مسجداً في دراسة العلوم الطبيعية، حيث نظر اللغويون إلى اللغات واللهجات، على أنها كانتات يمكن تصنيفها بحسب أنواعها، فقسموا اللغات على ذلك إلى أسر، كأسرة اللغات الهندية الأوروبية واللغات السامية، ولغات الأورال كما هي الحال في التاريخ الطبيعي^(٣).

وأصبح وكذا الباحث اللغوي التاريخي أن يدرس اللغة دراسة طولية، بمعنى أن يتتبع الظاهرة اللغوية في عصور وأماكن متعددة ليرى ما أصابها من التطور، محاولاً

(١) نجيب خرم، أصوات على الدراسات اللغوية المعاصرة، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، ١٩٨٧، ص(٩٥-١٠٠).

الط (أ) ماريو بي، لغات البشر، ترجمة صلاح العربي، قسم النشر بالجامعة الأمريكية بالقاهرة، ١٩٧٠م، ص ١٥.

(ب) David Crystal: Linguistics Penguin Books. 1974, P 40

(٢) عبد الواحد وافي، علم اللغة، مد، القاهرة، د.ت، ص ٤٨.

(٣) كارل بروكلمن، لغة اللغات السامية ترجمة رمضان عبد التواب، مطبعة جامعة الرياض، الرياض ١٩٧٧، ص(٩٦-٩٧).

الوقوف على سرّه، وقوانينه المختلفة^(١)، كاشعاً عن أصلها التاريخي وواقعها مثبت بمسئلتها، وحتى يصل إلى هذه النصور، فإنه يحاول توفير أقدم المصادر التي استعملت في هذه الظاهرة اللغوية المدروسة، كالنقوش المكتوبة أو الدواوين الشعرية، ثم يبدأ في وصف الكلمة صوباً وصرفاً ومعنى، ويهتم بمطراً عليها من تعبيرات غير رichte استعمالها، مكنياً ورمزاً^(٢) انطلاقاً من أن اللغات يعلب في سيره حياتها- أن تتحول تركة اثارها في حليقاتها، فاللغة اللاتينية لم تمت في الحقيقة من الدحية التاريخية، بر اصابتها تعبيرات عميقة انتحت أشكالاً حديثة لها، أبرزها البرتغالية، والعشالية، ولغة بروفانس، والعربية، والإيطالية، ولغة رومانيا، والإسبانية. وقد بلغ من شدة هذه التعيرات وعمقها، أن نحس إذا بطرد إلى الأشكال الحديثة للاتينية بأنها لغات مختلفة^(٣) وقد كان لكشف "السير وليام جوير" الانجليزى عام ١٧٨٦م للغة السسكريدية أثر في التقدم الحقيقي لعلم اللغة التاريخي المفار^(٤) إذ اكتشف شيد من العلاقة بين اللغة السسكريدية واللغات الأوروبية الفصيحة من الجوانب الصوتية والصرفية والنحوية، وبعده في تلك شليجل F Flügel الذي دعا إلى دراسة اللغة السسكريدية بوصفها سطفاً للمعارف اللغوية، ثم جاء فرانكس بوب F Bopp ، الذي ألف أول كتاب في علم اللغة المفار سنة (١٨٣٣ - ١٨٥١)، وقد حاول أن يستخرج ملامح اللغة الهندية لأوروبية الأولى، اعتمداً على مفارمة اللغات لأوروبية المختلفة، في محاولة التعرف على اللغة الأقدم التي خرجت عنها هذه اللغات، ثم أخذ بالاتجاه المفار محي أكثر دقة، محاولاً الاستفادة من البحث في اللغات، بوصفه أداة توضح جوانب من التاريخ اللغوي القديم، ويصعور من خلالها مجموعة من القوانين التي تفسر التعبير التاريخي، ولعل من أبرز العلماء في هذا المجال شلايشر A Schleicher الذي ألف كتاباً في النحو المفار للغات

(١) مصاص عبد التوفيق، المسجل إلى علم اللغة، القاهرة، ١٩٨٠م، ص ١٨٨

(٢) اسماعيل عتيقة، المستشرقون والمناهج للغة، ص ١٩٩٢، ص ٢٦

(٣) محمود المعز، اللغة والمجتمع ط ٢ دار المعارف بالامكنة ١٩٦٣، ص ١٦٧

(٤) فخر محمود حجازي، لمس علم اللغة العربية، ص ١٢٩ وانظر عبد الغفر هلال علم اللغة بين القديم والحديث، القاهرة، ط ٢، ١٩٨٦، ص ٩٦

الهندية- الأوروبية، وتابعه في ذلك لسكين Leskien ، وولدكه Noldoko وبروكلمان
C Brockelmann .^(١)

جهود المستشرقين في درس العربية

لم يعنصر اهتمام الأوروبيين على اللغات الهندية- الأوروبية، بل نغداها إلى ما
عرف باللغات السامية وكان شلوتسر Schlotzer (١٧٩٨م) أول من أطلق هذه التسمية
على اللغات العبرية والعربية والآرامية والحبشية^(٢) مطلقاً في ذلك من التوراة، التي
تقسم الشعوب وفق أبناء نوح، إلى ثلاثة أقسام: سام وحام وباهث، وقد خطأ بعض
المستشرقين أنفسهم هذه التسمية، لأن الانتماء إلى اللغة ليس انتماء عرقياً^(٣) ولذا احتار
بعضهم أن يسميها اللغات الجررية أو الجريرية (نسبة إلى جزيرة العرب) وسموها بعضهم
اللغات العروبية. ولا مشاحة في التسمية، وقد شاع بين العلماء اسم اللغات السامية علماً
عليها

وكان من أبرز أهداف بحث اللغات السامية قراءة العهدين القديم والجديد في
نصوصهما القديمة، بالاستفادة من اللغة العربية التي كانت معروفة لدى بعض الباحثين
لأوروبيين، ومحاولين اختيار صدق المقولة الواردة في التوراة (العهد القديم)- بأن العبرية
أصل اللغات

ومن ثم اتسعت أهداف الدراسة المقارنة ودوافعها^(٤) ووافق ذلك اكتشاف كثير
من النقوش في أنحاء مختلفة من الشرق ومما يذكر أن ليتمان E. Littman جمع من
منطقة الصفه قرب دمشق نقوشاً كثيرة، واستطاع من خلالها أن يحل حروف الأبجدية
الصعوية، و ألف في ذلك كتاباً سنة ١٩٠١م^(٥)

(١) محمود حجازي، مس علم اللغة العربية، ص ١٢٩- ١٣١

(٢) محمود حجازي، مس علم اللغة العربية ص ١٣٥ وانظر هانم الطعان، مساهمة العرب في دراسة اللغات
السامية، منشورات وزارة الثقافة العراقية ١٩٨٧، ص ٣

(٣) كابر بروكلمان، هذه اللغات السامية، ترجمه رمضون عبد التواب، وانظر سمير اسكيتيه، اللسانيات، عالم
الكتب الحديث، ٢٠٠٥، ص ٥٧٦- ٥٨

(٤) انظر اسماعيل عميرة للمستشرقون والمناهج اللغوية، ص ١٩٩٢، ص ٤٣- ٤٦

(٥) رمضون عبد التواب، فصول في هذه العربية، القاهرة، ١٩٨٣، ص ٥١

وقد لوحظ أن خطوط النقوش الثمودية والحياتية والصقوية، تشبه خطوط اللغة العربية الجنوبية القديمة، ومن ثم فقد اتسعت دائرة اللغات السامية، فأصبحت تشمل الأكادية والكنعانية والآرامية، واليمنية، والحشوية، والثمودية والحياتية، والصقوية^(١)، ثم عثر المستشرقون على أربعة نقوش قديمة قريبة إلى العربية، في منطقة قريبة من الصفاة من حيث المادة اللغوية والأسلوب، أكثر من قرب النقوش الثمودية والصقوية إليها، وهذه النقوش هي نقش النمارة، ونقش ريد، ونقش حران ونقش لم الجمال.^(٢) وقد صنف اللغات السامية إلى ثلاثة أصناف:

الأول: لغات مندثرة، لا يُعرف منها إلا مفردات وعبارات وذلك كالكنعانية القديمة
 الثاني: لغات لها مصوص مكتوبة، إلا أنها لا نجد منكلماتها الآن كالأكادية والسبئية.
 الثالث: لغات ما تزال تعيش على ألسنة المتحدثين بالعربية ولهجاتها، وما يزال نعر قليل من الناس يتحدثون السريانية والحشوية.^(٣)

وقد تولت جهود المستشرقين في دراسة العربية من ذلك دراسة شلوتسر Schlozer التي قام فيها بمقارنة العبرية بالعربية، وجاء بعده كل من ييغال Ewald وفلهاور Willhauwsen، فألفا في اللغة العربية مستخدمين المقارنة، كما حاول مثل ذلك تولدكه Noldeke في السريانية، وفي عام ١٨٩٠ ألف وليم رايت W Wright كتابه "محاضرات في النحو المقارن للغات السامية".

كما ألف بعده بعام كل من (لاجارد وبارث) كتابهما "بحوث في أبيه الأسماء السامية" كما ألف تسمر Zimmern، كتاباً بعنوان "النحو المقارن للغات السامية".
 وجاء بعد هؤلاء المستشرق كارل بروكلمان C. Brockelmann "ألف كتابه "الأساس في النحو المقارن للغات السامية" الذي نشره عام ١٩١٣م. وفي عام ١٩٢٨ نشر المستشرق بيراجشتريسر Bergsträsser كتاباً بعنوان "المدخل إلى اللغات السامية"^(٤)

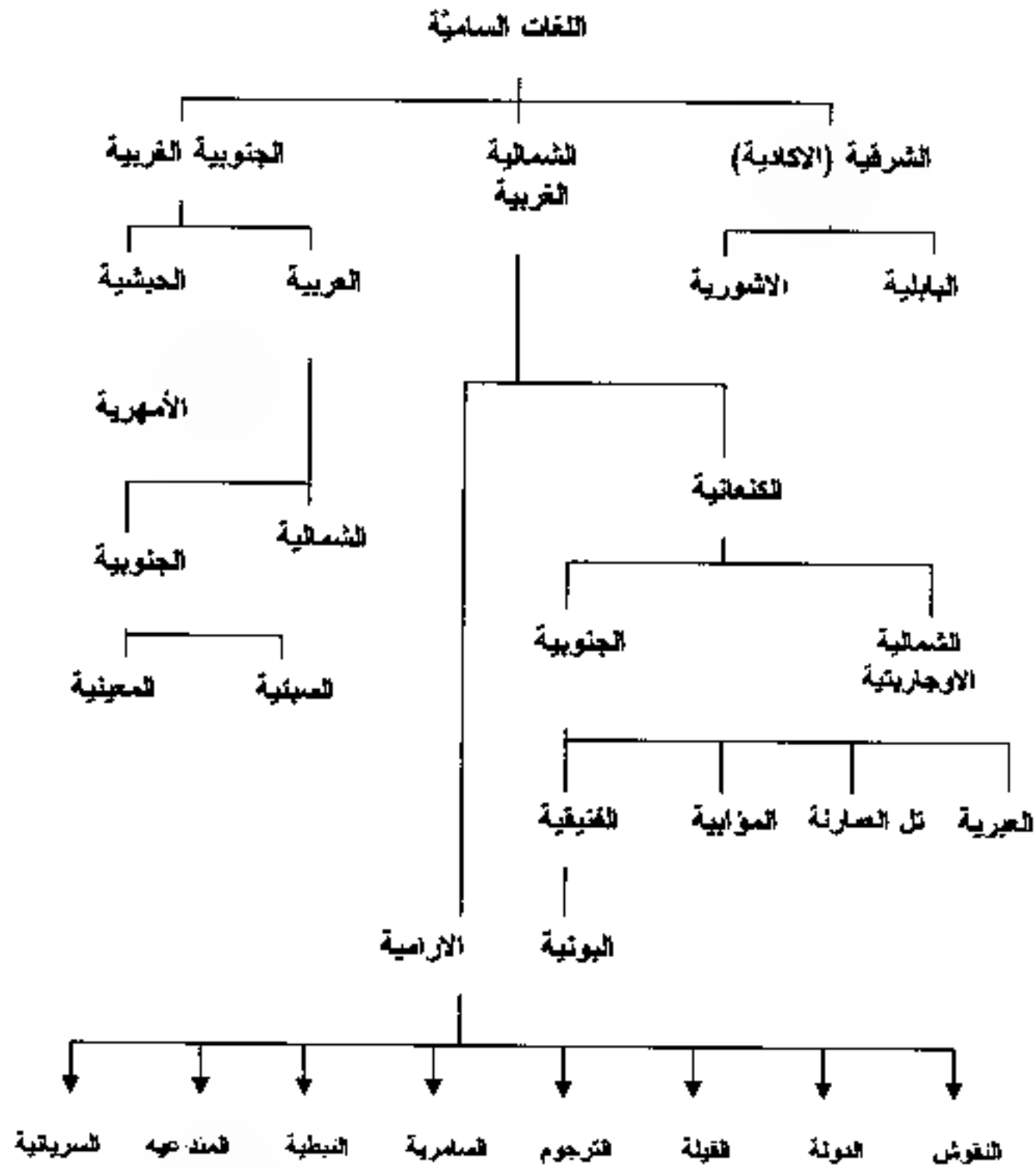
(١) تولدكه، اللغات السامية ترجمة رمسان عبد التواب، مطبعة للكمالية، القاهرة، ١٩٦٢م، ص ٨

(٢) إسراييل ونيسون، تاريخ اللغات السامية، القاهرة ١٩٢٩، ص ١٩٤

(٣) رمسان عبد التواب، فصول في لغة العربية، ص ٥٥

(٤) إسراييل عميرة المستشرقون والمناهج اللغوية، ص (٥٠ ٦٠) ونظر محمود السمران، علم اللغة، بيروت، د.ت، ص ٢٥٠

ويمكن ملاحظة موقع اللغة العربية في هذا التخطيط العام للغات السامية^(١)



(١) . معاصر عبد القواب . فصول في لغة العربية، ص ٣٦

ومما يلاحظ أن التوافق الكبير بين لغتين في المفردات لا يعد دليلاً قوياً على انحدارهما من أصل واحد، فالمفردات التركية تشكل نسبة عالية في اللغة اليونانية الحديثة مقارنة مع عدد المفردات اليونانية القديمة فيها، ومع ذلك فاللغة اليونانية الحديثة مشتقة من اليونانية القديمة وليست من التركية^(١).

والمفردات العربية في اللغة التركية تشكل نسبة كبيرة ومع ذلك نطل التركية في أسرها اللغات الهندية الأوروبية^(٢).

المنهج التاريخي التطوري

أما المنهج التاريخي التطوري Historical Linguistics فهو فرع على التاريخي المقارن ويهدف إلى دراسة اللغة الواحدة في مستوياتها الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية، بقصد تتبع الظاهرة اللغوية في عصور مختلفة، وأماكن محددة ليرى ما أصابها من تطور، محاولاً الوقوف على سر هذا التطور وقوانينه المختلفة، مثال ذلك، دراسة أصوات العربية الفصحى دراسة تبدأ من وصع القدماء لها، أمثال الخليل بن أحمد وسيبويه، وتتبع تاريخها، منذ ذلك الزمن حتى العصر الحاضر، ومن هذا المنطلق يمكن أن تُدرس أية ظاهرة صرفية أو نحوية.

وقد بدأ هذا الفرع عند علماء اللغة العربيين بدراستهم لمجموعة اللغات الهندية الأوروبية، يدرسون كل لغة على انفراد ثم انتقل ذلك إلى اللغات الأخرى في العالم وقد حظي المنهج التاريخي بوجه عام بمكانة مرموقة في علم اللغة^(٣)، بيد أن بعض الباحثين الأوروبيين في تطبيق المنهج المقارن أدى بهم إلى محاولة بناء الصورة الأم لبعض اللغات كالهندية الأوروبية والسامية

ويؤكد بولدكه Nolodeke صعوبة بناء أية لغة أم غير معروفة، وذلك بقوله: وإسا تريد أن توجه سؤالاً لمن يطرأ إعادة البناء الكامل للغة السامية الأولى، ولو بالقرب، أمر ممكن، والسؤال هو: هل يستطيع أحسن العارفين باللهجات الرومانية كلها

(١) محمود السمران علم اللغة ٢٥٣

(٢) بسماعين عمارة، للمستشرقون والمناهج اللغوية، ص ٥٠

(٣) ماريو باي، لغات البشر، ترجمة صلاح العربي، للقاهرة، ١٩٧٠، ص ٧٤

(الإيطالية، والفريسية، والإسبانية) أن يعيد بناء الأصل القديم لهذه اللهجات، وهو اللغة اللاتينية، لو حرص أنها غير معروفة الآن^(١).

ولا شك أن دراسات المستشرقين للغة العربية من منظور تاريخي كانت دافعة لها، فقد أدت إلى تصحيح كثير من اجتهادات النحويين الحافظين، وفصلت في كثير من خلافهم، الذي كانوا يسورون به أو يدور بهم، في إطار جدل عقيم بعيد عن طبيعة اللغة^(٢)، وذلك عن طريق التأصيل لهذه الطوائف، مثال ذلك تأصيلهم لطاهرة الإعراب، وقد أثبتت الدراسات التاريخية أن الإعراب كان موجوداً في اللغات السامية، يقول المستشرق بر اجستريس G. Bergsträsser "إن الإعراب سامي الأصل، تشترك فيه اللغة الأكادية، وفي بعضه الحبشية، وجد أثراً منه في غيرها أيضاً"^(٣).

وقال المستشرق يوهان فك J. Fück "احتفظت العربية الفصحى في طاهرة التصرف الإعرابي، بسمة من لقم السمات اللغوية، التي فقدتها جميع اللغات السامية- باستثناء البابلية القديمة قبل عصر نموها وازدهارها الأدبي"^(٤).

فاللغة الأكادية يعرفها: البابلية والآشورية، كانت تشتمل على الإعراب كاملاً، كما هو في اللغة العربية الفصحى تماماً، فالفاعل مرفوع والمفعول منصوب، وعلامة الرفع الصمة، وعلامة النصب الفتحة وعلامة الجر الكسرة، مثال ذلك ما ورد في قانون حمورابي (١٧٩٢ - ١٧٥٠ ق.م)

Summa awelum awelam Ubbirma بمعنى "إذا اتهم إنسان إنساناً"
إد يجد awelum الأولى بمعنى "إنسان في حالة الرفع، وهي مرفوعة بالصمة أما الميم لأحيرة فهي تقابل التنوين في اللغة العربية و awelam الثانية في حال المفعول به وهي

(١) اللغات السامية، ص ١١

(٢) بهاد الموسى، في تاريخ العربية، ص ١٩٧٦، ص ١٩٩

(٣) للتطور النحوي أخرجه وصححه وعلق عليه، رمضيل عبد القواب، القاهرة، ١٩٨٢م، ص ١١٦

(٤) يوهان فك، العربية، دراسات في اللغة واللهجات والأساليب، ترجمة رمضيل عبد القواب القاهرة، ١٩٨٠م،

مصنوبة بالفتحة وبعدها التميم كذلك ^(١) فالإعراب إذن، مسمى ذو دلالة في العربية، وفي غيرها من شقيقاتها الساميات، كاللغة الأوغريزية والأكادية.

وهذا يؤكد أن قطرباً من القدماء، وإبراهيم أبنس من المحدثين قد جابهما الصواب في تصورهما للإعراب في العربية، فقد ذهب قطرب إلى أن الحركات جيء بها للتخلص من التقاء الساكنين، يقول: وإنما اعربت العرب كلامها، لأن الاسم في حالة الوقف يلزمه السكون للوقف، فلو جعلوا وصله بالسكون أيضاً، لكان يلزمه الإسكان في الوقف والوصل، وكانوا يبطنون عند الإدراج فلما وصلوا وأمكنهم التحريك جعلوا التحريك معاقب للإسكان، ليعتدل الكلام ^(٢)

ونابع قطرب في رأيه هذا إبراهيم أبنس ناقلاً إياه عن إبراهيم مصطفى في كتابه "أحباء النحو"، بل إن إبراهيم أبنس ذهب إلى أبعد مما جاء عند قطرب، فهو يرى أن النحاة اخترعوا قواعد الإعراب على نظم النحو في اللغات الأخرى كاللغوية - مثلاً - فهي فرق بين حالات الأسماء التي تسمى Cases ويرمز لها في نهاية الأسماء برموز معينة، وكأنما قد عرّ على النحاة ألا يكون في العربية أيضاً مثل هذه ال Cases فحين وافقت الحركة ما استنبطوه من أصول إعرابية قالوا عنها إنها حركة إعراب، وفي غير تلك سموها حركة أيضاً أتى بها للتخلص من التقاء الساكنين ^(٣)

وهذا لا يعني أن الردّ عليهم كان عسيراً، فقد ردّ عليهم مجموعة من الباحثين بدود عقلية مقنعة ^(٤)، ولكن ما أسعرت عنه الدراسات التاريخية يُعدّ وثيقة تشكل حجة

(١) مصابيح عبد التواب، قصود في فقه العربية ص ٣٨٢

(٢) الرجاسي، الإيضاح في علم النحو، تحقيق ملاز المبروك، القاهرة، ١٩٥٩م، ص ٧٠

(٣) إبراهيم أبنس، من أسرار العربية ط ٣ الانتاج المصرية، القاهرة ١٩٦٦، ٢٩

(٤) فخر من هذه الردود

مصطفى صليح الرافعي، تاريخ أدب العرب، مطبعة الاخيار ١٩١١م، ص ٢٣٩ ٢٥٤

ب صبحي الصالح، دراسات في فقه اللغة، ط بيروت ٩٦٢ م، ص ١٢٩ ١٣٦

ج مهدي السحرومي، مدرسة الكوفة ومبهمي في دراسة اللغة والنحو ط مصطفى الحبيبي، ١٩٥٨م، ص

دامعة على أصالة الطاهرة الإعرابية، ولذا جاء ردُّ الباحثين الذين ارتكروا على أسس تاريخية أكثر علمية واقعا. (١)

الباحثون العرب المتأثرون بالمنهج التاريخي

تأثر بالمنهج التاريخي كوكبة من الباحثين العرب، برر منهم محمد عطية الأبرشي في كتابه (المفصل في قواعد السريانية) (٢)، ومن ثم أسهم عبد المجيد عابدين في كتابه (المنحل إلى دراسة النحو العربي)، وقد عرّض في كتابه لفكرة مهمة وهي أن المنهج التاريخي يسهم في تصحيح بعض المسائل الحلافية التي كانت محتمة بين النحاة القدماء، ولم يسعهم فيها المنهج التاريخي وسلك لعدم معرفتهم باللغات السامية (٣)

ثم أسهم خليل سامي في كتابه (دراسات في اللغة العربية) وقد تنوع إنتاج بعض الباحثين، وذلك نحو رمضان عبد النواب الذي ترجم كتاباً لنولدكه بعنوان (اللغات السامية) عام ١٩٦٣م، وكتاباً لكارل بروكلمان، هو فقه اللغات السامية. وألف كتاباً بعنوان (التذكير والتأنيث في اللغة)، إصافه إلى النظرات التاريخية في كتابه (دراسات في فقه اللغة المقارن) عام ١٩٦٩م، حاول فيها إلغاء صوء تاريخي على بعض القصايا الحلافية بين النحاة

ثم يسهم إبراهيم السامرائي بحوث تاريخية أبررها (فقه اللغة المقارن)، عام ١٩٦٨م.

ويسهم محمود فهمي حجازي في بحوثه مبيناً أهمية المنهج التاريخي، ومن أبرز كتبه علم اللغة، ويسهم إسماعيل عميرة (٤) بإنتاج متنوع، فقد بين في كتابيه (المستشرقون

(١) انظر عبد الواحد وافي، فقه اللغة، ص ٢٠٤ - ٢١٠ رمضان عبد النواب، فصول في فقه العربية، ٣٧٦

إبراهيم السامرائي، دراسات في اللغة، ص ١٦

(٢) انظر طبعة بولاق، ١٩٣٥م

(٣) عبد المجيد عابدين، المنحل إلى دراسة النحو العربي الحديث في صوء اللغات السامية، ط ١، مصر، ١٩٥١م، ص ٩٣

(٤) بصير إسماعيل عميرة منسقة بحوث لغوية تاريخية عن دار حنين للنشر، عمان، صدر منها

ظهور التأنيث بين العربية واللغات السامية

ب معالِم دارسه في الصرف «أدبية الفعليه المهجورة

ج المستشرقون وتاريخ صلتهم بالعربية بحث في الجذور التاريخية لظاهرة الاستعراقية.

والمناهج اللعوية) أهمية المنهج التاريخي في دراسة الظاهرة اللعوية، وأبرز جهود المستشرقين في دراسة العربية، ثم درس بعض الطواهر في العربية دراسة تأصيلية، وبذلك نحو (معالم دراسة في الصرف)، و (ظاهرة التأنيث) في اللغات السامية، والعدد، ومدهج التأصيل في التراث اللعوي، وقد عرف بظاهرة (بجد كفت) وهي ظاهرة مطردة في اللغات السامية، وهي ليست كذلك في العربية، وبين ما يمكن أن يترتب على افتراض هذه الظاهرة في الساميات على العربية، مما ساعده في تفسير ظاهرة الترادف ومن أهم دراساته المقارنة كتابية: دراسات لعوية مقارنة. وسوف نستأنس ببعض آراء هؤلاء الباحثين في شأنا للبحث إن شاء الله.

ماخذ على المنهج التاريخي:

ويظهر المنهج التاريخي مع إصاءاته النافعة يعاني من عقبات تجعل الحقيقة مستمرة في حقائقها أحياناً، من ذلك ما يأتي

- ١ هذا المنهج يتعامل وبحاصة المقارن - مع بصوص قديمة في شكلها المكتوب، وليس في صورتها المنطوقة المفقودة مما يثير تساؤلاً: فهل يحتمل أن تكون لغة الكتابة المدونة تختلف اختلافاً بيناً عن لغة الكلام في العصور التي كتبت فيها؟^(١)
- ٢ قلة النقوش التي عثر عليها في اللغات السامية بعامة إضافة إلى حداتها بسبب، فأقدم نص وصل إلى أيدي الدارسين هو نقش النمرة الذي يعود إلى عام ٣٢٨م^(٢)، إضافة إلى بقايا نقوش متفرقة على الحجارة، تعود إلى القبائل العربية البائدة كالشمونية، واللحيانية، والصعوية، مما يشير إلى أن حقبا في تاريخ اللغة العربية ما زالت مجهولة.

وانظر د. ظاهرة بجد كفت بين العربية واللغات السامية، إسماعيل عميرة مجلة مجمع اللغة العربية الأردني، عدد ٤٣، ١٩٩٢

وانظر هـ. خصائص العربية في الأسماء والأفعال دراسة مقارنة في ضوء اللغات السامية، ط ٢، ١٩٩٢م

(١) انظر ماريو باي، لغات البش، ص ٧١-٧٢

انظر رمضان عبد التواب، لغة اللغة السامية، ص ٥٥

انظر إسماعيل عميرة، المستشرقون والمناهج اللعوية، ص ٥٢

(٢) انظر إسماعيل عميرة، المستشرقون والمناهج اللعوية، ص ٥٣

٣- الكشوف الأثرية لم تنته بعد، وهذا يعني أن الأحكام التي يُسفر عنها المصهح التاريخي غير ثابتة، فقبل مائة عام مثلاً، كان يشيع بين الدارسين أن الشعر الجاهلي يمثل ما وصل إلينا من العربية، ثم أسفرت الكشوف الأثرية عن أنماط من العربية مُتمثلة في العربية النبطية، والنقوش اللحيانية، والثمودية، والصعوية، وهي قبائل عربية شمالية تمارح لهجاتها عناصر عربية جنوبية و آرامية. (١)

إلا أن هذا المصهج يبقى باقياً، ولا بأس في إعادة الصبغة في أحوال معينة، كلما جدّ في الأمر جديد. (٢)

(١) انظر ماريو باني، معاني البشر، ص ٧٢ محمود العنبر، علم اللغة، ص ٣٤١

(٢) مصطفى لطفي، اللغة العربية في إطارها الاجتماعي، بيان ١٩٨١م، ص ١٩

وانظر عبد القهار هلال، علم اللغة بين القديم والحديث، ص ٨٠

المبحث الثاني المنهج الوصفي Descriptive Linguistics

في أوائل القرن العشرين انحسر ربط الظواهر اللغوية بما يحدث في العالم الطبيعي، ونظر إلى اللغة على أنها بنية أو نظام System "عناصره المختلفة يعتمد بعضها على بعض، ووجود هذا النظام مهم بالنسبة لفهم كل من التعبير اللغوي، واللغة من حيث هي لغة" (١)

وقد أضيفت محاضرات فريدمان دي سوسير التي نشرت عام ١٩١٦م، صفة العلمية على منهج دراسة اللغة، وأصبحت أساساً لعلم اللغة الحديث، وأبعدت الأمور الميتافيزيقية التي نبتت بالظواهر اللغوية عن الوصف الدقيق لها، ومن ثم نُحّي المنهج التاريخي المقارن (Diachronic) الذي كان سائداً، وأصبح البحث اللغوي الوصفي الذي يسميه (synchronic) ذا أولوية عليه (٢)

أهم أسس المنهج الوصفي

لعل أهم الأسس التي استند إليها الوصفيون والتي استمدوها من دي سوسير تتمثل في النقاط الآتية

١ تتكون اللغة من اللسان والكلام، واللسان يمثل نروة باطنة وحقيقية، لا يفصح عنها إلا الكلام، واللسان يسق بحوي، أي نظام من العلاقات والقواعد والأشكال، موجود بالقوة الاعتيادية لا بالفعل الذي يتسم بالتروي والتفكير، ومعنى ذلك أنه موضوع مجرد غير قابل للإدراك بشكل مباشر، إذ لا يفقد للملاحظة بسهولة، ولا يتأني لا بواسطة التفكير، فاللسان "ظاهرة جماعية يتوحد عليها الناطقون بها، وتمثل نموذجاً كلياً ومعبّراً لاجليات اللغة وهي ظاهرة نفسية غير مدركة ولا محسوسة، تشكل سقفاً من العلاقات والقواعد والأشكال النحوية" (٣)

(١) محمود السمران، علم اللغة، ص ٣٤٩

(٢) دي سوسير، بروم في الألفية العامة، تعريب صالح الفرعادي و حريس، ص ٣٥٧

(٣) السابو، ص ٢٦٨

أما الكلام فهو 'الإنجاز اللفظي المتنوع، الذي انتقل من مرحلة العموص والكمور في العقل الباطن، ليصبح رموزاً مستحصرة واصحة، تعبر عن مدلولاتها، وعلى هذا فإنه يتركب بالمصباح الوصفي أن لا يتركز البحث في اللغة على استقصاء أصولها التاريخية البعيدة، وإنما يتركز في دراسة تراكيبها، وأصواتها، وخصائص معردياتها، على النحو الذي تدو له اللسان تداولاً حياً لا من خلال النصوص المكتوبة

٢ تعدُّ العلاقة بين الألفاظ والمعاني، علاقة اعتباطية وهو ما عُرف بنظرية (الدليل) (١) فالدالُّ هو اللفظ المصنوع أو الصورة الصوتية، والمدلول هو المعنى الذهني، والعلاقة بينهما هي الدلالة، والاعتباطية لا تعني أن الدالَّ حاصص للاختيار الحرُّ لدات المتكلمة وإنما تعني أنه غير معتل، أي أنه اعتباطي بالنظر إلى المدلول الذي لا يربطه به أي رابط طبيعي في الواقع، أي أننا حين نقول: 'رجل' فلا علاقة عقلية بين (ر ح ل) هذه الأصوات الثلاثة ومفهوم 'رجل' في الواقع الخارجي (٢)

ويشير دي سوسير إلى أن الكلمات المناسبة للطبيعة (المحاكية لها)، ربما دفعتنا إلى الاعتقاد بأن اختيار الدالِّ ليس دائماً اعتباطياً، ولكنه يشير إلى أن هذه الكلمات محدودة العدد، وأنها فقدت شيئاً من طابعها

٣ إن مهمة الباحث اللغوي، أن يدرس اللغة المنطوقة في جميع مستوياتها، الفصيحة والعامية، وأي حالة من حالات اللغة، تكون نتاجاً لعوامل تاريخية، بمعنى أن الرمز صامس لاستمرارية اللسان، ومعبّرٌ له في الآن نفسه (٣) على أن يفصل بين هذين المصباحين، فإما أن يُدرس وفق المصباح الوصفي (حالة اللغة في وضع الثبوت، في فترة رمزية محددة)، أو وفق المصباح التاريخي الذي يتتبع الظاهرة في مراحل رمزية مختلفة، وقد ينجاور ذلك بحثها في اللغة الواحدة إلى بحثها في لغات متقاربة، وذلك كأن يشرح الانتقال في فعل الكيبونة من المفرد إلى الجمع (est-sonit) في اللغة

(١) دي سوسير، دروس في الألسية العامة، ص ٢٦٨ و انظر حنون ميارك، مدخل نلسائيت موسير، ص ٤٤

(٢) انظر المرجع السابق، لأور ص ٣٥٣ والثاني ص ٤٩

(٣) رشيد العبيدي، الألسية بين عبد القاهر والمحدثين، مقاله منشورة بمجلة المورد، العراق، المجلد ١، العدد ٣،

١٩٨٩، ص ٨

الهدية الأوروبية إلى (1st-sind) في الألمانية إلى (est-sunt) في اللاتينية إلى (est-sont) في الفرنسية.. إلخ. ^(١)

ويرى الوصفون أن تحديد المنهج من شأنه أن يجنب اللساني السقوط في المزالق التي وقعت فيها اللسانيات التاريخية، ووقع فيها النحو التقليدي، فانشغال النحوي التقليدي بعد الوصفين - بتثبيت المعايير، حال دون الإحاطة بالطاهرة اللغوية من جميع جوانبها، واللسانيات التاريخية لم يسعها منهجها الحاصر في فهم طبيعة اللسان وكشف سقته ^(٢)

وعلى هذا فالوصفيون يدعون بأن تُدرس اللغة دراسة وصفية، فاللغة الحقيقية هي التي يستخدمها الناس فعلاً، لا اللغة التي يعتقد البعض أن على الناس أن يستخدموها. ^(٣)

٤ التفريق بين اللغة ظاهرة ذهنية إنسانية متكاملة، ذات قواعد وأصول قائمة في أذهن الناطقين بها، واللغة كأداة يستعملها الإنسان في مجرى حياته اليومية وهي مستوحاة من الأسس الذهنية ومبنية عليها ^(٤) وقد اهتم دي سوسير بدراسة اللغة، كأداة وطبيعية، ولم يهتم بدراسة كظاهرة ذهنية، إلا أن مجرد التفريق بين هذين المستويين للغة فتح أفاقاً منهجية جديدة كما سنوضح فيما بعد

٥ الدراسة الوصفية للغة هي النظر في علاقة كل عنصر من العناصر اللغوية الداخلية بغيره من العناصر الأخرى المكونة للنظام اللغوي، وذلك لأنه لا قيمة للمفردة إلا من خلال السياق، وقد شبه ذلك دي سوسير بلعبة الشطرنج، يقول: (إن القطعة اللسانية بمفردها ليست عنصراً من عناصر لعبة اللسان، لأن هذه القطعة في مانتها الصرفة

(١) جورج مونر، علم اللغة، ترجمة نجيب غراوي، دمشق، ص ٥٠

النظر دي سوسير، دروس في الأسس العامة ص ٤

(٢) حنون مبارك، مدخل للسانيات دي سوسير، ص ٦٢

(٣) ماريو باي نعات البشير، ص ١

(٤) مصطفى نطفي، اللغة العربية في إطارها الاجتماعي، ص ٢٠

والنظر حنون مبارك، مدخل للسانيات دي سوسير، ص ٨٢

وحارج موقعها، وباقي شروط لعبة اللسان، لا تمثل أي شيء بالنسبة للمتكلم^(١)، ومن
هنا يرى أن تقسيم اللغة التقليدي إلى فروع كالأنوات والصرف، والنحو، تقسيمات
وهيئة^(٢)، وإن كانت ذات نفع عملي، ذلك أن مجموعة أشكال اسم ما لا تصحح وحدة
استبدالية، إعرابية، إلا بالمقارنة مع الوظائف المرتبطة بمختلف الأشكال، وبالعكس
فإن هذه الوظائف لا تكون قابلة لأن تُخرج صمن الصرف، إلا إذا ما سب دليل صوتي
محدد كل وظيفة من تلك الوظائف، والصرف الإعرابي المعين ليس جدولاً من
الأشكال، ولا فئة من التجريدات المنطقية وبما هو تأليف بين جدول الأشكال
والتجريدات المنطقية فالأشكال والوظائف متعلقة ببعضها ببعض، ومن الصعب، أن
نعزل بينها، ومن وجهة النظر اللسانية، ليس للصرف موضوع واقعي يمكنه من
تشكيل مجال معرفي متميز عن التركيب.

وقد ترك دي سوسير بصمات على البحث اللساني، وتأثيراً متفاوت الوقع من
نحوه إلى آخره، وإن كانت غالبية الاتجاهات طلت قائمة على المراكز النظرية
والمهجية عنده، مع ما ورد فيها من تطوير أو تصحيح لبعض المفاهيم، وأهم هذه
الاتجاهات

١ مدرسة براغ:

وهو اسم لجماعة من اللغويين، منهم^(٣) (جاكوبسون، وروس براغ، ونيكولاي
تروبتزكوي Troybestzkoy)، طبقت هذه المدرسة مبادئ النظرية اللغوية، غير أنها
وبخاصة تروبتزكوي، حالف دي سوسير في هذه الدراسة التاريخية اللغوية تألحظ
الوقائع المعروفة فقط، وذهب إلى أن اللغويات التاريخية ينبغي أن تدرس النظام

(١) حنون مبارك، مدخل للسانيات، سوسير ص ٨٤

(٢) دي سوسير، دروس في الألفية العامة، تحرير صلاح الغرمادي وإخراج، ص ٣٥٨

و انظر رشيد العبيدي الألفية بين عبد القادر والمحدثين، مجلة المورد، ص ١٢

(٣) محمود السعراي، علم اللغة، ص ٣٤٤

و انظر حنون مبارك، مدخل للسانيات، سوسير، ص ١٢٥

الفونولوجي على أنه كيان عصوي في حالة تطور، وذلك حتى يصبح للتعريفات الفونولوجية معنى ومبرر للوجود^(١).

وقد ميرت هذه المدرسة بين الأصوات الوظيفية والأصوات غير الوظيفية، ورأت أن على الباحث الفونولوجي، ألا يهتم إلا بالأحداث ذات القيمة الوظيفية، وعلى هذا تعد هذه المدرسة مجددة لمفهوم الفونيم بأنه (الصوت الذي يقوم بوظيفة محددة في اللغة)^(٢) أي أنها أعطته مدلولاً وظيفياً، وقد كان سي سوسير من قبل يركز على الجانب العصوي والجانب السمعي للفونيم يقول^(٣) "الفونيم: مجموع التأثيرات السمعية والحركات النطقية، كل مسهم يشترط الآخر" وقد حددت هذه المدرسة طرق تحديد الفونيمات، وتمييز متغيراتها، وذلك بإعداد طرق لتصنيف التعارضات التي تقوم بينها، لثنائية هي أم متعددة أم متفرقة أم سالية أم متكافئة؟ وهكذا أصبح من الممكن تعريف الفونيم على أنه مجموعة من الحصاصات الفونولوجية المميزة التي تجعله يعارض مع كل الفونيمات الأخرى^(٤) إضافة إلى اهتمام هذه المدرسة بأسس تحليل الظواهر المصاحبة للكلام مثل اللهجة والبرة، وذلك من خلال دراسة وظائف البرة التي تحدد قيمة وحدة صوتية، والبرة التي تحدد مناطق التركيز في نطق الكلمات.^(٥)

وميرت هذه المدرسة الحصاصات التي تعرض للفونيمات^(٦) إذ قد تشترك كلمتان في (الفونيمات) المكونة لكتنهما، ولكن إحداها تنطق بلح أو تنعيم، وتنطق الثانية بتنعيم آخر، وهذا ما أطلق عليه نروبتركوي اسم (كرونيم chronem)، بمعنى (فونيم النعمة وقد يكون الاختلاف في مدة استمرار الصوت، أي كمية الصوت الواحد هي التي تؤدي إلى اختلاف في المعنى، وهذا ما أطلق عليه نوبيم (Tonem) بمعنى "الفونيم الكمي".

(١) جورج مونس، علم اللغة في القرن العشرين، ب. نجيب عراوي، ص ١٠٨.

(٢) السابق ص ١٠٥.

(٣) عبد الصبور شاهين، في علم اللغة العلم، بيروت ١٩٨٤، ص ١١٩.

(٤) جورج مونس، علم اللغة، ترجمة نجيب عراوي، ص ١٠٦.

(٥) السابق، ص ١٠٨.

(٦) محمود السمران، علم اللغة، ص ١٩٨.

كما أسهمت هذه المدرسة في تحديد مفهوم علمي للعرق بين الدراسة التاريخية والدراسة الوصفية، الذي ذكره دي سوسير من قبل، فثبت أن الدراسة التاريخية للظواهر اللغوية يجب أن تكون تابعة للدراسة الوصفية للنظام اللغوي المحدد بفترة زمنية معينة، وذلك انطلاقاً من أن معرفة النظام اللغوي يجب أن تسبق معرفة التغيرات التي طرأت عليه.

ومن أبرز توجهات هذه المدرسة على المستوى اللغوي التركيبي، أنها تطرأت إلى اللغة في إطار عوامل رئيسة ثلاثة ينظمها الموقف الكلامي، هي المتكلم والمستمع والأشياء، أي عناصر الموقف المخزنة وأوصافها التي هي موضوع الكلام، ويقوم الزمر اللغوي على التوافق وهذه العوامل^(١) وكذلك فإنها تنظر إلى الجملة من منظور وظيفي Functional sentence perspective في مستوياتها الثلاثة المستوى النحوي، والمستوى الدلالي، والمستوى الكلامي، الذي يتفاعل فيه المستويان الأولان في عملية التواصل اللغوي^(٢)

وبذلك فإن هذه المدرسة تلقي في بعض توجهاتها الوظيفية مع المدرسة السياقية الوصفية، حتى شكلت معها بُعداً منهجياً أكثر اتساعاً، هو البعد الوظيفي لدراسة اللغة، غير أن هذا البعد يظل في إطار المنهج الوصفي بوجه عام^(٣)

٢ - الوصفية الأمريكية:

أ - الشكلية ومن أبرز أعلامها سابير (Edward Sapir) الذي يُعد مؤسساً لعلم اللغة الشكلي^(٤) (Formaliste)، وصاحب كتاب (اللغة) Language، ويطلق سابير من فكرة الفصل بين الشكل والوظيفة، فهو يرى أن المتكلم يعتمد إلى توظيف الشكل

(١) انظر بهاد الموسى، نظرية النحو العربي، ص ٨٤

(٢) يحيى أحمد، لاتجاه الوظيفي ودور « في تحليل اللغة، مجلة عالم الفكر، المجلد العشرون، العدد (٣) الكويت، ١٩٨٩م، ص ٧٣

(٣) حمدي حنين، العربية و علم اللغة البنيوي، ص ١٣٥ وانظر بهاد الموسى، نظرية النحو العربي، ص ٨١

(٤) جورج مونز، علم اللغة في القرن العشرين، ص ٨٨

وانظر حنين حماد، في نحو اللغة وبنائها، جدة ١٩٨٤م، ص ٤٢

(الكلام المنطوق) لنقل فكرة معينة يقول "إن نظام الأشكال شيء، واستعمال هذا النظام (لتحديد الوظائف) شيء آخر" (١)

ويقول: "إننا مضطرون للاستنتاج بأنه من الممكن والواجب أن يدرس الشكل اللعوي باعتبار نظام، بعض النظر عن الوظائف التي ترتبط به" (٢)
ويرى جورج موبان أن "عدم التوازن المبهجي أو التقليل من قيمة العلاقة العميقة بين الشكل والوظيفة في النظام اللعوي، لا يؤثر تأثيراً خطيراً في فكر سابر، لأن مفهوم الوظيفة لم يعب عملياً من دهب لحظة واحدة" (٣) ومن المعاهيم التي برزت عند سابر أيضاً التطور الداخلي المثالي يقول: "تظهر اللغات جميعاً ميلاً غريباً نحو تطوير وسيلة أو عدة وسائل قواعدية خاصة على حساب وسائل أخرى"

ويقول: "لقد رأينا أن في كل لغة نظاماً صوتياً داخلياً ذا مخطط محدد، ويعرف الآن أن في اللغة ميلاً واضحاً نحو نظام الشكل القواعدي، ويتوجه هذان الاتجاهان العاصمان والقويان نحو شكل محدد دور أي عائق" (٤)

ب التوزيعية Distributionalism ومن أبرز أعلامها بلومفيلد، الذي يرى أن اللغة نتاج آلي، واستجابة كلامية بوصفه حافز، سلوكياً طاهراً، محاولاً تجنب العودة إلى المعنى في الدراسة اللعوية، يقول: "لا يجوز الاعتقاد بأنه من الممكن تفسير وقائع لعوية غامضة من خلال فرصيات فلسفية أو سيكولوجية أكثر غموضاً منها" (٥)

ويرى أن "اكتشافات عالم اللغة الذي يدرس الرمز اللعوي هي ذات قيمة أكبر بالنسبة لعالم النفس، إذا هو لم يشوهدا، بتصورات سيكولوجية مسنقة" (٦)

(١) جورج موبان، علم اللغة في القرن العشرين، ص ٨٨

(٢) السابق، ص ٨٩

(٣) السابق، ص ٨٩

(٤) السابق، ص ٨٩

(٥) جورج موبان، ترجمه نجيب عراوي، علم اللغة، ص ١١٥

(٦) السابق، ص ١١٦

ويلومفيلد نظرية تقوم على توزيع المكونات الأساسية للجملة بطريقة الاستبدال^(١) (Lacommutation) بمعنى أن تحل كلمة محل أخرى في القسم القواعدي أو المعنوي نفسه وذلك نحو أن نقول (أكل عمرو أو أكل ريد) حيث يتبادل عمرو وريد الموقع ذاته. وصرب بلومفيلد المثال التالي

المكونات الأساسية في جملة Poor john Ran away

Poor john + ran away هي

وإن المكونات الأساسية لـ poor john هي Poor و john والمكونات الأساسية لـ Ran away هي الكلمة Ran والتركيب away المؤلف من way + a .

ولعل أبرز نقد وجه للمنهج السلوكي بوجه عام هو التركيز على دراسة الشكل اللعوي ومحاولة للوصول إلى المعنى بطرق خارجية، يقول "ليش" Leech "إن مشكلة اتجاهات أوجدر وريتشاردر ويلومفيلد في دراسة المعنى أن كلاً منهم حاول شرح الميماتك على ضوء متطلبات علمية أخرى"^(٢)

وقد طور هاريس هذه الفكرة (المكونات الأساسية) في كتابه الذي يعد المؤلف الرئيس في علم اللغة التوزيعي^(٣) Distributional Linguistics وهو بعنوان Methods in structural Linguistics

فاعتمد على توزيع القوسيمات في المياني الصرفية لإبرار القيمة الحلافة بينها^(٤)، ولتعد المميز الذي يؤدي الدور الرئيس في بناء الكلمة، فلكي نعرف مثلاً ما إذا كان (L) و (r) يكونان قوسيمين بالإنجليزية، يكفي أن نلاحظ أنهما يميزان بين كلمتين Life و Rife ، فهذا التمييز يقوم على معنى هاتين الكلمتين غير أن هاريس، وكما يشير جورج مودر، لجأ إلى المعنى لجوءاً عفوياً غير منظم، وكس عليه "أن يجعل الطريقة التوزيعية

(١) نهاد الموسى، نظرية النحو العربي في ضوء منهج النظر اللعوي الحديث، عمان ١٩٨٠م ص ٣٢

وانظر جورج مودر، علم اللغة في القرن العشرين ص ١١٧

(٢) G Leech Semantics. Penguin Books. 974, P 7

(٣) محمود السعدي، علم اللغة، ص ٣٠٩ وانظر مصطفى طعي، اللغة العربية في إطارها الاجتماعي، ص

(٤) خليل عميرة، في نحو اللغة وتركيبها، ٤٧

وسيلة تحليل هريضة وشمولية وبذل اعتبار المعنى إليه منهجية مساعدة وبسيطة و اختيارية، فإن كل شيء يجري وكأن اللجوء إلى المعنى وسيلة لا مناص منها، وعلى ارتباط وثيق بطبيعة القضايا اللغوية نفسها، فيما تعتبر الآليات للتورية إحدى الإمكانيات المتاحة للوعي، من بين إمكانات أخرى، لحل بعض المشكلات وليس كلها، وعلى هذا الأساس، فقد كان كل اللغويين، ومنهم من بعيد توريين^(١).

وقد استفاد من ذلك تقوم مسكي في بانه للنظرية التوليدية التحويلية.

أبرز الباحثين العرب المتأثرين بالوصفية الأمريكية

تأثر عبد الرحمن أيوب بهذا المنهج، ودعا إلى دراسة اللغة العربية من خلاله وذلك بقوله. "واردت اليوم مدرسة تسمى بالمدرسة التحليلية الشكلية (school of formal analysis) وتنوعت نظرياتها، وأصبحت الدراسة اللغوية هي بعض صورها أشبه بالمعادلات الرياضية"^(٢).

ويرى أن هذه المدرسة تتسم بأساسين مهمين في التفكير اللغوي العلمي هما

- ١ الموضوعية: ويقصد بها ألا تطبق على لغة قواعد لغة أخرى.
 - ٢ الوصفية. ويقصد بها أن يكتفي الباحث اللغوي بوصف اللغة، شأنه في ذلك شأن الباء الذي يتبين بقاء حجر أ حجر دون أن يحرك أي حجر عن موضعه
- وهذا اتجه عبد الرحمن أيوب إلى نقد التفكير النحوي من خلال دعوته إلى الالتزام بهذه المدرسة بوصفها جزءاً من الثقافة العربية، التي أسماها تقليدية قائلاً "فالنحو العربي شأنه في ذلك شأن ثقافتنا التقليدية في عمومها، تقوم على نوع من التفكير الجرنئي"^(٣)
- وسوف نعرض لبعض آراء عبد الرحمن أيوب في الفصل الثالث من شاء الله.

٣- المنهج الوصفي السياقي Contextual Approach

أنظر علماء هذا المنهج 'فيرث' Firth الذي تأثر بالعالم البولندي مالبوفسكي، الذي استعمل "سياق الحال" context of situation بدلالة خاصة تشير إلى جملة

(١) جورج مونان، علم اللغة في القرن العشرين، ص ١٨٥

(٢) دراسات نقدية في النحو العربي، ج ١، مكتبة الاتجاه المصرية، ١٩٥٧، ص ٥٠ من المقدمة

(٣) دراسات نقدية في النحو العربي، ص ٥٠

العناصر المكونة للموقف الكلامي، مثل شخصية المتكلم والسماع والظواهر الاجتماعية ذات العلاقة بالسلوك اللعوي كحالة الجو وأثر النص الكلامي في المشتركين، كإمتاع أو لاكم) (١)

وقد حدد فيرث المعنى بأنه كل مركب من مجموعة من الوظائف اللعوية، وأهم عناصر هذا الكل هو الوظيفة الصوتية ثم المورفولوجية والنحوية والقاموسية والوظيفية والدلالية — (سياق الحال) (٢).

وحتى يصل الباحث إلى معنى نص لعوي، فلا بد من أن يدرس هذه العناصر مجتمعة

ويشترط فيرث على البحث جملة من اللوصايا أهمها: (٣)

١- ينبغي أن يحدد البحث معاني الأشكال النحوية على المستوى النحوي والمعجمي بالنسبة لنظام اللغة موضوع البحث.

٢- ينبغي على الباحث أن يصف اللغة من داخلها، دون الالتكاء على تصديقات مسبقة في الدهن، وعليه أن يحدد قائمة بعناصر هذه اللغة، وأن يورعها، ويحدد وظائفها ومعناها على المستوى النحوي بمصطلحات خاصة بالنظام النحوي الذي تتبعه اللغة وأن يبين مدى استعمال هذه الأقسام في اللغة

٣- على البحث أن يقيم هذه الأقسام على أسس شكلية لا تصورية فلسفية.

٤- على الباحث أن يدخل في اعتباره عناصر (سياق الحال) (٤)

وينمير هذا المصباح بأنه يجعل المعنى سهل الانقياد للملاحظة والتحليل الموضوعي، وأنه يعالج الكلمات بوصفها أحداثاً وأفعالا وعادات تقبل الموضوعية والملاحظة في حياة الجماعة المحيطة به. (٥)

(١) محمود السمران، علم اللغة، ص ٢٣٨

(٢) أحمد مختار عمر، علم الدلالة، الكويت، ١٩٨٢م، ص ٧٢

(٣) محمود السمران، علم اللغة، ص ٢٣٨

(٤) محمود السمران، اللغة والمجتمع، رأي ومنهج، بغداد، ١٩٥٨، ص ١١

(٥) أحمد مختار عمر، علم الدلالة، ص ٧٢

ومن مزاياه أيضاً أنه لم يحرح في تحليله اللعوي عن دائرة اللغة بقول 'لبش' Leech "إن البحث عن تفسير الظاهرة اللعوية خارج إطار اللغة يشبه البحث عن منفذ للخروج من حجرة ليس لها بوابد ولا أبواب، المطلوب من أن يفتح يتقصي ما هو موجود داخل الحجرة أي أن يدرس العلاقات داخل اللغة" (١)

وأحد على هذا المنهج، أنه لم يقدم نظرية شاملة للتركيب اللعوي، واكتفى بتقديم نظرية لعلم الدلالة "Semantic" (٢) مع أن المعنى ينبغي أن يكون مركباً من الأصوات والنحو والمعجم والدلالة وأحد عليه أيضاً أنه بالغ في فكرة السياق، إضافة إلى أنه لم يعرف مصطلح السياق Context تعريفاً واضحاً تماماً.

أبرز الباحثين العرب المتأثرين بالمنهج الوصفي للسياق

ومن أبرز الباحثين المحدثين الذين تأثروا بنظرية السياق تمام حسن في كتابه (اللغة بين المعيارية والوصفية ١٩٥٨م)، الذي رآه فيه بين نقد التفكير اللعوي العربي القديم الذي وصفه بالمعيارية وبين طرحه للمنهج الجديد بقول: "فكرت في أمر الدراسات العربية القديمة من حيث المنهج، لا من حيث التفاصيل، وجعلت تفكيري في أمرها، مستصيناً بمناهج الدراسات اللعوية الحديث". (٣)

ثم بدأ بطرح مفهوم مدرسة هيرث عن اجتماعية اللغة، من حيث هي عنصر من عناصر النشاط الاجتماعي والفردي، وعدّ خطرهما في حياة الفرد لا يقل عن خطرهما في حياة المجتمع، وهي الأداة الوحيدة التي تمكن الفرد من التحول في نطاق المجتمع الذي يعيش فيه، وإذا كان العرف هو الذي يحدد المقاييس الاجتماعية، فإن العرف أيضاً هو الذي يحدد معايير الاستعمال اللعوي، فالمتكلم الذي يستعمل لغة المجتمع الذي نشأ فيه، إنما يستعمل أصواتها وصيغها، ومفرداتها وتركيبها حسب أصول استعمالية معينة. (٤)

(١) حمد مختار عمر علم الدلالة، ص ٧٣

(٢) السياق، ص ٧٣

(٣) اللغة بين المعيارية والوصفية مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٥٨، ص ١

(٤) السياق، ص ٩٥

ومن ثم فإن اغفال هذا العصر الاجتماعي في اللغة، يحرم الدراسة اللغوية من أقوى حصائصها، وإذا كان كل نشاط اجتماعي يتم دراسته عن طريق الملاحظة والوصف، فاللغة من حيث هي نشاط اجتماعي يجب أن تُدرس كذلك بالملاحظة والوصف^(١)، وبهذا يرى أن تمام حسن أمام وصفية تُعطي أهمية بالغة للمعنى، وهي بذلك تختلف عن وصفية عبد الرحمن أيوب، التي تحتكم إلى الشكل دور المعنى كما مرّ بنا، وقد طبق تمام نظريته على اللغة العربية في كتابه "اللغة العربية مبداها ومعناها"، ١٩٧٣م.

وهو يوضح الهدف من دراسته ابتداء بقوله "والغاية التي تسعى وراءها بهذا البحث، أن ألقى صوفاً كاشفاً على التراث اللغوي العربي كله، مبعث من المنهج الوصفي في دراسة اللغة"^(٢)

أما عن مادة الكتاب ونظريته، فيقول "وإذا كان مجال هذا الكتاب هو الفروع المختلفة لدراسة اللغة العربية العصرية، فلا بد أن يكون للمعنى هو الموضوع الأخص لهذا الكتاب، لأن كل دراسة لغوية لا في العصرية فقط، بل في كل لغة من لغات العالم، لابد أن يكون موضوعها الأول، والأخير هو المعنى، وكيفية ارتباطه بأشكال التعبير المختلفة، فالارتباط بين الشكل والوظيفة هو اللغة هو العرف وهو صلة المبنى بالمعنى، وهذا النوع من النظر إلى المشكلة يمتد من الأصوات إلى الصرف إلى النحو إلى المعجم إلى الدلالة"^(٣)

ومن ثم يرى أن تمام حسن يعطي اهتماماً كبيراً للمعنى، انطلاقاً من المنهج الوصفي، وليس استناداً إلى ما صدر عنه القراء، ذلك لأنه يرى دراسة القدماء اتسمت بسمّة "الاتجاه إلى المبنى أساساً، ولم يكن قصدها المعنى إلا تبعاً وعلى استحياء"^(٤)

(١) السابق، ص ١٤ - ١٥

(٢) اللغة العربية مبداها ومعناها، للهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٣، ص ١٠

(٣) اللغة العربية مبداها ومعناها، ص ٩

(٤) السابق، ص ٢٨ - ٢٩

ويوضح تمام حساس المقصود بالمعنى بقوله "إنه المعنى الوظيفي، وهو وظيفة الجزء التحليلي في النظام، أو في السياق على حد سواء، والثاني المعنى المعجمي للكلمة، وكلاهما متعدد ومحتمل خارج السياق، وواحد فقط، في السياق، والثالث المعنى الاجتماعي، وهو معنى المقام، وهو أشمل من سابقه لأنه يشملها ليكون بهما وبالمقام معنى السياق في إطار الحياة الاجتماعية وهذا التشقيق للمعنى، هو ما أسهمت به الدراسات اللغوية الحديثة في محاولة الكشف عن المعنى اللغوي، وسنحاول في هذا الكتاب أن نطبقه على اللغة العربية الفصحى^(١) وبعد محاولة التطبيقية هذه تجدداً يجعل منها أجراً محاولة شاملة لإعادة ترتيب الأفكار اللغوية تجري بعد سيديوية وعبد القاهر^(٢) وسوف أقف على بعض أرائه في ثنايا البحث إن شاء الله

ومن الباحثين الذين تأثروا بنظرية السياق أيضاً محمود السعراي فقد مثلت عنده أحر المدارس اللغوية التي اهتمت بالمعنى، وقد وقف عندها بالتفصيل عارصاً لأراء مالدنوسكي الذي أقام عليها هيرث نظرية سياق الحال، ويرى السعراي أن هذه المدرسة تنظر إلى المعنى على أنه وحدة مركبة من مجموعة من الوظائف اللغوية الصوتية والقبولولوجية والنحوية والمعجمية.

ولكي نصل إلى حقيقة المعنى لابد من تحليل هذه الوحدة على هذه المستويات اللغوية، مع بيان العوامل الخارجية والسياق الاجتماعي، أو بعبارة أخرى المعنى المقالي، والمعنى المقامي للكلام^(٣)، غير أن تأثر السعراي بقي نظرياً، يمكن تلمسه من خلال تأمل الكتاب، وإنما قصد إلى التعريف بالأصول العامة للمناهج المختلفة، وبأهم المؤلفات فيها، وذلك مساعدة منه للقارئ كي يكون على بينة من المذاهب اللغوية المختلفة.^(٤)

(١) السابق، ص ٢٨ ٢٩

(٢) تمام حساس، اللغة العربية، معنها ومبناها، ص ٩

(٣) علم اللغة ص ٣٣٧ وما بعده

(٤) السابق، ص ٣

المنهج الوصفي الإحصائي :

يعد المنهج الإحصائي ثمرة من ثمار المنهج الوصفي، حيث انجذبت اللسانيات إلى دراسة اللغة دراسة علمية بصورة منتظمة مبنية على الملاحظات المدروسة دراسة إحصائية، وكان من أبرز روادها في العرب بلومفيلد "Bloomfield"، الذي دعا إلى تجديد القواعد التي يجب أن تتبع حتى يكون كلام المستعمل للغة صحيحاً بحوب^(١) والعالم الألماني "بوريمان A. Busemann" الذي اقترح أن يكون المنهج الإحصائي أساساً في تمييز الأساليب، وذلك كنمير لغة الأدب من لغة العلم وتمييز لغة الشعر من لغة النثر، وتمييز اللغات المستخدمة في الأجناس الأدبية^(٢)، وحلاسة الفرص الذي وضعه بوريمان أنه من الممكن تمييز النص الأدبي، بواسطة تحديد النسبة بين مطهرين من مظاهر التعبير.

أولهما: التعبير بالحث Active Aspect أي الكلمات التي تعبر عن حدث أو فعل
وثانيهما: التعبير بالوصف Qualitative Aspect أي الكلمات التي تعبر عن صفة مميزة
لشيء ما .

ويتم حساب هذه النسبة بإحصاء عدد الكلمات التي تنتمي إلى النوع الأول، وعدد كلمات النوع الثاني، ثم إيجاد حاصل قسمة المجموعة الأولى على المجموعة الثانية، ويعطينا حاصل القسمة، قيمة عسبة نريد ونقص نبعاً لزيادة ونقص عدد الكلمات المجموعة الأولى على المجموعة الثانية، ونستخدم هذه القيمة باعتبارها دالة على أبنية الأسلوب، فكلما رادت كان طابع اللغة أقرب إلى الأسلوب الأدبي، وكلما نقصت كان أقرب إلى الأسلوب العلمي^(٣)

وقد انعكس الاهتمام بالمنهج الإحصائي في العرب على المستشرقين حيث أفادوا منه في دراسة العربية، وبخاصة في مجال المفردات، وذلك نحو العمل الذي قام به (هانز فير) في معجمه (معجم اللغة العربية المعاصرة، عربي ألماني)^(٤) وقد تُرجم إلى

(١) مازن الومر، دراسات لسانية تطبيقية، دار طلاس، دمشق ١٩٨٩م، ص ١٢٦

(٢) سعد مصبوح، الأسلوب، دراسة لغوية إحصائية ص ٢ دار الفكر العربي، ١٩٨٤م، ص ٣٨

(٣) السابق، ٦٠

(٤) إسماعيل عمار، المستشرقون والمناهج المعاصرة، ص ٢٣

الإنجليزية، والدراسة التي قام بها "لاندو"، والتي تناول فيها للمعردات الشائعة في الصحافة والمعردات الأساسية للنثر الأدبي.^(١)

Jakob M. Landau Aword count of modern Arabic prose, New York. 1959

وكذلك الدراسة التي أعدها المستشرق الألماني هارتموت بوبزين (H. Bobzin)، صمم دراسات في النحو العربي الألماني المقارن، وقد تُرجمت إلى العربية بعنوان^(٢) "الأفعال الشائعة في العربية المعاصرة"

وقد استفاد الباحثون العربيون من دراساتهم الإحصائية في مجالات عديدة منها:^(٣)

١ في مجال المعجمات قام الباحثون العربيون بتوزيع نتائج دراساتهم الإحصائية على معجماتهم اللغوية، مما أسفر عن وجود معجمات متخصصة حسب المستوى الثقافي أو العلمي أو مستوى العمر إلى غير ذلك من أهداف كقيام بعض الموسوعات اللغوية.

٢ في مجال التعليم؛ حيث ساعدهم ذلك في اختيار الكتب التعليمية وفق المراحل المختلفة

٣ في مجال الثقافة إذ ساعدتهم الدراسة الإحصائية في معرفة المستوى الذي يتناسب مع هذه الفئة من الناس أو تلك، وفقاً لاختلاف السن أو الثقافة أو المهنة أو البيئة.

٤ في المستوى التاريخي: وذلك انطلاقاً من أن الدراسة الإحصائية يسعي أن تكون متجددة، لأن اللغة متطورة من حيث المعردات والأساليب

ولهذا المنهج بعض المحاذير أهمها:^(٤)

١- عدم الثبوت والانسجام "Consistency"

بمعنى أن نتائج دراسة العينة التي قد يطمأن إلى أنها تمثل الواقع اللغوي في أوسط البلاد قد تختلف إلى حد ما عن نتائج العينة المختارة من أقصى البلاد

(١) السابق، ص ١٢٤

(٢) هارتموت بوبزين، الأفعال الشائعة في العربية المعاصرة، ترجمة إسماعيل عميرة، منشورات جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض ١٤١٥ هـ

(٣) مازر الوعر، دراسات لسانية تطبيقية، ص ١٢٦ - ٢٣

(٤) مازر الوعر، دراسات لسانية تطبيقية، ص ١٢٨ وانظر إسماعيل عميرة، للمستشرق قور والمصنف للغة، ص ١٣

٢ الدراسة الإحصائية تعمل بعض الحقائق المتعلقة بمؤلف النص المدروس، والمتلقي والسياق النفسي والاجتماعي

أبرز الباحثين العرب المتأثرين بهذا المنهج

ومن الباحثين العرب الذين تأثروا بالاتجاه الوصفي الإحصائي سعد مصلوح في كتابه (دراسات إحصائية استطلاعية في العربية المعاصرة)^(١)، طشق فيه دراسات إحصائية على عاوين الصحافة العربية في كل من مصر وليبيا والسودان، وكذلك بيل علي في كتابه (اللغة العربية والحاسوب)^(٢) وقد أورد المؤلف في حتامه قائمة ثرية بحوث مقترحة في مجال اللسانيات الإحصائية.

وكذلك فقد دعا بهاد موسى إلى ضرورة الاستفادة من الدراسة الإحصائية، بوصفها حلاً علمياً، يعالج ظاهرة النوع اللعوي على نحو علمي مبسط، وذلك لأنها تسهم في إيضاح ما هو مستعمل في الواقع اللعوي، بالقياس إلى غيره، بالإضافة إلى أنها تبرز - على وجه التحديد - القواعد الصوتية والصرفية والنحوية والمفردات التي بها تقوم الفصحى، وبمعرفة تحقق المعرفة بالفصحى، حاضرة بلا حشو ولا عامية، مما يلقي ضوءاً على القواعد ذات السيرة في الاستعمال اللعوي، وهذا يسهم بلا شك في تيسير تعلم العربية وتعليمها بما يتناسب مع المراحل التعليمية المختلفة.

وقد قدم دراسة إحصائية قيمة، درس من خلالها 'باب الاستثناء بين الطرية والتطبيق'^(٣) وذلك بإحصاء قواعد الاستثناء الموجودة في ستة من الكتب الأصول، ثم حصاء بدوران هذه القواعد في بصوص عديدة متنوعة تقع ضمن رمن الإصحاح اللعوي، وقد اسفر البحث - فيما أرى - عن نتائج مهمة، تفتح المجال أمام الباحثين لمرجعة ظاهرة تعدد القواعد النحوية في الباب الواحد، كم أنها تهيئ الفرصة أمام التربويين لانتقاء القواعد الأكثر تداولاً بما يتناسب مع مراحل التعليم المختلفة

(١) منشورات الخرطوم، ١٩٨٥، ص ١٣٣

وانظر الدراسة الإحصائية لأسلوب (بحث في المفهوم والإجراء والوظيفة) منشورات عالم الفكر، المجلد العشرين العدد الثالث، ٩٨٩، ص ١٢٠، ٤٠

(٢) منشورات القاهرة، دار تعريب ٩٨٨، ص ٥٣٦، ٥٥٠

(٣) مجلة دراسات الجامعة لاربية، المجلد السادس، العدد الثاني ٩٧٩، ص ١٠٩

وعلى هذا فإنه يمكن الاستفادة من هذا الاتجاه في الأمور الآتية:

- ١ إنجاز وصف دقيق للعربية الفصحى، كما هي من خلال واقع الاستعمال وليس كما هي في كتب النحو .
- ٢ إنجاز وصف دقيق للعربية المعاصرة على اختلاف تنوعاتها الإقليمية والاجتماعية
- ٣ إتاحة الفرصة أمام التربويين للاستفادة من نتائج هذه الدراسات الإحصائية في وضع المناهج وفقاً للمراحل المختلفة ووفقاً لدوران القاعدة في الاستعمال وليس وفقاً لما هي موجودة عليه في كتب النحو .
- ٤ تعد الدراسات الإحصائية حلقة مكملة للجهود البحوث القديمة.

المبحث الثالث

المنهج التوليدي التحويلي

Transformational and Generative Linguistics

منهج حديث نشأ في الخمسينيات بعد أن وضع تشومسكي كتابه "التركيب النحوية"

(^١) Syntactic structure

يعد تشومسكي اللغة قدرة فعالة فطرية محتصة بالإنسان، ومن هنا رأى أن التحليل اللساني ينبغي أن يشرح اللغة من الداخل، وليس من الخارج، وعدّ شرح الظاهرة اللغوية بمصطلح سلوكي إنما هو عصرٌ للحلق اللغوي اللامتناهي (^٢)، وهذه تشكل نقطة خلاف رئيسة مع النظرية النحوية الوصفية Descriptive Grammar (^٣)، ومن هنا فالمصباح التوليدي التحويلي، منهج ذهني يهتم بالحقيقة الكامنة، أي أنه يركز على التمييز بين الكفاءة اللغوية وهي "ملكة" دائية تتمثل في القدرة على إنتاج الجمل وتفهمها في عملية تكلم اللغة وتمثل البنية العميقة للكلام (^٤)، وبين الأداء اللغوي وهو "الاستعمال الأني للغة ضمن سياق معين" (^٥)، وتمثل البنية السطحية للكلام، ومن ثم ركز المصباح على بناء مبادئ فرصية استنباطية للغات، تنطلق من وجود "تركيب باطني" أو "بنية عميقة" لكل جملة

(١) للتوسع في التعرف على الإطار النظري لهذه النظرية انظر

ملز الوعر، نحو نظرية سانية عربية حديثة تحليل التركيب الأسعبي في اللغة العربية، دار طلائع، دمشق، ١٩٨٧

ب. ملز الوعر، قصصاً أسعبي في علم اللسانيات الحديث، دار طلائع، دمشق، ١٩٨٨م

ج. الأكسية التوليدية والتحويلية وفق عد اللغة العربية (الجملة البسيطة) المؤسسة الجامعية للدراسات، بيروت، ١٩٨٢م

د. ميشال ركري، الأكسية التوليدية والتحويلية وفق عد اللغة العربية، المؤسسة الجامعية للدراسات بيروت ١٩٨٣

هـ. جون ليونر، نظرية تشومسكي اللغوية، تحقيق حمي خليل، دار المعرفة، لامكنريه، ١٩٨٥م

و. معير ستيقي، اللسانيات، عالم الكتب الحديث ٢٠٠٥م

(٢) ملز الوعر، قصصاً أسعبي في علم اللسانيات الحديث، ص ١١٥

(٣) عبيد اللاجحي، النحو العربي والدرس الحديث، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٧٥م

(٤) ميشال ركري، الأكسية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية، ص ٧

(٥) ميشال ركري، الأكسية التوليدية والتحويلية، ١٩٨٣، ص ٧

وهذا التركيب هو الذي يعطي المعنى المقصود للجملة، أما ما يطلق بالفعل أو يرسم بالكتابة، فيسمى بالتركيب الظاهري أو البنية السطحية^(١)، والعلاقة بين البنية العميقة 'Deep structure' والبنية السطحية 'Sturface structure' تتم بواسطة ما أسماه تحويلًا "Transformation".

وقد مر هذا المنهج في مراحل عدة، وكان من أبرز الأسباب المؤدية إلى ذلك ما وجه إليه من نقد يتعلق بدراسة التراكيب على حساب الدلالة، فقد اعتبر (تشومسكي) العملية النحوية مستقلة عن العملية الدلالية أو المعنى، فم هو نحوي، يختلف عما هو دلالي، بالرغم من أن العلاقة بين النحو والمعنى علاقة نسبية، يمكن أن تكون لها جوانب إيجابية، وقد ذكر تشومسكي في المنهج الذي وضعه سنة (١٩٥٧)، في كتابه السابق الذكر، ثلاثة مستويات لدراسة اللغة لم يكن من بينها المستوى الدلالي، هي

١- المكون التوليدي. وهدف هذا المكون اللعوي، هدف توليدي سطحي، فهو توليدي لأنه ينجح عددًا غير محدود من الجمل، وتنظيمي لأنه يعطي معاني نحوية منظمة ومسقة.

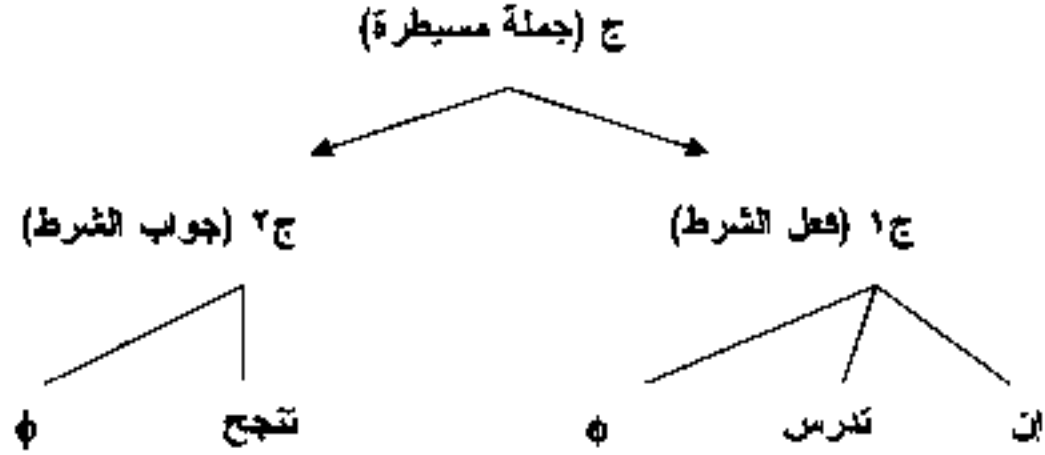
وبمكن تعريف الجملة التوليدية بأنها أقل عدد من الكلمات، يؤدي غرضًا في جملة معيَّدة، بشرط أن تكون جملاً خبرية، لا إنشائية، مثبتة لا منفية، مسببة للمعلوم لا للمجهول، ويعمل هذا المستوى من خلال نوعين من القواعد التوليدية.^(٢)

١ التفرع وأراد تشومسكي من خلاله أن يصور العملية العقلية التي تتم عند الكلام، وذلك كأن يقول "القلم" والقلم وحدة قائمة بذاتها، وهي مكونة من (أل+قلم)، ومن هنا فهو يرى أنه لا بد من تفرع الجملة إلى أصغر وحدة ممكنة فيها، مع الانتباه إلى ما بين الجملة ومكوناتها من تحكم مباشر، وذلك كنحكم الجملة بمكونات فعل الشرط، وجوب الشرط،^(٣) ويمكن توصيح ذلك على النحو الآتي في الجملة الشرطية (إن ندرس نتجح)

(١) مازن الودع، فصلاً أساسية في علم اللسانيات الحديث، ص ١٨٤

(٢) مازن الودع، نحو نظرية سانيه عربية حديثه، ص ٥٣

(٣) سمير سبيتيه، اعظم التركيب في جملة الشرط العربية، منشورات مجلة كلية الآداب، الجامعة الجزائرية



ب المعجم: وهو مسؤول عن إعطاء المفردات على أساس دلالتها الصحيحة وهذا يعني
 أن المفردة الواحدة لا تكون هي التركيب إلا بناء على وظائفها الاجتماعية، إذ إن المعجم
 يباثر بالأغراض الاجتماعية

٢- المكون التحويلي: وهذا المكون قادر على تحويل الجملة التوليدية إلى جملة تحويلية
 وهناك نوعان من التحويلات^(١)

أ التحويل الوجوبي: وهو الذي يتم بطق الجملة التوليدية، وبذلك تكون قد نقلت من
 السببة العميقة إلى السببة السطحية، وقد كان وجوبياً، لأنه الوسيلة التي يتم بها الكلام
 ب التحويل الجوّاري ويمكن أن يتم هذا النوع من التحويل أو لا يتم، وذلك كالتحويل
 إلى جملة الشرط، والاستفهام، والنداء، والتعجب، وغيره وتعتمد التحويلات على عدد من
 العمليات النحوية أهمها^(٢)

(١) مرس الوعر، نحو نظرية لسانيّة عربيّة، ص ٥٣

وانظر محمود دحية، منحى إلى دراسة الجملة العربيّة، دار النهضة العربيّة، بيروت، ١٩٨٨م ص ٥٥

(٢) لأنماط التحويلية في الجملة الاستفهامية العربيّة، مجله للمورد، مجلد ١٨ عدد (١) ١٩٨٩م ص (٤٣-٥٥)

وانظر محمود دحية، منحى إلى دراسة الجملة العربيّة ص ٥٥

١ - الرّيادة Addition وتتمثل في ريادة عنصر جديد لم يكن له وجود في التركيب ويعبر عنه رياضياً .

$$أ ← أ + ب . ب \cancel{ب} أ$$

أي أن (أ) تتحول إلى (أ) + (ب)، بحيث (ب) غير منصمة في (أ)

٢ - التوسعة Expansion وتتمثل في جعل مجال عنصر من عناصر الجملة، أكثر اتساعاً مما كان عليه قبل التحويل ويُعبّر عنه رياضياً بـ

$$أ ← أ + ب ب ر أ^{(١)}$$

أي أن (أ) تتحول إلى (أ) + (ب) ، حيث (ب) منصمة في (أ) .

٣ - الحذف Deletion : ويمثل في حذف عنصر من عناصر التركيب، دون أن يكون متصمناً في عنصر موجود، ويعبر عنه رياضياً بـ

$$أ + ب ← أ ب \cancel{ب} أ$$

٤ - التصييق Reduction : ويمثل في حذف عنصر من عناصر التركيب مع كونه متصمناً في عنصر موجود

ويعبر عنها رياضياً بـ

$$أ + ب ← أ : ب د أ^{(٢)}$$

أي يتحول التركيب المكون من العنصرين " أ و ب " إلى " أ " ، فلا يكون العنصر " ب " متصمناً في العنصر " أ " ^(٣)

(١) المسودة ، ص ٤٣

(٢) سمير سبييه، الانعاط التحويلية في الجسة الاستفهية العربية، ص ٤٣

(٣) السابق، ص ٤٣

٥ الإحلال "Replacement" - ويتمثل في إحلال عنصر جديد بدل التركيب الأساسي للجملة، بحيث يكون -الاً على وروده في الدهن وذاك نحو التصديق في حملة الاستفهام بعم أو لا ، ويعبر عنه رياضياً بـ $A \leftarrow B$

٦- التقديم والتأخير Permutation : ويتمثل في إعادة ترتيب عناصر الجملة ويمثل رياضياً بالمعادلة : $A + B \leftarrow B + A$

٣- المكون الصوتي الصرفي: وهو مجموعة القواعد الصوتية والصرفية التي تعمل على صيدغة التركيب الأساسي أو التركيب المشتق في شكله النهائي^(١).

أبرز التعديلات التي أجريت على المنهج التوليديّ التحويلي

كان من أبرز العلماء الذين أخذوا على تشومسكي عدم اهتمامه بالجانب الدلالي، كاتر (katz) ، وفودور "Fodor" ، وبوستيل "Postal" ، الذين قاموا بدراسات أوضحوا فيها ضرورة التركيز على الجانب الدلالي في دراسة اللغة،^(٢) فكما أن التحويلات يتم على المستوى التركيبي، فإنه يمكن أن يتم على المستوى الدلالي، وقرن هؤلاء العلماء التحويلات الدلالية بالتحويلات التركيبية جعلهم يعرفون بأصحاب المدرسة التوليدية الدلالية، وربما كان كتاب بوستيل "On Raising" من أهم الكتب التي ألقت فيها

ومن ثم فقد طور تشومسكي منهجه مستفيداً من جهود هؤلاء وغيرهم سنة ١٩٦٥م، بما أسماه بالمنهج المعياري، وقد جعله مشتملاً على المستوى الدلالي إلى جانب المستويات السابقة، وهذا المستوى يعطي البنى أهمية التقديرات الدلالية، من خلال القواعد الدلالية التي تصمم معاني الأركان اللغوية المختلفة، من أجل إنتاج التمثيل الدلالي المركبي^(٣)

(١) مازر انوخر ، نحو نظرية سابقة عربية حديثة، ص ٥٣

(٢) مازر الوعر ، قصص أسسبة في علم اللسانيات الحديث، ص ١٠٢

(٣) السابق ص ٥٦

ثم طور منهجه سنة ١٩٧٧ بأعمال، من أجل صبط القواعد التوليدية و النحويّة الممتلئة في منهج الصواب على القواعد، وما زال يطور في منهجه مستفيداً من الجهود اللغوية بعامة، مكوّن إطاراً لنظرية تُعرف بنظرية العامل والربط "الإحالي" "Government and Binding Theory" (١) ركر فيها على ربط التمثيل الدلالي بالبنية العميقة، والبنية السطحية، من خلال تقديمه لنوعين من القواعد التفسيرية والدلالية (٢)

١ - قاعدة تفسيرية دلالية أولى للبنية العميقة.

٢ - قاعده تفسيرية دلالية ثانية للبنية السطحية

وربم دفع هذا الربط بين التركيب والدلالة، بعض الباحثين العرب للمقارنة بين هذه النظرية والنحو العربي القديم، كما سنوضح في فصل قادم إن شاء الله.

الباحثون العرب المتأثرون بهذا المنهج

ويمكن تصنيف تأثر الباحثين العرب المحدثين بالنظرية التوليدية النحويّة الى

فريقين

الأول. مجموعة من الباحثين حاول كل منهم المقارنة والربط بين جهود اللغويين العرب القدماء، والأسس التي قامت عليها النظرية التوليدية النحويّة، محاولين توصيح أوجه الاتفاق بينهما، وبخاصة أنهما يصدران عن أساس عقلي في تفسير الظاهرة اللغوية وما ترتب على ذلك من قصايا كالحذف والتقدير والأصلية والفرعية والعامل، تلك القصاي التي ما زال الوصفيون يعدونها من نقاط الصعق عند النحاة من العرب ومن أبرر هؤلاء الباحثين

(١) قصاص أساسيه في علم اللسانيات الحديث، ٨٨

و انظر جون نيوبير، نظرية تشومسكي اللغوية، ب حامي حليل، ص ٥٠

(٢) مار. الوعر نحو نظرية لسانيه عرييه حديثة، ص ٦٤

عد الرحمن الحاج صالح في مقالاته في مجلة اللسانيات^(١)، وعيده الراجحي في كتابه 'الحو العربي والدرس الحديث'^(٢)، وبهاد موسى في كتابه 'نظرية الحو العربي في ضوء مباحث النظر اللعوي الحديث'^(٣)، وسوف أعرض لبعض من آرائهم في ثاب البحث.

الثاني: مجموعة من الباحثين حاولوا تطبيق النظرية التوليدية التحويلية على بعض أبواب اللغة العربية، ولعل أبرز هذه المحاولات:

محاولة محمد الحولي التي طبق فيها نظرية فيلمور (Charles Filmore) وهي نظرية طورها فيلمور في نهاية الستينات، وعرفت بـ (قواعد الحالة الإعرابية) Case Grammar ، ومن ثم فإن الحولي رآها هي الأنسب لدراسة العربية ويعصد فيلمور بالحالة الإعرابية مجموعة المفاهيم التي تمكن الإنسان من إصدار بعض الأحكام المختلفة، عما بدور حوله من أحداث كمعرفة من يقوم بعمل ما ومن يقع عليه حدث ما وما الذي حدث، ومتى وقع هذا الحدث الخ ويوصح الحولي رؤية فيلمور هذه بالأمثلة الآتية.

١ فتح محمد الباب.

٢ فتح المفتاح الباب

٣- افتتح الباب على يدي محمد.

في الجملة لأولى الفاعل الظاهري هو محمد، ولكنه المفتاح في الجملة الثانية والباب في الجملة الثالثة، إلا أن العلاقة الحقيقية لكل من هذه الأسماء الثلاثة بالفعل، تختلف من كل جملة إلى الأخرى فهي الجملة الأولى ترى أن محمداً هو الفاعل الحقيقي، وفي الجملة الثانية (المفتاح) هو الأداة التي فتح بها الباب، أما في الجملة الثالثة، فإن الباب هو الذي

(١) مسح إلى علم التمر الحديث (١، ٢، ٣) لللسانيات

المجد الأول الجزء الأول ١٩٧١م

والمجد الأول الجزء الثاني ١٩٧١م

والمجد الثاني الجزء الأول ١٩٧٢م

(٢) مشورف بيروت ١٩٧٩م

(٣) مشورف بيروت ١٩٨٠م

وقع عليه الحدث بالفعل، وفيلمور (Filmore)، يرى أن الأشكال الخارجية للجمل لم تؤثر على العلاقات المعنوية بين الأسماء الثلاثة المختلفة، فالأمر الجدير بالاهتمام إذن هو العلاقات المعنوية الأساسية في الجمل، ولذلك يجب أن تصبح هذه العلاقات هي النقطة المركزية التي يجب أن يعالجها التحليل اللغوي ويحاول تفسيرها (١)

ومن التعديلات التي أدخلها فيلمور (Filmore) على نظرية تشومسكي، أنه أثبت أن العبارة الاسمية والجار والمجرور في مستوى التركيب العميق واحد، أما القوانين الأساسية التي اعتمدها فيلمور فهي

١ - الجملة ← (مشروطة) + مساعد + جوهر (٢)

٢ - أما المشروطة فهي

الروابط الخارجية
ظروف الزمن
أنوات الاستفهام
أنوات النفي

٣ - أما الجوهر ← فعل + (محور) (٣) + مفعول به غير مباشر (٤) + (مكان) (٥) + (أداة) (٦) + فاعل (٧) وقد أجرى التحولي على الجوهر تعديلاً فأصبح:

الجوهر ← عبارة فعلية + (محور) + (مفعول غير مباشر) + (مكان) + (أداة) + (فاعل)

(١) محمد الحولي، قواعد تحويليه، ٦٩

وانظر سيف حرم، لصوائع على الدراسات اللغوية المعاصرة، ٣١٠

(٢) محمد الحولي، قواعد تحويليه، ص ٦٩

(٣) المحور Ergative هي الكلمة محور التركيز في الجملة

(٤) مفعول غير مباشرة Indirect object يشير إلى المفعول به الأول للأفعال التي تأخذ مفعولين وذلك نحو "عطيت سمير كتاباً"

(٥) مخرن مكان وقوع الفعل ويتطابق ظروف المكان في العربية

(٦) أداة ما يستعمل به لتعديد الفعل نحو كتبت بالفتح

(٧) الفاعل يقصد به الفاعل الحقيقي فالفاعل في فتح المفتاح الباب الشخص المدفوع وليس المفتاح

$$4 \left\{ \begin{array}{l} \text{المحور} \\ \text{مفعول غير مباشر} \\ \text{مكان} \\ \text{أداة} \\ \text{فاعل} \end{array} \right\} \leftarrow \text{العبارة الاسمية}$$

5 العبرة الاسمية ← حرف جر + معرف^(١) + جملة + اسم

وقد عدل الحولي العبرة الاسمية بأن قُدم الاسم على الجملة، فأصبح القانون

العبرة الاسمية ← جار + معرف + اسم + جملة^(٢)

وعلى هذا فإن جملة مثل

في البيت طفل يلعب (كم هو في قانون فيلمور)، تصبح (في البيت يلعب طفل) على القانون المعدل، وهو المقصود على مستوى الإخبار في العربية. أما في الجملة الأولى فإن (يلعب) تعد صفة.

ثم وصح الحولي القوانين المعرداتية Lexical Rules : وهي تشمل كل المعلومات الترنيبية، والمعلومات الصوتية التي تطلبها القواعد الخاصة بكل معرّدة، ومعظم المعلومات التي تقدمها قوانين المعردات تأتي على صورة حواص موجبة (+) أو سالبة (-)

ووصح القوانين التحويلية وهي مجموعة القوانين التي تنقل الجملة من البنية العميقة Deep structure إلى البنية السطحية Surface structure ، وقد صاغ ستّة وثلاثين قانوناً طبقها على عينة مختارة مكونة من اثنتين وخمسين جملة، تمثل أبواباً متنوعة هي العربية.

ومثال ذلك، تحليل الحولي لجملة فعلية فعلها متعد إلى مفعولين.

(١) المتعرف Determiner مثل ال التعريف وصماتر لإضافة نحو كتابي

(٢) انظر هذا التعليل في محمد الخومي، هو عد تحويلية للغة العربية، ٦٧

أعطى الولد علياً كتاباً .

الجملة ← مساعد + فعلية + [جار + اسم] + [جار + اسم] + (جار + معرف + اسم)

بالقانون الأساسي ← أعطى + ل + كتاب + ل + علي + من + أل + ولد

بالقانون التحويلي (قانون بادل المفعول به والفاعل)

← أعطى + من + أل + ولد + ل + كتاب + ل + علي

بالقانون التحويلي (حذف جار الفاعل أو المبتدأ) ← أعطى + أل + ولد + ل +

علي + ل + كتاب

بالقانون التحويلي (قانون الحركات) :

← أعطى + أل + ولد + علي + كتاباً .

بالقوانين المورفيمية الصوتية ← أعطى الولد علياً كتاباً

ثم أشار الحولي إلى أن هناك قانوناً يُدعى قانون تحويل لأفعال الحاصة، ووظيفته أنه

يجبر حذف أو تعويض بعض الأفعال المتعدية، مثل أفعال الإغراء والتحذير والاستثناء

وملك مع بقاء المفعول به منصوباً بتأثير الفعل المحذوف.

والوصف التركيبي لهذا القانون (١)

الرم	+ من (٢) + اسم
احذر	
ينادي	

ويرى الحولي أنه يمكن تحليل خمسة تراكييب من خلال هذا القانون هي

الإغراء، والتحذير، والاستثناء، والمفعول معه، والنداء. (٣)

إن المتأمل لمحاولة الحولي يرى أن.

(١) محمد الحولي، قواعد تحويلية، ص ١٤٧

(٢) س. يمثل رمزاً لتعطيته أي عنصر محسن الوجود.

(٣) محمد الحولي، قواعد تحويلية، ص ١٤٨

- ١ هناك كثرة واضحة في القوانين، التي استعملها الحولي إلى درجة يحس معها القارئ أنه أمام قواعد رياضية صارمة
- ٢ ذهب الحولي إلى أن القوانين المعجمية هي التي تروى بصغات، الأسماء المستعملة، وقد كان الأولى أن تستخلص هذه القوانين من واقع الاستعمال اللغوي
- ٣ جعل الجملة التي يتقدم فيها المفعول به على الفاعل جملة أساسية وذلك نحو (أكرم الولدُ ريذاً) و (أكرم ريذاً الولدُ) بينما هي جملة محولة عنها وقد حاول مارن الوعر الإقادة من جهود اللغويين العرب القدماء، ومن أنظار النظرية التوليدية التحويلية ممثلة في فرضية العالم الأمريكي "ولتر كوك" (١٩٧٠م - ١٩٧٨م)، وذلك رغبة منه في تفسير الظاهرة اللغوية تفسيراً تركيبياً دلاليّاً وبخاصة أنه أحد على النحاة العرب إغفالهم لبعض وجوه الدلالة.
- ولهذا فهو يرى أن التراكيب الأساسية في العربية يمكن أن تمثلها المعادلة التالية:
ك (التركيب) ← (أداة) أو إسناد (إس) ^(١)
والإسناد (إس) ← (مسند م) - مسند إليه م ! - فصله (ف)

ويمكن أن يكون المسند م	جملة
	فعل
	اسم فاعل
	ركن اسمي
	صفة
	جار ومجرور
	طرف
	...

(١) نحو نظرية سلتيه عربية حديثة، ص ٩٨

ويمكن أن يكون المسند إليه	جملة
م . ←	اسم فاعل
	ركن اسمي

ويمكن أن تكون العصلة ف ←	جملة
	ركن اسمي
	موصوف صفة
	جار ومجرور
	طرف

أما الأداة، فهي إضافة أصافها مارر اللوعر على البنية العميقة، وذلك لأنها تسهم في تحويل التركيب الأساسي إلى تراكييب مشتقة جديدة وقد تكون

أ - ←	+ نفي
	+ استفهام
	+ شرط

وكذلك فقد أصاف (الحركات الإعرابية)، إلى البنية العميقة لأثرها في التعبير عن الالة في اللغة العربية.

وقد انطلق من معطيات النحو العربي في تقسيم تركيب الجملة إلى^(١):

- أ - تركيب اسمي، يتكون من (مبتدأ + خبر) نحو: ريد شاعر.
- ب - تركيب فعلي، يتكون من (فعل + فاعل) نحو: جاء ريد أو صارب هو عمر.
- ج - تركيب ظرفي يتكون من (مبتدأ وخبر شبه جملة) مثل: ريد في الدار.
- د - تركيب شرطي يتكون من (تركيبين اثنين يعملان كتركيب واحد) وذلك نحو: إذا أنت أكرمت الكريم ملكته.

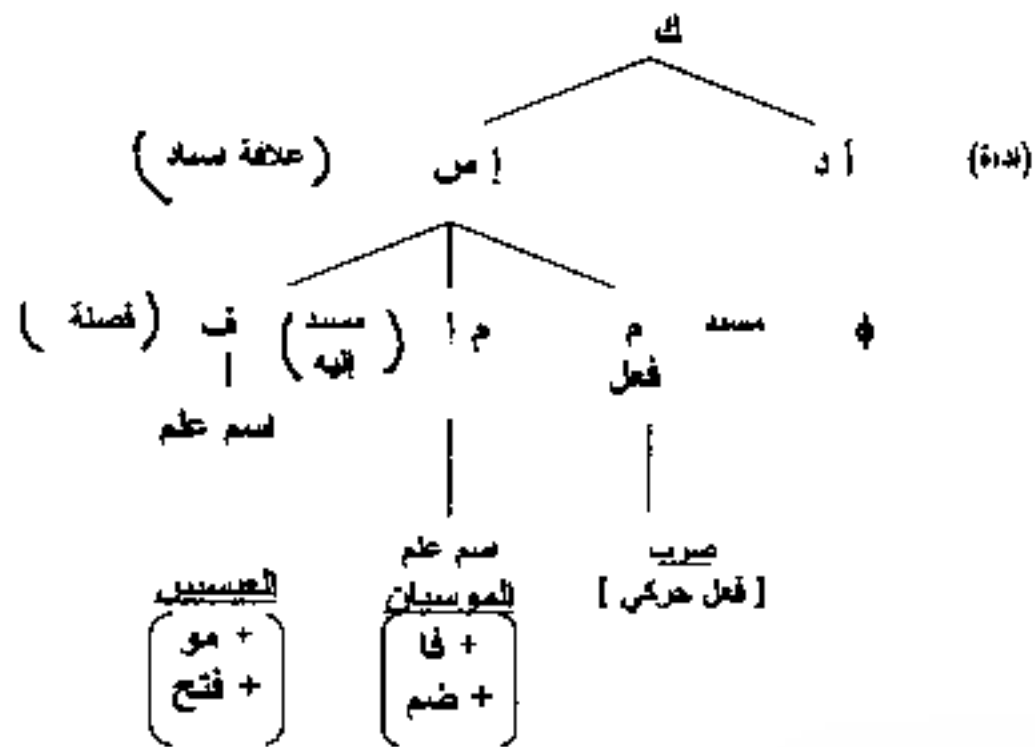
(١) نحو نظرية سانية عريه حنيته، ص ٣٠، ٣٢

وعلى هذا فقد بدأ بالتطبيقات على التراكيب العربية الأساسية معتمداً على الأدوار الدلالية التي اقترحها العالم "ولتر كوك" والذي يعتمد فيه على المصطلحات التالية (١)

- | | |
|---|-------------|
| ۱ | فاعل = فا |
| ۲ | مجرّب = مج |
| ۳ | مستفید = مس |
| ۴ | مکان = مک |
| ۵ | موصوع = مو |

مثال ذلك تحليله لامكانية أن يحل اسم للفاعل محل الفعل، ويعمل عمله الحوي والدلالي، وذلك من خلال المثالين :

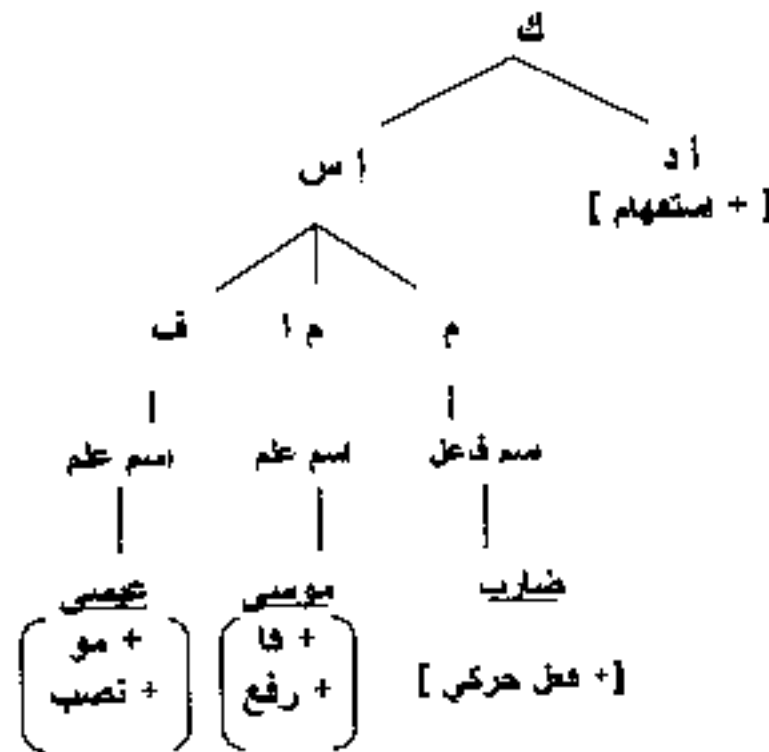
٦- صرب الموسيقا العيسيين (٧)



() نحو نظريه لمعانيه عربيه حديثه، ص ٩٤

(٧) السابق، ص ٩٥

٢- أصبار موسى عيسى^(١)



وبالطريقة نفسها يمكن تحليل التراكيب التي نشتمل على مشتقات تعمل عمل الفعل، كاسم المفعول، والصفة المشبهة باسم الفاعل

ثم يجري الوعر تطبيقات متنوعة على باب الاستفهام، وسأعرض لبعض منها في ثانيا الفصل الثالث

وأرى أن الوعر كان موضوعياً في ارتكازه على معطيات النحو العربي القديم، يبدو ذلك من خلال تحليله تركيباً، مثل "تسمع بالمعدي حير" من أن تراه" على أنه تركيب اسمي مكون من



وكانه بذلك يقدر دلالاً من (تسمع بالمعدي) (سماعك) (بالمعدي)

(١) انظر نحو نظريه سلتيه عريبه حيتة، ص ٩٥

وكذلك فقد أعاد التركيب الظرفي، إلى التركيب الاسمي بعد أن حاول تحصيله تحليلاً يعبر
فكرة السحابة القدماء، بتعلق الطرف أو الجار والمجرور، قال ابن يعيش "اعلم أن الحبر
يد وقع طرفاً أو جار ومجرور نحو (ريد في الدار)، و (عمرو عندك) ليس الطرف
بالحبر على الحقيقة، لأن الدار ليست من ريد في شيء، وإنما الطرف معمور بالحبر
وبسبب هذه، والتقدير (ريد استقر عندك)، أو (حدث أو وقع) فهذه هي الأحبار، هي
الحقيقة، بلا خلاف بين النصريين. وإنما حدثها وأقامت الطرف مقامها إيجار لها في
الطرف من الدلالة عليها" (١) وعلى هذا فقد عذ البنية العميقة للجملة (٢)

ريد في الدار هي
 م م

ريد (يكون هو) في الدار
 م م

ريد (كان هو) في الدار
 م م

غير أن تطبيقات الوعر على اللغة ما زالت محدودة
وكذلك عرف ميشال زكريا بالنظرية الحويلية موضحاً أنها تسعف في تعميق دراسة
اللغة (٣)، ووضح التعديلات التي طرأت على النظرية، وبخاصة ما عرف به (المودجية

(١) ابن يعيش، شرح المعصن، ج ١، ص ٩٠

(٢) انظر نحو نصريية سانية عربية حديثة ص ٣٠

(٣) الأسبعية التوسعية والتحويلية، وقلو عد اللغة للعربية، ٧

١ نصر الجملة التوسعية والتحويلية (الجملة المبسطة) ص ٢٦

الموسعة) ويقضي هذا التعديل ببقاء تحديد الدلالة موكولاً بصورة أساسية إلى البنية العميقة، فهيها يتم تحديد معاني المفردات وتكتسب العلاقات السحوية التي تتشكل فيها، ومنها الفاعل والمفعول الدلالات الخاصة بها (١)

ومن هؤلاء الباحثين أيضاً، عبد القادر العاسي الفهري الذي حاول تطبيق النظرية التحويلية، محترماً فرصة العالمية الأمريكية بررمان (١٩٧٨).

وتتسم محاولة الفهري بأنه لا يستند فيها إلى معطيات النحو القديم، وربما كان ذلك بسبب اعتقاده أن اللغة التي وصفها سيوييه ليست هي الموجودة حالياً، بالنظر إلى كثير من خصائصها التركيبية والصرفية والصوتية، وعلى هذا فلا بد من إعادة درس العربية من جديد (٢)

وربما أسهم تصور الفهري هذا، في استخدامه لمصطلحات جديدة إضافة إلى اتكائه على اللهجة المغربية في بعض أمثله (٣)

ولا يحفي أن تصور الفهري ليس موضوعياً بالنسبة إلى اللغة العربية، وهي ذات خصوصية جعلت منها ثابتة نسبياً على مدى العصور، ألا وهي ارتباطها بالقرآن الكريم، ولا أطر أن هذه الحقيقة بحاجة إلى تأكيد، فقد شهد بها علماء العربية وغيرهم. على أن هذا لا يعني أن لا تُدرس الظاهرة اللغوية من جديد، لأن في هذا دعوة إلى وصل الجديد بالحديث، حتى تظل صورة العربية ناصعة، وتظل ماضحها مواكبة للتطور

ومن الباحثين الذين تأثروا بالمهج التحويلي من حيث المصطلح تحليل عمائره، وبلك في كتابه (في نحو اللغة وتركيبها)، أما من حيث المهج، فمجهج وصفي، حاول فيه أن يعيد من معطيات النحو القديم ليصل إلى تصور لفصل بجمع بين إدراك بُعدي المبني والمعنى معا

(١) انظر بكري محمد الحاج، التراث وجمور الألفية، مؤتمر النقد الأدبي الثاني، الرب، جامعة الزيتونة، ١٩٨٨، ص ٩

(٢) اللسانيات واللغة العربية، دار توبقال، الدار البيضاء، ١٩٨٥، ج ١، ص ٨١

(٣) اللسانيات واللغة العربية، ج ١، ص ١١٧، ١١٨

وهو يطلق من تعريف الجملة النواة (التوليدية) على انها تقع في الأطر الآتية: (١)

١ توليدية اسمية ويمكن أن تكون على أي نمط من الأنماط الآتية

أ اسم معرفة + اسم مكرة .

ب اسم استفهام + اسم معرفة

ج شبه جملة + اسم مكرة .

٢ توليدية فعلية

أ- فعل + اسم مرفوع .

ب فعل + اسم مرفوع + اسم + اسم + اسم

وهذه الجمل تغيد في وضعها التوليدي معني إخباريا، إلا أنها قد تغيد معاني أخرى وذلك

بتعرضها لعناصر التحويل الآتية

١- الترتيب

٢- الزيادة .

٣- الحذف

٤- الحركة الإعرابية.

٥- التعقيم

وقد أدرك استعماله لمصطلحات المنهج التحويلي، فالحق هروق وتوصيحات على

لآلة المصطلحات كم يراها هو، وكما يراها التحويليون، وأسمى محاولته ب (النظرية

التوجيهية التحويلية المعدلة)، ثم أتبع آراءه هذه بتطبيقات صدرت في كتابين^(٢) وسوف

أقف على بعض من آرائه في ثانيا البحث.

(١) حبيب عميرة، في نحو النعة وتركيبها، ص ٨٠

وانظر حبيب عميرة، في التحليل النحوي الزماني، الأرنس ١٩٨٧، ص ٨٨، ٩٠

(٢) كتاب في النحوي اللغوي، وكتاب آراء في الصميم العائد ونغمه أكلومي اليراعيث، دار البشير، عمان، ١٩٨٩م

الفصل الثاني

الانجاهات النحويّة عند النحاة العرب القدماء

تقديم

دراسة اللغة طاهرة قديمة، فقد كان للهند دراسات اللغوية المتميزة بالوصف، ومن أشهر محائهم . (باسيني) الذي عاش في القرن الرابع قبل الميلاد، وبعد حير الحويرين الوصفيين القدماء (١) .

وكان لليونان دراسات لغوية ، في أصوات اللغة ونواحيها ، فدرسوا العلاقة بين الألفاظ والمعاني ، إلا أن دراستهم اعتمدت على الفلسفة والمنطق وللرومان كذلك دراسات في اللغة اللاتينية (بدأت منذ القرن الثاني قبل الميلاد)، سجعوا فيها منهج اليونانيين في لغتهم ، ولكنهم لم يبلعوا شأوهم ، أو شأو الهند في دراستهم، مع حطهم في قياس لغتهم، على لغة تحالفها منهجاً واتجاهاً وطبيعة (٢)

وقد أولى العرب العربية باعتبارها لغة القرآن الكريم - أكبر قسط من العناية والاهتمام، وزدهرت العلوم اللغوية عندهم ازدهاراً كبيراً ، ووصل إليها كثير من تلك الدراسات، عن طريق المخطوطات التي كتب لها النقاء ، ولا شك أن " الكتاب " لسيدويه، يُعدُّ من الآثار التي تشهد بفصل النحاة السابقين قبله، كما أنه ظل يمثل منارة للنحاة التالين له ، وإن بدت بينهم بعض الخلافات في الرأي ، وقد أحدث هذه الخلافات تنصيح شيئاً فثبت بين البصريين والكوفيين .

وما الخلافات التي جدها بين البيئات الجغرافية كالبصرة والكوفة، إلا تشعبات يسيرة ، تبقى مشدودة - فيما أرى - إلى أصول عامة تقوم عليها أركان المدرسة الواحدة، ولا مانع بعدئذ من أن يحتلف نحوي مع نحوي في إطار هذه المدرسة، إذ نجد أن البصريين فيما بينهم أو (للكوفيين) ، يحتلجون في المسألة الواحدة ، وربما وجد رأياً لمبرد يحالف فيه رأي سيدويه ، بل لقد ألف المبرد كتاباً في الرد عليه ، بعنوان (الرد على سيدويه) ، وقد ذكر ابن جني أن المبرد أسماه (مسائل العلط) (٣) .

(١) عبد "العقار هلال ، علم اللغة بين القديم والحديث ، ص ١٢

(٢) محمود السعدي ، علم اللغة ص ٣٥٢

(٣) حمد مختار عمر ، البحث النحوي عند العرب ، دار المعارف ، مصر ١٩٦١ م ، ص ٩٥

والكسائي والفرّاء من الكوفيين، ومع ذلك نجد بينهما خلافات في مسائل كثيرة^(١)، ومظهر الاختلاف في الرأي مظهر طبيعي، يحدث في إطار أي تفكير إنساني، لعوب وغير لعوي.

بل إن ما هيل من تفرّعات سُميت بالمدرسة البعدية والمصرية والأندلسية، لا نحاور ما يمكن أن تنفرع عنه المدرسة الواحدة ونسعى الأطر المبهجية العريضة، صرة كبرى نجمع ما تفرق منها في أصول ثالثة^(٢)، وأرى أن هذه النظرة إلى الجهود النحوية مجتمعة، يجعلها تشكل قاعدة مثبته للمواردية بينها وبين الجهود النحوية المعاصرة، على أن هذا لا يقلل من أهمية تقسيم التراث النحوي إلى مدارس، لحزمة أغراض تعليمية في مراحل معينة^(٣).

وقد تميزت المراحل الأولى، من الدراسة النحوية، على يد النحاة الأول بانجاء البحث إلى استقرار الماثور عن العرب، وهذا ملمح وصفي، وإعمال الفكر لاستخراج القواعد، بقصد معياري، وبعد ذلك حدث تمايز بين دراسة الصرف والنحو، وكتاب "النصريف" لأبي عثمان الماربي من أوائل الكتب التي ألّفت في الصرف^(٤)، وكان هذا التمايز بين النحو والصرف لأسباب تعليمية.

ونجد أن كثيرا من الباحثين المحدثين، عندما يبحثون في منهج النحاة تكون غايتهم - في الغالب - تصنيف هؤلاء النحاة ضمن مدرسة الكوفة أو البصرة، دون الالتفات إلى السمات المبهجية عندهم، وذلك كان يقال، لا يتطلب البحث عناء كبير.

(١) انظر ١ - ابن الأثيري لإتصاف في مسائل الخلاف تحقيق محي الدين عبد الحميد، دار إحياء التراث العربي، ج ١، ص ١١٩، ج ١، ص ٦٦.

ب - الأشموني، شرح الأشموني على الألفية، نشر محي الدين عبد الحميد، ط ١، النهضة المصرية ٩٥٥ هـ، ج ٣، ص ٣.

ج - الرضى لأسر أبيدي، شرح الكافية ٦٧٥ هـ، ج ٢، ص ٢٢٤، ج ٢، ص ٢٩٣.

د - الفرّاء، معاني الفرّاء تحقيق محمد علي النجار، القاهرة ٩٧٢ هـ، ص ٤٥.

(٢) علي أبو المكارم تقويم الفكر النحوي، بيروت، ص ٨٤.

(٣) انظر محمود حسني المدرسة البعدية في تاريخ النحو العربي، ط ١، دار عمار، الأردن ١٩٨٦ م، ص ٤٤٤.

(٤) حمد حسن حامد دراسات في أصول العربية، بعلب، ١٩٨٦، ص ٥٠.

لكشف ميل اس لاندري إلى مذهب البصريين ، بل بذهب إلى أبعد من ذلك فهو آراء الكوفيين ، وبعسد أدلتهم على كثير من قصايا النحو ، من تلك ميمه إلى فعلية نعم وبنس ، خلاف للكوفيين الذين يرون أن (نعم وبنس) اسمان ، ويعتد رأي الكوفيين فساداً .

وم بعينها في هذه المقام، أن بحث عن الجوانب المبهجة التي تُشكّل لأسس التي انطلق منها الحاة القدماء، ولا يهتما بعند أن يشعل بالفروق الجرتية التي تُميز بصريا من كوفي أو عراقي ، إلا بالنظر الذي يلقي الضوء على الاتجاه المسيحي عند هؤلاء .
فما هي الاتجاهات التي رسمت التفكير الحوي في دراسة الطواهر اللغوية ؟

يمكن نصيف هذه الاتجاهات إلى المباحث الآتية .

المبحث الأول : الاتجاه الوصفي

المبحث الثاني : الاتجاه العقلي .

ويمكن دراسته من خلال الاتجاهات الثلاثة الآتية :

1- الاتجاه العقلي الفلسفي

ب . الاتجاه العقلي المسطقي .

ج . الاتجاه العقلي المعياري .

المبحث الثالث : الاتجاه التاريخي

ويمكن دراسته من خلال ملمحين

أ . الملمح التاريخي المفار

ب . الملمح التاريخي التطوري

المبحث الأول الاتجاه الوصفي

يقوم المنهج الوصفي على أساس وصف اللغة في مستوياتها المختلفة، أي في أصواتها وأبينها الصرفية، وتراكيبها النحوية، ودلالاتها المعجمية والبلاغية ولما كان النحاة يهدفون من دراساتهم النحوية إلى "انتحاء سمات كلام العرب" (١)، كان لابد من إجراء وصف لهذه اللغة، وذلك من خلال استقراء كلام العرب المطرد الفصيح المقول فعلاً صحيحاً، وقياس ما لم ينقل على ما نقل إذا كان في معناه (٢).
ولعل أبرز ملامح الاتجاه الوصفي عند النحاة بدر في الآتي:

١- وصف الكلمة المفردة:

لما راقب النحاة الكلمة المفردة في أثناء استقراءهم، كان من اليسير عليهم بالملاحظة التصويرية، رصد بعض الطواهر وتصنيفها

أ- ربطوا بعض أصوات الكلمات بالأصوات المشابهة لها، عند الإنسان وذلك نحو القهقهة، والتمطيق (حكاية صوت المتنوق إذا صوت باللسان)، والندبة (كلام تسمع بعينه ولا تفهمه)، والصراخ والهمهمة والزيب (٣)، أو الكلمات الدالة على أصوات الحيوانات، وذلك نحو .. رغاء البقرة، وهدير الجمل، وصهيل الفرس، وحوار البقر، وثغاء النع، وبقيق الصعدع، وطنين السباب . الخ .

أو الكلمات الدالة على أصوات الأشياء، وذلك نحو حرير الماء، والقرقرة (صوت الآنية إذا استخرج منها الشراب)، والشيش (صوت غليان الشراب)، والشح (صوت اللس عند حلقه)، أو الكلمات الدالة على الأفعال التي يحدثها الإنسان أو غيره كالندق والكسر والفرع والهم، إلى غير ذلك (٤)

(١) ابن جني، الخصائص، ص ٣٤

(٢) الطبري، ابن الأثير، الإعراب في جمل الإعراب تحقيق سعيد الأفغاني، سوريا، ص ٢٩٠

(٣) أبو منصور الثعالبي، صفة اللغة وأسرار العربية، مطبعة السعادة ١٩٢٣ م، ص ٢٠٢

(٤) انظر السابق، ص ٢٠٣ ٢١٦

ب ملاحظة العلاقة الاشتقاقية في الألفاظ، وذلك من مثل ، (كتب ، يكتُب ، اكتب ، كاتب ، مكتوب ، كتاب ، مُسَكَّنَب) ، ففسبوا هذه الكلمات إلى حروف مشتركة هي (ك،ت،ب)، ومن ثم كان من الطبيعي تصنيف الكلمات إلى مشتقة وغير مشتقة (١) وقد لاحظوا أن العرب تشق أحياناً من أسماء الأعيان، وذلك كالأشتقاق من أسماء الذهب والفضة، وكذلك من المصدر الصناعي .

وقد فطن الحليل بن أحمد إلى ملاحظة ظاهرة أخرى، وهي ارتباط بعض مجموعات ثلاثية من الأصوات، ببعض المعاني ارتباطاً غير معيّن بترتيب ، فتدل كل مجموعة منها على المعنى المرتبط بها كبقيا احتق ترتيب أصواتها ، واستفاد من هذه الملاحظة في معجمه (العبر) دون أن يسميها ، لاحظ ذلك من خلال منهجه في المعجم، حيث اعتمد فيه على شرح ما تفرع من المادة على طريق الاشتقاق العام، وما تفرع منها على طريق الاشتقاق الكبير ، فتكلم مثلاً عن (صم وصمي ، وصم ، وأمصي) في موضع واحد (٢) ، وقد سلك ابن فارس في معجمه (معاني اللغة) نهجاً يوجه فيه عنايته إلى هذه الصلة، وأوضح ذلك في كتابه الصحاحي (٣)، وقد وجدت هذه الظاهرة توسعاً عند ابن جني ، حيث أكثر من صرب الأمثلة عليها ، وذلك نحو قوله : (أصول ق،س،و) تدل على القوة والاجتماع كبقيا احتق ترتيبها ، فيوجد هذا المعنى في تراكيبها الخمسة المستعملة ، وهي قسو (ومنه القسوة وهي شدة القلب واجتماعه) ، وقوس (ومنه القوس لشدتها واجتماع طرفيها) ، وقوس (ومنه الوقس ، وهو ابتداء الجرب ، لأنه يجمع الجلد، ويُقحسه) ، ووسق ومه استوسق الأمر أي اجتمع ، (والليل وما وسق) أي جمع ، وسوق

(١) جلال الدين السيوطي المهر في علوم اللغة واداعيها ، تحقيق محمد جاد المولى و علي البجوي ، محمد أبو الفصل إبراهيم ، دار إحياء الكتب العربية ، تونس طبع ، الجزء الأول ، ص ١٦٤ ١٦٥

(٢) الخليل بن أحمد ، معجم العين ، تحقيق عبد الله درويش ٩٦٧ م مطبعة للعاني ، بغداد ، ص ١٧٢ ١٧٤

المصدر الصناعي هو ما يتكوّن بزيادة باء النسب والثناء على اللفظ للتعبير عن المعنى الحاصل بالمصدر

(٣) أنصر الصحاحي، في هذه اللغة ومن العرب في كلامها مطبعة للمؤيد - المكتبة المطبعية ، القاهرة - ١٩١٠ ،

(ومنه السوق لأنه استحثاث وجمع المسوق بعصه إلى بعصر ، ومنه كذلك السوق لما فيه من جمع واحتلاط وشدة) (١) .

وقد انتقد السيوطي مبالغة ابن جني وذلك بقوله عن هذا الاشتقاق " ليس معنهما في اللغة ولا يصح أن يستنبط به اشتقاق في لغة العرب . فهو حصوا كل معنى بحروف معينة، فلم يدبوا مثلاً على معنى الإكرام و العظيم إلا بما ليس فيه شيء من حروف الإيلاء والصرب لمساتها لهم ، لصاق نطاق الأمر ، واحتاجوا إلى ألف حروف لا يفتقرونها .. ولا يكر مع ذلك أن يكون بين التراكيب المتحدة معنى مشترك بينها، هو جنس لأنواع موصوعاتها ، ولكن التحليل على ذلك في جميع مواد التركيبات كطلب لعفاء معرب، ولم تحمل الأوصاع الشربة إلا على فهم قريبة، غير غامضة على البديهة فذلك أن الاشتقاقات البعيدة جداً لا يقبلها المحققون " (٢) ، وشبهه بهذا مبالغة ابن فارس في وصف ظاهرة البحث إلى درجة التحايل والتعسف (٣)

٢ وضع المصطلحات وتعريفها :

ولاشك أن التفكير في المصطلح النحوي، يشير إلى أن الساحة بدأوا بدهش علمي متفتح ، فجردوا ظواهر لغوية واسعة، بأسماء اصطلاحية وصفية ذات دلالة قوية على معانيها ، وذلك نحو ، الفاعل ، والمفاعيل بأنواعها ، والاستثناء والتمييز ، والاسم والفعل والمبني والمعرب .. الخ .

ولعل كتاب سيبويه، يشير إلى مرحلة غير مستقرة في المصطلح ، تشير إلى الملمح الوصفي عندهم بوصوح ، وذلك نحو تعبيره عن المصدر المنصوب بمفعول مطلق مع حذف فعله ، بقوله " هذا باب ما ينصب فيه المصدر ، كان فيه الألف واللام أو لم يكر فيه ، على أصمار الفعل المتروك إظهاره ، لأنه بصير في الإخبار ولاستفهام لا أمر اللفظ بالفعل ، كما كان الحذر بدلاً من احذر في الأمر " (٤)

(١) ابن جني ، الحصان ، تحقيق محمد النجار ، ج ٢ ، ص ١٣٨

(٢) السيوطي ، المرهر ، تحقيق محمد جاد الموسوي ، علي البجوي ، دار بحباء الكتب ، القاهرة ، ج ١ ، ص ٣٤٧

(٣) السابق ، ج ١ ، ص ٢٣٢

وسطر ابن فارس ، الصحابي ص ٢٢٧

(٤) سيبويه ، الكتاب ، تحقيق عبد السلام هارو ، الهيئة العامة للكتاب ١٩٦٣م ج ١ ص ٣٩٣

وكذلك في وصفه لـ (كأن وأحواسها)، بطريقة يحاضب فيها أيسط الناس بطريقة تعليمية موصحة ، يقول . " هذا باب الفعل الذي يتعدى اسم الفاعل الى اسم المفعول ، و اسم الفاعل و المفعول فيه شيء واحد ، فمن ثم ذكر على حديثه ، ولم يذكر مع الأول ، ولا يجوز فيه الاقتصار على الفاعل ، كما لم يجر في (طست) الاقتصار على المفعول الأول ، لأن حاله في الاحتياج إلى الآخر ، كحالته في الاحتياج إليه ثمه " (١١)

وقد حصرت كثير من عناوين الكتاب فيما بعد - بطريقة موجزة ، ولكنها طلب تحمل في الكتاب اسمه الوصفية ، من سنك ، وصنع السدة لمصطلح النزع بدلاً من وصف سبويه له بقوله

' هذا باب الفاعلين اللذين كل واحد منهما يفعل بفاعله مثل الذي يفعل به ، وما كان نحو ذلك " (١٢)

وباب الاشتغال بدلاً من قوله ' هذا باب ما يكون فيه الاسم ميباً على الفعل قَمَّ أو أحر ، وما يكون فيه الفعل ميباً على الاسم " (١٣)

وقد حرص السدة على وضع تعريفات لهذه المصطلحات ، يلاحظ أنها تناول الوظيفية كم تدولت الشكل ، يقول الرجائي محمداً الاسم تحديداً وطيفاً ' فالاسم ما جار أن يكون فعلاً أو مفعولاً ، أو محل عليه حرف من حروف انحصار (١٤) ، ويتبع ذلك تحديد شكلي ، فيميز الاسم بانفراده ، بفوز الجر والتثوين ، وبحول الألف واللام عليه ، وصلاحيته لأن يكون موصوفاً ومصعراً ومندى (١٥)

وكذلك أبو علي الفارسي ، حدد الاسم وظيفته بأنه ' ما جار الإخبار عنه ، وأدرج المصدر في طائفة الأسماء ، فقال " والاسم الدال على معنى غير غير نحو العلم والجهل في هذا الاعتبار كالاسم الدال على عين " (١٦)

(١) سبويه ، الكتاب ، ج ١ ، ص ٤٥

(٢) السابق ، ج ١ ، ص ٧٣

(٣) السابق ، ج ١ ، ص ٨١

(٤) المجموع ، تحقيق علي محمد ، الرئيس ، دار الأمن ، ١٩٨٤ ، ص ١٧

(٥) السابق ، ص ١٨

(٦) أبو علي الفارسي ، الإيضاح المصدي ، تحقيق حسن الشاذلي ، القاهرة ١٩٦٩ ، ص ٦

ثم ذكر له علامات شكلية يعرف بها، هي: جوار نحول الألف واللام عليه، ولحاق التنوين له، وقد مثل لذلك بالعلام والفرس^(١) وعرف الكسائي الاسم بأنه "ما وُصف"^(٢).

ولافت تعريفات النحاة القدماء مقدماً من بعضهم، مثل: ابن فارس، والبطلاني، فقد حاول أحمد بن فارس أن ينقد جلَّ تعريفات النحاة للأسم، من ذلك بعده لتعريف الكسائي السابق، ذكرنا بأن هناك كلمات اعتبرها النحاة أسماء، ولكنها لا توصف، مثل (كيف، وأين)

وسكر رأي الفراء في تحديد الاسم بأنه "ما احتمل التنوين أو الإضافة أو الألف واللام" ثم بعده ذكرنا أن "كيف، وأين" عدت من لأسماء، وهي لا تنون ولا تُضاف، ولا يضاف إليها، ولا يحلها الألف واللام^(٣).

غير أن أحمد بن فارس لم يذكر تحديداً محتلفاً عن رأي النحاة في الاسم، وكذلك البطلاني، ذكر كثيراً من آراء النحاة وعقب عليها بقوله "وجميع ما ذكرناه من هذه الأقوال لا يصح أن يكون حداً للأسم، إنما هو رسم وتقريب لأن شرط الحد أن يستعرف المحدود، وهذه الأقوال كلها لا تستعرفه، إلا أن بعضها أقرب إلى التحديد من بعض"^(٤). ثم ذكر تحديداً للأسم بقوله: "الاسم كلمة تدل على معنى في نفسها مفرد غير مقترن بزمان محصل يمكن أن يفهم بنفسه"^(٥). ويعقب على ذلك بقوله: "فقولنا 'كلمة' لفظ نجمع الاسم والفعل والحرف، فهي كالحسن لهما وقولنا: تدل على معنى في نفسها فصل يحصل الاسم من الحرف، وقولنا على معنى غير مقترن بزمان - فصل يحصل الاسم من الفعل، واشتراط ههنا الإفراد لئلا ينسب بالجملة"^(٦).

(١) أبو علي الفارسي، الإيضاح العنصري، ص ٦

(٢) أحمد بن فارس، الصحاح، ص ٤٩

(٣) السيبوي، ص ٥٠

(٤) انظر أبو محمد عبد الله بن محمد بن السيد البطلاني، في كتاب الحلال في إصلاح الخلل من كتاب الجسم، تحقيق سعيد عبد الكريم سعودي، بغداد ١٩٧٢م، ص ٥٦ - ٥٧

(٥) السابق، ص ٦٦

(٦) البطلاني، الحلال في إصلاح الخلل من كتاب الجسم، ص ١٦٧

غير أن نجد تعريفاً للرمحشري، شبيهاً بالتعريف الذي ارتصاه البطلبوسي، وهو "الاسم مادل على معنى في نفسه دلالة مجردة عن لاقتراض" ^(١) والتجرد عن الاقتراض يعني أن هذه الدلالة مجردة عن الاقتراض، يعني أن هذه الدلالة مجردة عن اقتراض ما يفيد المعنى الرمزي، فالاسم لا يدل على الرمز بصيغته ورمز، كان سبباً في تعدد تعريفات الاسم عند النحاة، أن سببويه لم يصع تحديداً واضحاً للاسم، واكتفى بالتمثيل له وذلك بقوله " فالاسم رجل وقرص وحائط " ^(٢)، ورمز عاد ذلك أيضاً إلى أن الاسم يشمل عينة لغوية واسعة، وهذا ما دعا بعض الباحثين المحدثين لإعادة النظر في تعريف الاسم ثابتة، وبعض المصطلحات القديمة، وذلك ما سوضحه في فصل قائم إن شاء الله .

٣ القياس الوصفي :

للقياس الوصفي أكثر من وجه منهجي، وسوف أقف في هذا المقام على الجوانب التي تظهر الوجه الوصفي فيه، فالنحاة يرون أن العربي ينطق بالعربية سليقة، وقد فسرت السليقة بالطبيعة والسجية، أي " الحلق أو الصفة الراسخة أو المهارة اللغوية، يقال فلان يكلم بالسليقة، أي ينطق بالكلام صحيحاً من غير تعلم " ^(٣)، والنطق السليقي مطلب مهم يسعى الوصفون للنظر إلى اللغة من خلاله

ولما كانت تربية ملكة لغوية عند الناس هدفاً من أهداف النحاة، تحفظ ألسنتهم من النحر، وتجعلهم يستعملون صيغاً قياسية صحيحة، تنقسم بالدقة في التعبير، واستعمال التراكيب لشتى أنواعها، في مقاماتها، محكمة مصبوبة دقيقة الدلالة، بل تجعلهم قادرين على ابتكار الألفاظ والعبارات لمعان جديدة أو قديمة، كان لاس من استبطان قواعد (معايير) نتيحة لاستقرارهم لكلام العرب، مراعين في ذلك طرود الطاهرة اللغوية في النصوص المروية أو المسموعة، إذ إن أهم المصادر للمادة اللغوية هي الرواية، يقول محمد بن النيمي (ت سنة ١٣٠هـ)، " ما كنا ندعو الرواية إلا رواية الشعر " ^(٤) والسماع

(١) المعصود، ص ٦

(٢) الكتب، ١٢١

(٣) ابن حنبل، المعجم، تحقيق علي عبد الواحد واهي، دار النهضة مصر، ص ١٢٦٤

(٤) ابن عبدثير، مختصر جامع بيان العلم وفضله، دار الطبعة الميرية، ٣٢٠ هـ، ج ٢، ص ٤٧

« كثيرًا ما كان النحاة يخرجون إلى البادية بقصد سماع اللغة وتدوينها ، ومن طريق ما قيل في ذلك من روايات لا تحصى من دلالة وصعوبة ، بعض النطر عن مدى صدقها ، أن تحليل بن أحمد بن يوسف ما سمعه في عشرين رطلاً^(١) ، وانكسائي ألفد خمس عشرة قنية حمر في التدوين^(٢) ، وأنا عمرو بن العلاء ملأت كتبه عن العرب الفصحاء بيتًا به إلى قريب من السقف^(٣) »

وقد أرسى دعائم هذه المنهج النحاة الأول كأيي عمرو بن العلاء الذي أجاب عن سوان وجه له " قال ابن بوقل سمعت أبي يقول لأبي عمرو بن العلاء : أخبرني عما وصعت مما سمعته عربية ، أتحل فيها كلام العرب كله ؟ فقال : لا ، فقلت كيف تصنع فيما حالفك فيه العرب وهم حجة ؟ قال أعمل على الأكثر واسمي ما حالفني لغات^(٤) »

وكذلك ابن أبي اسحاق الذي قيل إنه " أول من نصح النحو ومدّ القياس وشرح العلل " (٥) ، وحير ما يمثل منهجه الوصفي في القياس جوابه حين سأله يومئذ " هل يقول أحد الصويق " بمعنى السويق قال نعم ، عمرو بن نعيم نقوسها ، وما تريد إلى هذا " عليك ساء من النحو بطرد ويفاس^(٦) " حتى أصبح النحو يُعرف بأنه " علم بمقاييس مستنبطة من استقراء كلام العرب " قال انكسائي " بما النحو قياس ينفع " (٧)

(١) ابن حجر العسقلاني ، تهذيب التهذيب ، دائرة المعارف النظامية بحيدر آباد ، ٢٣٥ ، ج ٣ ، ص ١٦٤

(٢) ابن الأنباري ، نزهة الألباء ، طبع حجر ، ١٢٩٤ هـ ، ص ٢٩

(٣) ابن حنكل ، وفيد لأعيان ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، النهضة المصرية ، ١٩٤٨ م ، ج ٣ ، ص ٣٧

والنطر محمود حسني ، قرأه أبي عمرو بن العلاء ، دراسة علمية ونقدية مجته " برضات الجامعة الأردنية ، المجلد ١٢ العدد الثالث ، ١٩٨٥ م ، ص ٨٦

(٤) الرندي ، طبقات النحويين واللغويين ، تحقيق محمد أبو الفصا إبراهيم ، القاهرة ١٩٥٤ م ، ص ٣٤

(٥) السيوطي ، بحية الوعانة ، ص ٢٨٢

(٦) العبيراني ، حيار النحويين البصريين ، تحقيق عبد المصعب حفاجة وحر ، ط الحنبي ، ص ١٤

(٧) العنسي ، إنباء الرواة تحقيق محمد أبو الفصل إبراهيم ، القاهرة ، ٩٧٣ ، ج ٢/٣٦٧

وهذا يشير إلى أن هدف القياس الوصفي، كان يركز على مدى انطواء الظاهرة، ولاطراد هو ما يشيع في النصوص، فيعرض باطراده مراعاته والتزامه، ويصبح بذلك مقياس للصحة والخطأ، أما ما لا يطرّد، فإنه يحفظ ولا يقاس عليه

وقد اتبع الحليل وسيبويه هذا المنهج في القياس، مما يجعل فهم قصد سيبويه من تكراره لعبارة نحو: "سمعت من العرب" (١)، "سمعا من يوثق به من العرب" (٢) و "هذه حجج سمعت عن العرب" (٣)، و "هذا عربي كثير" (٤)

وقد بلغ هذا القياس الوصفي مرحلة متطورة عند الحليل، يبدو ذلك في تنوع التوازي (٥)، إذ نراه أحياناً لا يشترط تشابه المعبر والمفبر عليه تشابهاً تاماً، في جميع النواحي، لأن من كلام العرب أن يشبهوا شيء بالشيء، وإن كان ليس مثله في جميع لأشياء، مثال ذلك، قيامه للنصب في حالة المبادئ المصاف نحو يا عبد الله، ونداء الكرة نحو: يا رجلاً صالحاً، حين طال الكلام، ينصبهم لـ (قيلك وبعثك) عند مصافهم، يوضح ذلك سيبويه بقوله "إنما جعل التحليل رحمه الله المبادئ بمرئيه قبل وبعد، وشبهه بهما معردين إذا كان مفرداً وإذا طال وأصغف شبهه بهما مصافين إذا كان مصافاً، لأن المفرد في النداء في موضع نصب، كما أن قيل وبعد قد يكونان في موضع نصب وجر ولقطهما مرفوع، فإذا أصغفهما رددتهما إلى الأصل، وكذلك نداء الكرة، لم لحقها التثوين وطالت، صارت بمرئيه المصاف" (٦).

وقد لاحظ الحليل أن تشابه في أصل التركيب بين النداء وهذه الظروف، فالأصل فيها النصب، لأنهم انخرصوا أن الأداة (يا) ست مسدّ فعل محذوف وحباً تقديره "أدعو

(١) الكتاب، ج ١، الصفحات ١٢٤، ١٥٥، ٢٣٠، ٢٥٢، ٣١٣، ٣١٩

(٢) الكتاب، ج ١، الصفحات ٦٠، ٧٣، ٢٤٩، ٢٩٣

(٣) الكتاب، ج ١، الصفحات ١٨٤، ٢٥٥

(٤) الكتاب، ج ١، الصفحات ٤٨، ٢٧، ٢٣١

(٥) انظر جعفر عبيد، مكانة الحليل بن حمد في النحو العربي، عمان، ١٩٨٤، ص ٦١، ٦٢

(٦) الكتاب، ١٩٩/٢

أو أنادي^(١) ، إلا أن هناك خروجاً عن هذا الأصل ، في (قير وبعد) إذا انقطعا عن الإضافة ، وكذلك المبادئ إذا كان مفرداً علماً أو بكرة مقصودة .

وقاس الحليل الفصل بين اسم (إنّ) وحبرها بالمبتدأ المحذوف والحبر ، الذي هو بعث مقطوع ، نحو إنه المسكين أحق ، على الفصل بين اسم إنّ وحبرها بالاحتصاص ، نحو إنّ نميماً داهيون ، فالهاء في إنّ الأولى اسمها ، وأحق حبرها ، وقد فصل بينهما بالمبتدأ والحبر ، به التقدير : إنه هو المسكين أحق ، والصمير المنصل بـ(إنّ) الثانية اسمها ، و (داهيون) حبرها ، وقد فصل بينهما بالاحتصاص ، وهو قولنا نميماً ، ووجه الشبه بينهما ، أن جملة المبتدأ والحبر في المثال الأول أفادت احتصاصاً لأسم (إنّ) ، مثلما أفادته كلمة (نميماً) في المثال الثاني ، ومن هنا فقد جار حمل الأول على الثاني للنسبة هي المعنى^(٢) .

وبحده أحياناً أخرى يقيم قياساً ، لا يحرر منه بحكم يكتسه المقيس من المقيس عليه ، كما هي الحال في القياس السابق ، ولكنه يقصد منه الاستئناس بأمثلة توضح الفكرة التي يرجحها ، من ذلك أنه دعم رأيه في تفسير الاسم المكرر في حالة المبادئ المضاف ، بحالات أخرى وردت في اللغة ، من شأن إيرادها أن يقع برؤيته لها ، فكان رأيه في نحو الشاهد " ب ريد ريد اليعملات الدبل " أن " ريداً " الأول هو المضاف إلى (اليعملات) ، وأن ريداً الثاني توكيد للأول ، ولا تأثير له في المضاف إليه ، يقول : " وذلك قد علموا أنهم لو لم يكرروا الاسم كان الأول نصاً ، فلما كرروا الاسم توكيداً تركوا الأول على الذي كان يكون عليه لو لم يكرروا"^(٣)

وقد مثل لذلك دعماً لرأيه بقوله على لسان سيبويه " وقال الحليل (رحمه الله) هو مثل لا أبالك ، قد علم أنه لو لم يجى بحرف ، لإضافة قال : أباك ، فتركه على حاله لأولى ، واللام هاها بمنزلة الاسم الثاني في قوله : يا نيم نيم عدي " ، وذكر مثلاً آخر من شأنه أن يوضح رأيه وذلك بقوله ، " وكذلك قول الشاعر إذا اضطرب (يابوس للحرب)

(١) الكتاب ، ٣٠٣١

(٢) الكتاب ، ج ٢ ، ص ٦٦

(٣) الكتاب ، ج ٢ ، ص ٦٠٦

«م يريد (يا بؤس الحرب) فهو يريد أن يربط بين إقحام اللام بين المصاف والمصاف إليه ، إذ الأصل . (يا بؤس الحرب) للتوكيد ، كما هو إقحام (ريد) الثانية في جملة النداء " (١)

وأحيانا ثالثة، نجده بقيم الدليل لإثبات رأيه في الوجه الذي يراه راجحا في القياس، مما يوحي بشيء من الجدل ، من ذلك رايه في علم جوار إلحاق ألف النسبة على صفة المدحوب ، خلافاً ليونس كما يذكر سيبويه (٢) ، فقد حاول التحليل أن بقيم الدليل على ذلك قائلاً " إن الطريف ليس بمدى ، ولو جاردا ، لقلت : واريذ أنت الفارس اسطلاه ، لأن هذا غير مدادى ، كما أن ذلك غير نداء " (٣) ، فقام الصفة على الخبر وكلاهما خارج على النداء ، وإنما الندبة للمدادى فما كان خارج على النداء ، فلا تدخله النسبة، ولاحظ أنه قام الصفة على الخبر ، لأنهما يتفقان في خروجهما عن النداء ، وإن كان مختلفين، من جهة أن الخبر منقطع عن المدحوب ، وأن الصفة من تمامه، فليس من شرط المقيس و المقيس عليه عده، أن يتشابه في جميع أحوالها .

و نرى أن سيبويه تأثر بأستاده في قياسه ، ولا يعنى هذا أنه جامعاً فقط لآراء الذين سبقوه ، كما قبل قديما وحديثاً (٤) ، بل نجده في أحيان كثيرة، يوارى بين آراء العلماء الذين سبقوه في مسألة ما ، ثم يحكم بالترجيح ، ففي باب تحقير بدت اليا والواو عند الكلام على تصغير أحوى قال : (وأما عيسى فكان يقول أحي ويصرف وهذا خطأ، وأما أبو عمرو فكان يقول أحي ، ... وأما يونس فيقول : هذا أحي كما ترى وهو القياس والصواب) (٥) .

وهكذا رأينا أن القياس يتكى على جانب الوصف، أو إيجاد وجه الشبه في المماثلة بين ظاهرة لغوية ومماثلها

(١) السابق ، ج ٢ ، ص ٢٠٦

(٢) السابق ، ج ٢ ، ص ٢٢٦

(٣) السابق ، ج ٢ ، ص ٢٢٥ ٢٢٦

(٤) الكتاب ، ج ٢ ، ص ٤١٢

انظر تفيد هذه الأ في علي اللبدي ، سيبويه أمام النحاة ، مطبعة لجنة اللسان العربي ١٩٥٣

(٥) الكتاب ، ج ٣ ، ص ٤٢٢

٤ - التعليل الوصفي :

يعدُّ التعليل في بعض أشكاله ملصحاً من ملامح التفكير الوصفي عند النحاة، إذ من الطبيعي أن يتساءل النحاة عن سبب يقف وراء الطواهر اللغوية التي يدرسونها، ولا سيما أن التفكير في السبب، سمة إنسانية فطر الإنسان عليها، بل حثه الله على النظر والعلم والتدبر والبحث عن الأسباب^(١)، ثم إن الانتهاء إلى أسباب معينة، من شأنه أن يجعلها نرتكز على دعائم محددة من الأهداف، التي توجت اللغة بتحقيقها من وجهة نظرهم.

ومن أبرر مظهر الوصفية في التعليل ما يلي

أ - بدأ التعليل عند النحاة مد بشأته على يد عبد الله بن أبي إسحاق، الذي قبل أنه من يعرج النحو، ومما القياس والعلل، بهدف التعرف إلى لأسباب التي تقف وراء الطواهر اللغوية، وفي هذا يلتقي مع المعنى المعجمي للغة، فمن معاني مادة (علل) : السبب، ومنه المَعْلَل على وزن محدث دافع جايي الحرج بالعلل، أي بما يتحل لذلك من أسباب، وفلان^(٢) عليل ومعلل مرص بسبب العلة، وقد اعتل، وهذه علته أي سببه

ب - التوافق مع القواعد : من الملاحظ أن أسئلة النحاة وتعليلاتهم، كانت تنصح عندما يجدون ما يخالف القواعد النحوية، التي تشكل طواهر عامة، وهذا يعكس كيف مثل أفراد القواعد النحوية، مطلباً حاصراً في ذهن النحاة مثال ذلك ما رواه الأصمعي عن أبي عمرو بن العلاء، أنه قال " سمعت أعرابياً يقول فلان لعوب أحمق جاعته كتابي فحقره، قال هملت له اتقوا جاعته كتابي ؟ فقال اليس بصحيفه " فحملته على المعنى، وقد جاء ذلك كثيراً في كلامهم^(٣)، من الواضح أن سؤال أبي عمرو بن العلاء كان مبعثه خروج الأعرابي عن قاعدة التذكير والتأنيث المعروفة .

ج - فهم المعنى : من الملاحظ المهمة على التعليل في هذه المرحلة، انبثاقه من إحساس بضرورة فهم المعنى، ينصح ذلك من تفسير ابن جني، لعبارة الفرزدق التي ردَّ فيها - مدمرٌ - على سؤال ابن إسحاق له عسيما أنشد :

(١) استخدام القرآن الكريم مادة (نصر) ١٢٦ مرة، ومادة (عرف) ٧١ مرة، ومادة (علم) ٨٥٢ مرة

انصر المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم الصفحات (٢٠٥ ، ٧٠٧ ، ٤٥٨ ، ٤٥٩ ، ٤٦٩ ، ٤٨١)

(٢) ابن سلام ، طبقات فحول الشعر ، محمود شاكر ، القاهرة ، ج ١ ، ص ١٤

(٣) برهه لأبياء ، ص ٢٣

وعيسى قال الله كونا فكانت فعولان بالأسباب ما تفعل الحمر
حيث سأل ابن أبي إسحاق ، " لم تنصب (فعولان) " فقال الفرزدق " مو شئت
أن أسبح لسبحته ، فلم يفهم أحد مراده " ، ثم علق ابن جني موصفا رد الفرزدق بقوله
" لو نصب لأخبر أن الله خلقهما وأمرهما أن تفعل ذلك ، وإنما أراد هما تفعلان ، (وكان)
هذا نامة غير محتاجة إلى خبر ، فكأنه قال . وعيسى قال الله احثنا فحدثت " (١)

ويظهر الصور عن المعنى كذلك ، في تعليل الحليل ، لعدم جوار بدية الكرة
وبذلك نحو (وارحلاه) ويا رحلاه بقوله " بما قُبِحَ لأنك أبهمت ، ألا ترى أنك لو قلت و
هذه ، كان قبيحاً ، لأنك إذا بدت فإنما ينبغي لك أن تنفج بأعرف الأسماء ، وأن تحصر
ولا تنهم ، لأن السبة على البين ، ولو جاز هذا (أي بدية المبهمة) لجاز (ي رجلا
ضرباً) ، فكيف ناديا كرة ، وبما كرهوا ذلك أنه يفاحش عندهم أن يحتلطوا ، وأن يتفجعوا
على غير معروف ، وكذلك تفاحش عندهم في المبهمة لإبهامه ، لأنك إذا بدت تحبر أنك قد
وقع في عظيم ، وأصابتك جسيم من الأمر ، فلا ينبغي لك أن تنهم " (٢) ، في حين أنه
علل لسبة المشهور لشهرته ، وإن حمس سمة الكرة ، يقول ميبويه " ورغم أنه لا
يستفحح إلا من حفر رمرمه ، لأن هذا معروف بعينه ، كأن التبيين في البدية عذر
للفجع ، فعلى هذا جرت السبة في كلام العرب " (٣)

د- الجرنية تلحظ أن التعليل الوصفي بدأ جريئاً ، بمعنى أنه كان يصدر عن موقف ، أو
حالة بعينه ، ولم يسحب على طواهر عامة ، كما رأيت في المثالين السابقين ، إلا أنه
انسع عند الحليل ، (٤) فتراه يحاول ربط الحالة الجرنية بما يماثلها ، مما ساعده في وصف
صوهر لغوية عامة ، من ذلك ما ورد في الكتاب " وسألته أي الحليل - عن أيهم لم
يعونوا أيهم مرر به ؟ فقال لأن أيهم هو حروف الاستفهام لا تدخل عليه الألف ، وإنما
تركب الألف استعناء فصارت بمرله الابتداء ، ألا ترى أن حذف الكلام أن تؤخر الفعل

(١) مره الأبياء ص ٢٠

والطر الاقتر ح ، ص ٥٩

(٢) الكتاب ، ج ٢ ، ص ٢٢٧

(٣) السابق ، ج ٢ ، ص ٢٢٧

(٤) طبقات الحويين والعميين ، ص ٤٣

فتقول إنهم رأيت ، كما تفعل ذلك بالألف ، فهي نفسها بمرية الابتداء ، وإن قلت - إنهم ريداً صرب ، فتح كما فتح في منى وبحوها ، وصار أن يليها الفعل هو الأصل ، لأنهم من حروف الاستفهام ، ولا يحتاج إلى الألف فصارت كآين وأين ، وكذلك من وما لأنهم يجريان معها ولا يفارقانها ، تقول من أمة الله صربها ؟ نصب في كل دا ، لأنه إن يلي هذه الحروف الفعل أولى " (١)

من الواضح أن التحليل استحصّر جلّ أسماء الاستفهام؛ لأنها مشتركة مع أي التي ابتدئ الحديث بها ، فأثبت الصدارة لأسماء الاستفهام ، فهي بذلك تنقسم لأفعال ، وثم ربط تقدمها بمفهوم الابتداء .

ويرى سيبويه أيضاً يحاول تحليل طواهر لعوية عامه ، رابط بعضها ببعض فهو ، يعال رفع المثني بالألف ونصبه وجره بالياء ، قائلاً - " يكون في الرفع ألقا ، ولم يكن واواً ليفصل بين التنثية والجمع الذي على حد التنثية ، ويكون في الجر ياء مفتوحاً ما قبلها ، ولم يكسر ليفصل بين التنثية والجمع ، الذي على حد التنثية ، ويكون في النصب كذلك ، ولم يجعلوا النصب ألقاً ليكون مثله في الجمع ، وكان مع هذا أن يكون تابعا لما الجر منه أولى ، لأن الجر للاسم لا يتجاوز ، والرفع قد ينتقل إلى الفعل ، فكان هذا أغلب وأقوى " (٢)

وكان سيبويه يشير إلى أن اللغة أرادت أن تفرق بين الطواهر المتقاربة ، فصطنعت لذلك أساليب محددة للفرقة بين هذه الطواهر ، من ذلك :

- ١ جعلوا علامة رفع المثني الألف ، وليس الواو ، حتى لا تلتبس مع جمع المنكر السالم المرفوع ، مع أن الرفع من جنس الواو
- ٢ جعلوا علامة جر المثني ياء مفتوحة ما قبلها ولم يكن ما قبلها مكسوراً ، حتى لا يلبس المثني المجرور بجمع المنكر السالم
- ٣ جعلوا نصب المثني بالياء ولم يكن بالألف ، مع أن الفتحة من جنس الألف ؛ لأن نصبه بالياء ، يجعله بطيئاً لجمع المنكر السالم الذي ينصب أيضاً بالياء

(١) الكتاب ، ج ١ ، ص ١٢٦ - ١٢٧

(٢) الكتاب ، ج ١ ، ص ٧

٤ الجر يحتصر بالاسم ، فلا يجاوره إلى الفعل ، فهو ألصق به . وأن الرفع فيكون بالأسماء كما يكون للأفعال المصارعة ، فلما كان الجر ألصق بالأسماء ، أنصم النصب إليه واستعار الياء التي هي سمته .

من سمات الوصفية في تعليل هذه المرحلة ، المنهج الذي كانوا يطلقون منه في الوصف ، حيث كانوا يصرون في تعييلهم عن روح اللغة ، ويلتزمون بتعليل ما هو موجود في اللغة ، وما هو مقدر في القواعد معاً ، غير معالين ولا مدعين أن تعييلاتهم قطعية ، سنل التحليل عن منهجه في التعليل فقال " إن العرب بطعت على سحيتها وطبعها وعرفت مواقع كلامها ، وقام في عقولها عللها وإن لم يقل بك عيها ، واعتلت أبا عما عدي أنه علة لما علته منه ، فإن أكر أصبت العلة ، فهو الذي النمست ، وإن تكن هناك علة له ، فمثلي في ذلك مثل رجل حكيم حل داراً محكمه البدء ، عجيبة النظم و الأقسام ، وقد صحت عنده حكمة بانها بالحبر الصادق ، أو بالر هين الواضحة والحجج اللانحة ، فكلم وقف هذا الرجل في الدار على شيء منها قال إنما فعل هذا هكذا لعله كذا وكذا ، وسبب كذا وكذا ، سحت له وحطرت بياله محتملة لذلك ، فجائر أن يكون الحكيم الباني للدار فعل ذلك للعلل ، التي ذكرها هذا الذي حل الدار ، وجائر أن يكون فعله لغير تلك العلل ، إلا أن ذلك مما ذكره هذا الرجل محتمل أن يكون علة لذلك ، فإن سح لغيري علته لما علته من النحو ، هي اليق مما ذكرته بالمعلول فليأت بها (١٠)

لا يرغب الوصفيون في الإغراق في مبدأ التعليل ، وحسب أن التحليل في بصره المهم ، هذا لا يأتى عن المنهج الوصفي ، الذي يرى في التعليل التفسير تمكياً بربط الظواهر في صورته تجسد ملامحها ، حتى تبدو صورة مترابطة غير معككة أو متكلفة وقد عبّر الرجائي عن هذا النوع من العلل ، فيما بعد بالعلل التعليمية ، وذلك بقوله " فهي التي يتوصل بها إلى معرفة كلام العرب ، ومثال هذا النوع من العلل في (إن ريد قائم) ، إن قيل لم نصبت ريدا ؟ قلت (بين) لأنها نصب الاسم ونرفع الحبر ، لأننا كذلك علمناه ونعلمه ، فهذا وبحوه من نوع التعليل ، وبه ضبط كلام العرب (١١)

(١) الإيضاح في علل النحو لأبي القاسم الرجائي ، تحقيق مازن المبارك القاهرة ١٩٥٩ د ، ص ٦٦

(٢) الإيضاح في علل النحو ، تحقيق مازن المبارك ، ص ٦٤ - ٦٥

٥ - الاتجاه الوصفي الإحصائي :

استعمل النحاة تعبيرات تحمل مصمونا إحصائيا وذلك نحو :

١ - مستفيض في كلامهم وأشعارهم . جاء في الكشف في قوله تعالى : " (لا أقسم بيوم
الغيامة) إبحال لا النافية على فعل القسم ، مستفيض في كلامهم وأشعارهم ، وفائتها
تؤكد القسم (١) .

٢ - الكثير : ذكر ابن هشام في التفريق بين كم الحبرية والاستفهامية ، أن تمييز الحبرية
واجب الحفص ، وتمييز الاستفهامية منصوب ، ولا يجوز جره مطلقا خلاف للفرء
والرجح ، وابن السراج وأخري ، بل يشترط أن نُجر (كم) بحرف جر ، فحينئذ ، يجوز
في التمييز وجهان ، النصب وهو الكثير ، والجر خلاف لبعضهم ، وهو (بمن) مصمرة
وجوبا لا بإلصاقه ، خلاف للرجح (٢)

وذكر أيضا أنه يكثر حذف المفعول بعد " لو شئت " ، نحو (٣) قوله تعالى (فلو
شاء الله لهداكم أجمعين) ، أي ولو شاء هذا أيتكم .

٣ - كثير جداً : وذلك " حذف جملة القسم كثير جداً " (٤)

٤ - مطرد : وذلك نحو " حذف ان الناصية ، وهو مطرد في مواضع معروفة " (٥) .

٥ - الغالب : وذلك نحو " يمتاز ميمير (كأي) ، بأنه مجرور بمن غالبا ، حتى رعم ابن
عصفور بروم ذلك " (٦)

٦ - القليل : من تلك أن " قد الاسمية تستعمل على وجهين ، مبدية وهو الغالب لشبهها
بـ(قد) الحرفية في لفظها ، ولكثر من الحروف ومُعربة وهو قليل " (٧)

(١) المر محشري ، الكشف ، دار الكتب العربي ١٩٨٦ ج ٤ ، ص ٦٥٨

(٢) معني النسيب ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد القاهرة ، مطبعة المدني ، ج ١ ، ص ٨٥

(٣) السايو ، ج ٢ ، ص ٦٣٣

(٤) السايو ، ج ٢ ، ص ٦٤٥

(٥) السايو ، ج ٢ ، ص ٦٤٥

(٦) النسيب ، ج ١ ، ص ١٨٦

(٧) السايو ، ج ١ ، ص ٧٠

٧ غريب جداً : وذلك نحو ما ورد في المعنى " من معاني الكاف المبادرة وذلك إذا
 اتصلت بـ (ما) في نحو سلم كم نحل ، وصر كما يحل الوقت ، ذكره ابن الحبار
 في النهاية ، وأبو سعيد السيرافي وغيرهم ، وهو غريب جداً " (١)
 ٨ الثعلب ، وذلك نحو " حلف ان الناصبة ، وهو مطرد في مواضع معروفة ، وشاء في
 غيرها " (٢) .

ولا يحق أن استعمال هذه التعبيرات ، يشير إلى حصول فكرة الإحصاء في
 هذه النحاة ، بيد أن الإحصاء لا يشكل بُعداً منهجياً عندهم ، وبذلك لملاحظات أهمها ما
 يأتي

١ عدم استقرار النحاة في تعريف محدد لهذه الألفاظ ، إذ لم يوضحوا مرادهم
 بـ (الكثرة) ، أهى الكثرة العددية بين أفراد القبيلة الواحدة أم القائل جمعاء ؟ ، أهى الكثرة
 النسبية القائمة على الاستقرار التام و العدد واستحراح النسبة ؟ فإذا كان الأول ، فما حذوها ؟
 أهى ثلاثة أم خمسة أم عشرة أم مائة ؟ وإذ كانت الثانية فما نسبة الكثير ؟ وهل يمكن إجراء
 النسبة في كل ظاهرة لغوية ؟ لقد طلت هذه الألفاظ موضع غموض عند النحاة ، وما يطرأ
 تفسير ابن هشام ، فيما نقله عنه السيوطي يمثل اتفاقاً بين النحاة ، وما هو مجرد اجتهاد
 منه لتفسير تعبيرات غامضة يكثر نردها ، يقول ابن هشام " أعلم أنهم يستعملون غالب
 وكثيراً وسدراً و قليلاً ومطرزاً ، فالمطرز لا ينحلف ، والغالب أكثر الأشياء ، ولكنه ينحلف ،
 سوى الكثير دونه ، والقليل دونه ، والندر أقل من القليل ، والعشرون بالنسبة إلى ثلاثة
 وعشرون غالب ، والخمسة عشر بالنسبة إليها كثير ، لا غالب ، والثلاثة قليل ، والواحد
 نادر " (٣)

(١) السيوطي ، المرمر ج ١ ٢٧٥ ، انظر معنى اللبيب ، ج ١ ، ص ٢٩

(٢) السيوطي ، المرمر ج ١ ، ص ٢٧٥

و انظر معنى اللبيب ، ج ٢ ، ص ٦٤٥

(٣) السيوطي ، المرمر ج ١ ، ص ٤٣٤

وسكر بعصر النحاة أن " الفرق بين العالب والكثير أن ما ليس بكثير نادر ، وكل ما ليس بعالب ليس نادر " (١)

ومن النحاة من ساوى بين مصطلحات الأصل والمطرّد والكثير والأكثر والعالب ، وهناك من ساوى بين الشّدّ والقليل والأقل والنادر .

٢ عدم اعتماد إشاراتهم الإحصائية أساساً يستند إليه قياسهم ، ذلك أن البصريين قاسوا على المثال الواحد كسببتهم إلى فعولته على فعلي ، مع أن ذلك لم يرد عن العرب ، لا في مثال واحد ، ولا هو شذوذة وشئني ، مع أن النحاة يدركون أن هذا القياس محصور في مثال واحد ، فقد عتب ابن جني على هذا النوع من القياس بقوله ' إن الذي جاء في (فعولة) ، هو هذا الحرف ، والقياس فائله ، ولم يأت فيه شيء يقصصه ، وإذا قاس الإنسان على جميع ما جاء ، وكان أيضاً صحيحاً في القياس مقبولا ، فلا غرو ولا ملام " (٢) في حين أنهم يعترفون بأن (فعيل) بمعنى (مفعول) كثير في لسان العرب ، إلا أنهم لا يجيرون القياس عليه

وهكذا نرى أن هذا النوع من الحصر عند القدماء ، يقوم على أساس انطباعي تعسيفي ، أكثر من قيامه على أساس رقمي ، كما يفهم في العادة من المصباح الإحصائي ، وهذا التعقيب ، قد يتجه أحياناً إلى التعبير الرقمي ، ولكنه في العالب يستند إلى خبرتهم باللغة

اللهجات :

شكل اهتمام النحاة باللهجات العربية حيطاً منهجياً وصعياً ، تناسب مع وعيهم للمستوى اللغوي الفصيح الذي يدرسون ، ومن ثم جاءت دراستهم للهجات رافداً من روافد فهم هذا المستوى ، وقد تمثلت دراسة النحاة للهجات في ملامح وصعياً أهمها :

١ محاولة الإمام بالطواهر اللهجية ، ووسمها بسمّة بارزة فيها ، وذلك نحو قولهم كسكسة نكر ، وغممة فصاعة ، وطمطمانية حمير ، يروي الجاحظ أن أول من لقب اللهجات بالعب صميرة رجل من (جرثم) ، كان يجلس في مجلس معاوية بن أبي

(١) السيوطي ، المر مر ج ١ ص ٢٣٤

(٢) الحصائير ، ج ١ ، ص ١١٦

سعبان، " وقال معاوية يوم من أفصح الناس ^٤ فقال قائل. قوم ارتفعوا عن لحاحنية
العرات ، وثيامنوا عن كسكسة بكر ، بيست لهم غصمة قصاعة ، ولا طمطمائية
حمير ، قال: من هم ؟ قال : قريش ، قال. فمن أنت ؟ قال . من جرم، قال: اجلس " ^١
٢ تعريف هذه الظواهر اللهجية، نحو تعريفهم لطاهرة الاستنطء، مع ذكر الشواهد
عليها ^(١) ، وهي عبارة عن جعل العير الساكنة نوباً إذا جاورت الطاء ، ومن الشواهد
القرآنية لهذه الظاهرة ، (يا أنطيناك الكوثر) ^(٢) وجاء في الشعر ، قول لأعشى ^(٣) .
حياتك في القبط في نعمة تصان الجلال وتطلى الشعر
وعريفهم للثلاثة ، على أنها كسر حرف المصاعدة ، وعراه صاحب لسان
العرب إلى كثير من القبائل فقال " وتعلم بالكسر ، لغة هبس وتميم ، واسد ، وربيعة ،
وعامة العرب ، وأما أهل الحجاز ، وقوم من أعجاز هوار ، وأرد السراف ، وبعض
هذيل فيقولون : تعلم و القرآن عليها ، ورعم الأحفش ، أن كل من ورد علينا من الأعراب
لم يقل إلا (تعلم) ، بالكسر " ^(٥)

على أننا نلاحظ أن وفوف النحاة على طاهرة اللهجات، لم يكن وقوفاً متحصصاً،
وإن كان يبنى بحيط منهجي وصفي ، ولعل سبب ذلك، أن النحاة كانوا معينين بالتفعيد
للمستوى اللعوي الذي برز به القرآن الكريم ، والذي يعد المستوى الأمثل للفصحى ، وقد
شاع على لسان قريش التي عُنيت أفصح العرب ، يقول ابن فارس " أجمع علماء بكلام
العرب والرواة لأشعارهم، والعلماء بعباتهم وأيامهم ومحلهم ، أن قريشاً أفصح العرب
ألسنة وأصفهم لغة ، وذلك أن الله جل ثناؤه اختارهم من جميع العرب ، واصطفاهم
واختار منهم نبي الرحمة، محمد صلى الله عليه وسلم، فجعل قريشاً قطار حرمه، وجيران

(١) الجحظ ، البيان و التبيين ، تحقيق عبد السلام هارون ، ط ٢ ، مطبعة نجدة للتأليف والنشر ، القاهرة ، ١٩٦١ ،
ج ٣ ، ص ٢١٢

(٢) السيوطي ، لاقتراح تحقيق محمد قاسم ، مطبعة المصباح ، ١٩٨٦ ، ص ٨٢ وأنظر المرمر ، ج ١ ، ص ٢٢٢

(٣) سورة الكوثر ، وهي قرء الحسن وطلحة بن مصرف ، أنظر تفسير القرطبي ، القاهرة ، ١٠٦٧ م ،
ج ٢ ، ص ٢١٦

(٤) بيوان الأعشى ، بيروت ، ١٩٦٠ م ، ص ٩٩

(٥) ابن منطوق ، معنى العرب ، مائة (علم)

بيته الحرام وولاته ، فكانت وهوب العرب من حجاجها وغيرهم ، يقدون إلى مكة للحج ، يتحاكمون إلى قريش في أمورهم ، وكانت قريش تعلمهم مناسكهم ، وتحكم بينهم ، وكانت قريش مع فصاحتها ، وحسن لغتها ورقة ألسنتها ، إذا أتتهم الوفود من العرب ، تحيروا من كلامهم وأشعارهم أحسن لغاتهم ، وأصغى كلامهم فاجتمع ما تحيروا من تلك اللغات إلى حائزهم وملائقهم التي طبعوا عليها ، فصاروا بذلك أفصح العرب ^(١) .

وبقول السيوطي . " ارتفعت قريش في الفصاحة عن سبعة نعيم ، وقلقلة يهراء وكسمة ربيعة ، وكشكشة هوراء ، ونصجيع قيس وعجرفيه صبة " ^(٢) .

ومن ثم كان اهتمام النحاة باللهجات بعدد حاجتهم لفهم الظواهر اللغوية الموجودة في المستوى القرآني الذي يدرسون ، ومن ذلك

١ حرجو بعض النبوذ التي جاءت مُعَيَّرَةً بما عليه الفصحى ، من خلال تعريفهم إلى النهجيات ، وبذلك نحو طهارة إلزام بعض القبانل المثنى علامة واحدة ، في حالات الرفع والنصب والجر ، وقد أثرت هذه اللهجة عن قنينة بلحارث بن كعب ، وأثرت عن كتابة وقيل " أنها أثرت عنهما " ^(٣) وعن حنعم وزيد ^(٤) ، ومن هذه الشواهد ، قراءة (إن هذان سحرا) ^(٥) ، وحُرِجَتْ عليها بعض أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم ، نحو : (لا وتران في ليلة) ^(٦) ، وبعض الشواهد الشعرية نحو :

إن أباه وأبا أباها قد نلعت في المجد غايبها ^(٧)

(١) ابن فارس ، الصحاح في لغة اللغة ، ص ٢٣

(٢) السيوطي ، المبرر في علوم اللغة ، ج ١ ، ص ٢٨

(٣) ابن هشام ، معني اللبيب ، ج ١ ، ص ٣٦

(٤) شرح مشهور الذهب ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، ط ٤ ، ١٩٤٨ ، ص ٤٦

(٥) قال ابن بعث في شرح المفصل ، بيروت ، ج ٣ ، عالم الكتب ، ٢٠٠٠ ، ص ٣٠ ، قوله تعالى " إن هذان سحرا " .

همل الألف فيها أن تكون نقة يعني الحارث في جعلهم المثنى بالألف على كل حال

(٦) السيوطي ، الجمع ج ١ ، ص ٤

(٧) السيوطي ج ١ ، ص ٤٠

وانظر شرح الكافية ، ج ٢ ، ص ١٦١

وكذلك أشاروا في باب الممنوع من الصرف، إلى أن قبيلة اسد كانت (مصروف الوصف على وزن فعّال) (١) ، وهي بذلك تعرب أمثال سكران وغصبان وعطشان وحيران) ، بالحركات الثلاث وذلك نحو (٢)

النجم حيران

طست النجم حيراناً

وإذ كان العلم المؤنث على وزن (فعال) ، نحو حدام ورقاش فقد كان يبدو نميم بمنعوه من الصرف فيقولون :

كتبت حدام

صسقوا حدام

أرسلت لحدام

بينما كان الحجار يور يبنونه على الكسر ، فيقولون

كتب حدام

صسقوا حدام

أرسلت في طلب حدام

وجاء على لعنتهم في الباء على الكسر

إذا قالت حدام فصسقوها فإن القول ما قالت حدام (٣)

و أشاروا إلى أن قبيلة هذيل تعرب الاسم الموصوف ، عربات جمع المنكر السالم، يرفع بالواو ، ويُصب ويُجر بالياء ، من تلك قولهم :

(١) ابن بجش ، شرح المفصل ج ١ ص ٦٦

و انظر ابن السكيت اصلاح المتعلق ص ٣٥٨

(٢) انظر بهاء الموسيقى في تاريخ العربية ص ١١٥

(٣) سيبويه الكتاب ج ٢ ، ص ٤٠

و انظر الميرد المفتصب ج ٣ ص ٤٩ ، و البيت للجيم بن صعب والد حنيفة ، وعجل بن بكر ، وحدام هي ربه جده

وبنو نويجية الدون هم مُفسطُ مخدمة من الحرّاس^(١)

بحر الدون صبحوا الصبحا يوم التحيل غاره ملحاحا^(٢)

٢ اسهمت معرفتهم باللهجات، في تفسير بعض للظواهر اللغوية كالتصاد والترادف،
فروا ان طاهرة الترادف قد تكون نتيجة لأن تصع إحدى القبيلتين أحد الاسمين،
والأخرى الاسم الآخر للمسمى الواحد، من غير ان تشعر حداثتهما بالأخرى، ثم يشهر
الوصف^(٣).

وقد يكون نتيجة نطق القبائل للكلمة الواحدة مُبدلة صوتاً مكان صوت آخر، ومن
ثم "تقارب اللفظتان في اللغتين لمعنى واحد، حتى لا تختلف إلا في حرف واحد، ومن
أمثلة الإبدال الأيم والأين للحيّة، وفاء الدار وثاء الدار، ومن أمثلة القلب، ربص
ورصب وصاعقة، وصافعة، وعميق، ومعيق"^(٤)

وروى ابن جني عن الأصمعي، قال: "اختلف رجلان في الصعر فقال أحدهما
لصعر بالصاد، وقال الآخر السقر (بالسين) فتراصباً بأول وارد عليهما، فحكيا له ما
هما فيه، فقال: لا أقول كما قلتما إنما هو الرقر"^(٥).

ويلتقي النحاة في هذا التصور الذي يؤول إلى أن يكون سبباً من أسباب طاهرة
الترادف، مع رأي دار مستتر "Darmesteter" بقوله "إن بعض الألفاظ مع تكوينا
وتوارثها على الألسنة تأخذ شكلين مختلفين، يصبحان مع الاستعمال منزهين"^(٦)
وتقليب النحاة لمتل هذه الطاهرة، يدل دلالة واضحة على فهمهم للحظ المنهجي
الذي يسير على هديه، فقد أشاروا إلى أن الترادف الحقيقي ينبغي أن يكون في بيئة
لغوية محددة زماناً ومكاناً، وهم بذلك أرسوا معلماً مهماً من معالم المنهج الوصفي

(١) ابن خالويه، بعرب ثلاثين سورة، مطبعة دار الكتب المصرية ١٣٦٠ هـ، ص ٣٠

(٢) السيوطي الهمع ج ١، ص ٨٣

وانظر ابن هشام، أوضح المسالك ج ١، ص ١٠١

(٣) السيوطي، المراد ج ١، ص ٤٠٥ - ٤٠٦

(٤) السابق، ج ١، ص ٢٦٣

(٥) الحصائص ١، ص ٣٦٤

(٦) حسن ظلفظ، كلام العرب دار المعارف، ١٩٧١، ص ١٠٣

ونذكر ابن جني ، ' وما اجتمعت فيه لغتان أو ثلاث أكثر من أن يحاط به. وقد ورد شيء من ذلك كأن يجمع في لغة رجل واحد لغتان فصيحتان فإن كانت اللفظتان في كلامه مساويتين في استعمال كثيرتهما واحدة ، فإن أحلق الأمر به أن تكون لغة في الأصل إحداهم ، ثم إنه استفاد الأخرى من قبيلة أخرى ، فلحققت لطول العدة واتصال استعمالها بلغته الأولى ' (١) ، وأصح أن ابن جني يبحث الترادف من زاوية وقوعه في قبيلة واحدة ، ثم يصنع الموارد أو الاحتمالات التي كانت سببا في وجود هذه المترادفات في هذه البيئة ، وصمم هذه اللهجة ، وبذلك فقد تكون رؤيته أكثر دقة وحصرًا والنظر بالمنهج الوصفي

عناصر الموقف الكلامي :

أ - التنعيم .

من مظاهر الوصفية استحصار النحاة لعناصر الموقف الكلامي، من سامع ومتكلم وظروف عامة ، فقد اعتنى النحاة بطريقة نطق المتكلم، بما قد يكون فيها من تلويحات صوتية، سواء هي ذلك ما كان مركزا على الكلمة ، وهو ما عرف بالنبر، وعدًا من وظائف الميزان الصرفي ، أو ما كان مركزا على الجمل، وهو مرتبط بالمعنى العام المراد إيصاله إلى السامع بهدف إبراز معلومة جديدة أو تأكيدها ، هي الجملة ، وهذا ما عُرف بالتنعيم .

والذي يعيبها هو بيان دور القدماء في الإشارة إلى التنعيم ، فقد أدركوا تماما دقائق التلويحات الصوتية التي تظهر في نطق الجملة ، وهي تنقل المعنى أو الدلالة من مستوى دلالي إلى مستوى آخر ، وقد عذها النحاة أحياناً مسوغاً لحذف في الجملة، وهذا ما عبر عنه ابن جني بجلاء ، فقد نصف الصفة أحياناً ، ويدل عليها الحال ، وذلك فيما حكاه سيبويه (٢) من قولهم . سير عليه ليلٌ ، وهم يريدون ليل طویل ، قال ابن جني 'وكان هذا إنما حدث فيه الصفة لما دل من الحال على موضعها ، وذلك أنك نحس في كلام القائل ، لذلك من التطويح والتطريح والتفحيم والتعظيم ما يعوم مقام قوله طویل أو

(١) الخصائص ، ج ١ ، ص ٣٧٢

(٢) الكتاب ج ١ ، ص ١٠٥

بحو ذلك ، وأنت تحسُّ هذا من نفسك إذا تأملتَه ، وذلك أن تكون في مدح إنسان والثناء عليه، فتقول : كان والله رجلاً ١ فنريد في قوة اللفظ (الله) ، ونتمكن في سطيظ اللام وإطالة الصوت بها (وعليها) أي رجلاً فصلاً أو شجاعاً أو كريماً أو نحو ذلك، وكذلك تقول - سألده فوجدناه إنساناً ! ونمكن الصوت بـ (إنسان) ونعجيمه، فنسعي بذلك عن وصفه بقولك : إنساناً سمحاً أو جواداً أو نحو ذلك ، وكذلك إن دممه ووصفنه بالصبر قلب سألناه وكان إنساناً ! وتروي وجهك ونقطته ، فبعضي ذلك عن قولك : إنسان نيم أو لحر أو مبخل أو نحو ذلك ٢

إن ملاحظة الأمثلة التي ذكرها ابن جني للاعتماد على ما وصفه بالتطويح والنضرب والتعجيم والتعظيم وزيادة قوة اللفظ ، والسكين من النمطيظ وإطالة الصوت بالحرف المعين عليه يكشف أنه لا يعني بكل هذه الصفات إلا ما يعينه المحدثون بالتعجيم Intonation ، الذي يؤدي وطيفة نحوية ودلالية في الجملة ٣ .

وقد عبر ابن جني في نص آخر عن التعجيم ، وإن لم يذكره لفظه وإنما سكره بـ جرداءاته ، فتصم الأسفهام والتعجب لا وسيلة لحدوثه إلا بصورة تعجيمية ، وشواهد هذا الأسلوب كثيرة في استعماله ، فحيانا يعبر عن تعجبا ودهشة بصيغة سؤال لا يريد به الاستفسار ، أي خرج العبارة في صورة تعجيمية هابطة كقولنا لا أدري كيف يختلف العرب وهم أحوة في الدين واللغة ٤ فنحن لا نريد بذلك الاستفسار ، وإنما نريد إكثار الأمر بصيغة مبغمة يحتلظ فيها الاستفهام والتعجب ، وهذا التلوين الصوتي هو الذي يفهم نسمع المقصود فلا يباشر في الإجابة ، يقول ابن جني " لفظ الاستفهام إذا صامه معنى التعجب استحال خبراً وذلك نحو قولك : مررت برجل أي رجل ، فأنت الآن محير بتدهي الترحن في الفصل ، وليس مستقهماً ، وكذلك مررت برجل أي رجل ، لأن ما رأتده ،

(١) الخصائص ، ج ٢ ، (ص ٣٧٠ ٣٧١)

(٢) عبد الكريم مجاهد الدلالة النحوية عند العرب مطبعة النور عمان ، ١٩٨٥ م ص ١٨٠

وانظر محمد حماسة ، النحو ، الدلالة ، القاهرة ، ١٩٨٣ م ، ٣٤

. وكقول الله سبحانه : (أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ) ^(١) إذا لحقته همزة التثنية عاد نفياً ، أي ما قلت لهم " ^(٢) .

وعلى أساس من التثنية، كان للبلاغيين أن يميزوا بين ألوان من الاستفهام والشرط والتعجب والقسم

ويلتقي ابن سيب مع ابن جني، في التعبير عن التثنية وأثره الدلالي ، هين " أن الكلام مردوح تركيبه من الحروف، ومما يفترون به إلى جانب الحروف من هيئة ونعمة" ^(٣)

وقد عُدَّ نعم الجملة، ذا وظيفة تمييزية من حيث الدلالة الإبلاغية، ويؤدي أحيانا سوراً وطيفاً على صعيد البنية النحوية ، ولا سيما (في أقسام اللفظ المركب) ، فيجب أن لا تتحلل هذه الأقاويل الطويلة، إلا البنيات التي لا يدعم فيها ، وإنما يراد بها الإمهال فقط، وربما احتيج أن تحلل الألفاظ المفردة ، إذا كانت في حكم القصايا ، خصوصاً حيث تكون سبيل الشرط والجراء.

ويصنف ابن سيباً موصفاً دلالة النبر والتثنية بشكل أكثر جلاء بقوله " بالنبرة يتحدد طابع الجملة، إن كان بدءاً أو تعجباً أو سؤالاً " ^(٤)

ويلاحظ أن هناك تداخلاً في فهم ابن سيباً للنبر على مستوى الكلمة ، والنعم على مستوى الجملة ، فهو يجعل النبر ، مكوناً من مكونات النعم، الذي يقسمه إلى ثلاث هي (الحدة ، والنقل ، والنبرات) ^(٥) ، ولكنه عسماً يوفق في النبرات بعبر عنها تعبيراً دقيقاً بقوله " ومن أحوال النعم النبرات ، وهي هيئات في النعم مثنية، غير حرفية يبتدئ بها نبرة ، وتحلل الكلام تارة ، وتعقب النهاية تارة ، وربما تكثر في الكلام، وربما تقل، ويكون فيها إشارات نحو الأغراض ، وربما كانت مطلقة للإشباع، وتعريف القطع وإمهال السمع لينتصروا ، ولتفحيم الكلام ، وربما أعطيت هذه النبرات ، بالحدة والنقل،

(١) سورة المائدة ، الآية ١١٦

(٢) الخصائص ، ج ٣ ، ص ٢٦٩

(٣) انظر : أي بن سيب هذا في عبد السلام المسدي ، للتفكير اللساني في الحضارة العربية ، ص ٢٦٤ - ٢٦٥

(٤) انظر : عبد السلام المسدي التفكير اللساني في الحضارة العربية ص ٢٦٥

(٥) السبقي ص ٢٦٥

هيات تصوير بها دالة على أحوال أخرى من أحوال القائل ، أنه متحيز أو غصبي، أو تصوير به مستدرجة للمقول معه بتهديد أو تصرع أو غير ذلك ، وربما صارت المعاني مختلفة باختلافها ، مثل أن البرة قد جعل الحير استفهاماً ، والاستفهام تعجباً وغير ذلك^(١) .

ب البعد الاجتماعي :

شكلت الدلالة الاجتماعية حيطاً سهجياً وصعباً عند نحاة العربية، أي تلك الدلالة المترتبة على سياق الحال " context of situation " الذي يحدد الإطار والبيئة للحدث، ويحيط بالظروف و الملابسات التي صاحبته .

يقول ابن جني : ' و الذي يدل على أنهم قد أحسوا ما أحسنا، وأرادوا وقصدوا ما نسبنا إليهم من إرادته وقصده ، شيئان : أحدهما حاصر معنا ، والآخر غائب عن ، إلا أنه مع أسى تأمل في حكم الحاصر معنا ، فالعائب ما كانت الجماعة من علمائنا تشاهده من أحوال العرب، ووجوهها، وتصدر إلى معرفته من أغراضها وقصورها، من استحقاقها شيئاً أو استنقاله، وتقبله أو إنكاره والأنس به و الاستيحاش منه ، والرصا به أو التعجب من قائله، وغير ذلك من الأحوال الشاهدة بالقصود ، بل الحالفة على ما في النفوس " (٢) . وهو يستعين في بيانه لما قصده العرب، بما يشاهده من أحوال المتكلمين ووجوههم ، ممن أتاحت له رؤيتهم في أثناء حديثهم، أو يستعين بما نقله العلماء عن أحوال المتكلمين وسجلوه عن لم يحصر حديثهم ، وبذلك تكون الدلالة الاجتماعية رافداً من الروافد المهمة في درس الطاهرة اللغوية ، إذ لم تعتمد اعتماداً تاماً منقطعاً على ملاحظة الشكل الكلامي . وكذلك فقد أشار ابن جني إلى أهمية الحدث غير الكلامي، إضافة إلى الحدث الكلامي، في إدراك المعنى، فهو يرى أن التصرفات التي تبدر ، والملاحج التي تتشكل على الوجه تصور ما في النفس تصويراً يقسم على صدق القول ، ويوضح ذلك بقوله : " ألا ترى إلى قوله

نقور - وصكت وجهها - بيمبها أنعلي هذا بالرحى المتقاعس ؟

(١) السابق ، ص ٢٦٦

(٢) الحصائص، ١ ٢٥٥

والذي سمع كلامها مباشرة ، أي قولها (أبلي هذا بالرحى المتقاعص) ، وشاهدهم نصك
وحبها بيدها في الوقت نفسه ، سيكون أشد تأثيراً ، وبحالها أكثر معرفة بفعل هذين
الحدثين (١)

بل بذهب ابن جني إلى أبعد من ذلك ، فيرى أن الحال المشاهدة (الحدث غير الكلامي) ،
يمكن أن ينوب عن اللفظ ، ويكون له تأثيره في بيان المعاني اللغوية ، التي تترتب عليها
المعاني الدلالية ، يقول : " ومن ذلك ما أقيم من الأحوال المشاهدة مقام الأفعال الناصبة ،
من ذلك أن ترى رجلاً ، قد سدّد سهماً نحو العرمص ، ثم أرسله فتسمع صوتاً فتقول :
"القرطاس والله ، أي أصاب القرطاس ، وأصاب في حكم الملقوط به النتة ، وإن لم يوجد
في اللفظ ، غير أن دلالة الحال عليه ثابت من باب اللفظ به ، وكذلك قولهم لرجل فهو بسيف
في يده ريداً ، أي أصرب ريداً ، فصارت شهادة الحال بالفعل بدلاً من اللفظ به " (٢) .
" وعلى هذا ينحرج عندهم ، حذف فعل القسم ، وذلك أن للقسم أدوات توصل الحلف إلى
المقسم به ، لأن الحلف مصمر لعلم السامع به " (٣) .

بل نعل ظهيرة الحذف ، من أكثر الظواهر التي تستبطن النحاة فيها النصوص اللغوية ،
وجمعوا في تفسيرها بين التفسير للعوى وملاحظة السياق ، من ذلك تقديرهم للحذف في
قول العرب : " أتميماً مرة وقيسياً أخرى " بما يتناسب مع حروح صيغة الاستفهام إلى
معنى التوبيخ ، قال سيبويه ، " وإنما هذا أنك رأيت رجلاً في حال تلون وتنقل ، فقلت :
أتميماً مرة وقيسياً أخرى ، كأنك قلت : أتحوّل تميمياً مرة وقيسياً أخرى ، فإنك في هذه
الحال تعمل في تثبيت هذه له ، وهو عندك في تلك الحال في تلون وتنقل ، وليس يسأله
مسترسداً عن أمر هو جاهل به ليفهمه إياه ويحبره عنه ، ولكنه وبّحه بذلك " (٤) .

وكذلك قثروا ناصباً ، إذا ورد اللفظ منصوباً ، دون ذكر ناصب بقاء على قرينة

(١) الحصانص ٢٤٥/١ و الشاعر هو نعيم بن الحارث بن يربد السعدي

و المتقاعص الذي ينزع صدره إلى الأمام و الحلف بصورة متوالية

(٢) السابق ، ومطر المبرد المفتصب ج ٢ ، ص ٨١

(٣) المبرد ، المفتصب ج ٢ ، ص ٢٠٨

(٤) للكتاب ج ١ ، ص ٣٤١

لفطبة أو حالية كم في قولهم أهلاً وسهلاً ومرحباً، تقديره، وجدت أهلاً، وسلكت سهلاً،
وصادفت رحباً، وقد حذف الفعل لكثرة الاستعمال، والدلالة القريضة عليه^(١)

وأشهر من حسي إلى ضرورة الإحاطة بالأشياء الوثيقة الصلة بالموقف الكلامي، وصرب
مثلاً لذلك بعوله " وكذلك قول الآخر : قلب لها قفي لنا قالت : قاف ، لو نقل إليها هذا
الشعر شيئاً آخر من جملة الحال ، فقال مع قوله " قالت قاف (وأمسكت برمام بعيرها)
، لكان أتيقن لما كانوا عليه ، وأدلى على أنها أرادت وقعت أو توقفت ، دون أن يطرأ
أنها أرادت ، ففي لنا يقول لي : قفي لنا ! متعجبة منه ، وهو إذا شهدها وقد وقعت،
علم أن قولها (قاف) بجابة له ، لا رد لقوله وتعجب منه في قوله (قفي لنا)^(٢)

وكذلك فقد أدرك ابن السراج قيمة الموقف الكلامي في فهم الظاهرة اللغوية ، من ذلك
مكره لغيمه السياق في فهم دلالة بعض الأمثال نحو قول : رفع عقيرته : إذا رفع صوته،
فهو بهت شتى لقولهم (ع ، ق ، ر) من معنى الصوت لبعده الأمر جداً ، وإنما هو أن
رجلاً قطعت إحدى رجله ، فرفعها ووضعها على الأخرى ، ثم نادى وصرح بأعلى
صوته ، فقال الناس رفع عقيرته ، أي رجله المعقورة^(٣)

ومن الأدلة على أن اللغة لا تنفك عن السياق الاجتماعي، إضافة إلى بنائها الداخلي، أن
سبويه اعتبر موقف الاستعمال هيئلاً لصحة التركيب النحوية وحطتها ، فقد يكون
التركيب صحيحاً في موقع ، وربما لا يكون كذلك في موقف آخر ، مثال ذلك قول
سبويه " . وذلك أن رجلاً من إخوانك ومعرفتك لو أراد أن يحريك عن نفسه أو عن
غيره بأمر ، فقال : أد عبداً لله مطلقاً ، وهو يريد مطلقاً كان محالاً ، لأنه إنما أراد أن
يحريك بالانطلاق ، ولم يقل هو ، ولا أنا ، حتى استعيت أنت عن التسمية ، لأن هو ،
وأنا ، علامتان للمصمر ، وإنما يصمر إذا علم أنك قد عرفت من بعني ، إلا أن رجلاً لو
كان حلف حائط أو في موضع جهله فيه قلت من أنت ؟ فقال : أنا عبد الله مطلقاً في
حاجتك ، كان حساً^(٤) .

(١) الكتاب ج ١ ص ٢٩٥

(٢) الحصائر ج ١ ص ٢٤٦

(٣) السيرة ١ ص ٢٤٨

(٤) الكتاب ج ٢ / ٨ ص ٨١

ومن الأمل الذي يشير إلى براك النجاة لاندغام اللغة في نظامها الداخلي الخاص، بالحب في مجالها الخارجي العام، أنهم احتفوا بالمواضع المنقطة بين النظام اللساني، ونظم الوجود الخارجي، فاعسروا من المؤنث الحقيقي أقوى من المؤنث المجازي، لأنه اجتمع له التأنيث من وجهين، داخلي لعوي، وخارجي وجوي، يقول الريحسري "والتأنيث على صريين: حقيقي كتأنيث المراه والناقة وحوهما من بزرائه ذكر من الحيوان، وغير حقيقي كتأنيث الضئمة والسعل وحوهما، مما يتعق بالوضع والاصطلاح، والحقيقي أقوى . . . (١) . من إلى النجاة التفتوا إلى 'حال الطفس'، وما يكون له من أثر في فهم التراكيب اللغوية، من ذلك ما قاله الريحسري "ولا ستعمل" إن "إلا في المعاني المحتملة المشكوك في كونها، ولذلك قبح . إن طلعت الشمس، أنك . إلا في اليوم المعجم" (٢)

وقد عدوا علم السامع منوعاً للخب . فهو ينعو عندهم حرف المبتدأ ، واسم لا النافية للجس ، وحر (إن وأحواتها) ، وصلته الموصول والمعطوف ، والمفعول . . يقول ابن السراج ، "والمحدوفات في كلامهم كثيرة ، والاختصار في كلام الفصحاء كثير ، موجود إذا أسوا بعلم المحاطب ما يعون" (٣)

وقد أدركوا أهمية اللغاء بين المتكلم والسامع في الموقف الكلامي، وما قد يصدر عن المتكلم من إشارات، ربما كانت أبلغ في الدلالة من الكلام نفسه ، يقول ابن جني "فلو كان سماع الأذن معيب عن مقابلة العين مجرباً عنه ، لما تكلف الفائل، ولا كلف صاحبه الإقبال عليه ، والإصغاء إليه . وعلى ذلك قالوا "رب إشارة أبغ من عبارة ؛ وقال لي بعض مشايخنا (رحمه الله) أن لا أحسن أن أكلّم إنساناً في الطلّمة" (٤) ومن ثمّ يستطيع القول، إن الالتفات إلى السعد الاجتماعي في دراسة الظاهرة اللغوية، حاضرة في أدهان النجاة، وهو بشكل حيّط منهجياً وصفيّاً، استعانوا به في دراسة الظاهرة اللغوية، وأنه ليس من مستحدثات هذا العصر

(١) المقصود ، ص ٨٢

(٢) الريحسري المقصود ، ص ١٥٠

(٣) ابن السراج لأصوب في علم النحو ، تحقيق عبد الحميد العقلي مؤسسه الرسالة ، بيروت ج ٢ ، ص ٣٤١

(٤) ابن جني الخصائص ، ج ٢ ص ٢٤٧

المبحث الثاني الاتجاه العقلي

يستمد هذا الاتجاه تكوينه من ثلاثة رواه هي :

١- الاتجاه العقلي الفلسفي .

٢ الاتجاه العقلي المنطقي

٣ الاتجاه العقلي المعياري

١- الاتجاه العقلي الفلسفي :

١ - أثر الفلسفة الإغريقية في التفكير النحوي . ربما كان تأثير النحاة القدماء بالفلسفة الإغريقية، من أوائل القضايا التي توحه الدارس عند تحليل هذا الاتجاه ، وهي قضية خلافة بين الباحثين قديما وحديثا ، فمنهم من يُكر هذا التأثير كالأرجاجي حيث قال عندم تحدث عن حد الاسم " الاسم في كلام العرب ما كان فاعلا ، أو مفعولا ، أو واقعا في حيز الفاعل والمفعول به ، هذا الحد داخل في معايير النحو وأوصاعه ، وليس يخرج عنه اسم التثنية ، ولا يدخل فيه ما ليس باسم ، وإنما قلنا في كلام العرب ؛ لأنه له بقصد ، وعليه تنكلم ، ولأن المنطقيين وبعض النحويين قد حده حرجا عن أوصاع النحو ، فقالوا ، الاسم صوت موصوع دالّ باتفاق على معنى غير مقرون برمان ، وليس هذا من الفاظ النحويين ولا أوصاعهم ، وإنما هو من كلام المنطقيين ، وإن كان قد تعلق به جمعة من النحويين ، وهو صحيح على أوصاع المنطقيين ومذهبهم ، لأن غرضهم غير غرضنا ، ومعناهم غير معرانا ، هو عندما على أوصاع النحو غير صحيح ؛ لأنه يلزم منه أن يكون كثير من الحروف أسماء ؛ لأن من الحروف ما يدل على معنى دلالة غير مقرونة برمان نحو - إن ولكن وما أشبه ذلك (١) .

(١) الإيضاح في علل النحو ، تحقيق مازن المبارك ، ص ٤٨

ومن المحدثين من يذكر تأثير النحاة يمسطق اليونان ، فقد ذهب علي النشار إلى أن مسطق النحاة اليونان يُعدُّ تعبيراً عن الروح اليونانية في تطورها إلى الكون، وهي محاولتها إقامة مذهب في الوجود،^(١) وقد رفض الإسلام، علوم اليونان الفكرية رفضاً قاسياً، وحاربها أشد محاربة، وكانت الروح الإسلامية تسند مقوماتها من بيئة مخالفة وجنس مخالف، وتصور حصاري جديد ، فكان من المُحتم أن يكون لها منهج في البحث مختلف أشد الاختلاف عن منهج اليونان ، يسند مقوماته من حصارها العلمية المفسدة^(٢)

ومن الباحثين من يرى أنك " إذا درست فلسفة النحو العربي، وجدت أنه لا يحرر بجوهره عن فلسفة أرسطو في اللغة " (٣) ، وأرى أن التأثير والتأثير، يُعدُّ سمة إنسانية في المجالات الحياتية المنسوجة ، وعلى هذا ، فمن الطبيعي ، أن يدفع علماء سروز أنفسهم ليحنموا لغة عبيدهم بجميع المعارف والمناهج، التي انصهرت في بوتقة المجمع البصري بوجه خاص، إذ كان مردحما يشقى العلوم ، ولا يحفى من راث تلك الفترة أنهم احصعوا بحوثهم للعقل ، ولا سيما أن عرفا إسلامية جديدة ظهرت ، كالحوارح والشيعة والمعتزلة، الذين اطلقوا للعقل العنان في بحث المسائل ، وكذلك فقد قامت مجادلات حادة ، بين هذه الفرق، وغيره كالمرجئة ، والدهرية و القدرية ، ومن ثم فقد كان التفكير المنطقي ، سمة بارزة . ربما كانت معارف الأمم السابقة رافداً من روافدها ، إلا أنها بلا شك طُلت بحمل بصمات فكرية خاصة، تحفظ لعلماء العربية بشكل عام بنورهم المهم في بناء قاعدة المعارف المختلفة، ومن ثم فإني لا أجد مسوغاً لهذه الحدة، في الخلاف الذي شاع بين الباحثين، في هذه المسألة فيجعلهم على طرفي نيفس، وقد كان لبعضهم نظرة تنسم بالמושوعية، وتناسب مع العموص التاريخي الذي يحيط بمسألة التأثير هذه، يقول بروكلمان " إن أوائل علم اللغة العربي ستبقى محوطة بالعموص والظلام ، لأنه لا يكاد يُنتظر أن يكشف النقاب بعد عن مصادر جديدة تعين على بحثها ومعرفتها ، ومن ثم لا

(١) علي النشار ، منهج البحث عند مفكري الإسلام ، دار المعارف بمصر ٩٦٢ ص ٤

(٢) ايسر فريخه ، نحو عربية مبسرة ، دار الثقافة ، بيروت ، ص ٢٣

وانظر مر العويس

حسن عور ، اللغة و النحو ط ١ ، ١٩٥٢ م

ب حمد مختار عمر ، للبحث اللغوي عند اليهود واثراً على اللغويين العرب

يمكن إصدار حكم قطعي مبني على مصادر ثابتة للحسم برأي، في إمكان تأثر علماء اللغة
لأولين بمدح اجنبية... والرأي الذي يتكرر دوماً عند علماء العرب، وهو أن علم
النحو استق من العقلية العربية المحصنة، بعض النظر عن الروابط بين اصطلاحات هذا
العلم ومطلق أرسطو، وفيما عدا ذلك لا يمكن إثبات وجوه أخرى، من التأثير الاجنبي،
لا من القواعد اللاتينية ولا من الهندية (١)

ويقف لبمان موقف وسطاً قائلاً: " ونحن نذهب في هذه المسألة مذهباً وسطاً، وهو أنه
ابتدع العرب علم النحو في ابتداء، وأنه لا يوجد في كتاب سيبويه، إلا ما اخترعه هو
والذين تقمونه، ولكن لما تعلم العرب الفلسفة اليونانية من السريان في بلاد العراق،
تعلموا أيضاً شيئاً من النحو، وبرهان هذا أن تقسيم الكلمة مختلف قال سيبويه فالكلم
اسم وفعل وحرف جاء لمعنى، وهذا تقسيم أصلي، أما الفلسفة فيقسم فيها الكلام إلى اسم
وفعل ورباط، وهذه الكلمات تُرجمت من اليونانية إلى المبرانية ومنها إلى العربية،
فسميت هكذا في كتب الفلسفة لا في كتب النحو، أما كلمات اسم وفعل وحرف، فإنها
اصطلاحات عربية ما تُرجمت ولا نقلت (٢)

وَأرى أن هذا الرأي يتسم بالموصلية، بل أنه لم يُفعل المباح العام الذي شأ فيه النحو،
حيث تأثر تأثراً واضحاً بالفكر الإسلامي، ولا سيما في مراحله الأولى (٣)، ويبدو ذلك من
مظهر متعددة لعل أبررها:

١ - الاهتمام بالصور، وقد مرّ بنا بعض ظواهر عناية السادة بجمعها والإمام بها،
وكذلك حرصهم على مراعاتها عندما يصنعون القواعد النحوية، وبذلك كانت القواعد تمثل
الواقع اللغوي وتصفه، وهذا يتفق مع واقع القياس الأصولي، الذي قام على تقسيم الأدلة
الشرعية إلى:

أ - ما يرجع إلى النقل المحصن

ب - ما يمتد من الرأي المحصن

(١) بروكلمان تاريخ الأدب العربي، ترجمة عبد الحليم الجار، دار المعارف ١٩٦٨ ج ٢، ص ١٢٣

(٢) حمد امير، صدى الأملام طه مكتبة النهضة المصرية ج ٢، ص ٢٩٢

(٣) انظر اسماعيل عميرة، نظريات المستشرقين في نشأة الدراسات اللغوية ص ٤٥ - ٥٠

ثم بعد ذلك قرروا ان كلا الصريين لا يفصل عن الآخر ، لأن " كل واحد من الصريين مفتقر الى الآخر " ، لأن الاستدلال بالمقولات لابد فيه من النظر ، كما أن الرأي لا يعترف شرعا إلا إذا استند إلى النقل " (١)

يتم بعد ان القياس النحوي في مرحلة نالية ، أصبح يطلق من الفكرة العقلية او الصورة الذهنية وليس "النقل الذي يسمح كل فكرة تنبثق منه، ويحص كل صورة لا تمتد عنه " (٢) وقوب التعليل النحوي عندما هو موجود بالفعل من الطواهر ، وممن في القواعد النحوية ، أي أن هدف التعليل مجرد إيجاد مبرر للمتعللين لاستيعاب القواعد ، دون أن يكون لها أثر في صياغة القواعد ، وذلك نحو تقسيم العلة إلى " بسيطة ومركبة " (٣) ، وتحديد مسالك العلة في الإجماع والصن والشبه والطرف وغيره

وكذلك في استعمال بعض المصطلحات الأصولية في جواب محتلة من الحكم النحوي، وذلك نحو واجب وممتنع ، وحسن وقبيح (٤) ، وأما بعد ذلك فقد عرفت العلة لدرجة وصلت معها إلى محاولة النحاة لاكتشاف العلة المؤثرة في الطواهر ، ثم بناء القواعد عليها ، يبدو ذلك من قول السيوطي " إذا استقرت أصول هذه الصناعة ، علمت أنها في غاية الوثاقة ، وإذا تأملت عللها ، عرفت أنها غير مدحولة ، ولا متسمح فيها ، وأما ما ذهب إليه علة العوام من ان علل النحو تكون واهية ومتمحلة ، واستدلهم على ذلك بأنها اب تكون هي تابعة للوجود لا الوجود تابعا فيمعرل عن الحق " (٥)

ب- بعض الأمثلة الدالة على التفكير الفلسفي عند النحاة .

ومن أمثلة الاتجاه الفلسفي ، عند النحاة ، تحليلهم لإعراب الفعل المصارع، وذلك لشبهه بالاسم، فقد سُمي مصارعا لمصارعته للاسم " يبنى مع النوبين لمعارضتها سبب إعرابه، أي شبهه بالاسم " (٦) ، وهذا ربما يلتقي مع ما تمثلوه ، من ثقافتهم أن الدات أهم

(١) الشاطبي الموافقات في اصول الأحكام ، المطبعة السلفية القاهرة ١٣٤٤ ج ٣ / ٢٢٢

(٢) علي ابو المكارم ، اصول التفكير النحوي في الثقافة بيروت ، ١٩٧٣ ص ٨٩ - ٩٤

(٣) السيوطي ، الاقتر ح ، ص ٥٣

(٤) السيوطي ص ١٠ - ١١

(٥) السيوطي ، الاقتر ح ، ص ٤٥

(٦) أبو أنباري ، الاتصال في مسائل الخلاف ، ح ١ ص ٢٣٥

الموجودات، وأن الأحداث تليها في الأهمية، ومن ثم كانت الأسماء، وهي تدل على
سوات أقوى الكلمات، وبلبها الأفعال في قوتها، أما الحروف فهي أضعف الثلاثة، ولما
شبهوا الفعل المصارع، باسم الفاعل في المعنى والعمل، فقد اكتسب قوة الاسم، ولكن
عندما لحقت به نون التوكيد وبنون الإثبات بعد عن هذا الشبه بالاسم، ذلك أنهما لا تتحلاص
على الأسماء، ولما بعد عن هذا الشبه فقد ميرة الإعراب التي اكتسبها من شبهه به
ويبدو التفكير الفلسفي، في جدلهم حول أولية المصدر والفعل، فيرى البصريون؛ أن
المصدر أصل للفعل، ويرى الكوفيون أن الفعل أصل للمصدر.

ويذهب البصريون إلى إثبات رأيهم مذهب فلسفي، إذ يرون أن الفعل يدل على مصدر
ورمان، والمصدر يدل على نفسه فقط، وقد علمت أن المصدر أحد الشيئين اللذين يند
عليها الفعل، وقد صحح في الترتيب أن الواحد قبل الاثنين ويرون أيضاً أن الفعل يصاغ
منه صيغ تدل على أرمته مختلفة نحو (كتب، يكتب، أكتب)، في حين أن المصدر في
جميع ذلك واحد.

ويفترضون أن الفعل أثقل من الاسم، وهو فرع عليه، والفرع لا تد له من أصل يوحد
منه، على أن يكون ذلك الفرع محاكياً للاتصل قائم بنفسه، غير محتاج إلى سواه
ثم أنهم يستدلون بالمعنى المعجمي، فيرون أن المصدر هو الأصل وذلك لتسميته مصدر،
بأنه أن المصدر هو الموضع الذي يصدر عنه، ولهذا قيل للموضع الذي تصدر عنه
الإناء (مصدر)، فلما سمي مصدر، دل على أن الفعل قد صدر عنه (١)

ويبدو التفكير الفلسفي عند النحاة أيضاً، من خلال اعتمادهم على فكرة الحلول والتوحيب،
وهي فكرة فلسفية، كانت أساساً في خلاف الكوفيين في العامل في المفعول به، فقد ذهب
بعضهم إلى أن عامل النصب هو الفعل والفاعل جميعاً، وذهب بعضهم إلى أن العامل
معنى المفعولية، وحجة الذين ذهبوا إلى أنه الفعل والفاعل، هي الفكرة الفلسفية التي تنص

(١) ابن الأنباري، لانصاف في مسائل الخلاف، ج ١، للمسألة الثامنة والعشرون (٢٨)، ص ٢٣٥
وانظر محمد عبد المطلب البكاء، منهج أبي سعيد الميراثي في شرح كتاب سيويه دار الشؤون الثقافية، بغداد،
١٩٩٠، ص ٧٩.

على أنه لا يوجد فعل بدون فاعل ، لأن أحدهما يدور في الآخر ، بمعنى أن أحدهما حلّ في الآخر وتوحد معه ^(١)

ومن ذلك أيضاً استعارة البحاة لبطرية القيص ، من الفلسفة لتطبيقها على بعض العوامل ، فهي مثل ' (إن أمامك ريداً) ، يقول الكوفيون ' " إنّ المحل عندما يجتمع فيه نصاب ، نصب المحل في نفسه ، ونصب العامل ، فعاص أحدهما إلى ريد قصصه " ^(٢) .

ويمكن ردّ أقسام القياس من حيث الاطراد ، والشود إلى فكرة فلسفية ، ذلك أن غاية الفيلسوف هي اتحاد موقف محدد ومثمن ، ومتسم بالاتساق مع مشكلات الفكر والواقع معاً ، وبذلك فإن الحكم الفلسفي يتسم بأمرين

أولهم : أنه يمتد من الصور الذهنية للواقع ، وليس من الأحداث الواقعية .
وثانيهما أنه يتصف بالاطراد النظري ، بحكم امتداده عن الصور الذهنية المنسقة في الفكر ^(٣)

ومن هنا فقد صح عند ابن حسي أن يجعل نوعاً من أنواع القياس "المُطرّد في السماع والشود في القياس" وكذلك "المُطرّد في القياس" ، والشاد في السماع " ^(٤) .

وهذا يشير إلى تفاوت كبير في الحكم بين السماع والقياس ، وهذا دليل على أن الإدراك العقلي للمصوص اللغوية أغنى ، إلى حد بعيد ، عن المسموع والمروي

وهو أسهمت الذرعة الفلسفية ، في خلق أبواب نحوية جديدة ، من تلك باب التنازع ، الذي عثر عنه سيبويه بقوله " هذا باب الفاعلين والمفعولين اللذين كل واحد منهما يفعل بفاعله مثل الذي يفعل به ، وما كان نحو ذلك ، وهو قولك (صريت وصريبي ريداً ، وصريبي وصريت ريداً) ، تحمل الاسم على الفعل الذي يليه ، فالعامل في اللفظ أحد الفعلين ، وأما في المعنى ، فقد يُعلم أنّ لأول قد وقع ، إلا أنه لا يُعمل في اسم واحد نصب ورفع ، وإنما

(١) لأزهري ، التصريح على التوضيح ، دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة ، ج ١ ، ص ٩١

وانظر ابن الأثيري ، الإتصاف في مسائل الخلاف ، مسألة ١١ ، ص ٧٨

(٢) ابن الأثيري ، الإتصاف في مسائل الخلاف ، مسألة ٦ ، ج ١ ، ص ٥١ ، ص ٥٢

(٣) علي أبو المكارم ، تفهيم الفكر النحوي ، دار للثقافة ، بيروت ، ص ٣٥

(٤) الحصانين ٩٦ وما بعده

كان الذي يليه أولى لغز جوارمه، وأنه لا ينقص معنى، وأن المحاطب قد عرف من الأول
قد وقع يريد^(١)

٢ الاتجاه العقلي المنطقي :

يصرّف الدهن عند ذكر المنطق إلى المنطق الفلسفي المتعلق بارسطو، مع أن للمنطق
تعريفات كثيرة عند القدماء ، أمثال الشريف الجرجاني، فقد ربط بين المعايير العقلية
و اللغوية بقوله "المنطق آلة قانونية تعصم مراعاتها الدهن عن الخطأ في الفكر فهو علم
الي "^(٢)، وعرف المنطق أيضاً أنه : "اسم يطلق على العلم الذي ينزس أشكال التفكير،
أي العلاقات التي تعبر عنها اللغة ، بصرف النظر عن الموضوعات التي تنصب عليها
عملية التفكير "^(٣)

ولعل ملامح التفكير المنطقي ، عند النحاة ، تبرز في بعض أشكال القياس ، وبعض
أشكال التعليل

أ القياس المنطقي :

غلب على القياس عند أوائل النحاة الطابع الوصفي ، إلا أنه اتجه بعد ذلك اتجاهاً
شكلياً، يقوم على مدى أطراف الطواهر وشيوعها ، فأصبح يعرف بأنه الحاق الفرع
بالأصل بجامع ، وقد عثر عن ذلك بين الأنباري بقوله : " لا بد لكل قياس من أربعة
أشياء، أصل وفرع ، وعلة وحكم ، وذلك مثل أن تركب قياساً في الدلالة، على رفع ما لم
يسم فاعله، فنقول - اسم ، أسد الفعل إليه ، مقدماً عليه، فوجب أن يكون مرفوعاً قياساً
على الفاعل، فالأصل هو الفاعل و الفرع هو ما لم يسم فاعله ، والعلة الجامعة هي
الإسار ، والحكم هو الرفع "^(٤) ، ومن ثم فإننا نستطيع القول إن القياس بعد القرن الثالث
اتخذ مخرجاً متباينة .

(١) الكتات ، ج ١ ٧٣ - ٧٤

(٢) الشريف الجرجاني التعريف ، ص ، صبيح القاهرة ، ١٩٣٨ ، ص ٢٠٨

(٣) محمود قاسم المنطق ونظريته البحث ، ط ٢ ، مطبعة الأنجلو المصرية ، مصر ، ص ٥٠

(٤) مع الآله ، تحقيق سعيد لافعلي ، مطبعة الجامعة السورية ، ص ٩٣

قياس يلتزم ما ورد من كلام العرب ، من صيغ ، ومفردات وهذا يُعدّ استمراراً لما كان عند النحاة الأوائل كالحليل وسيبويه ، والذي مثله سيبويه بقوله : " وهذا هو القياس ، ألا ترى أنك إذا سمعت قام زيد ، أجرب أنت ، ظرف حالاً ، وحمق بشر ، وكان ما قسنته عرب كالدّي قسنته عليه لأنك لم تسمع من العرب ، (أنت ولا غيرك) ، اسم كل فاعل ومفعول ، وإنما سمعت بعضاً فجعلته أصلاً ، وقسنت عليه ما لم تسمع ، فهذا أثبت و أقيس) (١) .

وما ينطبق على المفردات ، والصيغ عند الحليل وسيبويه ، ينطبق على الاشتقاقات غير المسموعة ، إذ يريان أنه " ما لم يكن من كلام العرب ، فليس له معنى في كلامهم ، فكيف تجعل مثالا من كلام قوم ليس له في أمثلتهم معنى " (٢) .

قياس الاشتقاقات غير المسموعة :

ومن أشهر أعلامه أبي الحسن علي بن سليمان الأحفش (الأوسط) ، فقد ذكر المارسي عنه " أنه كان يجيز أن تنبي على ما بنت العرب ، وعلى أي مثال سألته ، إذا قلت لي ، ابن من كذا مثل كذا ، وإن لم يكن من أمثلة العرب ، يقول : (اما سألتني أن أمثل لك ، فمسألتك ليست بحطاً ، وتمثيلي عليها صواب " (٣) .

وهو وافق أبو علي الفارسي وأن جني في هذه المسألة ، رأي الحليل وسيبويه ، يقول ابن جني " القول في هذا الخلاف - ما ذهب إليه سيبويه " ، وقال الفارسي : " والقياس ألا يجوز أن تنبي على أمثلة العرب ، لأن في بيانك بياها إنحالاً له في كلام العرب " .

ويستورد ابن جني معللاً رأيهم : " وليس لأحد أن يقول ، هلا جاء في الأمثلة ما لم يجي ؟ لأن هذا كان يكون باب غير مُذكر ، وإنما سبيله أن يُذكر ما جاء ، ويُصرب عم لم يجي فلا يُذكر ، إلا أن يكون متدعهم منه لعله ، لأنك إنما تُفسر أحكام لغتهم ، لا ما لم يجي عنهم ، ولأنك لو ذهبت تذكر أحكام ما لم يجي ، لكنت قد شرعت في تفسير ما لم

(١) الكتاب ، ج ١ ، ص ٦٢

(٢) ابن جني المصنف (شرح التصريف) ، تحقيق نيز بهيم مصطفى عبد الله أمين ، القاهرة ١٩٥٤ ج ١٨٠

(٣) السابق ، ج ١ ، ص ١٨٠

ينطق به عربي ، وكان ذلك يكون تحليطاً وهو ساء؛ لأن فيما حرج إلى الوجود شعلا عم هو بق في العدم " (١) .

بيد أن الفارسي وابن جنّي لم يلتزم بعباس الخليل وسيبويه ، بل حرجا عليه كثيراً حتى وصفت كتب أبي علي الفارسي بالعموص ، ولا سيما كتابه (المسائل العسكرية)؛ وذلك "لأنه حشاه بمسائل المنطق ، ومسائل الخلاف ، وأبهمه كذلك خروجاً من تدليل إلى تدليل ، ومن اعتراض إلى اعتراض " (٢) ، ويرى ابن جنّي أن (مسألة واحدة من القياس أنبل وأنبه من كتاب لغة عند عيون الناس ولا يرى ابن جنّي حرجاً في الدعوة إلى الارتجال في القياس - يقول "للإنسان أن يرتجل من المذهب ما يدعو إليه القياس ما لم يلو بنصر أو ينتهك حرمة شرع " (٣) ، ويقول " .. حتى إذا أذاك القياس ما لم تنطق به العرب قط ، فليس لك أن ترمي به ، بل تعده لشاعر مولد أو لساجع أو لصرورة ، لأنه قياس على كلامهم " (٤) .

ومن ثم تستطيع القول ، إن ميل ابن جنّي لرأي سيبويه السابق ، كان ميلاً نظرياً ولم يكن متمثلاً في تطبيقاته ، يبدو ذلك بوضوح من خلال تقسيمه المشهور لمادة اللغة إلى أربعة أقسام هي

- ١ مطرر سماعاً وقياساً ، وهذا هو العاية المطلوبة .
- ٢ مطرد في القياس ، شاد في الاستعمال ، وذلك نحو الماضي من (يدع) .
- ٣ مطرر في الاستعمال ، شاد في القياس ، نحو : استصوبت الأمر ، ولا يقال استصبت ، ومنه ، استخود ، واستنوق الجمل ، ولا يقال ، استحلل واستنق .
- ٤ شاد في القياس والاستعمال جميعاً ، وذلك كأن يستعمل اسم المفعول من الفعل الذي عيه واو ، فنقول: ثوب مصوون والصواب: مصوون ، ويعقب على ذلك بقوله: "واعلم أن الشيء إذا طرد في الاستعمال ، وشد في القياس ، فلا بُد من اتباع السماع، الوارد

(١) السابق، ج ١/١٨١

(٢) عبد الفتاح شلبي ، أبو علي الفارسي ، مكتبة نهضة مصر ، القاهرة ، ١٣٧٧ هـ ، ص ٤٩٢
ونظر اسماعيل عميرة ، للمسائل العسكرية ، منشورات الجامعة الأردنية ، ١٩٨١ م ، ص ١٩

(٣) ابن جنّي ، الخصائص ج ١/١٨٩

(٤) السابق ج ١/١٢٦

به فيه نفسه، لكنه لا يتحد أصلاً بقياس عليه غيره ، ألا ترى أنك إذا سمعت: استحوذ، واستصوب أدبتهما بحالهما، ولم تتجاوز ما ورد به السمع بهما إلى غيرهما، ألا تراك لا تقول في: استقام استقوم ، ولا في استساع: استسوع ولا في استيع استيع ولا في أعاد ، أعود ، لو لم نسمع شيئاً من ذلك ، قياساً على قولهم: أحوص الرمث، (والرمث شجر ترعه الريل ، وإحوصة ، ان يبدو فيه ورق ناعم، كأنه حوصة) (١) في حين يرى أنه إن كان الشيء شاداً في السماع ، مطرداً في القياس، تحاميت ما تحاميت العرب من ذلك ، وحريت في نظيره على الواجب في أمثاله، من ذلك امتناعك من (وذر ، وودع) ، لأنهم لم يقولوها ، ولا غرو عليك أن تستعمل بطيرهم نحو تور ، ووعد لو لم تسمعهما (٢) .

وقد مضى النحاة في تطبيقات المصباح، الذي صرح به الأحفش الأوسط في القياس إلى حد التمثل ، من ذلك قياسهم مسائل مشکوكاً فيها ، على مسائل مشکوك فيها أصلاً ، فقد قاسو عمل "لات" ، على "لا" العاملة عمل "إن" ، فالمقيس عليه وهو "لا" العاملة عمل "إن" ، ليس مقطوعاً به ، بل مشکوك فيه ، والمقيس أيضاً كذلك ، ومع ذلك أبح النحاة إلحاق "لات" بـ(لا) ، سون أن يدركوا أنه يتناقض مع ما اعتبروه أصلاً للقياس، من أصالة الحكم وثبوته في المقيس عليه (٣) .

وقد قاس النحاة عمل (إلا) ، النصب في المستثنى ، على عمل (يا)، مع أن أعمال (يا) هي النداء مختلف فيه ، فمن النحاة من ذهب إلى أن العامل هو "يا"، ومنهم من قال: فعل مقدر بعد يا ، انطلاقاً من قاعدة أن "الأصل المختلف فيه إذا قام الدليل عليه صار بمنزلة المتفق عليه" (٤) .

واعتمد النحاة على القياس المنطقي، القائم على المقدمتين الكبرى والصغرى والنتيجة، في تصنيفهم للاسم والفعل من حيث الحقة والنقل، وذلك بأن افترضوا أن الفعل أنقل من الاسم، بناء على مقدمة كبرى ، معادها أن ما يستتر في الأحر هو الأحف ، ومقدمة

(١) ابن جني للخصائص ، ج ١ ص ٩٧ ٩٩

(٢) السابق ج ١ ص ٩٩

(٣) ابن هشام ، معني اللبيب ، ج ١ ص ٣٥٤

(٤) ابن لايباري ، لمع الأدلة ص ١٢٥

صعري معادها أن الاسم يستتر في الفعل ، فالنتيجة أن ، لاسم أحف من الفعل ، وقد أثبتوا تلك بطريق آخر ، وهو نفي المنطق ، بأن قلبوا المسألة بصورة أخرى فيها نفي للمنطق ، يفصي بأن - الفعل لا يستتر في الاسم ، والفعل أثقل ، وبذلك فإن نتيجة "الفعل أثقل من الاسم " نتيجة منطقية في النفي والإثبات

ومن التفكير المنطقي أيضاً : العامل الأصعب لا يعمل في العامل الأقوى ، مثال ذلك أن ' ما ' الحجازية لا تعمل في الحبر كما تعمل ليس ، لأن ليس فعل و ' ما ' حرف .

وكذلك قولهم اجتماع عاملين على معمول واحد محال ، استدل بذلك الكوهيون على أن (إن) لا تعمل في الحبر لصعفها ، وإنما يرتفع الحبر بما كان يرتفع به قبل تحولها ، وإذا كان الحبر يرتفع بما كان يرتفع به قبل تحولها ، فلا بحالة إدس ؛ لأنه إنما كانت المسألة تفسد لو قلنا : إن (إن) هي العملة في الحبر ، فيجتمع عاملان فيكون محالاً .

واستدل به البصريون على أنه لا يجوز العطف على موضع (إن) قبل تمام الحبر ؛ لأن ذلك يؤدي إلى أن يعمل في اسم واحد عاملان ، وذلك محال

ونلاحظ أن مناقشة النحاة للقياس ، في هذه المرحلة اعتمدت على أسس منطقية ، أكثر من استنادها إلى واقع اللغة ، فقد رفض فريق من النحاة القياس السابق ، بحجة منطقية معادها ' أنه لو جار القياس على مختلف فيه ، لأدى ذلك إلى محال ؛ وذلك لأن المختلف فيه فرعٌ لغيره ، فكيف يكون أصلاً والفرع صد الأصل ' (١) .

ورد ابن الأنباري على هؤلاء رداً قائماً على المنطق أيضاً بقوله : " لأن المسألة بجور أن تكون فرعاً لشيء وأصلاً لشيء آخر ، فإن اسم الفاعل فرع على الفعل في العمل ، وأصل للصفة المشبهة باسم الفاعل ، وكذلك (لات) فرع على (لا) ، و (لا) فرع على (ليس) ، و (لا) أصل لـ (لات) وفرع لـ (ليس) ، ولا تناقص في ذلك ، وإنما يتم الناقص ، أن يكون فرعاً من الوجه الذي يكون أصلاً ، وأم من جهتين مختلفتين فلا تناقص في ذلك " (٢)

(١) ابن الأنباري ، مع الأئمة ص ١٢٦

(٢) السابق ص ١٢٦

وقد بالغ النحاة في مثل هذا القياس إلى حد يقضي باللغة إلى قدر كبير من النقل
مثال ذلك في باب التنازع قولهم، ومنها "أعلمتُ وأعلموهم إياهمُ الرّيدين
العمرين مطلقين" (١)

وهذا ما أثار ابن مصعب القرطبي، فانتقد طريقة الأحفش في قياس ايدية لم تسمع
قائلاً فكيف إذا أكثر من هذا الفن، وطال فيه السراخ، وامتدت فيه أطباق القول، مع
قلة حدوده، وعدم الافتقار إليه، والناس عاجزون عن حفظ اللغة الفصحى الصحيحة، فكيف
بهذه المظنون المستعنى عنه" (٢)

وكذلك انتقد كثرة العبارات المصنوعة في أبواب النحو المختلفة، ولا سيما في
باب التنازع، حيث قال: وتقول (أعلمتُ وأعلمي ريداً عمراً مطلقاً) على التعليق بالثاني،
وعلى التعليق بالأول: (أعلمتُ وأعلميه إياه ريداً عمراً مطلقاً)، وفي التنبيه: (أعلمتُ
وأعلمانيهما الرّيدين العمرين مطلقين) وفي الجمع: (أعلمتُ وأعلميهم إياهم الرّيدين
العمرين مطلقين) تفسير الكلام (أعلمت الرّيدين العمرين مطلقين وأعلموهم إياهم)
يقول "ورأيي في هذه المشكلة وما شاكلها أنها لا تجوز، لأنه لم يأت لها بطير في كلام
العرب، وقياسها على الأفعال الدالة على معقول به و حد، قياس بعيد لم فيه من الأشكال
بكثرة الصمائر والتأخير والتقديم" (٣) مع أن ابن مصعب لا ينكر الصورة الأصلية للتنازع
وهي (صرب وصرعي ريد)، بل يقرّ أنه تركيب وارد على ألسنة العرب، ولكنه يرفض
كثرة الافتراض القائم على المطلق والمجاهي للاستعمال اللعوي، مما جعل "البحث عن
المطلق لا يرمي بالباحث إلى جانب النحو، كما أن البحث عن النحو قد يرمي به إلى
جانب المطلق، ولو لا أن الكمال غير مستطاع، لكان يجب أن يكون المطلقى نحويًا
والنحوي مطعياً" (٤)

(١) ابن مصعب، الرد على النحاة، تحقيق شوقي صيف دار الفكر العربي، د. د.، ص ١٠٩ - ١٣

(٢) الصايغ، ص ٣٥

(٣) انساب، ص ٣٧

(٤) أبو حيان التوحيدي، المقاييس ج ١، ص ٩٦ - ٣٢

وللنحاة المعاصرين مآخذ على مرحلة التمثل في القياس، وذلك لأنه من شأنها أن تشغل الباحثين عن الاهتمام بجوهر بحوثهم، وهو حفظ اللغة العvisحة الصحيحة إلى بحوث، هي أقرب إلى الرياسة العقلية منها إلى اللغة، كما ستوضح في فصل قادم إن شاء الله.

ب- التعليل المنطقي

تطور التعليل عند النحاة من تعليل وصفي يكتفي بتسوية الظواهر اللغوية، ويربط بينها كما أوضحنا سابقاً، إلى شكل اجر أصبحت فيه العلل هدفاً تُعَدُّ من أجله القواعد، وذلك في أوائل القرن الثالث وم بعده، إثر انتشار حركة الترجمة، وما ترتب على ذلك من وقوف النحاة على حصيلة التراث الإنساني، من يوناني وعارسي وهندي، ويذكر أن حركة الترجمة ابداء، كانت تلقي دعماً من الدولة الإسلامية، وذلك بتيسير حصول المترجمين على المخطوطات، وقد يصل أمر التيسير إلى ترجمة استخدام الانصالات السياسية أحياناً (١)

إضافة إلى التطور الطبيعي للتعليل، الذي أصاب منطلقات جديدة، تقوم على المنطق، فأصبح لا يكتفي بتبرير الظواهر اللغوية، وإنما أحد يوجد ما ينبغي أن يسجم مع العلل، فالعلل أصبحت هدفاً تُعَدُّ من أجلها القواعد، ومن ثم شأ نوعاً جديداً من العلل هما الفيسية، والجلية، إضافة إلى النوع الذي يمكن أن يُعدَّ امتداداً طبيعياً للتعليل الوصفي، وهو ما سمّاه الرجائي بالعلة التعليمية، والذي ظل يهدف إلى تعليم اللغة عن طريق الربط بين طواهرها

يقول الرجائي "فأما العلة القياسية فإن يقال لمن قال: نصبت ريذاً بـ (أن)، في قوله: إن ريذاً قائم، ولم يجب أن تنصب (إن) الاسم؟، والجواب في ذلك أن يقال لأنها واحواتها صار عت الفعل المتعدي إلى مفعول، فحُملت عليه، فأعملت إعماله لت صار عته، فالمصوب بها مُشَبَّه بالمفعول لفظاً، والمرفوع بها مُشَبَّه بالفاعل لفظاً، فهي تشبه من الأفعال ما قُتْم مفعوله على فعله، نحو: صرب أحاك محمد وما أشبه ذلك .

(١) انظر علي أبو المكرم، تقويم الفكر النحوي، ص ٣٧

وأما العلة الجدلية، فكل ما يعتل به في باب (إن) بعد هذا، مثل أن يقال: فمن أي جهة شابهت هذه الحروف الأفعال؟ وبأي الأفعال شبهتموها؟ أما الماضية أم المستقبل أم الحادثة في الحال أم المتراحية أم المنفصية بلا مَهْلَة؟ وحين شبهتموها بالأفعال لأي شيء عدلتُم بها إلى ما قُدم مفعوله على فاعله، نحو: صرب ريدا عمرو؟، وهلاً شبهتموها بما قُدم فاعله على مفعوله، لأنه هو الأصل وذاك فرع ثان؟، فأي علة دعيتُ إلى إلحاقها بالفروع دون الأصول؟ وكلُّ شيء اعتل به المسؤول جواباً عن هذه المسائل، فهو داخل في الجدل والنظر^(١)، ومن أمثلة التعليل التي تمثل الحيط المسجى المنطقي عندهم ما يأتي:

١ قولهم في الأفعال، أيها أسبق، قال الزجاجي: "اعلم أن أسبق الأفعال في التقدم الفعل المستقبل، لأن الشيء لم يكن ثم كان، والعدم سابق للوجود، فهو في التقدم منتظر ثم يصير في الحال، ثم ماضياً، فيُحبرُ عنه بالمضي، فأسبق الأفعال في المرتبة للمستقبل، ثم فعل الحال ثم الماضي." (٢)

٢ عمال اسم الفاعل والمصدر قال الزجاجي: "صاربُ تعمل عمل نصربُ، كما أن يصرب أعرب لأنه صارعه، وكذلك صاربُ يعمل عمله لمصارعته إياه، فحُمِل كل واحد منهما على صاحبه، والمصدر الذي يكون بمعنى "أن فعل" أو "أن يفعل"، يعمل عمل اسم الفاعل، لأنه اسم الفعل، وفيه دليل على الفعل، ولا يتقدم مفعوله على فاعله، لأنه لم يَقُ قوه اسم الفاعل، ولم يجئ على تقديمه وتأخيرهِ، وإصمار اسم الفاعل فيه، وذلك كان أنقص رتبة من اسم الفاعل" (٣)

٣ صرف أحمر ويشكر:

قال أبو القاسم الزجاجي، قال سيبويه: "إذا سميت رجلاً بأحمر، لم بصرفه في النكرة، وإن سمّياه بـ (يشكر) صرفه، واحتج بأن (أحمر) يكون فعلاً، وهو اسم قال فالذي بمنعه

(١) الزجاجي، (الإصحاح في علل النحو تحقيق مازن المبارك، ص ٦٤ ٦٥

(٢) الإصحاح في علل النحو، ص ٨٥

و انظر المجاشعي شرح عيون الإعراب، تحقيق حسام الدين، للرقاء، لأرس، ١٩٨٥م، ص ٥٤

(٣) ابن الأثير، الإنصاف في مسائل الخلاف، ج ١، ص ٢٣٥

و انظر الزجاجي، الإصحاح في علل النحو، ص ١٣٥

من أنصرف موجود فيه إذا سُمِّيَ به، و (يشكر) إنما يُنْعَتُ به وهو فعل، فإذا سُمِّيَ به فقد رآه أن يكون فعلاً، قال أصحابه هذه محال. إذا سُمِّيَ به (أحمر) صرفاً أيضاً، كما يصرف (يشكر) لأنه إذا سُمِّيَ به، فقد حرج أن يكون نعتاً كما أن يشكر إذا سُمِّيَ به، فقد حرج أن يكون فعلاً^(١)

٤. العروج تحط دائماً عن درجة الأصول واستند به البصريون على أن الصمير في اسم الفاعل، إذا جرى على غير من هو له، نحو قولك: (هذه ريد صارتُه هي)، يجب إقراره، وذلك لأن اسم الفاعل فرع على الفعل في تحمل الصمير، ولو قلنا أنه يتحمل الصمير في كل حالة إذا جرى على من هو له، وإذا جرى على غير من هو له، لأدى ذلك إلى التسوية بين الأصل والفرع وذلك لا يجوز

واستدل به الكوفيون على أن (إن وأحوالها)، لا ترفع الخبر، وذلك بالإجماع على أن الأصل في هذه الأحرف ألا تنصب الاسم، وإنما نصبته لأنها أشبهت الفعل، فهي فرع عليه، وإذا كانت أصعب منه فيبغى ألا تعمل، لأنها لو أعصتها عمله لأدى ذلك إلى التسوية بينهما وذلك لا يجوز

نجدو الدرجة المبطنية واضحة في هذه الأمثلة، فالنحاة في العلة القياسية كما في المثال الثاني يبدأون من الواقع اللغوي، بملاحظة شكل الاسم الذي يتبع الفعل المصارع، ويتبع اسم الفاعل، ثم يبدأون في الربط بين المصير واسم الفاعل، معتمدين على أن الفعل فيه دليل على الفاعل كاسم الفاعل، ثم يصعرون فرصة أن اسم الفاعل أكثر قوة في العمل من اسم الفعل، ويعطلون من حللها عدم تقدم مفعوله على فاعله.

فمن الواضح أن العلة القياسية تتجاوز مفهوم العلة التعليمية، في أنها نمضي في افتراض العلة إلى مدى أوسع، وهدف النحاة منها طرد الأحكام في الطواهر اللغوية أما العلة الجدلية، فهي تبدأ من الفرص الذي وضعه النحاة، وتسعى إلى تأييد هذا الفرص عن طريق السريز العقلي المنطقي، وذلك كما في المثال رقم (٣)، فهم يبدأون من فرص مؤداه، أن يسمى رجلاً بـ (أحمر) أو (يشكر) ثم يشرعون في تسويغات عقلية لهذه العروص، وهذا يعكس أن العلة الجدلية تنطلق من إحساس النحاة بضرورة منطقة الطواهر

(١) لا يصح ح في علم النحو، ص ١٤٢

والفوائد والعلل ويوضح هـ نصر للسيوسي نقله عن صاحب المستوفي، بقوله: "إد
استقرت أصول هذه الصناعة، علمت أنها في غاية الوثاقفة، وبدا بأملت عليها، عرفت أنها
غير مدحولة ولا متسح فيها، وأما ما ذهب إليه غفلة العوام من أن علل النحو تكون
واهبه ومتمحلة، واستدلواهم على ذلك بأنها أبدت تكون هي القاعدة للوجود، لا الوجود تدعى
لها فبمعزل عن الحق" (١)

وقد بالغ النحاة في العلل، حتى عدّوا بعد (الرماني) أربعة وعشرين نوعاً من
العلل المفصلة المصنفة (٢).

ومن هـ بدأ اتجاه معرّض لهذه العلل، لعل الرجّاجي بدأه حين أشار إلى تقديم
العلّة التعليمية على العلتين (الأحرير)، غير أنه لم يتخلص في مناقشته النظرية من المصطلق
الذي شكّل سمه بررة في عصره، مثال ذلك مناقشته لأراء النحاة في تقدم الاسم في
المرتبة على الفعل والحرف، بعونه سائلاً هؤلاء النحاة: "قد جمعت على أن العامل قبل
المعمول فيه، كما أن الفاعل قبل فعله، وكما أن المحدث سابق لحدثه، وأنتم جميعاً مقررون
أن الحروف عوامل في الأسماء والأفعال، فقد وجب أن يكون الحروف قبلها حتماً سابقة
لها، وهذا لازم لكم على أوصاءكم ومفاديسكم" ثم يجيب قائلاً "الجواب أن يقال، هذه
معالطة ليس يشبه هذا الحدث والمحدث، ولا العلة والمعلول، وذلك أن يقول: إن الفاعل -
في جسم فعلاً ما من حركة وغيره، سابق لفعله ذلك فيه لا للجسم، فنقول إن الصارب
هل صربه الذي أوقعه بالمصروب، لا يجب من ذلك أن يكون سابقاً للمصروب موجوداً
قبله، بل يجب أن يكون سابقاً لصربه الذي أوقعه به، وقد يجوز أن يكون المصروب أكبر
سناً من الصارب" (٣)

فتقول: "الحروف سابقة لعملها في هذه الأسماء والأفعال الذي هو الرفع والنصب والحذف
والجرم، ولا يجب من ذلك أن يكون سابقة للأسماء والأفعال نفسها وهذا بين واضح" (٤)

(١) الأقرع، ص ٤٥

(٢) السابق، ص ٤٨

(٣) الرجّاجي، الإيضاح في علل النحو، ص ٨٣ - ٨٤

(٤) الرجّاجي، الإيضاح في علل النحو، ص ٨٣

فالجحى وإن قال إن العوامل ليست أجساماً مادية، وقد أراد بذلك أن ينأى عن المنطق، إلا أنه بطريقة حوارية وتحليلية التي أثبت فيها كان منطقياً.

وقد أحسن ابن السراج تصنيف العلل، وفقاً لدورها في تحقيق هدف أساسي لعلم النحو "انتحاء سمت العرب" إلى صريين بقوله: "اعتلالات النحويين صريان: صرب منها هو المؤسّي إلى كلام العرب، كقولنا كلُّ فاعل مرفوع، وكلُّ مفعول منصوب، وصرب يُسمى علّة العلة، مثل أن يقولوا: لم صار الفاعل مرفوعاً والمفعول منصوباً، وهذا ليس بكسباً أن تتكلم كما تكلمت العرب" (١).

وصدرت عن ابن جني ومصنات تشير إلى رفصه للعلل الثواني والثالث، وربما قدحت رباد الفكر عند ابن مصاء القرطبي فيلورها، وعرفت به وذلك نحو قوله: "إن العلة الحقيقية عند أهل النظر لا تكون معلولة"، وقد جاءت دعوة ابن مصاء أكثر حدة وإلحاحاً ودعا إلى إسقاط العلل الثواني والثالث بقوله "ومما يجب أن يُسقط من النحو العلل الثواني والثالث، وذلك مثل سؤال السائل عن (ريد) من قولنا (قام ريد) لم رُفع؟ فيقال: لأنه فاعل، وكل فاعل مرفوع، فيقول: ولم رُفع الفاعل؟ فالصواب أن يقال له كذا بطلت به العرب، ثبت ذلك بالاستقراء من الكلام المتواتر" (٢) ولعل سؤالاً يلح في هذا المقام: هل اللغة منطقية فعلاً حتى تدرس من منظور منطقي؟

لا شك أن هي اللغة قدراً من المنطق، لأن اللغة وسيلة التعبير عن الفكر، فهي تسير وفقاً لمعايير عامة، ولكن عند تأملها بجدها لا تلتزم بدقة قواعد المنطق، إضافة إلى أن لكل لغة منطقها الخاص بها، مثال ذلك أنه لو كان للتطابق بين اللغة لارماً، لاتفقت اللغات في تقسيم الأسماء من حيث الجنس، ولكن نجد من اللغات كالعربية، ما يكفي بتقسيم الاسم من حيث الجنس، فسمّة ثنائية ليس غير، إلى منكر ومؤنث، ومنها كالألمانية ما يقسمه قسمه ثلاثية إلى منكر، ومؤنث، ومحايد، كما نجد أن أسماء النوات لا تتطابق في اللغات جميعاً (٣) من حيث الجنس، ومن الأمثلة الواضحة على ذلك، القمر والشمس

(١) المسبوطي، الاقتراح، ص ٥٨

(٢) الرد على النحاة، ص ١٥١

(٣) أسماء عميرة طهيرة التانيث، ص ١٥

فالفهر مذكر في العربية، مؤت في الفرنسية، والشمس مؤتة في العربية مذكرة في الفرنسية

ومن ثم تستطيع القول إنَّ منطقة النحاة لكل طواهر اللغة إضافة إلى مبالعتهم في إيجاد العزل الثواني والثالث، كان سببا واصحاً في تعقيد الدراسة النحوية

٣ الاتجاه العقلي المعياري

يسعى التفكير النحوي إلى هدفين رئيسين ، شكلاً معاً الاتجاه المعياري عند النحاة العرب القدماء.

١- هدف تأصيلي يرمي إلى وصف الطاهرة اللغوية، والوقوف على حقيقتها، بتسجيل قواعدها، وذلك حتى تكون مرجعاً يرجع إليه، في معرفة السمات التي كانت تُتطَق عليه العربية، فيما سُمي بعصر الاحتجاج (ابتداءً من العصر الجاهلي حتى منتصف القرن الثاني الهجري)، لا سيم بعد أن يذت مظاهر اللحن، ورااد احتكاك العرب بعيرهم، وهم يقصدون بذلك خدمة عظيمة للقراا الكريم.

٢ هدف تعليمي يرمي إلى تعليم الأنماط اللغوية، التي تمكّن الناس من عرب وغيرهم من تعلم لغة القراا الكريم، والتعامل بها فيما بينهم، بوصفها لغة الحضارة الجديدة.

ويمكن الوقوف على هذا المنهج من خلال اللفاظ الآتية:

المعيارية ومستويات اللغة

تعامل النحاة مع مستويات اللغة المختلفة، في إطار رماني يمتد ثلاثة قرون تقريباً قراً ونصف القرن قبل الإسلام، وقرباً ونصف القرن بعده، وفي إطار مكاني ممتد أيضاً شمل مجموعة من القبائل هي قيس ونميم وأسد فإن هؤلاء هم الذين أحد عنهم أكثر ما أحد معطمه، وعليه انكّل في العريب وفي الإعراب والتصريف، ثم هديل ويعص كنانة وبعض الطائيين. (١)

(١) السيوطي، المراه تحقيق محمد احمد جاد المولى، علي الهجاء ي، محمد ابي القمص ير هيم بدر .حياء الكتب

العربية بالفهره ج ١ ص ٢ ٢

وقد أعطى هذا العامل الواسع مع اللغة بهذا الإطار، مجالاً سقداً للباحثين المحدثين، فمنهم من أطلق على هذا التعامل اسماً سحر (ديكتاتورية الرمان والمكان) (١)، ومنهم من ذكر أن كتب اللغة والنحو لم تقم إلا قطاعاً محدوداً من الحياة اللغوية حتى القرن الثاني الهجري، وهذا القطاع هو بعض لهجات البدو (٢)، ومنهم من يرى أن هذا من باب الخلط الذي لا يقره منهج، داعين إلى أن "تتصور شخص يحدثك بعامية هل مصر، وبعامية المغرب، والشام والعراق في آن واحد، نون أن يلتزم حصائص مستقلة للهِجَة واحدة، ويخلص بين حصائص كل واحدة، في حديث واحد، كلمة من هذا، وأخرى من هناك بمنهج يطق يختلف في كل واحدة، وبطريقة في التركيب لا تتفق على نظام لعوي واحد، واستعمال مفردات متنوعة، هل يمكنك متابعة حديثه وفهمه" (٣)، وأجسب أن النظرة الموضوعية تجعلنا نقتر صبيع النحاة، وبعده تدبيراً سديداً عمل على استيعاب لهجات القبائل وتأليفها معاً، كما عمل الإسلام على استيعاب جهود تلك القبائل، وتأليفها في بناء سياسي واحد، وذلك استئناساً بالقرآن الكريم، الذي جاء على سبعة أحرف، وسمح الرسول صلى الله عليه وسلم بفراغته على أي حرف منها، ذلك أنه "لو أن كل فريق.. أمر أن يروى عن لحنه، وما جرى عليه اعتياده طغلاً وباشت وكهلاً، لاشتد ذلك عليه، وعظم المحنة فيه ولم يمكنه إلا بعد رياضة للنفس طويلة، وتدليل لللسان وقطع للعادة" (٤)

ثم إن اللهجات العربية لم تكن متباينة تبايناً كبيراً ففقر يش عُرِف عنها أنها "أفصح العرب ألسنة وأصفهم لغة" (٥) وأنها كانت.. مع فصاحتها وحسن لغاتها ورقة ألسنتها إذ أنتهم الوفود من العرب، يحذرو، من كلامهم وأشعارهم أحسن لغاتهم، وأصفى كلامهم فاجتمع ما تحذروا من تلك اللغات إلى سلاتقهم، التي طبعوا عليها فصاروا بذلك أفصح

(١) إبراهيم أنيس، اسرار العربية ط ١٩٦٣، القاهرة ص ٣٦ ٣٧

(٢) محمد حجازي، علم اللغة العربية، ص ٢٢٤

(٣) البربري زهير، معجمه في علوم اللغة، دار المعرفه بمصر ط ٢، ١٩٨٦، ص ٦٤

(٤) ابن الجوزي، النشر في القراءات العشر، دار الكتب العلمية، بيروت ج ١ ص ٢٢

(٥) السيوطي، المرمر ج ١ ص ٢١٠

العرب^(١) وأنسب أن التبرير هذا مرده في الغالب إلى الجوانب البلاغية والفنية، وليس إلى الخصائص اللهجية.

والعائل العربية كانت كثيرة الوفود إلى ديار قريش، لأغراض دينية وسياسية وسية، يشير إلى ذلك لقاء الفصحاء والشعراء في المناسبات والمحافل^(٢)، هذه الأسباب التي اجتمعت للعربية، جعلت اختيار النحاة لهذا المنهج مقبلاً، وجعلت الفرصة أمامهم مهياً لاستخلاص قواعد معيارية، قواعد تكون معياراً للصواب والخطأ، وتتسم بالاطراد والشمول، تجعل من الناس على اختلاف مجالاتهم يتفهمون ويشعرون أنهم ينتمون إلى لغة واحدة^(٣).

وقد أدى هذا النهج الاستقرائي المعياري الناقص إلى تعدد لأوجه الإعرابية، وبذلك نتيجة لوجود بعض التفاوت بين الفاعل في الأشكال اللغوية كجموع النكس، وإعراب بعض الفاعل لبعض الأسماء، أو بانيها لها، والالتزام بالإعراب أو النساها فيه فـ (ما) مثلاً عاملة عند الحجازيين، وغير عاملة عند التميميين، ولا يحق أن تفيد اللغة وفق هذا المنهج، نتج عنه تصحح كبير في المادة النحوية، غير أن تجاوز النحاة عن الدور الوصفي الحالى، باستقراء المعطيات اللغوية المباشرة في لغة القرآن الكريم وكلام العرب، واستخلاص (نظام) يعد في حد ذاته إنجازاً بهراً^(٤).

إن تقليد سلوك النحاة المعياري هذا تقليد واحد يجعلنا نفق على غرضهم التعليمي، الذي يهدف إلى توحيد الناس، على نمط لغوي مشترك، يشكل قالباً مرصاً يهيئ للناطقين بالعربية وغيرهم أن يشعروا بسبيل راحة في الاختيار.

المعيارية والشواهد

يُعرف المذهب عند أهل العربية بأنه "الجرني الذي يستشهد به في إثبات القاعدة، يكون ذلك الجرني من التنزيل، أو من كلام العرب الموثوق بعربيتهم، وهو احصر من

(١) السيوطي، المرهر ج ٢ ص ٢١١

(٢) ج. ج. زيدان، انظر الفسفة اللغوية، و لألفاظ العربية، ص ١٠٨

(٣) انظر اسماعيل عسايرة، التفكير اللغوي التراثي بين التأصيل والتعظيم المجلد رقم ٤، عدد ١، ١٩٩٤، ص ٩
Inter National Journal of Islamic and arabic Studies

(٤) نهاد الموسى، قضية النحوي إلى الفصحى، عمان ١٩٩٧، ص ٦٠

المثال^(١) ويشمل الشاهد اللعوي كما يروى السيوطي: كلام الله تعالى وهو القرآن الكريم، وكلام نبيه صلى الله عليه وسلم، وكلام العرب قبل بعثته وفي زمنه وبعده صلى الله عليه وسلم. إلى أن فسدت الألسنة بكثرة المولدين - نظماً ونثر - عن مسلم أو كافر^(٢) ولعل الاحتجاج بالشعر، من الطواهر التي بررت مبكرة، حتى يروى أن عمر بن الخطاب قال "أيها الناس عليكم بديوانكم شعر الجاهلية فإن فيه تفسير كتابكم، ومعاني كلامكم"^(٣)

وأحسب أن ظاهرة الاستشهاد بهذه النصوص المحدودة، في إطار رماني ومكاني محسرين، بصافة إلى الاهتمام الفائق بها، والرحلة من أجلها، واتحادها مهمة حتى في عصور التدوين المتأخرة نسبياً، يجعل نقف على ملمح مهم من ملامح المعيارية، والنسبة لم يهتموا بالشواهد الشعرية مثلاً، لأنها تحمل سمات هوية متميزة، بل ربما لا تكون كذلك، وإنما لأنها تمثل أصلاً لازماً، وحجة على لغة عصر الاحتجاج، الذي تؤحد منه القواعد، وإليه يُعاد في التوثيق.

وعلى هذا جاء الاستشهاد بالشعر متنوعاً ببيت كامل، أو بجزء منه، سواء أكان معروف القائل أم مجهولة، قال الجرمي: "نظرت في كتاب سيبويه، فإذا فيه ألف وحمسون بيتاً، فأما ألف بيت فعرفت قائلها، فأثبتتها وأما حمسون فلم أعرف أسماء قائلها"^(٤)، وتنوعت أغراض الاستشهاد أيضاً، ومن ذلك ما يلي

أ إثبات القاعدة، وذلك نحو إثبات الاستعمالات النحوية كالتعديّة واللزوم، وعدد للمعايل وأنواعها.

ب إثبات جرئي للقاعدة أو فرعها، وذلك نحو تقسيم الخبر إلى مفرد وجملة وشبه جملة.
ج- تحريج بعض الاستعمالات اللعوية، التي جرى فيها حذف أو تقدير أو زيادة وغيرها، شواهد لعوية مما يؤدي إلى تأصيل هذه الاستعمالات.

(١) الثعالب، كشاف اصطلاحات الفنون، دار حياطة (بيروت) ج ٢، ٧٣٨

(٢) السيوطي، الاقترع، ص ٤٨

(٣) انظر محمد جيل الاحتجاج بالشعر في اللغة، دور الفكر للعربي، القاهرة، ص ٥٣

(٤) البغدادي خزانة الأدب، تحقيق عبد السلام هارون بولاق ج ١، ٩٠

ولا تحفى أهمية الشواهد من ناحية تعليمية، فهي تأتي مثبتة لقاعدة، أو معسرة لها أو مُرجحة لوجه على آخر، وهذا من شأنه أن يساعد المتعلم في تمثيل القواعد، إضافة إلى أنه يجعل المتعلم على صلة مستمرة مع رموز الاحتجاج، تلك المرحلة التي يحرص النحاة على بقائها، ماثلة في الأدهار، وبذلك فإن لاستشهاد بها يعد من السبل الناجعة والتدابير الحيدة سبباً، التي توفر لها استمراراً في الحياة.

- المعيارية والأمثلة المصنوعة

إن استعمال الأمثلة المصنوعة عند النحاة، من الطواهر البررة، والتي يمكن أن نفع من حلاليها، على جانب من جوانب المعيارية، وبخاصة الجانب التعليمي، فقد جاء في تعريف المثال: "المثال (بالكسر) يُطلق على الجري، الذي يُذكر لإيضاح القاعدة وإيصاله (كذا) إلى فهم المستفيد، كما يعال الفاعل كذا، ومثاله 'ريد' في: 'صرب ريد' وهو اعم من الشاهد" (١)

وعلى هذا فالنحاة صدموا أمثلة تعليمية متنوعة، هدفها توصيح القواعد، وهي عادة تكون مفصلة عليها، مثال ذلك تمثيل ابن جني لباب نائب الفاعل مع الفعل اللزم، قال: "فإن أقممت الباء وما عملت فيه مقام الفاعل، قلت: سير بريد فرسحين يومين سيرا شديداً، فالباء وما عملت فيه في موضع رفع، فإن أقممت الفرسحين مقام الفاعل قلت: سير بريد فرسحان سيرا شديداً، فإن أقممت اليومين مقام الفاعل، قلت (سير بريد فرسحين يوماً سيرا شديداً)، فإن أقممت المصدر مقام الفاعل، قلت: سير بريد فرسحين يومين سيرا شديداً، نرفع الذي تقيمه مقام الفاعل لا غير" (٢) وابن جني يبدو في تمثله، كالحياض بأحد مقاساته ويعد قماشه على أجسام قواعده تفصيلاً لا زيادة فيه ولا نقص، بل هو أكثر اقتصاد من الحياض، فقطعة القماش هنا هي هي، إلا من زيادة هنا أو هناك، وقد ألبسها مجموعة من القواعد، وكأنما أراد بذلك، أن يدحر على المتعلم متايعة أمثلة مختلفة، ربما أثار في نفسه مسائل جانبية (٣)

(١) الشهابي، كتاب اصطلاحات الفنون، ج ٦، ٢٤١

(٢) ابن جني، اللع في العربية، تحقيق فائق فارس، الكويت ١٩٧٢، ص ٣٤

(٣) انظر إسماعيل عميرة للتفكير النقوي للتراثي بين التأصيل والتعبير، المجلد رقم ١٠ عدد ١، ١٩٩٤ Inter National Journal of Islamic and Arabic studies Book 10 No1 1994

ولكن النحاة أحياناً كانوا يعتمدون على الأمثلة المصنوعة دون إيراد شواهد عليها، وذلك كما حدث في باب التثنية ومنها "اعلمت و علموا بهم إياها الرئيس العزميين مطلقين" (١) ولا شك أن النحاة في نحو هذه الأمثلة، كانوا يطلقون من خلال افتراضية لا واقع لها في باب الاستعمال

- المعيارية والجوانب التعليمية

من الملامح المعيارية والمهيجة عند النحاة، بدوهم بالنحو ثم بالصرف وبالأصوات، إذ المتأمل في كتب سيبويه يجد أنه بدأ بالنحو، وثنى بالصرف وبالأصوات، فقد تناول في الجزء الأول الكلمة، والنكرة والمعرفة و لأفعال التثنية والمتعنية، وأسماء الأفعال، إلى جانب الفعل والمبتدأ والخبر، وأيضاً المصوبات كالمصادر المصوبة والحال والمفعول فيه، وإن وأحوالها والنداء والاستثناء وغيرها، أما الجزء الثاني فجميع أبوابه صرفية، إذ استثنى باب المصوغ من الصرف الذي افتتح به الجزء، ومن موضوعاته النسب والتصغير، وبوا التوكيد وجمع التكسير، وأوزان المصادر وصيغ الأفعال ومعاني الروائد، واسم الآلة، وأسماء الأماكن، وفعل التعجب ثم حتمه بدراسة عن الإغناء، وما يحدث من تغيرات صوتية كالإمالة والإعلال، وقد كانت هذه فرصة ليفهم فيها معارفه الصوتية الدقيقة ولعل هذه المهيجة تكشف عن جوانب أهمها ما يأتي:

إن من أهم الدوافع لنشوء النحو، وضع صواب للغة حرصاً منهم على كتاب الله، من أن يصيبه ما أصاب لأكنسة من اللحن، بعد أن تعددت ألسنة الداحلين في الإسلام ونقضت ظاهره اللحن (٢)، وربما كان من أبرز أشكال اللحن، ما يظهر في التراكيب، وبخاصة على حركات الإعراب، أننى شكل تفسيره اتجاه واضح عند النحاة ب بعد هذا منعاً منهجياً تعليمياً ينفق وأحدث النظريات التربوية التي سادت بها مدرسة "الجسطلات" (٣)، ذات الاتجاه الكلي في التربية، حيث تبدأ أولاً بالكل، أو بالتركيب ثم تنتهي إلى التحليل والتفصيل، وأرى أن هذا المنهج يفسر أمرنا مستحدثاً ابتدعه

(١) انظر: ابن مضاء، الرد على النحاة، ص ٩

وانظر محمد حسن النعمان بين المعيارية والوصفية، دار الثقافة، الدار البيضاء، ٩٥٩ ص ٨٤

(٢) الجسطل، النيس والتبيين ج ٢ ص ٦٤

(٣) انظر عبد الحميد إبراهيم الموجه القلي لعمري، دار المعارف بمصر، ط ٦ ص ٨ ٨٣

سببونه، فلا شك أن أسناده والعلماء الذين سبقوه؛ كانوا يعنون عناية خاصة بدراسة النحو، ولا سيما أن كتاب سببونه، يتضمن آراء التحليل النحوية، ومن عاصره كيوس بن حبيب وأبي الخطاب، لأحفش، ومع أنه أول كتاب نحوي وصل إلينا، غير أنه يمثل مرحلة متقدمة من مراحل التاريخ النحوي، إذ سبقته مراحل كثيرة، أبرزها مرحلة وضع رموز الحركات الإعرابية على يد أبي الأسود الدؤلي، تلتها مرحلة اتسمت بالنظر والمناقشة، وفيها بدأ السؤال عن العلّة النحوية، وبدأ القياس، ومن أبرز أعلامها أبو عمرو بن العلاء (ت ١٥٤هـ) وعبد الله بن أبي إسحاق الصيرمي (ت ١١٧هـ) تلتها مرحلة التأليف النحوي العام، وأبرز علمائها عيسى بن عمر النخعي (ت ١٤٩هـ) صاحب كتابي "الجامع" و "الإكمال أو المكمل" وهما كتابان في النحو ذكرت كتب التراجم ^(١) أنه وصعهم، تلتها مرحلة التحليل، التي شكلت دروة في البناء النحوي، بما اتصفت به من شمول ودراسة في القياس.

وهذا أفاد النحاة بعد سببونه من هذا الاتجاه التربوي، فقد ابن جني يدعو لدراسة النحو أولاً، رغبة في تيسير اللغة على المتعلمين. يقول: "فالتصريف إنما هو لمعرفة أنفس الكلم الثابتة، والنحو إنما لمعرفة أحواله المتغيرة، ألا نرى أنك إذا قلت (قام بكر)، ورأيت بكرًا، ومررت بـبكر) فإنك إنما جالفت بين حركات حروف الإعراب لاختلاف العامل، ولم تعرض بباقي الكلمة. وإذا كان ذلك كذلك، فقد كان من الواجب على من أراد معرفة النحو أن يبدأ بمعرفة التصريف، لأن معرفة ذات الشيء الثابتة، ينبغي أن يكون أصلاً لمعرفة حاله المتغيرة، إلا أن هذا الصرب من العلم لما كان عويصاً صعباً، ندّى قلبه بمعرفة النحو ثم جيء به بعد، ليكون الارتياض في النحو موطناً للدخول فيه، ومُعَيْدٌ على معرفة أغراضه ومعانيه، وعلى تصرف الحال" ^(٢)

وقد طبق ابن جني هذا المفهوم التربوي في كتابه (اللمع في العربية)، والذي قصد من تأليفه أن يكون تعليمياً للناشئة، فجعل ثلثيه الأوليين في النحو، وثلثه الأخير في

(١) الزبيدي، صيغ النحويين واللعويين، تحقيق محمد أبو القمص إبراهيم، القاهرة ١٩٥٤م، ص ٤١

والنصر محمد الطنطاوي، نشأة النحو، ص ٥٨

(٢) ابن جني، المنصف، ص ٤٠

الصرف، وبعض الظواهر الصوتية كالإمالة وبذلك حالف ابن جني أحمد بن محمد الميداني (ت ٥١٨هـ) صاحب كتاب 'مجمع الأمثال'، والذي يتفق مع ما نادت به النظرية الجرنبة (التركيبية) في تعلم اللغة. إذ تدعو إلى تعلم الجراء ثم الانتقال إلى تعلم الكل يقول: "فإن التصريف من أجل أركان الأدب، وبه يعرف سعة كلام العرب، ومنه يتفرع إلى اللغة العربية، ويتوصل إلى حل العويصات (١)، وبذلك يستطيع إدراك السبق الذي حققه بحاة العربية في المجال التعليمي التربوي، قياساً إلى النظريات المعاصرة

جـ - الاهتمام ببيان الإعجاز القرآني الذي تحدى العرب بتراكيبه وبطمه، مع أن مفرداته كانت شائعة مستعملة على ألسنتهم، مما جعل الوليد بن المغيرة يصفه بسليقته اللغوية وهو على شركه بقوله "إن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة وإن له لمعلو ولا يُعلى عليه". وقد بدأ هذا النهج وأصحاً فيما بعد، عند عبد القاهر الجرجاني فيما عُرف بنظرية النظم. حيث أكد أن ضرورة دراسة المفردة في سياقها اللغوي السليم، قال: "وأعلم أن ليس النظم إلا أن تصنع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو، وتعمل على قواعبه وأصوله، وتعرف مآهجه التي بهجت فلا تزيغ عنها. هذا هو المسيل، فليست بواجب شيئاً يرجع صوابه إلى كان صواباً، وخطؤه إلى كان خطأ إلى النظم، ويدخل في حقه أو عومل بخلاف هذه المعاملة، فأزيل عن موضعه، واستعمل في غير ما ينبغي له فلا ترى كلاماً قد وصف بصحة نظم أو هداية، أو وصف بمرية وفصل فيه، إلا وأنت تجد مرجع تلك الصحة وتلك الفساد وتلك المرية، وذلك الفصل إلى معاني النحو وأحكامه، ووجدته يدخل في أصل من أصوله، ويتصل بباب من أبوابه" (٢)

المعيارية والعمل النحوي

إن من أبرز الظواهر اللغوية التي لفتت أنظار النحاة، تغير أواخر الكلم، مما جعلهم يجتوون في إيجاد تفسير مناسب لهذه الحركات، يعين الباحث في إيجاد تحليل مناسب لوجودها، كما أنه يساعد المتعلم في بناء تصور واضح، يعينه في تشكيل كفاية تمكنه من

(١) أحمد بن محمد الميداني درة الطرف في علم الصرف، تحقيق محمد عبد المعصوم درويش، دار الطبع والنشر، ١٩٨٢م، ص ٥٨

(٢) الجرجاني، دلائل الإعجاز تحقيق محمد عبد السميع حجاجي، القاهرة ١٩٦٩، ص ٦١ - ٦٢

أداء مناسب، ومن هنا كانت فكرة العامل، نتيجة من نتائج البحث عن تعليل مناسب لهذه الظاهرة اللغوية، التي تؤدي إلى مثل هذا الترابط بين أجزاء التراكيب اللغوية، وقد شكلت فكرة العامل مستورا للحاجة (١)، فعدت نظرية متكاملة يحرص النحاة على إطراد قواعدها في كل ما يواجهون من نصوص لغوية.

وليس من شأن هذه الدراسة أن تكرر ما جاء بشأن نظرية العامل، فقد أعنت المراجع (٢)، بيد أن من أهمها أن توضح الحيوط المسهجة فيها، ويمكن توصيح ذلك فيما يأتي

١ ظاهرة التصنيف

كان لابد للحاجة بعد ذلك السعي الدؤوب، في وصف الظواهر اللغوية وتعليلها، من محاولة تصنيفها مما يُسهّل عليهم التعرف على انظمتها وصيغاتها في قواعد مصبوبة، تشكل في مجملها هيكلًا شاملاً للغة، وقد كان هذا يوحى من نظرية للعامل التي تُعد نتيجة منطقية للتعليل

فصنعوا بذلك الكلام إلى "اسم وفعل وحرف جاء لمعنى ليس باسم ولا فعل" وصنعوا الكلمات وفقاً لما يطرأ على أواخرها من تعير وعدوه أثراً للعامل، فصنعت إلى مبدية: بمعنى "لرم حر الكلمة صرياً واحداً من السكون أو الحركة، لا لشيء أحدث ذلك من العوامل، وكأنهم إنما سمّوه بناءً لما لرم صرياً واحداً، فلم يتعير تعير الإعراب من حيث كان البدء لأرما موضعه لا يرول من مكان إلى غيره" (٣)

(١) انظر إبراهيم مصطفى، بحبء النحو، القاهرة، ١٩٣٧م، ص ٢٨

(٢) انظر ١ إبراهيم مصطفى، بحبء النحو، ص ٢٨

٢ مرس الميارك، العه النحوي، ثنائها، بطور ه، ص ٥١ ٧١

٣ محمد عبد النطيف حماسة، للعلامة الإعرابية في الجملة بين القديم والحديث منشورات جامعة الكويت، ص

١٦٢ ١٨٤

٤ حنين عمارة في التحليل النعوي، ٥١ ٦٢

(٣) ابن جني، الخصائص ج ١، ٣٧

ويقع البناء على عدة أصرب هي، الصم والفتح والكسر والوقف^(١)، وكلمات معربة. بمعنى نغير أو أحرر الكلم بدخول العوامل عليها لفظاً أو تقديراً، ويقع الإعراب في أصرب هي، حالة الرفع، وحالة النصب، وحالة الجر، وهي حاصلة بالأفعال، وحالة الجر (وهي حالة حاصلة بالأسماء).

ولما كان البناء والإعراب يأثر من العامل، فقد قاموا بتصنيف العوامل إلى

أ العوامل اللفظية

ب العوامل المعنوية.

وقد صنفت العوامل اللفظية، بحسب قوة العامل، فالفعل أقوى العوامل، ذلك أن الأفعال كلها عاملة، أما الأسماء والحروف فلا يعمل منها إلا ما أشبه الأفعال، فدل ذلك على أن العمل بحق الأصالة إنما كان للأفعال^(٢)

وقد حُمل على الفعل لقوته: اسم الفاعل، واسم المفعول، والصفة المشبهة، يقول أبو حبيب في شرح التسهيل: "أصل العمل للفعل، ثم لما قويت مشابهته له، وهو اسم الفاعل، واسم المفعول، ثم لما شُبِّه بها من طريق التثنية والجمع والتذكير والتأنيث، وهي الصفة المشبهة"^(٣)

ومن الواضح أن هذه الملحقات بالفعل في العمل أيضاً تعمل على مسنويات، فاسم الفاعل أقوى من اسم المفعول، وهو أقوى من الصفة المشبهة. وكذلك التفتوا إلى أثر الاشتقاق والجمود في العمل، فعنوا العامل المشتق أقوى من العامل الجامد، وعلى هذا عنوا الأفعال نحو (نعم وينس ونيس وفعل التعجب) من العوامل الضعيفة^(٤)، أما الأدوات فهي أضعف العوامل وقد صنعت إلى ما يأتي

أ أدوات محنصة بالدخول على الأفعال كأدوات النصب مثل (لن).

ب أدوات محنصة بالدخول على الأسماء كحروف الجر.

(١) انظر سيبويه، الكتاب ج ١، ص ١٣

(٢) ابن يعيش، شرح المفصل ج ١، ص ٩

(٣) السيويني، الألفية والنظائر حيدر، ص ٣٥٩، ج ١، ص ٢٦٢

(٤) السيويني، الهمع ج ٢، ص ١٥

ح أنوات غير محتصة، وذلك نحو ما العاملة عمل ليس، تدخل أحياناً على الاسم
 وترفعه، وعلى الخبر فتصبه، وأحياناً أخرى تدخل على الفعل فلا تعمل فيه شيئاً^(١).
 أما العوامل المعنوية: فهي العوامل التي يظهر أثرها على بعض الألفاظ مع عدم
 وجودها وذلك نحو:

- ١ رافع للمبتدأ إذ يبدو المبتدأ مرفوعاً مع عدم وجود عامل ظاهر فيه، ومن ثم ذهب
 النحاة إلى أن العامل فيه تعريته من العوامل^(٢)
- ٢ رافع الفعل للمصدر. يُجمع للنحاة على أن العامل فيه عامل معنوي، سواء أكان
 العامل وقوعه موقع للمبتدأ، الذي هو مرفوع بالابتداء وهو عامل معنوي، أم كان
 نتيجة لتجرده من الناصب والجارم^(٣).
- ٣ الخلاف: وهو من العوامل المعنوية التي سحبها الكوفيون على عدد من أبواب النحو،
 فالاسم المنصوب بعد واو المعية، مثل استوى الماء والحقبة، منصوب على الخلاف،
 أي على خلاف الأصل وهو الرفع^(٤)، والمستثنى منصوب على الخلاف، لأن
 المستثنى موجب له الحكم بالإثبات، بعد نفيه عن المستثنى منه، فنصب لمخالفته بياه
 وقد احتج ابن الأنباري لمبدأ عدّ التعري من العوامل عاملاً بقوله: "فإن قيل فلم
 جعلتم التعري عاملاً، وهو عبارة عن عدم العوامل؟ قيل: لأن العوامل اللفظية ليست
 مؤثرة في المعمول حقيقة، إنما هي إمارات وعلامات، فالعلامة تكون بعدم الشيء، كما
 تكون بوجود شيء، ألا نرى أنه لو كان معك ثوبان، وأردت أن تميز أحدهما عن الآخر،
 لكنت تصبغ أحدهما مثلاً وتترك صبغ الآخر، فيكون عدم الصبغ في أحدهما كصبغ
 الآخر، فيبين بهذا أن العلامة تكون بعدم شيء، كما تكون بوجود شيء، وإذا ثبت هذا،
 جاز أن يكون التعري من العوامل اللفظية عاملاً"^(٥)

(١) انظر ابن هشام مخفى للريب، ج ١/ ١٣١ وانظر ابن يعيش شرح المعنى، ج ٨/ ١٧

(٢) انظر ابن الأنباري الإتصاف مسألة رقم (١٥)

(٣) مريد من التفصيل انظر ابن الأنباري الإتصاف، مسألة ٧٤

(٤) انظر الفرء معاني الفراء، ج ١، ١٣٤ ابن الأنباري، الإتصاف للمسألة رقم (٣٠)

(٥) ابن الأنباري، سرر العربية تحقيق محمد بهجة البيطار، المجمع العلمي للعربية، دمشق، ١٣٣٧ هـ. ص

وفي هذا يلتقي النحاة العرب مع مبدأ مهم من مبادئ البيوية، وهو مبدأ "المُعَلَّم وغير المُعَلَّم" والذي تصنف الأبواب النحوية على أساسه وفقاً لوجود علامات دالة عليها، وسنوضح هذا في فصل قادم إن شاء الله

درس النحاة العلاقات في الجملة في إطار نظرية العامل، فصنعت إلى أبواب نحوية كالمرهوعات، والمنصوبات والمجرورات، وبذلك جعل النحاة الكلمات مُعْتَلَّة لأبواب نحوية، مثال ذلك أنهم يعربون الجملة "قرأ محمد الكتاب" على أن قرأ: فعل ماضٍ، وهو يمثل باباً نحوياً، وأن "محمدًا" فاعل، وهو يمثل باباً نحوياً آخر، وأن الكتاب معقول به، وهو يمثل باباً نحوياً أيضاً. وبذلك تتحول الكلمات بالتحليل الإعرابي إلى أبواب، ومن ثم تصبح العلاقات التي بينها. وفي هذا يلتقي النحاة مع مبدأ من مبادئ البيوية، عُرف "بالتحليل إلى المكونات المباشرة" كما سنوضحه في حيبه

ولم نتحدث عن الجانب القياسي والتعليلي في الاتجاه المعياري، لأن الحاجة إلى ذلك قد سدت في حديث عن القياس والتعليل في الاتجاهين الوصفي والعقلي المنطقي.

المعيارية بين الشكل والمضمون

من الواضح أن نظرية العامل تولي اهتماماً كبيراً لتفسير الراكيب النحوية تفسيراً شكلياً، ولكن هل اقتصرَت على معالجة الجانب الشكلي فقط؟ أم أنها تناولت ظواهر أخرى داخل التركيب؟ لعل هذا السؤال من أكثر الأسئلة إلحاحاً، ولا سيما بعد أن أشدَّ بعض الباحثين المحدثين أن "النحو العربي قصير نفسه على تعرف أحوال أواخر الكلمات، إعراباً وساماً، فبحثه قاصر على الحرف الأخير من الكلمة، بل على حاصة من خواصه وهي الإعراب والبناء"^(١)

لعلنا نستطيع إلقاء الضوء على هذه المسألة من خلال النقاط الآتية:

١ أقرَّ النحاة أن النحو هو "العلم المسنَّح بالقياس المستنبط من استقراء كلام العرب الموصلة إلى أحكام أجزائه التي اختلفت منها"^(٢) والشواهد النحوية على ارتباط الحركات على أواخر الكلمات بالمعاني كثيرة، منها ما ورد في القرآن الكريم في نحو

(١) إدريس مصطفى بديع النحو، ص ١

(٢) العيني، شرح شواهد الأئمة، ج ١، ص ١٥

قوله تعالى: "إنما يحظى الله من عباده العلماء"^(١) وقوله تعالى: "إن الله يرى من
المُشركين ورسوله"^(٢)

فالإعراب إن، ما شيء عن سبب طبيعي يتعلّق ببناء الجملة العربية وتأليها، ومن
ها فقد فطر النحاة إلى علاقة للحركات بالمعاني، وأكثوا ذلك غير مرّة في مواضع
مختلفة، يقول ابن جني "الإعراب هو الإبانة عن المعاني بالألفاظ، ألا ترى أنك إذا
سمعت أكرم سعيد أباه، وشكر سعيد أبوه علمت برفع أحدهما ونصب الآخر، الفاعل من
المفعول، ولو كان الكلام شرحاً واحداً لاستبهم أحدهما من صاحبه"^(٣)

ويقول الزجاجي: "إن الأسماء لما كانت تعنّوها المعاني، فتكون فاعلة ومفعولة،
ومصافة ومصافة إليها، ولم تكن في صورتها وأبييتها أدلة على هذه المعاني، بل كانت
مشتركة، جعلت حركات الإعراب فيها تنبئ عن هذه المعاني"^(٤)

ومن هنا جاءت فرصة النحاة، بأن الإعراب أصل في الأسماء دور الأفعال،
فرصة تنق مع روح اللغة، وإن نحت قاعدة شكلية، ذلك أن الإعراب جاء علامة مميزة
بين المعاني التي تعنّو اللفظ، والفعل أقلها حاجة لذلك، فلم يلزمه الإعراب كثيراً، فاحر
الفعل المُعرب يتغير من رفع إلى نصب إلى جزم، لكن هذا التغير لا يدل على تغير في
موقع الفعل، لأنه يقع دائماً في موقع الفعدة، إذ هو يتركب مع الاسم بعضه، ويشكلان جملة
أما تغير الإعراب في الأسماء، فهو دلالة على تغير الموقع، فلم لها علامات مميزة،
وهذه العلامات لإزالة اللبس أو التفرقة بين المعاني، ومن ثم كانت التعابير كثيرة في
الأسماء فقد تتغير صيغة الكلمة للدلالة على معنى معين، كما يحصل في التصغير وجمع
التكسير وقد يُصاف إلى الاسم حرف أو حرفان، كما في المثني، وجمع المنكر السالم،
وجمع المؤنث، والمسبوب وغيرها بل إن طاقة اللغة قادرة على تسخير بعض
الإضافات، هذه كي تؤدي مهمة مبروجة، كما في جمع المنكر السالم والمثني وغيرها.

(١) سورة فاطر، الآية ٢٨

(٢) سورة التوبة، الآية ٣

(٣) ابن جني، الحصائص، ج ١، ص ٣٥

(٤) الزجاجي، الإيضاح في علم النحو، ص ٦٩

وحرّح قطرب على إجماع النحاة، بقول الرّجّاجي "وتكون الحركات دالة على المعاني، هذا قول جميع النحويين إلا قطرباً" (١)

ويرى قطرب (محمد بن المستنير) (٢) أن العرب "إنم أعربت كلامها لأن الاسم في حال الوقف يلزمه السكون للوقف، فلو جعلوا وصله بالسكون أيضاً لكان يلزمه الإسكان في الوقف والوصل، وكانوا يبطنون عند الإدراج، فلما وصلوا وأمكنهم التحريك، جعلوا التحريك معاقباً للإسكان ليعتدل الكلام ألا تراهم بنوا كلامهم على متحرك ساكن، ومتحركين وساكن، ولم يجمعوا بين ساكنين في حشو الكلمة ولا في حشو بيت، ولا بين أربعة أحرف متحركة، لأنهم في اجتماع الساكنين يبطنون، وهي كثرة الحروف المتحركة يستعجلون، وتذهب المهلة في كلامهم فجعلوا الحركة عقب الإسكان". (٣)

وهذا ردّ الرّجّاجي على قطرب بقوله: "لو كان كم رعم، لجار حفص الفاعل مرة، ورفع آخرى وبصيه وجار نصب للمصاف إليه، لأن المقصد في هذا، إنما هو الحركة تعاقب سكوت يعتدل به للكلام، وأي حركة أتى به المتكلم أجرأته فهو محير في ذلك، وفي هذا هساد للكلام وحروح على أوصاع العرب، وحكمة نظام كلامهم" (٤)

ونابع قطرباً من المحدثين إبراهيم أنيس وداود عيده كما ستوضح في فصل قادم إلى شاء الله

٢- ربط النحاة بين الأبواب النحوية، والمعاني الوطيفية الدالة عليها، تلك أنهم عسما قالوا كتب فعل ماض. دلّ ذلك على أنها تقوم في السياق بدور الفعل الماضي، ومن هنا يمكن فهم مقولة النحاة، "الإعراب فرع المعنى"، إضافة إلى تسمية النحاة لكثير من الأبواب النحوية أسماء ذات دلالة قوية على معناها، من ذلك باب الفاعل، وبائب الفاعل والمفعول به، والمفعول لأجله، والتمييز والحال - إلخ.

(١) الرّجّاجي، الأيضاح في علم النحو، ص ٦٩

(٢) القسطلاني، إنباء الرواة على أنباء النحاة تحقيق محمد أبو الفصح إبراهيم، القاهرة، ١٩٧٣م، ج ٣، ص ٣١٩

(٣) الرّجّاجي، الأيضاح في علم النحو، ص ٦٠ - ٦١

(٤) السمعاني، ٧١، وانظر جلال الدين السيوطي، لآشياء والنصائر في النحو، ج ١، ص ٧٩

وقد أدرك النحاة الجوانب التعليمية في نظرية العامل، فحاولوا تقديم اللغة في هيكل تعليمية تمكن الدارس عرب وغير عرب، من تعلم العربية بوصفها لغة الحضارة الإسلامية، ومن هنا فقد فرق ابن جني بين المعنى الحووي، والمعنى المعجمي للمصطلح الحووي، بقوله "يقول النحويون إن الفاعل رفع، والمفعول به نصب، وقد ترى الأمر بصداً لك، ألا تراءى تقول: ضرب زيد، هزفعه، وإن كان مفعولاً به، ونقول: إن ريداً قام، فقصه وإن كان فاعلاً، ونقول: عجبت من قيم زيد، فجزه، وإن كان فاعلاً" (١) ومن الواضح أن النحوي يتمثل المعنى تمثلاً حيداً، وإن علب أحياناً جانب الشكل، فليس لأنه نحلي عن فهم المعنى، وإنما لأنه يسعى إلى تشكيل معايير لغوية تفسر بالمنعزم، كيف أن الساطق يفكر بأبواب بحوية، يمثلها بممثلات صرفية، ولكل باب حوي حركة عرابية يحددها الممثل الصرفي حال نحوله في حاة الباب الحووي، وقد يكون ذلك حقيقة أو اصطلاحاً كما هو في باب نائب الفاعل، الذي سمّاه النحاة بذلك لتميزه عن الفاعل. يقول الرصني "إن ما يُسمى بالنائب عن الفاعل عند عبد القاهر والرمحشيري، فعل اصطلاحاً" (٢) وقد سماه سيبويه من قبل تسمية وصفية معيارية بـ "المفعول المرفوع" جاء في الكتاب: "هذا باب الفاعل الذي لم يتعد فعله إلى مفعول، والمفعول الذي لم يتعد إليه فعل فاعل، ولم يتعد فعله إلى مفعول آخر، والفاعل والمفعول في هذا سواء، يرتفع المفعول كما يرتفع الفاعل" (٣)

وبهد يُعرب النحاة عن إدراكهم، أن عناصر التركيب قد تتبادل المواقع فيما بينها، أو يحل أحدها محل الآخر، فتحدث نتيجة لهذا التبادل أو هذا الإحلال بعض التعبيرات الشكلية، لكن الرابطة المعنوية بينها لا يزال ثابتاً لم يمسسه التحول فقد مرَّ النحاة الصلة الوثيقة في المعنى بين الخبر والحال، مع أن الخبر من المرفوعات، والحال من المنصوبات، وهذا دليل على أن النحوي يبعد عن العلاقات الشكلية الظاهرة على التركيب اللغوية إلى جوهر التركيب فأشاروا إلى:

(١) ابن جني، الخصائص، ج ١، ص ١٨٤

(٢) الرصني، الأسترلابادي، شرح شافيه ابن الحاجب بحوية محمد نور الحسن وحرير، بيروت، ١٩٧٥، ص ٣٥

(٣) سيبويه، الكتاب، ج ١، ص ٣٣

١- أن وجوه الشبه كثيرة بين الخبر والحال، فالحال والخبر كلاهما يكون مكررة، مشقة أو جامداً أو مؤولاً بالمشقة^(١)

٢ الحال والخبر يتبادلان المواقع أحياناً، وذلك كأن يقول

حالة في البيت قائم ← مبتدأ + حال + خبر

حالة في البيت قائما ← مبتدأ + خبر + حال

٣ بعض ما يُعرب حالا يجوز رفعه فيُعرب خبراً، كما في قوله تعالى "هد بعلي شيخاً" (٢) وقد فُرى "هد بعلي شيخاً"

وفيه اوجه عدة :

١ أن يكون هدا مبتدأ، وبعلي بدلاً منه و"شيخ" الخبر

٢ أن يكون بعلي عطف بيان، وشيخ الخبر

٣- أن يكون بعلي مبتدأ ثانياً، وشيخ خبره، والجملة خبر هدا

٤ أن يكون بعلي خبر المبتدأ، وشيخ خبر مبتدأ محذوف، أي هو شيخ

٥ أن يكون شيخ خبراً ثانياً

٦ أن يكون بعلي شيخ جمعاً خبراً واحداً، كما تقول. هذا حلو حامص

٧ أن يكون "شيخ" بدلاً من بعلي (٣)

٤- الحال قد يسن مسد الخبر في إفادة المعنى، وعندئذ لا يجوز ذكر الخبر لتتمام المعنى وذلك نحو.

أحسن ما يكون الطالب مجتهداً.

هـ (مجنهداً) خبر كان المقدرة على المعنى أي

أحسن ما يكون الطالب إذا كان مجتهداً

ويرى "ابن الشجري" أن الخبر وجب حذفه هنا، لأن الحال بعض منه، والحال قد يُحذف بأسره، فحذف بعضه وبقاء بعضه أسهل (٤).

{١} ابن الشجري، الأمل في الشجرية دار المعارف النصفية بحيدر آباد، ١٣٤٩ هـ ج ٢، ٢٧٥

{٢} سورة هود، الآية ٧٢

{٣} العكبري، إملاء ما من به الرحمن تحقيق محمد عطوه القاهرة، ١٩٦٩م، ج ٢، ٧٠٧

{٤} ابن الشجري، لأمل في الشجرية، ج ٢، ٢٨١

٥ من أنواع الحال، الحال المؤكدة في نحو قوله تعالى

‘وهو الحق مصدقاً’^(١)

‘وهذا صراط ربك مستقيم’^(٢)

فهذه الحال أكذبت المعنى الذي دلّ عليه الخبر، لأن الحق لا يكون إلا مصدقاً، فالحال لا تقتض معنى جديداً

٦ عبر سيبويه عن الحال بالخبر، مما يس على إدراكه للصلة الوثيقة بينهما دلاليّاً، فقد عبر عن لأصل النحوي المشهور ‘الجمل بعد الكرات صفات، وبعد المعارف أحوال’ بقوله: ‘كل شيء كان للكرة صفة، فهو للمعرفة خبر، وذلك قولك، مررت بأحويك قائمين، فالفائمين هنا نصب على حذف الصفة في الكرة’^(٣)

٣- دعا النحاة إلى أن اللفظ الواحد قد يحتمل أكثر من وجه إعرابي، فعلى النحوي أن يرجح الإعراب الذي يوافق المعنى، يقول ابن جني ناصحاً المَعْرَب ‘فإن لممكنك أن يكون تفسير الإعراب على سمت تفسير المعنى، فهو ما لا غاية وراءه، وإن كان تقدير الإعراب مخالفاً لتفسير المعنى، تقيّلت تفسير المعنى على ما هو عليه، وصححت الإعراب حتى لا يشد شيء منها عليك، وإياك أن تسترسل فتفسد ما تؤثر إصلاحه’^(٤) وذلك على أساس أن المعنى هو الهدف، وأول واجب على المَعْرَب، أن يفهم معنى ما يُعْرَبه مفرداً أو مركباً’^(٥)

وجد لهذه النصيحة شواهد كثيرة في تطبيقات النحاة العملية، مثال ذلك أن ابن أنباري رجح الوجه الذي يتفق مع المعنى في إعراب لفظ ‘أربعين’ في قوله تعالى: ‘وإذ وعد موسى أربعين ليلة’^(٦) بقوله ‘وأربعين ليلة مفعول ثانٍ لوعده، وتقديره تمام

(١) البقرة، الآية ٩١

(٢) الأنعام الآية ٢٦

(٣) سيبويه الكتاب ج ٢، ٨ وقد وردت هذه الفكرة في مواقع مختلفة من الكتاب منها ج ٢، ٤٩، ٥٠، ٨١، ٨٧،

٩٢

(٤) ابن جني، الخصائص، ج ١، ٢٨٣

(٥) ابن هشام، المعنى، ج ٢، ٥٢٧

(٦) البقرة الآية ٥١

أربعين ليلة، فحذف المصاف وأقيم المصاف إليه مقامه، ولا يجوز أن يكون منصوباً على الطرف، لأنه يصير المعنى واعدده في أربعين ليلة، وليس المعنى على ذلك، وإنما المعنى أن الوعد كان بتمام أربعين ليلة^(١) وقد رجح العكبري أن موقع الجملة يتلوه حق تلاوته، هي قوله تعالى "الذين اتبناهم الكتاب يتلوه حق تلاوته، أولئك يؤمنون به"^(٢) موقع الحالية على موقع الخبر مستنداً بالمعنى بقوله: "لأنهم لم يكونوا وقت إتيانه تالين له"^(٣)

وهذا يتفق مع رأي ابن الأنباري الذي قال: "ويتلوه جملة فعلية في موضع نصب على الحال من المصمر المنصوب في (اتبناهم)، ولا يجوز أن يكون (يتلوه) الخبر، لأنه يوجب أن يكون كل من أوتى الكتاب يتلوه حق تلاوته، وليس الأمر كذلك إلا أن يكون الذين أوتوا الكتاب لأنبياء عليهم السلام"^(٤)

٤- إن مراعاة النحاة لعناصر مهمة في الطواهر اللغوية، يشير إلى أنهم كانوا يقصدون إلى الإحاطة بالطاهرة اللغوية من جوانب مختلفة، ومن هذه العناصر

١- التقديم والتأخير:

فقد أشار سيبويه إلى نور التقديم والتأخير في المعنى بقوله "فإن قدمت المفعول وأحرت الفعل، جرى اللفظ كما جرى في الأول، وذلك قولك. صرب ريداً عبد الله لأنك إنما أريت به مؤحراً، ما أريت به مقدماً، ولم ترد أن تشعل الفعل بأول منه، وإن كانوا إنما يقدمون الذي بيانه أهم لهم، وهم ببيانه أعلی، وإن كانوا جميعاً بهمانهم ويعنيانهم"^(٥)

٢- الزيادة:

المقصود بالزيادة هو ما راد على تركيب الجملة الأصل، الذي عبر عنه النحاة بعلاقة الإسناد، (المسند والمسند إليه)، كالفعل والفاعل، والمبتدأ والخبر، وعدوا ما راد

(١) ابن الأنباري، البيان في غريب أعراب القرآن، تحقيق طه عبد الحميد، القاهرة، دار الكتاب العربي، ١٩٦٩، ج ١، ٨٢

(٢) البقرة، الآية ١٢١

(٣) العكبري، التبيين في غريب القرآن، ج ١، ص ١١١

(٤) ابن الأنباري، البيان في غريب أعراب القرآن، ج ١، ١١٤

(٥) سيبويه، الكتاب ١، ٣٤

على ذلك من باب الفصلات، وهم يتركون أن لهذه الفصلات قيمة دلالية واضحة، وذلك كإصاقتها لدلالة المفعوليه، أو الحال أو التمييز .. إلخ.

وكذلك أشاروا بمصطلح الريادة إلى الحروف الرائدة، كما في نحو قوله تعالى: "كفى بالله شهيداً" (١)، ومن الواضح أنهم يقصدون بها الريادة من حيث تركيب الجملة، وأنها أصابت معنى جديداً للجملة هو التوكيد. يقول ابن جني "ولولا أن في الحرف إذا ريد صرياً من التوكيد ما جازت ريادته البتة" (٢)، ويقول: "فقد علمنا من هذا أننا متى رأيتهم قد أرادوا الحرف، فقد أرادوا غاية التوكيد" (٣) وفي هذا دلالة واضحة على تعمق ابن جني لمعنى الجملة ومبناها.

٣- الحذف :

المقصود بالحذف، نقص في ركن من أركان الجملة، وذلك لوجود دليل عليه، وذلك كأن تجيب عن سؤال: من القادم؟ فتقول: محمد، فكلمة "محمد" جملة تحمل معنى بحسن السكوت عليه، وقد تتبع النحاة مواضع الحذف، ورأوا أن بعضها يكون الحذف فيه وجوباً، وأحياناً يكون جوازاً، من ذلك حذف الفاعل وجوباً (٤) في مواضع منها ما يأتي:

أ- إذا بني الفعل للمجهول

ب- في صيغة الاستثناء المفعول، وذلك نحو: ما حضر إلا خالد، وحذفه جوازاً وذلك كأن يُحذف طرفاً، لإسناد، ويكرر المفعول مشيراً إلى المحذوف كما في نحو قوله تعالى: "وقيل للذين اتقوا ماذا أنزل ربكم قالوا: حيراً" (٥) فقام المفعول (حيراً) مقام الفعل والفاعل: "أنزل ربنا".

(١) سورة النساء، الآية ٦٩

(٢) ابن جني، من صناعة الإعراب، تحقيق مصطفى السلف ورملائه، مطبعة الحنبي ١٩٥٤م، ج ١، ص ٢٧١

(٣) العميق، ج ١، ص ٢٧١

(٤) انظر السيوطي الهمج ج ١، ص ١٦٠

و انظر السيوطي الأشبه والنظائر ٦٥ / ٢

(٥) س. م. المح، آية ٣

وقد بلغ الاهتمام بالمعنى دروته عند عبد القاهر الجرجاني، الذي جعل بظرفه الناقبة الشاملة، وآرائه اللغوية المفتحة جسراً يربط بين علوم العربية، ولعل من أبرز أهدافه في نظرية (النظم)، أن يبين أن النحو أعم وأشمل من النظر في حركات الإعراب، فهو علم يعنى بفوائد ربط للكلام، وتأليف الجمل، كالنقش والتأخير، والحدف والذكر في الجملة، وبهذا فتح المجال أمام الدارسين للانطلاق من النص إلى ما وراءه، بحيث يتركز الأبعاد المختلفة المهمة في تأصيل المعنى النحوي وتقعيده، ومن ثم فقد كان له رأي فصل في الألفاظ والمعاني، فالألفاظ أوعية للأفكار، دون أن يكون لأحدهم فصل على الآخر، ومن ثم فإنه لابد من ترتيب الألفاظ وتواليها على النظم الحاصل وإذا كانت الألفاظ أوعية لمعاني فإنها لا محالة تتبع المعاني في مواقعها، فإذا وجب لمعنى أن يكون أولاً في النفس، وجب للمفرد الدال عليه أن يكون مثله أولاً - في النطق" (١)

ولابد لهذا السيج المكون من الألفاظ والمعاني، أن يحتكم لمجموعة من القوانين والقواعد، فيبدو نظاماً محكماً. يقول عبد القاهر ليس النظم إلا أن تصنع كلامك الوصف الذي يقتضيه علم النحو، وتعمل على قوانينه وأصوله، وتعرف مناهجه التي نهجت فلا تربع عنها" (٢) فالجرجاني مطر، استطاع أن يلقى نظرة متكاملة على العربية، فهي تشكل بنية عضوية واحدة، تناسس على مادة مشتركة واحدة، وكل علم يأخذ من هذه المادة جانب يدرسه ويحلله ويُنظر له، ويرسم صورته الأولية بدءاً على نتائج استقرائه، وكل هذه العلوم من نحو، وصرف، وبلاغة، وتفسير، تتوجه نحو تحقيق هدف واحد، هو خدمة القرآن الكريم، وبدء أصول علمية موضوعية لمعرفته، تؤدي إلى تدقيقه والوقوف على أسرار البيان والبلاغة والجرجاني سباق إلى كثير من الأسس التي قامت عليها المناهج المعاصرة، ولا سيما الوصفية (البنيوية) كما موضح في فصل قائم.

ومما يؤكد أن جهود اللغويين المعيارية، اهتمت بجانب الشكل والمضمون في التقعيد، إدراكاً لما بينهما من علاقة، فقد لاحظوا، مثلاً أن الفاعل حكمه شكلاً أن يكون مرفوعاً، ومعنى ذلك أن يكون هو الذي قام بالفعل، ثم طردت هذه القاعدة في ما لا

(١) الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص ٣٥

(٢) الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص ٧٣

حصر له من الأمثلة، إلا أن الفعل في حده الشكلي - وهو الرفع ربما لا يكون هو الذي فعل الفعل، في نحو :

(مات الرجل) ، و (نقطع العصب)

بل هو من ناحية المصموم وقع عليه فعل فاعل، ولكن النحاة مع ذلك يعثرون الرجل والعصب فاعلين لأنهما مرفوعان ولذا فقد اضطروا إلى إسناد قاعدة الفاعل السابقة، بقاعدتين أخريين وهما تقدم الفعل، وإسناده إلى الفاعل، والفعل هو الذي أسند إليه الفعل^(١)، على أن يكون الفعل مقدماً على الفاعل عند النحاة البصريين، فإن تقدم الفعل فهو مبتدأ، وبه يكون قد أدخلوا جملاً لا يكون الفاعل فيها فاعلاً في الحقيقة، قال ابن السراج "الاسم الذي يرتفع بأنه فاعل، هو الذي بيته على الفعل الذي بُني للفاعل، ويجوز الفعل حديثاً عنه مقدماً قبله أكان فاعلاً في الحقيقة أو لم يكن، كقولك: جاء زيد، ومات عمرو، وما أشبه ذلك، ومعنى قولي بيته على الفعل الذي بُني للفعل، أي ذكرت الفعل قبل الاسم، لأنك لو أثبتت بالفعل بعد الاسم لارتفع الاسم بالابتداء"^(٢)

فالنحاة بهاتين القاعدتين الشكليتين الإسناد والترتبة أو الموقع، قد حلوا المشكلة بتعليب جانب الشكل، إذ أصبح المفعول في المعنى (الرجل، العصب) فاعلاً في المفهوم الاصطلاحي المعياري لأنه مرفوع

ولا يكاد يحلو باب من أبواب النحو، من هذه التفسيرات التي ترمي إلى إمطاة ما يمكن أن يعترض مجرى القاعدة، وذلك حين يتعرأ أن يتسجم التفسير الشكلي مع المصموم. ولكن النحوي يميل - في الغالب - إلى ترجيح ما يفسر الشكل^(٣) كما رأيت في الأمثلة السابقة

وربما كان السبب في ذلك إحساس اللغويين، أن الأشكال أثبتت من المصامير، وأكثر تحديداً منها، أما المصامير فهي منعيرة متعددة، وعلى هذا فتفسير الشكل أدعى تعليمياً وتأسيسياً إلى الانصبط، وذلك مع التنبيه إلى خصوصيات المفارقة بين الشكل

(١) انظر ابن هشام لأصبح المسالك، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، القاهرة، دار احياء للتراث العربي ١٩٦٠م، ج ١، ٣٣٥

(٢) في السراج، لأصول، ج ١، ٦٢، ٧٣

(٣) انظر إسماعيل عاصم، مطرة معربة على المدرسة النحوية، ص ١٣٩

والمعنى، وذلك كأن يُقال: إن (غير) أداة استثناء في المعنى، وما بعدها هو المستثنى، وإن كانت تُعرب في المصطلح مستثنى^(١)، وما بعده مصاف إليه، لأنها اسم قابل لحمل العلامة الإعرابية بحلاف إلا، ولأن ما بعدها يكون ملازماً للجر، بحلاف ما بعد إلا وقد قاس النحاة "سوى" على "غير"

(١) انظر ابن هشام معنى النيب، ج ١، ١٥٨

المبحث الثالث الاتجاه التاريخي

تقديم

تتحدّر اللغة العربية من أرومة اللغات المسميّة، ونلاحظ أن ما سُمّي بعصر الاحنجاج، هو في حقيقته، عصور لعوية عديدة، تمتد على رقعة زمانية صارية في عمق الزمن، إلى ما لا يقل عن ثلاثمائة عام، تطورت اللغة خلالها وقبلها تطوراً أثر فيه اختلاف الرمان، والمكان، والجوار لأمم مختلفة، كالفرس، والإغريق، والسريان، وإلى أي حد راقب النحاة العرب مثل هذه التطورات في اللغة؟ وهل شكّلت هذه المراقبة بُعداً مسهّلاً سيروا اللغة من خلاله؟

لعل بناء تصور عن جهود النحاة التاريخيّة يتطلب ما دراسة ملمحين عندهم،

هما:

- ١- الملمح التاريخي المقارن، وأقصد به تلك الإرهاصات التي تنتمي إلى المصهح، الذي يجتهد في مقاربة الطاهرة اللعوية بما يباظرها في لغات أخرى.
- ٢- الملمح التاريخي التطوري، وأقصد به تلك الإرهاصات التي تنتمي إلى المصهح، الذي يرمي إلى الوقوف على أطوار الطاهرة في اللغة الواحدة، مع بيان أثر الرمان والمكان في تطورها، دون أن يحتاج ذلك إلى المقارنة بلغات أخرى، فإذا استعان الباحث بالمقارنات اللعوية الأخرى، يكون قد فتح باب المصهح التاريخي على أوسع نطاق، ويكون بذلك قد سار على المصهح التاريخي المقارن

الملمح التاريخي المقارن

وردت إشارات مبكرة عند اللعويين الأوائل، يقاربون فيها بين الطواهر اللعوية في لغتين، كالفرسية والعربية، كما في الكتاب لسيبويه، وهالك إشارات أخرى للتحليل بين أحمد وابن حرم^(١)، وفي هذا ما يدل على أن بدايات المصهح التاريخي المقارن، ترجع رسمياً إلى ما هو أبعد من القرن الرابع الهجري، إذ رُعم بعودة الدراسات اللعوية إلى

(١) سطر . مصاص عبد الوهاب، فصول في لغة اللغة، ص ٣٠ ٣٢

لعويين يهود عاشوا في كنف الدولة الإسلامية في شتى أقطارها، ويذكر من هؤلاء اللعويين اليهود في العراق سعيد بن يوسف الفيومي الملقب بـ (سعدنيا)، المتوفى سنة ٩٤٥م، فقد ترجم التوراة وبعض كتب الحكمة إلى اللغة العربية، وكان يحترق أقرب الألفاظ العربية من نطق اللفظة العبرية^(١)، وعلى هذا فلا يستطيع أن يعد جهده جهداً لعوباً، إذ لا يعدو أن يكون رجلاً واجه موقفاً من مواقف الترجمة ومتطلباتها.

ويذكرون في الأندلس والمغرب لعويين أشهرهم (يهودا بن قريش التاهرنى)، الذي عاش في القرن العاشر الميلادي (الرابع الهجري) ألف كتاباً بالعربية، درس فيه العلاقة بين العبرية والآرامية، وبين العبرية والعربية، وهو يرى أن "العبرية والآرامية والعربية قد صيغت - بالطبيعة - بطريقة واحدة"^(٢) ثم تفرعت نتيجة الحروح إلى أماكن مختلفة، والاحتلاط بلغات أخرى.

وقد شملت المعارفة التي قدّمها جدولاً، قابل فيه الأصوات الساكنة في كل من العبرية والعربية والآرامية، سواء أوقعت في أوائل الكلمات أم في أواخرها، وذلك في ترتيب ألفبائي، حتى يمكن لمن أراد حرفاً معيناً أن يجده في مكانه، وكذلك حصص باب لمعالجة الجنود العربية والعبرية، التي تنطابق أو تتشارك في أصل أو أصليين ساكنين^(٣)

ويذكر أيضاً أبو إسحاق بن بارون، الذي ألف كتاباً بالعربية في أواخر القرن الحادي عشر بعنوان: "الموازنة بين اللغة العبرية واللغة العربية". وقد أعطى ابن بارون حكماً عاماً على اللغتين وصم إليهما السريانية، لأنها متقاربة في الاشتقاق والتصرف واللفظ^(٤)

(١) انظر ابن السيم، الفهرست، طبعة وصفا، ص ٢٥

بوسكه، اللغات السامية، ترجمه رمضان عيد النواب، الكمالية، القاهرة، ١٩٦٣م، ص ٩

حسن طائض، اللسان والإسن، دار المعارف بمصر، ١٩٦١م، ص ٦٠ - ١٦٢

(٢) هاشم الطعن، مساهمة العرب في دراسة اللغات السامية، منشورات وزارة الثقافة العراقية، ١٩٧٨ ص ٦

(٣) حمد مختار عمر، البحث اللغوي عند العرب، ص ٢٥٤ بغلا عن دائرة المعارف اليهودية

(٤) حمد مختار عمر، البحث اللغوي عند العرب، ص ٥٥

وانظر هاشم الطعن مساهمة العرب في دراسة اللغات السامية، ص ٨

ومن إشارات علماء العربية التي تنبئ عن محاولتهم لربط العربية بغيرها من اللغات ما يأتي:

روى ابن سلام الجعفي، عن العالم الحوي المشهور أبي عمرو بن العلاء (ت ١٥٤هـ) أنه قال "العرب كلها ولد إسماعيل إلا حمير وبقايا جرهم" وروى قوله: "ما لسان حمير وأقصى اليمن اليوم بلسانك ولا عربيتهم بعربيتنا" (١)

وقد أشار الخليل بن أحمد (ت ١٧٥هـ) إلى وجود علاقة بين العربية والكنعانية، حيث قال: "وكنعان بن سام بن نوح، يُنسب إليه الكنعانيون، وكانوا يتكلمون بلغة تصارع العربية" (٢)

وكشف سيبويه عن بعض العروق بين العربية وغيرها كالفارسية والعبرية هي الأصوات والصيغ وذلك في باب (ما أعرب من الأعجمية)، يقول "اعلم أنهم مما يعيرون من الحروف الأعجمية ما ليس من حروفهم البتة، فربما ألحقوه ببناء كلامهم، وربما لم يلحقوه، فأم ما ألحقوه ببناء كلامهم، فدرهم ألحقوه ببناء هجرع، وبهزج ألحقوه بسنهب، وبسدر ألحقوه بديماس، ودياخ (ألحقوه) كذلك، وقالوا: إسحاق ألحقوه بإعصار، ويعقوب ألحقوه بيزنوع، وجوزب ألحقوه بعوعل، وقالوا: أجور، وألحقوه يعاقول، وقالوا: شيارق وألحقوه نعداهر، ورُسناق وألحقوه نقرطاس، لما أرادوا أن يعربوه ألحقوه ببناء كلامهم كما يلحقون الحروف بالحروف العربية" (٣)، وبهذا يكون سيبويه قد كشف عن سهج مكرر في التعريب وذلك بالتحريف في الأورار.

ثم ذكر سيبويه طريقة ثانية، تتمثل في إجراء تحريف في الأصوات، وذلك يتم أحيانا باستبدال الأصوات الساكنة التي لا توجد في العربية هي معظم الكلمات استبدل بالأصوات التي من هذا النوع أصوات عربية قريبة منها في المخرج، وهي كلمات قليلة استبدل بها أصوات بعيدة عنها في المخرج، فالصوت الذي بين الجيم والكاف مثلاً استبدل به أحياناً صوت الجيم العربية، وأحياناً صوت الكاف، وأحياناً صوت القاف، وذلك كـ

(١) ابن سلام، صغبات فحول الشعر، تحقيق محمود شاكر، ص ٢٠، ج ١، ص ٩ و ١١

(٢) الحبيب بن أحمد، العين، تحقيق عبد الله برويش، الجزء الأول، ص ٢٣١، ١٨٥، ٢٣٢

(٣) سيبويه، الكتاب، ج ٤، ص ٣، ٤، ٣

يقولوا، قُرْتَبَرٌ أو كُرْتَبَرٌ أو قُرْبَقٌ، والصوت الذي بين الفاء والياء، استبدل به أحياناً صوت الفاء، وأحياناً صوت الباء، مثل: هَرَدَ السِّيفُ أو بَرَدَهُ" (١)

وأوضح سيبويه أن العرب قد يُبدلون بعض الأصوات، دون ضرورة صوتية، من ذلك مثلاً أصوات المد الطويلة (الألف والياء والواو)، والقصيرة (الفتحة والكسرة والصمة)، التي استبدل بعضها ببعض في كثير من الكلمات المُعربة، ومن ذلك أيضاً بعض الأصوات الساكنة، كصوت الشين الذي استبدل به السين في مثل إسماعيل وسراويل، ونست ونيسابور (٢)

وأشار إلى أن العرب: "ربما نكروا الاسم على حاله، إذا كانت حروفه من حروفهم، كان على بيئاتهم أو لم يكن نحو، حُرَاسٌ والكُرُكُم" (٣).

وحاول المبرد (٢٨٦هـ) الربط بين العربية وغيرها من حيث، تقسيم الكلام إلى اسم وفعل وحرف، بقوله، "فالكلام كله اسم وفعل وحرف جاء لمعنى، لا يحلو الكلام - عربياً كان أو أعجمياً من هذه الثلاثة" (٤)

ووردت بصوص تشير إلى العلاقة بين العربية والسريانية، فابن جرير يرى أن يعرب بن قحطان سُمي بعرب (لأنه أول من عدل لسانه عن السريانية إلى العربية) ولابن دريد إشارات إلى اللغتين السريانية والعربية، ومقارنات صحيحة بينها (٥).

وَألف أبو حيان (٧٤٥هـ) تأليفاً مستقلاً وصَّح فيه العلاقة بين العربية والحِشِيَّة في المعرذات والتراكيب، وهو كتاب معقود بعنوان (جلاء العيش عن لسان الحبش)، قال فيه: "أما قولهم هندي وهندي في معنى واحد، وهو المسوب إلى الهد، قال الشاعر
ومقرونة ذهم وكُمت كأنها طماطمٌ يوفون الوفاً هنانكُ

(١) سيبويه، الكتاب، ج ٤، ٣٠٤.

(٢) السابق، ج ٤، ص ٣٠٤ وأصل هذه الكلمات بضمعين، وشراويل، ونخب، وديشور.

(٣) السابق، ج ٤، ٣٠٤.

(٤) المبرد، المنصب، ج ٢، ص ٢.

والطبري، الركني، الاعلام، ط ٢، القاهرة ١٩٥٤، ج ٨، ص ١٥.

(٥) بروكلمان، تاريخ اللغتين العربيتين، ترجمة رمضون عبد القوي، ج ٢ / ١٧٧.

فحرجه أصحابا على أن الكتاب ليست رائدة، لأنه لم تثبت ريادتها في موضع من المواضع فيحمل هذا عليه، وإنما هو من باب سبط - سبطر، والذي أخرج عليه، أن من تكلم بهذا من العرب، إن كان تكلم به، فإنما مرى إليه من لغة الحبش، لقرب العرب من الحبش، ودخول كثير من لغة بعضهم في لغة بعض، والحبشة إذا نسبت ألحقت آخر ما تنسب إليه كافاً مكسورة مشوية بعدها ياء، يقولون في النسب إلى قندي قنديكي، وإلى شواء شوكي، وإلى الفرس الفرسكي. وربما أبدلت تاء مكسورة، قالوا في النسب إلى جبر جبرتي، وقد تكلمت على كيفية نسبة الحبش إلى كتاب المترجم عن هذه اللغة المسمى (بجلاء العيش عن لسان الحبش)، وكثيراً ما تتوافق اللغات، لغة العرب ولغة الحبش، في ألفاظ وهي قواعد من التراكيب النحوية، كحروف المصارعة، وناء التأنيث، وهمزة التعديّة (١)

وقد وردت لمحات مقارنة أخرى عند بعض المؤرخين، ولعل أبرزها ما ذكره المسعودي، حين تحدث في مروج الذهب عن الآشوريين، في فصل عوانه (ذكر ملوك الموصل وبيدوي وهم الآشوريون) ويتحدث عن لغتهم فيقول: "وكان أهل بيدوي ممن سميا ببطاً، وسريانيين، والجنس واحد، واللغة واحدة، وإنما بان الببط عنهم بأحرف يسيرة هي لغتهم والمقالة واحدة" (٢)

وأشار المسعودي إلى علاقة الببط بالسريان، بقوله: "من الناس من رأى أن السريانيين هم الببط، ومنهم من رأى أنهم أخوة لودماش بين سبط" (٣).
وقدّم المسعودي بطرته، إلى تقارب اللغات وتعريف اللغة بقوله: "إن اللغة إنما تكون واحدة، بأن تكون حروفها التي تكتب بها واحدة، وتألّف حروفها تأليفاً واحداً، وإن اختلف بعد ذلك في سائر الأشياء الأخرى، كالفهلوية والدرية والأكرية وغيرها من لغات الفرس" (٤)

(١) أبو حيان البحر المحيّد ج ٤ / ١٦٣ وانظر شرح البيه السيق في نسب العرب مادة هندك

(٢) المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، دار الأئتمن، بيروت ج ١، ص ٢٣٧

(٣) المسعودي، مروج الذهب، ج ١، ص ٢٣٠

(٤) المسعودي، التتبيّه والإثراء، دار الصموي، مصر ١٩٣٨، ص ١٨

وقال في موضع آخر: وهذه جريرة العرب كانت كلها مملكة واحدة يملكها ملك واحد، ولسانها واحد سرياني، وهو اللسان الأول، لسان آدم وسوح وإبراهيم عليهم السلام، وغيرهم من الأنبياء فيما ذكر أهل الكتب، وإنما تختلف لغات هذه الشعوب من السريانيين اختلافاً يسيراً، على حسب ما ذكرنا من حال العرس، والعبرانية منها والعربية أقرب اللغات بعد العبرانية إلى السريانية، وليس التفاوت بينها بالكثير^(١)

ولا يحفى ما في هذا التقسيم من خلط بين الفارسية، وهي لغة هندية أوروبية، واللغات السامية التي منها العربية والعبرانية والسريانية، ولا يحفى أيضاً أن عد السريانية أمّا للغات السامية ليس صحيحاً، فالسريانية فرع من فروع الآرامية، وقد اكتسب هذا الاسم من اسم البلد - سوريا - وقد تسمى بها أتباع المسيح تمييزاً لأنفسهم من الآراميين، الذين طُلوا على وثبتهم، فارتبط اسمهم بالوثنية.

وقد التفت بين حرم إلى الأسباب التي أدت إلى الاختلاف بين اللغات، وذلك كاتساع رقعة الأرض وسماء (اختلاف البلدان) واحتلاط الأمم، وسماء (مجاورة الأمم) وأصناف (طول الأزمان)، وذكر أسلوب الأداء الفردي فأسماء (تبديل العامة للألفاظ)، قال ابن حزم "إن الذي وقع عليه وعلماء يقيماً، أن للسريانية والعربية للتي هي لغة مصر وربيع لا لغة حمير - لغة واحدة تبدلت بتبدل مساكن أهلها، فحدث فيها جرّس كالذي يحدث من الأندلسي إذا رام نعمة أهل القيروان، ومن القيرواني إذا رام نعمة الأندلسي، ومن الحراساني إذا رام نعمتهما، وبحر جد أن من سمع لغة أهل فحصر البلوط. وهي على ليلة واحدة من قرطبة، كاد أن يقول إنها لغة غير لغة أهل قرطبة، وهكذا في كثير من البلاد، فإنه بمجاورة أهل البلدة بأمة أخرى، تتبدل لغتها تبديلاً لا يخفى على من تأمله.

وبحر جد العامة قد بدلت الألفاظ، في اللغة العربية تبديلاً، وهي في البعد عن أصل تلك الكلمة كلعه أخرى، ولا فرق، فجدهم يقولون في "العيب" "العيب" وفي "السوط" "أسطوط" وفي "ثلاثة دنانير" "ثلثدنا"، وإذا تعرب البربري، فأراد أن يقول "الشجرة" قال "السجرة" وإذا تعرب الجليقي أبدل من العين والحاء هاء، فيقول "مهمد" إذا أراد أن يقول "محمد" ومثل هذا كثير.

(١) المسعودي، التبيين والإيضاح، ص ٦٨

فمن تدبّر العربية والعبرانية والسريانية، أيقن أن اختلافها من نحو ما ذكره، من
تبديل ألفاظ الناس على طول الأزمان، واختلاف البلدان ومجاورة الأمم، وإنها لغة واحدة
في الأصل" (١)

أم فيما يتعلق بالمعردات فقد شكّل الإقرار، بوجود ألفاظ غير عربية في القرآن
الكريم مسألة حلاوية بين علماء العربية، (٢) فمنهم من أنكر وجود ألفاظ ذات أرومة غير
عربية في القرآن الكريم، وذلك مثل أبي عبيدة مفضل بن المثني، ومنهم من أقرّ بذلك وذلك
بحو عبد الله بن العباس الصحابي (ت ٦٨هـ) ومجاهد (ت ١٠٤هـ) وبهذا الإقرار فتحو
باباً حاول العلماء أن يطلوا من خلاله على معردات اللغة بوجه عام، لا سيما تلك
المعردات التي لم ينتشر عليهم اشتقاقها، ومما يُذكر أن هذه المعردات كثيرة، ألقت فيها
الكتب وذلك بحو (المُعَرَّب) للجواليقي، و(شفاء العليل) للحفاجي، و(المهدب) للسيوطي
وسوف نذكر بعض الأمثلة التي وافقت ما توصلت إليه الدراسات المعاصرة، وذلك على
سبيل التمثيل.

١ ذكر ابن عباس أن السعرة في قوله تعالى "يأبدي سعرة" تعني "كتبة"، واحداهم كاتب
أصله بالبطنية سافراً (٣).

٢ مصنف: يروى أن سالماً مولى أبي حنيفة، جمع القرآن بين دفتين، ثم انتصروا على
أن يسموه باسم فقال بعضهم: سموه سفر فقال لهم: إن ذلك تسمية اليهود لكتبهم،
فكروا ذلك، فقال: إني رأيت مثله في الحبيشة يُسمى المصنف فأجمعوا رأيهم على
أن يسموه المصنف، هُتَمي به (٤).

٣- مشكاة: ورد في البحر المحيط أن المشكاة هي الكوة بلغة الحبيشة (٥).

(١) ابن حزم، الأحكام في أصول الأحكام، مطبعة السعادة، ١٩٢٦، ج ١، ص ٣٩

(٢) انظر الجواليقي المعرب، تحقيق أحمد شلكر، دار الكتب المصرية، ١٣٦١هـ، ص ٥ الميوطي، المرمر،
ج ٢٦٨ وانظر على عبد الوحد والهي عم اللغة، ص ٢٢٩

(٣) ابن بري، جمهرة اللغة حيدر آباد، ١٣٥٥هـ، ج ٢، ص ٣٣٩

وانظر أفرام الأول الألفاظ السريانية في المعاجم العربية، دمشق ١٩٥١م، ص ٩١

(٤) انظر عبد المجيد عابدين، بين الحبيشة والعربية، مطبعة السعادة، مصر، ص ١٠٢

(٥) ابن حبان لأندلسي، البحر المحيط، دار الفكر، بيروت ١٩٨٣م، ٦/ ٤٤٤

٤- التوراة: ذكر أبو حيان أنه اسم عبراني، وقد تكلف النحاة في اشتقاقها وهي ورثها، وذلك بعد تقرير النحاة أن الأسماء الأعجمية لا يدخلها اشتقاق ولا ورس^(١).

٥- الطُّوز ذكر السيوطي إلى أن الطُّوز بالسريانية. الجبل "ورفعنا فوقكم الطُّوز" يعني الجبل وقد وافقت لغة العرب في هذا الحديث لغة السريان^(٢).

٢ الملمح التاريخي التطوري

تبدو ملامح الاتجاه التاريخي التطوري عند النحاة في النقاط الآتية:

١- كانوا أحياناً يرتبون الأبواب التي يتحقق أدلؤها بأكثر من حرف، إلى حرف واحد في الأصل، وذلك كأن يروا أن الباء هي أصل حروف القسم، يقول ابن جني "والحروف التي يصل بها القسم إلى المقسم به ثلاثة، وهي: الباء والواو والتاء، فالباء: هي الأصل"^(٣) والمقصود هو الأصل التاريخي، ذلك أنهم أشاروا إلى أن الواو أكثر استعمالاً منها^(٤)، بيد أنهم في أبواب أخرى أشاروا إلى الحروف الأكثر شيوعاً، من ذلك قول ابن جني في باب الاستثناء، "وحرفه المستولي عليه إلا وتُشبه به أسماء وأفعال وحروف"^(٥).

وقد وردت إشارة تاريخية في باب النداء، تشير إلى أنه ربما كان الأصل التاريخي لأداة النداء (ها) هو (يا) ذكر سعيد بن الدهان (ت ٥٦٩هـ) في كتابه (العرّة في شرح اللمع) "فإن بعد المنادى عن هذا، قلت: يا ريد، وقد يُبدلون الهمزة (هاء) كما قالوا: يّاك وهياك"^(٦) في حين أنهم أوصحوا أن "يا" تُعدّ لم باب النداء، وذلك لأنها تستعمل للقرّيب والبعيد والندبة^(٧).

٢ محاولة النحاة ردّ بعض الألفاظ إلى الأصول، التي يظنون أنها تكونت منها من ذلك:

(١) السيق، ج ١، ١٣٨ وفنظر ربحي كمال، المعجم الحديث، عمري عربي، بيروت

(٢) القرطبي، تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن) القاهرة ١٩٤٦، ج ١/ ٦٨-٦٩

(٣) ابن جني، اللمع في العربية، ص ١٥٠

(٤) السيوطي، الهمع، ج ٤ ٢٣٢

(٥) ابن جني، اللمع، ص ١٢١

(٦) السيق تحقيق حامد مؤمن، عالم الكتب، بيروت ١٩٨٥، ص ١٧٠، وكتاب ابن الدهان م رتل مخطوطاً

(٧) السيق، ص ١٨٠

- ١ يرى الحليل أن (ليس) مركبة من "لا أيس"، فطرحت الهمزة وألحقت اللام بالياء^(١).
وتابعه في ذلك القراء مُستدلاً بقول العرب: "انتهى به من حيث أيس وليس، أي من حيث هو ولا هو"^(٢).
- ٢ ذهب الحليل إلى أن أصل لـ "لا"، أن ولكنهم حذفوا لكثرة في كلامهم^(٣).
- ٣- عد النحاة الأصل في اللام اللاحقة لأسماء الإشارة، السكون كما في (تلك)، وذكروا أنها كُسرت في "ذلك" لالتقاء الساكنين.
- ٤- ويرى الرمحصري أنه يقال: "أرّحلف عن كذا وأرّلف، إذا انتحى ورعّموا أن الرواية بتحفيف العاء"^(٤).
- ٥- ذهب الرمحصري إلى أن أصل (هم) هو (همو)، وإنما حذفت الواو لتوالي الصمات، ونقل الواو، وقد أمس اللبس^(٥).
- ٦ ذهب بعض النحاة إلى أن الأصل في (حبدا) (حيب دا)، فأدغموا الباء في الباء كراهية اجتماع المتثنيين، وكذلك ما أشبهه^(٦).
- ٧ ويرى بعض النحاة أن (لات) بمعنى (نقص)، وأن أصلها (ليس) بكسر الياء، فقلبت الياء ألفاً لتحركها وانفتاح ما قبلها وأبدلت السين تاء^(٧).
- ٨ يرى بعض النحاة أن (كلا) من (كل) بتشديد اللام، فحُذفت اللام وزيدت الألف للتنشئة والتأنيث^(٨).

{١} ابن منظور، لسان العرب، مادة ليس

{٢} الرندي، نوح العروم، مصر ١٣٠٧ هـ، مادة ليس

{٣} سيبويه، الكتاب، ج ٣، ص ٥

{٤} ابن هشام، معجم اللبيب، ج ١، ص ٢٣٧

{٥} الرمحصري، عجب العجب، ص ١١-١٢

{٦} الزجاجي، الجمل، ص ١١٠

{٧} ابن هشام، معجم اللبيب، ج ١، ص ٢٥٣

{٨} ابن الأثير، الإتصاف، المسألة ٦٢

لا يحق أن الانتباه إلى التشابه والصلات بين هذه اللغة السامية وتلك، يُشكل جانب من المعرفة اللغوية عند اللغويين العرب، إلا أنه لا يطلع شأو الدراسة المطلوبة في هذا المجال، وربما عاد ذلك لأسباب نذكر منها:

١ أن النحاة لم يستكملوا أدوات البحث اللغوي من معرفة باللغات السامية، مما جعلهم لا يقطعون برأي، ولا يقيمون الأدلة الكافية على آرائهم التاريخية

٢ لا شك أن الدراسات اللغوية نشأت بسبب العناية بلغة القرآن الكريم، ولد فإن اللغويين كانوا حريصين على إطراد القواعد المستنتجة، من استقراءاتهم للنصوص التي تمثل اللغة العربية الفصحى الأدبية، التي نزل بها القرآن ونوحدت عليها القبائل قبيل الإسلام، وأحد الشعراء أو الخطيب، يعتمد إليها كلما عثر له القول، محاولاً النحلي عن سماته اللهجية الخاصة (كالعجوة والثلثة والكشكشة)، وبذلك يبال إعجاب سامعيه، ويفصل غيره من الشعراء والخطباء في تلك الماظرات، التي كانت تعقد آنذاك، ومن ثم لم يكر اللغوي معيلاً إلا بقدر يسير، بالالتفات إلى تأصيل ما لا يتفق مع القاعدة من مطور تاريخي، وربما ألجأته حيرته أمام شاهد لغوي إلى التأويل، وذلك نحو تأويلهم الوارد في قوله تعالى "بإذن رحمة الله قريب من المحسنين"^(١)، حيث وجدوا أنهم يحبرون بالمدكر (قريب) عن المؤنث (رحمة)، فتأولوا ذلك بأن قالوا إن المصاف المؤنث (رحمة) هنا قد استفاد التذكير من المصاف إليه المدكر (الله)، وأصبحت هذه قاعدة من قواعد النحو^(٢)، في حين أن المصباح التاريخي يعطي تفسيراً مقبلاً لهذه الحالة وما شاكلها، ذلك أن الباحثين التاريخيين ينكرون، أن الجنس (التذكير والتأنيث) في اللغات السامية، ربما كان ذات يوم يتجاوز حصره في المدكر والمؤنث، وأن هذا التقسيم قد تم في مرحلة متأخرة نسبياً، ومن ثم، ظلت صيغ مشتركة بين المذكر والمؤنث وذلك نحو صيغة.

فعول بمعنى فاعل نحو صبور

(١) سورة الاحزاب، الآية ٥٦

(٢) ابن هشام، أوضح المعانيك ج ٢ / ١٧٨

١ سطر بهاد الموسى، في تاريخ العربية، عمان ١٩٧٦ م ص ٢٠٢

وفعليل بمعنى مفعول نحو قَتِيل وجريح. ومفعيل نحو مسكين^(١)

٣ ملاحظ أن البعد التاريخي لم يكن متبلوراً كبعد منهجي عند النحاة، مما جعل لهم موقفاً خاصاً من بعض القراءات القرآنية، ولعل في هذا شيئاً من التواءم مع حرص علماء المسلمين على قراءة القرآن بلغة واحدة، فقد ذكر أن عمر بن الخطاب، سمع رجلاً يقرأ "عنى حين" في قوله تعالى "ليسجد حتى حين" فقال من أقرأك؟ قال ابن مسعود، فكتب إليه بن الله أنزل هذا القرآن عربياً، وأنزله بلغة قريش، فأقرئ الناس بلغة قريش، ولا تقرأهم بلغة هذيل^(٢)

ومن ثم لم يكن هدفاً من أهداف النحاة، العناية بـ مظهر الاختلاف في القراءات إلى أصولها التاريخية، ولو فعلوا ذلك لجلبهم الحكم على بعضها بالشذوذ، وذلك نحو ردهم قراءة يحيى بن وثاب "ولا تقرب هذه الشجرة" بدلاً من "ولا تقرب هذه الشجرة" مع أن إبدال الياء من الجيم سمة لهجية موروثة لقبيلة من القبائل العربية، هي قبيلة تميم.^(٣)

وكذلك رثو قراءة أبي السوار العنوي^(٤) "هياك بعد" بدلاً من "إياك بعد" وإبدال الهمزة من الهاء سمة لهجية، بصافة إلى أنها تشكل ظهرة سامية، والعبرية مثلاً لم تعرف صيغة (افعل) المهمورة إذ الصيغة المعادلة لأفعل للعربية هي "هفعل" بالهاء^(٥)

ولو شكك البعد التاريخي عند النحاة منهجاً مُطرداً، لجعل الفرصة أمامهم مؤاتية لإعطاء صورة واضحة عن اللهجات العربية، فليس نريد صورة كاملة عن لهجات العرب الخاصة بأصواتها ومعدلاتها وتركيبها، وربما أسهم ذلك في النظر إلى الأصوات والقواعد والألفاظ في لغة قريش نظرة تاريخية تطورية^(٦)

(١) يهرهم السامراني، التنكير والتانيث، ص ٤

والنظر بهاد الموسى في تاريخ العربية، ص ٢٠٤

إسماعيل عميرة صهوة التانيث، ص ٢٢

(٢) ابن الجوزي، النشر في القراءات العشر ج ٢٦

والنظر في المبحث، الكشف الفهرست، ١٣٥٤ هـ ج ٣ / ٤٦٠

(٣) حمد عزم الدين للجدي، اللهجات العربية في التراث النحوي العربي، كتاب، طيب ١٩٨٣، ص ٤٦٠

(٤) ابن الجوزي، النشر في القراءات العشر، ٢٦

(٥) إسماعيل عميرة معالم دراسة في الصرف (الأبواب الفعلية المبهورة) ص ٣٦

(٦) عبد المجيد عيسى للمحل إلى دراسة النحو العربي، ص ٥٣

٤ ربما كان للطلال النفسية السيئة عن أصحاب اللغات السامية القديمة في نفوس المسلمين، أثر سلبي في اهتمامهم بلغاتهم، لا سيما بعد أن أكرمهم الله بالإسلام، الذي عدت به العربية لغة الحضارة الإنسانية، والعبرية لغة اليهود، والسريانية لغة نصارى وصابئة، واللغات الحبشية لغات نصارى وعبدة أصنام، واللغات الآشورية والبابلية لغات سامية سحيقة في القدم وأصحابها عبدة أصنام وكواكب (١)

٥ ومما يلاحظ أنهم في رؤيتهم التاريخية، التي يشيرون فيها إلى الأصل، لا يعتمدون أحيانا على تاريخ الظاهرة، بقدر ما يعتمدون على قياسها على نظيرها، من ذلك أن الرمحقري يرى أن "الأصل في هم (همو) يواو بعد الميم، وإنما حدثت الواو لتوالي الصمات وتقل الواو، وقد أمر اللبس"

وبدلاً من أن يستدل بالأصل التاريخي حملها على نظيرها في حالة التنثية فقال "إن الأصل في هم، همو، يواو بعد الميم، لأن علامة الجمع مقابلة لعلامة التنثية، وقد تقرر أن الألف ربت بعد الميم للتنثية، فترداد الواو للجمع" (٢)

وقد أشاروا إلى ما اصطالحوا عليه لغة (أكلوني البراغيث) لكنهم لم ينظروا إلى أنها تمثل أصلاً قديماً تشترك فيه العربية مع اللغات السامية، بل جعلت مما يُحفظ ولا يُقاس عليه

(١) انظر عبد المجيد عيسى المخل إلى دراسة النحو العربي، ص ٢٣

(٢) الرمحقري، أعجب العجب ص ١١ ١٢ فعلا عن كتاب الدراسات النحوية واللغوية عند الرمحقري فاهس

السمراني، ص ٢٠

الفصل الثالث

**موازنة بين الاتجاهات المنهجية
عند القدماء والمحدثين**

تقديم

يسعى هذا الفصل إلى مناقشة جُمْلَه من نقاط الموارد، بين المناهج الحديثة و لاتجاهات الحوية القديمة، وذلك سعيا لاتحاد الجهود الحوية القيمة قاعدة انطلاق، لتكوين منهج معاصر لدراسة اللغة العربية، يتسم بالأصالة وذلك بالتزامه بما للعربية من خصائص وخصوصيات تميزها عن غيرها. ويتوقع بما في المنهج المعاصرة من نظرة علمية تدرس اللغة بوصفها ظاهرة عالمية.

وسوف أعرض هذه الموارد من خلال المباحث الآتية.

المبحث الأول: المنهج الوصفي .

المبحث الثاني المنهج التحليلي

المبحث الثالث، المنهج المعياري .

المبحث الرابع المنهج التاريخي

المبحث الأول المنهج الوصفي

درسنا في الفصلين السابقين الأسس الرئيسة التي قام عليها المنهج الوصفي الحديث فيما استقر عليه، وللملاح للوصفية للعلماء، التي صدر عنها النحاة العرب قبل أن يستقر هذا المنهج، في صورته المعاصرة، فكانت هذه الملاح لإرهاباً مبكراً لنصوح هذا المنهج في العصر الحديث، ومن ثم فإنه يسهل علينا أن نولن بينهما في النقط الآتية:

١ التفريق بين اللغة والكلام

لعل أول ملامح من ملامح المولمة بين المنهج الوصفي الحديث والاتجاه الوصفي عند النحاة القدماء، هو تفريقهم بين اللغة والكلام، فقد رأى دي موسير، أن اللغة نظام اجتماعي مستقل عن الفرد، والكلام هو الأداء الفردي للغة الذي يتحقق من خلاله هذا النظام

ونجد أن النحاة العرب يصرون على هذا التصور في دراستهم للطاهرة اللغوية، فاللغة مجموعة من الأصوات التي يعبر عنها كل قوم عن أغراضهم^(١) وأشار عبد القاهر الجرجاني إلى أن "العلم بجميع ذلك لا يعدو أن يكون علماً باللغة، وبأنفس الكلم المفردة، وبما طريقة الحفظ دون ما يستعان عليه بالنظر، ويوصل إليه بإعمال الفكر"^(٢)

ويقول: "إن الألفاظ المفردة التي هي أوصاف اللغة، لم توصل لتعرف معانيها في أنفسها، ولكن لأن يصمم بعضها إلى بعض"^(٣)

ومن هنا لم يكن هم النحاة البحث في اللغة، وإنما كان همهم أن يبحثوا في الكلام الذي يقع فيه التفاوت بين المتكلمين، وبذلك يظهرون إعجاز القرآن وروعته. يقول الجرجاني: "وقد علمنا علماً لا نعتزص معه شبهة، أن الفصحاة هيما نحن فيه عبارة عن مرئية هي بالمتكلم دون واصع اللغة، وإذا كان كذلك فيبغى لنا أن ننظر إلى المتكلم، هل يستطيع أن يريد من عند نفسه في اللفظ شيئاً ليس هو له هي اللغة، حتى يجعل ذلك من

(١) ابن جني، الخصائص، ج ١، ص ٣٤

(٢) الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص ٣٠٣

(٣) السابق، ص ٤١٥

صنيعه مربية يعبر عنها بالفصاحة^(١)، وإذا نظرنا وجدناه لا يستطيع أن يصنع باللفظ شيئاً أصلاً، ولا أن يحدث فيه وصفاً، كيف وهو إن فعل ذلك أقسد على نفسه، وأبطل أن يكون عليه، وإذا ثبت من حاله أنه لا يستطيع أن يصنع بالألفاظ شيئاً ليس هو لها في اللغة، وكما قد اجتمعنا على أن الفصاحة فيما نحن فيه عبارة عن مربية هي بالمتكلم البتة، وجب أن نعلم قطعاً وضرورة أنهم وإن كانوا قد جعلوا الفصاحة في ظاهر الاستعمال، من صفة اللفظ، فإنهم لم يجعلوها وصفاً له في نفسه، ومن حيث هو صدى صوت ونطق لسان، ولكنهم جعلوها عبارة عن مربية أفادها للمتكلم، ولما لم ترد إعادته في اللفظ شيئاً لم يبق إلا أن تكون عبارة عن مربية في المعنى^(٢).

٢ العلاقة بين الدال والمنلول

يرى أصحاب المنهج الوصفي، أن لا علاقة بين الدال والمنلول، فالألفاظ رموز غير معلنة، يقول دي سوسير: "إن العلاقة بين الدال والمنلول اعتباطية Arbitrary"، وببساطة أستطيع أن أقول إن العلاقة اللغوية جراحية (Signifie sign)، ولا علاقة لها بدانها، وما يمكن أن تدل عليه إلا بالاتفاق والاصطلاح (Convention)^(٣) وهو بهذا رجح هذا النصور الذي شاع خلفه في أوروبا في القرون الوسطى، إذ عثر عن ذلك توماس إكويني Saint Thomas Aquinos^(٤) بقوله: "إن الأسماء يجب أن تتفق وطبيعة الأشياء"^(٥).

وعثر همبلت Humboldt عن المفهوم نفسه سنة ١٨٣٥م بقوله "إن اللغة تدل على الأشياء بالأصوات التي نارة بنفسها وتارة بغيرها تترك طباعاً في الأذن، ماثلاً للتأثير الذي تتركه الأشياء على العقل"^(٦).

وقد نبه جيسبرسين Jespersen، إلى عدم طرأ هذه الطاهرة، بقوله. "يكاد يستحيل علينا أن نشبث المناسبة الطبيعية بين الدلالة والصوت في كل الكلمات، وفي كل"

(١) للجر جاني، دلائل الإعجاز، ص ٣٠٨.

(٢) De saussure, Course in General Linguistics, peter, London, 1964, pp. 67.

(٣) عائش فهد بين (١٢٢٥ - ١٢٧٤).

(٤) فسرير، اللغة، تعريب عبد الحميد الراجحي، محمد الفصاح، مكتبة الأجنو المصرية، ١٩٥٠، ص ٢٣٥.

(٥) فندريس، اللغة، ص ٢٤٠.

اللغات، وفي كل الأحوال، ولكن بعض الأصوات أيضاً في بعض الحالات تكون رموزاً لمعناها، وإن لم يكن في كل الكلمات^(١)

وقد شملت هذه الظاهرة اللغوية علماء العربية، فلمّح سيبويه إلى أن هناك صلة بين بعض الأورار ومعانيها، بقوله: "ومن المصادر التي جاءت على مثال واحد، حين تقاربت المعاني قولك: الدُّرُوان والنُّقْران وإنما هذه الأشياء في رعرعة اليدين واهتزاره في ارتفاع، ومثله العسلان والرتكان، ومثل هذا العليان لأنه رعرعة وتحرك، ومثله العثيان لأنه نجيش نفسه وتثور، ومثله الحطران والمعلان، لأن هذا اضطراب، ومثل هذا اللهب والوهجان لأنه تحرك الحر، وتثوره وإنما هو يمرلة العليان"^(٢)

وقد لمّح الحليل بن أحمد هذه الصلة الصرفية من قبل، إذ أورد صاحب تهذيب اللغة قولاً للحليل: هو: "صرّ الجندب صريراً، وصرّ الباب يصرّ، وكل صوت شبه ذلك فهو صرير، فإذا كان فيه تحفيف وترجيع في إعادته صوعف، كقولك صرصر الأخطب صرصرة"^(٣) وقد استشعر علماء آخرون هذه الصلة، مثل ابن فارس^(٤)، وكان ابن جني أكثر المتحمسين لهذه الفكرة، فعقد لها فصلاً أربعة في كتابه الحصائص، ملاحظاً هذه الصلة فيما عرّض له من بعض الظواهر الصوتية، والأبواب التي عقدها هي:

١ - تلاقى المعاني على اختلاف الأصول والمباني^(٥)

٢ - الاشتقاق الأكبر^(٦)

٣ - تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني^(٧)

٤ - مساس الألفاظ أشباه المعاني^(٨)

(١) إبراهيم أنيس، من أسرار اللغة، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، ص ٧٦

(٢) سيبويه، للكتّاب، ج ٤/ ص ١٤

(٣) لأزهري، تهذيب اللغة، تحقيق أحمد عبد العظيم البردوني، مراجعة علي الجبالي، السداد المصرية للنسب والترجمة باب الصاد والهاء ج ١٢، ص ١٠٦

(٤) أنظر ابن فارس ١ - الصحاح في لغة اللغة، ص ٩٨-٩٩

(٥) أنظر ابن جني، الحصائص، ج ٢ الصفحات ١١٣ - ١٣٣

(٦) السيق، ج ٢، ص ١٣٣ - ١٣٩

(٧) السيق، ج ٢، ص ١٤٥ - ١٥٢

(٨) السيق، ج ٢، ص ٥٢ - ١٦٨

وبالغ ابن جني في متابعة هذه الفكرة مبالغة، أدت به إلى عقد الصلات بين جرس الحروف، وترتيب الأحداث بدءاً على ترتيب أصواتها في الكلمة، يقول: "نعم، ومن وراء هذا ما اللطف فيه أظهر، والحكمة أعلى وأصنع، وذلك أنهم قد يصيغون إلى اختيار الحروف، وتشبيه أصواتها بالأحداث المُعبر عنها بها، وترتيبها، وتقديم ما يُصاهي أول الحدث، وتأخير ما يُصاهي آخره، وتوسيط ما يُصاهي أوسطه، موثقاً للحروف على سمت المعنى المقصود والعرض المطلوب" (١)

ويمكن مقابلة رأي ابن جني هذا مع ما يراه (فيرث) Firth ، إذ أطلق على هذه الظاهرة (الوظيفة الفوناستيكية للأصوات) في كتابه (دراسات في علم اللغة) Phonaesthetic Function ويعني بها: "ما يلمح بوصوح من وجود علاقات تظهر بين الكلمات التي تبدأ بحرفين متجانسين أو أكثر، وبين بعض الملامح العامة المميزة لبعض السياقات اللغوية" (٢)

ويمثل لذلك بالكلمات التي تبدأ بحرفي S1 ، وذلك نحو slight "استحفاف" slim "رقيق، نحيف" slink الذي يعيش محفياً نفسه خوفاً ، sleet "مطر مصحوب بالبرد" إلا أن هيرث أقل حماسة من ابن جني، يبدو ذلك من قوله: "وهناك نوع من التقسيم أحسن به ولا أنصر عليه وراء الكلمات التي تبدأ بالحرفين sl (٣) و يبدو أن الفرق بينهما، نابع من طبيعة النظر إلى لغتين تقوم إحدهما على الاشتقاق، الذي من سماته تقارب الأصوات، وتقوم الأخرى على الإصاق أكثر مما تقوم على الاشتقاق

وقد حسم عبد القاهر الجرجاني الأمر قبل دي سوسير، بما يريد على تسعة قرون مشيراً إلى أن العلاقة بين الدال (الصورة الصوتية)، والمدلول (المعنى الذهني)، علاقة عتباطية، يقول الجرجاني: "إن نظم الحروف هو تواليها في النطق فقط، وليس بنظمها بمقتضى عن معنى، ولا النظم لها بمقتضى في ذلك رسماً في العقل، اقتضى أن

(١) السابق، ج ٢، ص ١٦٣

(٢) نعم حماد، مباحث البحث في اللغة، مكتبة الانجلو المصرية ١٩٥٥م، ص ٢١٦ عن محاسن فيرث للعام الدراسي ١٩٤٨-١٩٤٩م

(٣) السابق، ص ٢١٨

يتحرى في نظمه لها ما تحرّاه، فلو أنّ واصل اللغة كان قد قال "ربص" مكان "صرب" لما كان في ذلك ما يؤدي إلى هساد^(١)

وقد كان الجرجاني وصفيّاً في تفسير الأصوات، التي تبدو مشابهة لمسمياتها عند الإنسان، أكثر من الوصفيين، فالجرجاني يرى أن اللغة نتاج بشري، والناس عندما أرادوا وضع اسم لمسمّى معين، حاولوا التوفيق بين صفة الشيء للمسمّى، وما يواقفه من الأصوات، أو الدوال، وهذا ما عبّر عنه بـ (حواسٍ ومعاني) يقول "إن العقلاء بنوا كلامهم إذ قاسوا، وشبهوا على أن "الأشياء" تستحق "الأسامي" لحواس "معاني"، هي فيها دون ما عدها^(٢)، بينما نجد أن سابير Sapir يفسر هذه الظاهرة الملحوظة فيبدو في كثير من اللغات على أساس عقلي، يقول: "إن الكلمات التي تبدو تقليداً للطبيعة مثل to caw (صوت العراب) to mew (يموء، صوت القط) Whip poorwill (طائر له صيحة مثل اسمه)، ليست بأي معنى من المعاني أصواتاً طبيعية، ينتجها الإنسان بصورة غريزية أو تلقائية، إنها من خلق للعقل الإنساني ومن تحيلته، كأي شيء آخر في اللغة"^(٣) فهو يُنكر الإحساس الحقيقي بدلالة هذه الأصوات

أما فيما يتعلق برأي الباحثين العرب المحدثين، فمنذ أواخر القرن التاسع عشر، برر اتجاه دعا إلى القول بالصلة الوثيقة بين الصوت والمعنى، ومن ذهب إلى ذلك الشدياق^(٤) (١٨٠٤-١٨٨٨م)، وجورجي ريدان^(٥)، وعباس محمود العقاد^(٦)، وصبحي الصالح، الذي أعجب برأي ابن جني، وعدّه "فتحاً ميبهاً في فقه اللغات"^(٧)

(١) الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص ٤٠

(٢) السبوي، ص ٣٣٢

(٣) HarCout, Language Prace and Company, NewYork, 1921 p.7

(٤) الشدياق، السلق على المساق فيما هو الفرياق، المكتبة التجارية، مطبعة الفنون الوطنية، بمصر، د.ب، ج ١، ص ١

(٥) جورج ريدان، الفلسفة اللغوية والألفاظ العربية، مراجعة مراد كاس، دار الهلال، ص ٩٩

(٦) عباس محمود العقاد، لُشُنات مجتمعات في اللغة والأدب، دار المعارف بمصر، ١٩٦٢، ص ٤٤-٤٦

(٧) صبحي الصالح، دراسات في فقه اللغة، ط ٢، منشورات المكتبة الأهلية، بيروت، ص ١٥٩

وثمة اتجاه من الباحثين، كان لهم رأي مخالف تماماً في هذه المسألة، وذلك أمثال حسن ظاظا^(١) ومصطفى مندور^(٢) ومحمود فهمي حجازي، الذي يرى "أن الرموز اللغوية لا تحمل قيمة ذاتية طبيعية تربطها بمدلولها في الواقع الحازي، فليست هناك أية علاقة بين كلمة حصان، ومكونات جسم الحصان.. ومعنى هذا أن قيمة هذه الرموز اللغوية تقوم على العرف، أي من ذلك الاتفاق الكائن بين الأطراف التي تستحدثها في التعامل وهذا معناه أن المؤثر والمتلقي متفقان على استخدام هذه الرموز اللغوية المركبة بغيرها العرفية"^(٣)، ولعل الصواب اليان في هذه المسألة، أن للعلاقة تبدو واضحة في بعض ألعاط اللغة، ولكنها أقل وضوحاً في ألعاط أخرى، وهي غامضة في جل ألعاط اللغة

٣ اللغة نظام

اللغة من منظور وصفي بناءً أو نسق، قال دي سوسير واصف اللغة بأنها "نظام يرتكز على قوانين نوار، تؤثر على عناصره، وترتبط في كل حقبة من التاريخ بالنظام اللغوي المترام، ومن الطبيعي أن تؤلف مجموعة المعاني، نظاماً يرتكز على قاعدة من المنميرات والمقابلات"^(٤)

أكد هذا المفهوم علماء وصفيون، جاءوا بعد دي سوسير أمثال (بياجيه)، الذي عرف اللغة على أنها "نسق من التحويلات له قوانينه الخاصة باعتبارها نسقاً.."^(٥)

(١) حسن ظاظا، النفس والإنس، ١٩٧١، ص ٣٠، ٣١

(٢) مصطفى مندور، اللغة بين العقل والمعامر، دار المعارف بالاسكندرية، ١٩٧٤م، ص ١٣٥

(٣) محمود فهمي حجازي، مدخل إلى علم اللغة، دار الثقافة القاهرة، ١٩٨٠، ص ١١

(٤) ركز ب إير هيم، مشكلة لبييه، ص ٣٨

وانظر جان بياجيه البيوييه، ص ٦٣ ٦٥ نقلاً عن "الأسية بين عبد القاهر الجرجاني والمحدثين، رشيد العبيدي، مجلة للمور، مجلد ١٨، عدد ١٢، ١٩٨٩

وقد أطلق العلماء للوصفيون الذين جاءوا بعد دي سوسير بناءً على قوته السابق لقب البيوييه على الوصفية، على تلك جاكسون وبرو يتسكوي وكر اتسوسكي في مؤتمر براغ عام ١٩٢٨م

(٥) جان بياجيه، البيوييه، ص ٦٣-٦٥

ويُعرف ليحي اشتراوس Straus "البينة" بأنها نسق أو نظام، فهي تتألف من عناصر يكون من شأن أي تحول يحصل للواحد منها، أن يحدث تحولاً لسائر العناصر الأخرى" (١) وهذا عنده واضح في دراسة البنى الاجتماعية.

وهكذا فقد أبرر المصباح الوصفى، أن أهمية العنصر اللعوي لا تظهر إلا وهو في سياقه، وحتى يوضح دي موسير أن اللعبة نسق ونظام، شبهها بلعبة الشطرنج، وذلك أن للعبة الشطرنج قواعدا الداخلية الخاصة، بحيث أن استبدال القطع الحسية بقطع من العاج مثلا، لا يمس النظام الداخلي للعبة ولكن إذا، أنقصا أو ردا عدد القطع، أو لعبت هذه اللعبة بطريقة تحالف القوانين التي وضعت لها، فهذا التغير يحل، ويمس النظام للعبة وقواعدها، أم من حيث قيمة العلاقة بين العناصر اللعوية فيما بينها، فإنها تشبه قيمة قطع الشطرنج أيضاً على رقعة اللعب، حيث تستمد كل قطعة قيمتها من الموضع الذي تأخذه على الرقعة معادل المواقع التي تأخذها القطع الأخرى (٢)

وقد صدر النحاة العرب عن مثل هذا المفهوم للعبة، فطروا إلى اللعبة على أنها نظام، والألفاظ فيها لا تتعاضل من حيث هي ألفاظ مجردة، ولا من حيث هي كلم مفردة وبما تثبت بها الفصيحة وحلافها في ملاءمة معنى اللفظة لمعنى التي تليها، أو ما أشبه ذلك مما لا تعلق له بصريح اللفظ (٣).

وقد مر بد أن الحليل بن أحمد شبه نظام اللعبة بنظام الدار محكمة الصنعة (٤) وكذلك الجرجاني شبه نظم اللعبة، بالنظام الذي يربط حيوط العزل في بد حادق، في صنع السباح، أو ببناء الدار، بقوله "وحملة الأمر أنك لن تعلم في شيء من الصناعات علماً تمر فيه وتجلي، حتى تكون ممن يعرف الخطأ فيها من الصواب، ويفصل بين الإساءة والإحسان، بل حتى يعاقل بين الإحسان والإحسان، تعرف طبقات المحسنين، وتصنع اليد على الحصائص التي تعرض في نظم الكلام، وتغذها واحدة واحدة، وتسميها شيئاً شيئاً، وتكون مغزيتك معرفة الصنيع الحادق الذي يعلم على كل حيط من الإبريسم الذي في

(١) المصباح، ص ٨٧ وانظر ركرب إبراهيم مشكلة البينة، ص ٢٨

(٢) ركرب إبراهيم، مشكلة البينة، ص ٦٧

(٣) الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص ٣٨

(٤) انظر الفصل الثاني، ص ٨٧

السبح، وكل قطعة من القطع المنجورة في الباب المقطع، وكل أجزاء من الآخر، الذي في
النساء البديع" (١)

فالتركيز على نظامية اللغة أمر مهد لمعرفة علماء التراث اللغوي من قدماء
العرب، بل قطعوا شوطاً في إنصاحه، حتى أن المرء ليحس أن المحدثين من الوصفيين لم
يريدوا شيئاً كثيراً عما ورد عند القدماء. بل إن المرء من حلال إتقان هؤلاء وأولئك،
يستطيع أن يؤكد جانباً واضحاً من علمية الظاهرة اللغوية التي يُنادى بها علم اللغة العام
General Linguistic ويدعو إلى المعرفة بينها وبين الفلسفة.

٤- مبدأ المكونات المباشرة

مرّ بنا أن (بloomfield) (٢) تأثر بالنظرية السلوكية، وحاول أن يحصل
علم اللغة من المبادئ الفلسفية، فدرس الظاهرة اللغوية على أنها سلسلة من المبهات
والاستجابات التي تتحول بدورها إلى مثيرات تقتضي استجابات أخرى حسب المعادلة
الرمزية

مبه ← رد فعل . مبه ← رد فعل

Stimulus → Reponse Stimulus → Reponse

وأحسب أن هذا المفهوم مائل عند بعض مفكري العربية ونحاتها، يقول القرابي في كتابه
(شرح العبارة). "وإن الألفاظ فإنها علامات مشتركة، إذا سمعت حطر ببال الإنسان بالفعل
الشيء الذي جعل اللفظ علامة له، وليس لها من الدلالة أكثر من ذلك، وذلك شيء بسائر
العلامات التي يجعلها الإنسان لتذكره ما يحتج إلى أن يذكره، فليس معنى دلالة الألفاظ
شيئاً أكثر من ذلك، وكذلك الحطوط ليس دلالتها على اللفظ أكثر من ذلك" (٣)

وفي هذا إشارة إلى أن اللغة مجموعة من العلامات، يجعلها نظاماً للإبلاغ
والتحاطب، وبذلك يبعد عنها التحليلات الفلسفية، وتتساوى بذلك اللغات جميعاً في الوظيفة
نفسها.

(١) الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص ٣٠-٣١

(٢) انظر الفصل الأول، ص ٤٠

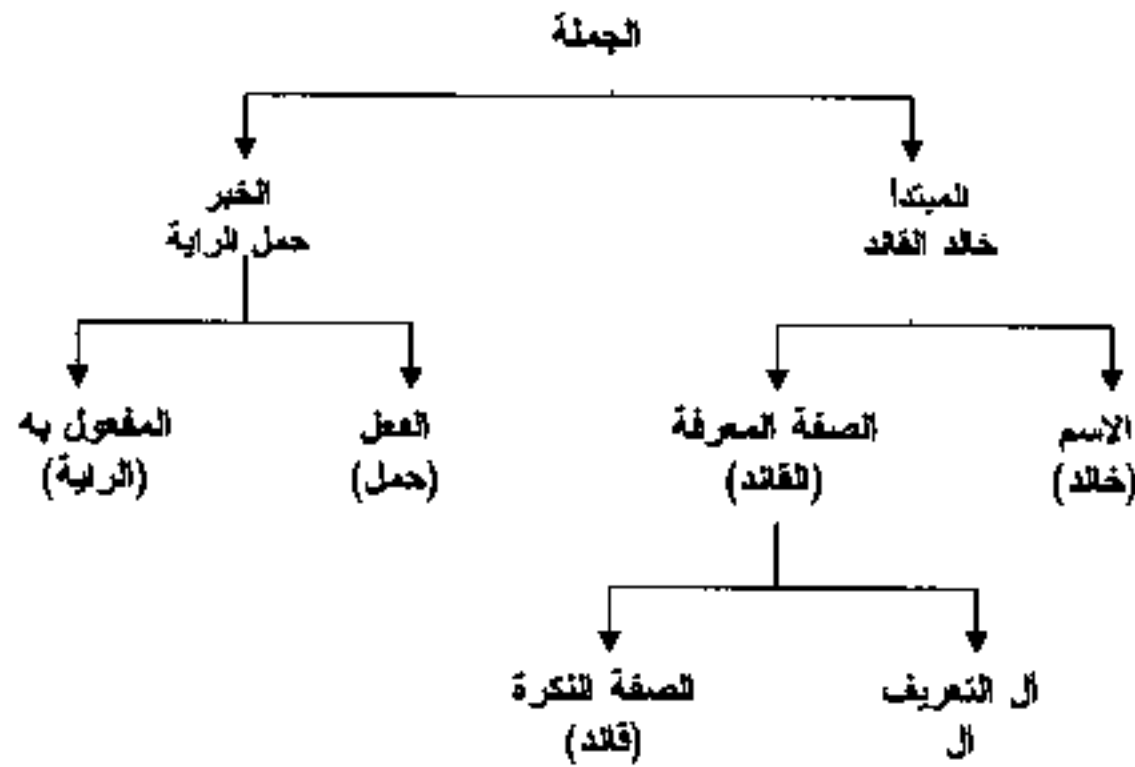
(٣) نقل عن كتاب عبد السلام المصدي "التفكير اللساني في الحضارة العربية"، الدور العربية نكتاب، تونس.

١٩٨١م، ص ١٥٧

و انطلق (بلومفيلد) في دراسته للظاهرة اللغوية من أسس شكلية هي:
التحليل إلى المكونات المباشرة

ب التوزيع

وقد حُلّلَ الجملة حتى يصل إلى الطبقة الصغرى، التي لا يمكن تقسيمها، وهي
المورفيمات، وذلك نحو تحليله للجملة "حالدُ القائدُ حملَ الراية"



ومبدأ بلومفيلد هذا يُذكر بتقسيم النحاة القدماء للجملة. إلى اسمية و فعلية، ثم تحليل كل منها
إلى مكوناتها، ومن ثمّ يمكن إيجاد مجموعة من النماذج، تنسب كلها إلى الجملة
لاسمية^(١)

^١ اسم معرفة + اسم نكرة

حالد + طبيب

(١) انظر داييف حرم، وهو على الدراسات اللغوية المعاصرة، منشورات عالم المعرفة، الكويت ص ٢٩

٢ اسم معرفة + صفة مكررة

ريد + مريض

٣ اسم معرفة + ظرف (أو شبه جملة بمعنى الطرف)

محمد هـ

محمد تحت الشجرة

محمد في البيت

٤ اسم معرفة + فعل لازم

علي + سافر

٥ ظرف (أو شبه جملة بمعناه) + اسم مكررة

في البيت رجل

٦ اسم معرفة + فعل متعدٍ لمفعول

أحمد غامر البلدة

٧ اسم معرفة + فعل متعدٍ لمفعولين

أحمد أعطاني كتاباً

فالحذر يكون مفرداً، وذلك نحو "مجتهد، ومريض"، وكذلك يمكن أن يكون جملة، وذلك نحو "سافر" أو شبه جملة، نحو "في البيت"، ويمكن من خلال هذه المبدأ، أن ندرك أبعاد تقسيم النحاة للجملة، وفق موقعها من الإعراب، إلى جمل لها محل من الإعراب، وأخرى ليس له محل من الإعراب، فالجملة التي لها محل من الإعراب، هي التي يمكن تأويلها بمفرد (أو نفع موقع المفرد) فهي قولنا:

جاء الصبية - باكين

يبكون

غيوبهم بكية

فإن (باتكين، ويكوف، وعيوبهم باتكين) مؤلف مباشر واحد، هو الحال^(١) ومن هه وصفت الدراسات النحوية بأنها مطلقة من المفردات وراجعة إليها، بمعنى أن الجملة مع أنها الوحدة الكلامية الأساسية هي عملية «إلحاق»، قد كان حطها من عناية النحاة قليلا جد، بل لم يعرصوا لها إلا حين يريدون أن يبحثوا في موضوع آخر، ولم يعوا بالبحث فيها إلا في ثلث الفصول، حين يعرصون للبحر الجملة، والنعت الجملة، والحال الجملة^(٢) ولكن المتأمل لجهود النحاة يحس أنهم أولوا الجملة عناية، وأن تقديرهم للجملة بمفرد، تابع من إنراكمهم للطبيعة النحوية، فالجملة التي يحل محلها المفرد، مؤهلة لأن تقوم بوظيفة نحوية، وهذا لا يعني أن الجملة التي ليس لها محل من الإعراب ليس لها دلالة، وملك لأن «لاستقلال التركيبي لا يعزل وجود ارتباط معنوي، فالنص بأكمله مجال دلالي واحد، والجملة من النص تقوم على تسلسل معنوي عام، بحكم انتمائها إلى المجال الدلالي نفسه ولكن هذا الارتباط الدلالي ليس من الحتمي أن يتشكل في ارتباط تركيبى نحوي»^(٣)

ومما يؤيد هذا التصور لتعكير النحاة، تقسيمهم الكلام إلى عمدة وفصلة، والفصلة وجوده غير واجب من حيث العلاقات النحوية الأساسية (الإسناد)، ولكن لا تحصى أهميتها من ناحية الدلالة، يقول الصنّاع في تعريف الفصلة «ما يستعني الكلام عنه من حيث هو كلام نحوي»^(٤) وهي هه إشارة واضحة لإدراكه الفرق بين النظام النحوي والحدث اللغوي، فالنظام النحوي يعتمد قوانين خاصة بنظم علاقاته وتصيبتها، غير أن الباحثين المعاصرين «عترصوا على تقسيم النحاة للكلام بوجه عام، ومجمل «عناصرهم مؤداه أن تقسيم النحاة يقوم على أساس فلسفي منطقي، لا يتوافق مع طبيعة اللغة، والدليل على ذلك اضطرابهم في تقسيم الكلام، وفي وضع مفهوم محدد للاسم والفعل والحرف».

وعلى هه اقتراح بعض الباحثين المحدثين تقسيمات جديدة لأقسام الكلام، وصلت إلى أربعة عند إبراهيم أنيس هي-

(١) نهج المراسى نظرية النحو للعربي، ص ٣٠

(٢) عبد السلام المسدي وعبد الهادي الطرابسي، الشرط في القرآن الكريم على نهج اللسانيات الوصفية، للدار العربية للكتاب، ليبيا، تونس، ١٩٨٥م، ص ١٤٢

(٣) عبد السلام المسدي، الشرط في القرآن الكريم على نهج اللسانيات الوصفية، ص ١٣٦

(٤) لأشموني، شرح «الأشموني على الألفية»، ج ٢، ص ١٦٩

١ الاسم: ويقسم إلى أ الاسم العلم

ب العلم

ج- الصفة

٢ الصمير: ويقسم إلى

أ- الصمائر المعروفة في كتب النحاة بهذا الاسم مثل "أنت وأنت"

ب ألقاب الإشارة

ج- الموصولات

٣ الفعل

٤ الأداة

وهي كذلك أربعة عدد مهدي المحرومي (١)

١ الفعل

٢ الاسم

٣ الأداة

٤ الكنايات وتشمل الصمائر والإشارة والموصول بجملة المستفهم به وكلمات الشرط

وقد وصلت إلى سبعة أقسام، عدد تمام حستان هي (٢):

١ الاسم ويشمل: الاسم المعين، واسم الجنس، واسم الحدث، والاسم المبهم.

٢- الفعل، وهو الفعل الماضي والمضارع والأمر.

٣ الصفة وتشمل: اسم الفاعل، واسم المفعول، والصفة المشبهة، واسم التفصيل، وصيغ

المبالغة

٤- الصمير: ويقسم إلى

أ صمير حصور، كصمائر التكلم، والخطاب، والإشارة (بمعنى أسماء الإشارة عند

القديماء)

(١) مهدي المحرومي، في النحو العربي- هو عدد وتطبيق ط ١ الباب الحنفي، مصر ١٩٦٦، ص ٤٥

(٢) انظر تمام حستان اللغة العربية معناه ومبناها، ص ٨٦ ١٣٣

وانظر فاضل مصطفى العناني أقسام للكلام العربي، مكتبة الحلنجي، القاهرة ١٩٧٥

ب صمير غيبة وتقسم إلى شخصية وموصولية (بمعنى الأسماء الموصولة عند القدماء)
٥ الحالفة وتقسم إلى :

أ حالفة الإحالة، والمقصود بها أسماء الأفعال

ب حالفة الصوت، والمقصود بها أسماء الأصوات.

ج حالفة التعجب، والمقصود بها (صبيحة التعجب)

د حالفة المدح أو الذم والمقصود بها (فعل المدح أو الذم)

٦ الظروف وتقسم إلى:

١ ظروف زمان، وهي عدد ثمان حركات. إد، وإدا، وإدا، ولم، وأيا، ومنى، وراد عليها،
فاصل الساقى "كَلَمًا" (١)

ب ظروف مكان وهي أين، وأنى، وحيث، وقد أوصح عدداً من الصفات للنسب تميز
الظرف عن الاسم. وذلك أنها تنل على مسميات، وهي منبئة، ولا تسد الظروف ولا
يسد إليها، وقد تكون مسبوقة بالحرف مثل- "سد، ومتى، ومن أين، ومن حيث"
٧ الأداة وتقسم إلى:

أ أداة أصلية، وهي ما يسميها النحاة حروف المعاني مثل إن، وبلى، وعن، ورب،
وبيت الحج. وبقية أدوات الاستفهام التي كانت تُعد عند النحاة من الأسماء وهي من،
وما، وأي، ومنى، وأيا. وبقية أدوات الشرط التي عدّها النحاة من الأسماء، وذلك
بحو من، ومهما، وحيثما.

ب الأداة المحوكة ويعصّد بذلك أنها قد تكون فعلاً، وتتحول إلى أداة، لتحويل بعض
الأفعال النامة إلى صورة الأداة بعد القول بقصانها" (٢)

والملاحظ أن النحاة القدماء كانوا على وعي بهذه السمات الوصفية الخاصة لهذه الفروع
التي أشار إليها المحدثون، غير أنهم وانطلاقاً من المنهج المعياري وجدوا أنهم يستطيعون
تحقيق أمرين:

(١) فاصل الساقى، أقسام الكلام العربى، ص ١٢٠

(٢) السابق، ص ١٢٣

الأمر الأول: أنهم يستطيعون صم أكبر عدد من العناصر في باب واحد، وهذا ما لاحظته
فصل الساقى حين علق على قول ابن الشجري في تعريف الاسم بأنه "ما دل على مسمى
في دلالة الوصف" (١) قائلاً "وكان هم ابن الشجري من هذا الحد أن يجمع في باب واحد،
هو باب الاسم، بين المسميات والصفات والمصمرات، وأسماء الأفعال، وأسماء الإشارة،
وأسماء الاستفهام، والشرط". (٢)

الأمر الثاني أنهم يستندون إلى رابط معوي وطبيعي، يربط هذه العناصر في الباب
الواحد، ذلك أن كلاً منها يشكل وحدة استبدالية للأخر، وبذلك فإن النحاة يجمعون بين
الشكل والوظيفة في هذا التقسيم.

وهناك محاولات قديمة للخروج على هذا التقسيم، قال الميوطي: "الكلمة إما اسم، وإما
فعل، وإما حرف، ولا رابع لها إلا ما سيأتي في مبحث اسم الفعل، من أن بعضهم جعله
رابعاً وسمه (الحالفة)"، ونقل عن أبي حيان قوله "زاد أبو جعفر بين صابر قسماً رابعاً
سماه الحالفة وهو اسم الفعل" (٣)

وبعد هذه المعارضة بين تصور النحاة القدماء والباحثين المحدثين ناتجة عن انطلاق القدماء
في تقسيم الكلم من منظور معياري كم أسلها، وانطلاق المحدثين من منظور وصفي لا
يتعدى وصف الظاهرة إلى تفسيرها وتعليلها (٤)؛ ذلك أن الوصفية والمعية مقولتان لا
تنتميان على صعيد فلسفة المعارف إلى نفس المنطق المبدئي، ولا إلى نفس الحيز
النصوري، فليست من شريحه واحدة، حتى تتسنى مقارنة إحداها بالأخرى، فليست
الوصفية والمعية مئزمتين بأن يكون بينهما علاقة ما من تولد أو تصادم أو تطابق،
فهما مصائدتان فكريتان مستقلتان إحداها عن الأخرى، فإن يلتزم الأكمسي في نحسه
بواميس الظاهرة اللعوية، ووصف مدونتها واستقراء خصائصها دون تعسف منه على

(١) ابن الشجري، الأمل في الشجرية ج ١ ص ٢٩٢

(٢) فاضل السقي أقسام الكلام للعربي، ص ٥٢

(٣) الميوطي الجمع، ١ ص ٤

(٤) انظر تمام حسن البعة العربية معناه ومبناه، ص ٧٠

وانظر تمام حسن أسس علم اللغة، ص ١٠٢

عبد السلام الممسي، الفكر العربي والأكمسي، الأقلام عدد ٤٠، ١٩٧٩م

الاستعمال، هناك موقف منهجي وامتنال احتياري أما أن يصدق الألفبائي في تقرير أحوال الاستعمال بأن هذا خروج عن النمط، وأن هذا اتفاق مع سنن المواضعة في اللغة، وذلك موقف مبدئي وامتنال معياري، وليس من تناقص بين الأمرين، لأنهم موقعان لا يقعان البتة في نفس اللحظة الرسمية، وبالتالي فإن الذي يصوغها ليس هو نفس الشخص من الناحية الاعتبارية، وإن فقه بهما اللسان، بل قل ليس الذي يصوغها هو نفس المنطوق (١).

٥- التوزيعية

ويعوم مبدأ التوزيعية Distribution^(٢)، على استبدال وحدة لغوية بأخرى في تعيين القسم الذي تنسب إليه من أقسام الكلام، وذلك كان يستبدل فوسيم (ق) في كلمة 'قام' فوسيم (ر) في كلمة 'نام'، وبحلال كلمة رجل محل كلمة فرس في جملة 'رأيت فرساً' ومعنى ذلك أن الصونين (ق، ر) ينتميان إلى طبعة لغوية واحدة هي، الفوسيم، وأن كلمتي (رجل، فرس) تنتميان إلى طبقة الأسماء.

ويبدو هذا المبدأ واضحاً عند النحاة العرب، لاحظ ذلك من خلال الأمور الآتية:

١- عرّف النحاة الاسم بأنه ما كان واقفاً على معنى نحو: رجل، وفرس، ورید، وعمرو، وما أشبه ذلك (٣) إلا أنهم عاملوا أسماء الإضافة، والأسماء الموصولة، والصمائر، معاملة الأسماء مع أن تعريفهم لا ينطبق عليها، وما سبب ذلك إلا لأنها تصلح لأن تكون وحدات استبدالها مكان الاسم، قال المبرد: 'والدليل على اسميتها وقوعها في مواضع الأسماء وتأديتها ما يؤديه سائر الأسماء' (٤).

وعلى هذا الأساس من التوزيع استدلوا على اسمية (كم)، وحرفية 'رُب' فالفرق بينهما أن كم بحرف عنها، يقال كم رجل أفصل منك، فيكون 'أفصل' حبراً عن كم، كما يكون حبراً عن ريد إذا قلت ريد أفصل منك، حكى ذلك يونس وأبو عمرو، عن العرب في رواية سيوية عنهما، ولا يجوز مثل ذلك في رُب، كما أن كم يحل عليها حرف الحرف، فنقول بكم رجل مزرت، ولا يجوز مثل ذلك في رُب، وبلي كم الفعل ولا يليه رُب،

(١) عبد السلام المسدي، الفكر العربي ولفظيه، لأقلام بغداد عند (٤) ٩٧٩ م ص ٣ ٢٣

(٢) انظر حلمي خليل العربية وعلم اللغة البنيوي، ص ١٢٦

(٣) المبرد، المقتضب، ج ١، ص ٣

(٤) المبرد، المقتضب، ج ٣ / ١٧٢

فتقول. كم بلغ عطاؤك أذاك، وكم جاءك رجل، ولا يجوز مثل ذلك هي رُبُّ، ومن الدليل على كون رُبُّ حرفاً، أنها توصل معنى الفعل على ما بعدها ليصل غيرهما من حروف الجر، فتقول رُبُّ رجل عالم لأركت^(١) ومثل ذلك تعريفهم بين أنواع المصادر، كالمصدر الميمي، والمصدر غير الميمي، فإن أحدهما يحل محل الآخر وكذلك المصدر المؤول والصريح، يحل أحدهما محل الآخر، غير أن المصادر لا تحل محل المشتقات في الغالب الأعم، لأنها ليست أسماء للأحداث، وإنما هي صفات لها.

والمشتقات قد يحل بعضها محل بعض، والفرق بينها لا يعدو أن يكون في بعض بواحيه فرقاً في كمية الصفة أو درجتها ومثال ذلك، الفرق بين اسم الفاعل، وصيغة المبالغة، وذلك نحو (عالم وعلامة) ويمكن أن يُعبر بالفعل أو باسم الفاعل، أو اسم المفعول، إذا كان اسم الفاعل أو اسم للمفعول يبوب من باب الفعل نحو "زيد يعرف صروب الصحراء" و "زيد عارف صروب الصحراء" فهذه "عارف" وحدة استبدالية لـ "يعرف" ويحل في هذا الباب مبدأ الحديث عن تناوب الحروف أو تناوب الكلمات فيما عرف بالترادف.

ولا يتسع المجال للاستطراد، فهو يحتاج إلى استقصاء في بحث آخر إن شاء الله ٢ لاحظ السادة نوعاً من التلازم في التوزيع، وحلول بعض الأبواب قبل الأسماء، مثل حروف الجر وحروف النداء وبحول الألف واللام، وهي قرائن نغمية، والإسناد، وهو قرينة معنوية لتدل على أن كل ما يقبل ذلك يصح انتمؤه إلى طبقة الأسماء، وكذلك بالنسبة للأفعال والحروف، وقد لحظ ابن مالك ذلك بقوله: (٢)

بالحجر والتوزيع والنداء وال	ومسند للاسم تمييزاً حصل
نت فعلت وأنت ويا افعلى	ونون أقبل فعل بنجلى
سواهما الحرف كهل وهي ولم	فعل مصدر غ يلى لم كيشم

(١) ابن جني، شرح للمعصوم، ج ٨/ ٢٧ ونظر المبرد المصنوع، ج ٣/ ٥٧

(٢) ألفية ابن مالك، القاهرة، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، ١٣٥٨هـ، ص ٩، ١٠

وبذلك يلتقي النحاة مع بلومفيلد في دراسته، القيمة التوزيعية للمورفيم، الذي هو عبارة عن مورفيم أو مجموعة من المورفيمات داخل بنية معينة (١) وعُرف المورفيم أيضاً بأنه (أصغر وحدة لغوية ذات معنى في لغة ما) وقد قُسم إلى مورفيم حرّ Free morpheme ، أي الذي يمكن استعماله بحرية بوصفه وحدة مستقلة في اللغة مثل: رجل، درس، كثير، إلى، فوي... إلخ ومورفيم مقيد Bound morpheme ، وهو الذي لا يمكن استخدامه منفرداً، بل يجب أن يتصل بمورفيم حرّ أو مقيد وقد قُسمت هذه المورفيمات المقيدة إلى نوعين رئيسيين:

أ - النوع الأول، ويحل في الاشتقاق (٢) Derivational Morphemes ، ومن ذلك ما يطرأ على الفعل المجرد في اللغة العربية من إضافات وتعبيرات لينتج عنها ما يسميه بالأفعال المربدة مثل: قاتل من قتل، وأنفجر من فجر، وعلم من علم ومثل ذلك أيضاً ما يطرأ على الحذر من تعبيرات وزيادات لكي يكون منه عدداً من الأسماء المشتقة مثل المصدر واسم المرأة، واسم الهيئة، واسم الرمان والمكان، وصيغ المبالغة وغير ذلك.

ب - النوع الثاني: وهو ما يطرأ على الأفعال والأسماء والصيغ حسب موقعها في الجملة، مثل الإعراب بالحركات والحروف، وتسمى هذه Inflecting Morphemes أي أنها متصلة اتصالاً دقيقاً بالنحو، وذلك نحو:

«لألف والنون للدلالة على معنى المتنى، كما في كلمة «مدرس»
 «الواو والنون: للدلالة على معنى الجمع والتذكير، كما في كلمة «مدرسون»
 «التاء المربوطة للدلالة على معنى التأنيث، كما في كلمة «صغيرة»
 «الألف والياء للدلالة على معنى التأنيث والجمع كما في كلمة «مدرسات».. إلخ» (٣)

(١) انظر حلمي حبيب العربية وعلم اللغة البيوي، ص ١٢٦

وانظر دافيد كريميتل علم اللغة ترجمة حلمي حبيب ص ١٦٧

(٢) دافيد خرم، أصوات على الدراسات اللغوية المعاصرة، ص ٢٧٧

وانظر محمود السعراي علم اللغة، ص ٢٣٧

رشيد العبيدي، البحث اللغوي، وصلته بالبيوية في اللسانيات، مجلة ادب المستنصرية عدد ١٢، ١٩٨٦، ص ٦٧

(٣) دافيد خرم، أصوات على الدراسات اللغوية المعاصرة، ص ٢٧٨

ويمكن أن تسهم المورفيمات المفيدة في تمييز الطيف اللغوية التي تنتمي إليها
الكلمة، من حيث النوع، مذكر أو مؤنث في نحو (يكتب، تكتب)، وكذلك تحدد إن كان
الفعل مسنداً إلى المتكلم، كمورفيم (ت) في "كتب" أو كان مسنداً إلى العائب كمورفيم
"ياء" في يصرب، كما أن المورفيمات تحدد زمن حدوث الفعل في الحال أو الاستقبال،
وبذلك نحو (يكتب أو اكتب، أو تكتب) .. وهكذا. وبذلك تستطيع إدراك دور المورفيمات
النوربعي، للجذر الواحد في التراكيب المختلفة

وبنيتي أن هذا المبدأ طاهر في تحليل النحاة العرب، ولكنهم كانوا يحتكمون إليه
بقدر ما يكون مسعفاً دور قصر، وهو بلا شك منطلق جزئي بافع، ولكنه لا يبلغ أن يكون
مطلقاً^(١)

ثم ربط الوصفين بين المياني الصرفية والوظائف النحوية فيما يسمى بالخاصية
Tagmemics^(٢)، فهذه الخاصية للمبتدأ وتلك للحبر، وأخرى للفعل، وغيرها للفعل،
وغيرها للمفعول. فالمبتدأ في الإنجليزية حانة يمكن أن تستبدل فيها صيغ مثل (It, They, I
She, He) والمفعول حانة يمكن أن تستبدل فيها سلسلة مثل (Them, her, me)، وهذه
التقسيمات واضحة عند النحاة، ولعل هذا ما يقصر أن الاسم عندهم، يشكل مجموعة اسمية،
لأن كل من هذه المجموعة يمكن أن يكون بديلاً ملائماً، فلو نظرنا إلى الجمل التالية:

حالة (١) "كتب رسالة" (٢)

حالة (٣) "في بيته" (٤)

حالة (٥) الذي (٦) استعبد (ت) (٧) بـ (هـ) (٨) لم يحصر

لوجدنا أن جميع الكتل الصوتية المرفمة تصلح أمثلة لما يُطلق عليه المجموعة الاسمية
(Nominal group)، إضافة إلى أن النحاة ربطوا بين الحانة وبين الحالة الإعرابية،
وبذلك كارتبط المبتدأ بالرفع، والمفعول بالنصب

(١) انظر بهاد الموسى، نظرية النحو العربي، ص ٣٨

(٢) بهاد الموسى، نظرية النحو العربي، ص ٤٣

وانظر محمود محنة، مسحة إلى دراسة للجملة العربية، دار النهضة العربية، بيروت ١٩٨٨، ص ٧٨

وقد مرّ يد أن عبد الرحمن أيوب دعا إلى دراسة العربية من خلال هذا المبدأ^(١)،
وأنه نقد الفكر النحوي من خلال نقده للثقافة العربية بوجه عام، واصف إياها بالتقليدية
الجرئية وذلك بقوله: "فالنحو العربي شأنه في ذلك شأن ثقافتك التقليدية في عمومها، تقوم
على نوع من التفكير الجرنّي الذي يُعنى بالمثال، قبل أن يُعنى بالنظرية، ومن أجل هذا،
جهد النحاة في تأويل ما أشكل على القاعدة من أمثلة، أكثر مما جهدوا في مراجعة مطلقهم
ونظرياتهم على صوء ما يشكل عليهم"^(٢).

وقد أضاف بعداً آخر إلى التفكير النحوي التقليدي بقوله: "وثمة عيب آخر في
التفكير النحوي التقليدي، ذلك أنه لا يخلص إلى قاعدته من مادته، بل إنه يبني القاعدة
على أساس من اعتبارات عقلية أخرى، ثم يعتمد إلى المادة فيعرض عليها القاعدة التي
يعول بها وهذا نوع من التفكير لا يمكن أن يوصف بأنه تفكير علمي بالمعنى الحديث"^(٣).
فهو يرى أن صيغ النحاة يشبه ما يفعل البناؤون حين يضع حجراً فوق حجر لينتهي
إلى بناء كامل، بينما المدرسة التحليلية الحديثة تصف التركيب اللغوي دون أن تفصل
أجزاء بعضها عن بعض^(٤)، وأرى أن هذا الوصف لا يتفق تماماً مع عمل النحاة، وقد
مرّ بنا تشبيه التحليل لعمل النحوي، بأنه كمن دخل بيتاً مكتمل البناء، يبيع الصبغة، ثم بدأ
يحلّل ما يراه من دقة في الصبغة، إضافة إلى أن مدرسة التحليل الشكلي وعلى رأسها
بلومفيلد وهاريس - تؤمن بالتحليل اللغوي إلى أصغر العناصر اللغوية الممثلة في القويم،
وذلك لكي تتبين شبكة العلاقات التي تربط الأجزاء بالكل، وهو ما يُسمى عندهم بالتحليل
إلى المكونات المباشرة Immediat Constituent Analysis القائم على فكرة التوزيع
Distribution، وهذه فكرة تصنيفية تتصل بتصنيف العناصر اللغوية وتوزيعها طبقاً
لوظيفتها في التركيب

(١) انظر للفصل الأول، ص ٣٣

(٢) عبد الرحمن أيوب، دراسات معنية في النحو العربي، المقدمة الصفحة د

(٣) المتيق للمقدمة الصفحة ر

(٤) عبد الرحمن أيوب، دراسات معنية في النحو العربي، ص ٢-٣

وعبد الرحمن أيوب ينتقد اهتمام النحاة بالمعنى في تصنيف الوحدات داعياً إلى اتباع مدرسة التحليل الشكلي التي تستعد المعنى وذلك بقوله ^١ ' ترى المدرسة اللغوية التحليلية أن يكون شكل الكلمة لا معناها أساساً لتقسيمها، والتقسيم التحليلي الشكلي للكلمة يشمل دراسة مقاطعها وأجزائها، كما يشمل مواضعها بين سواها من الكلمات ^٢ ' ولا يحفى أنه ينبغي أن يترى عند نقد الجانب الدلالي عند النحاة، وذلك بمحاولة الكشف عن مواقع التي صدروا عنها، والتي تتمثل بأنها مواقع دينية تشريعية تهدف إلى الكشف عن عجار القرآن الكريم، إضافة إلى الدوافع العلمية .

إضافة إلى أمر آخر، وهو أن معيار المعنى ظهر في المدارس اللغوية المعاصرة، فقد استطاع تشومسكي كما سبق - أن يثبت أن وصف لغة ما وفق لأصول مدرسة التحليل الشكلي، غير يسير، وغير كاف لتفسير جميع الجمل الصحيحة في اللغة تفسيراً شاملاً، وأنه لا بد من أحد المعيار الدلالي (المعنى)، بعين الاعتبار، وذلك لأن هناك نوعاً من الجمل يكون لها أكثر من معنى، أو يتعدد معناه، ومن ثمّ أصبح الدلالة مع التركيب هما المدخل الصحيح لتحليل مثل هذه الجمل

ومما يؤيد عليه أنه لم يقدم دراسة تطبيقية للعربية وفقاً لهذا المبدأ الذي عدّه مثالباً في دراسة اللغة، وهو بذلك لا يختلف كثيراً عن دعاة التفسير إلا من حيث إشارته إلى منهج معين

٦- المعلم وغير المعلم

مير الوصفیوں ولا سيما مدرسة براع على يد تروبتسكوي، بين علم الأصوات Phonetics والفونولوجيا Phonology على أساس أن علم الأصوات، يحلل ويصف أصوات اللغة وهي في حالة التجريد، أي مستقلة عن غيرها، ومعزولة خارج البيئة اللغوية، بعصر النظر عن دورها في المعنى، أم الفونولوجيا فهو العلم الذي يعالج الطواهر الصوتية بوظيفتها داخل البيئة اللغوية وقد كان للنحاة جهد متميز في وصف اصوات العربية على المستويين السابقين، فأدركوا مثلاً أن صوت النون (ن)، صوت صامت مجهور سني، اغن، وأدركوا أن صوت النون قد يُنطق بصور مختلفة كما في

(١) عبد الرحمن أيوب، دراسات نقدية في النحو العربي ص ١١

(نهر ، منك ، بنى)، وتمييز هـ مختلف في النطق والسمع والعدادات النطقية للأفراد ، لا
أنها لا تشكل مميرا للكلمات، لأنها لا تستطيع أن تعبر معاني الكلمات بحلول إحداها محل
الأخرى، كما هو الحال بين النون والباء مثلاً، فإذا أبدلت النون بالياء في كلمة "باب"
تحولت إلى (باب)، وهي ذات دلالة مختلفة

وكذلك في الإنجليزية، فمثلاً إذا ساند حرفان في كلمة واحدة تتكون كلمتان
مختلفتان نتيجة اختلاف ترتيب الفونيمات فيها كم في (cat,act)
ويمكن ربط هذا مع فكرة التقلاب والتبادل في الاشتقاق الأكبر، فتتألف كلمة
(صرب)، ما هي إلا تعبير في ترتيب الفونيمات، بحيث يؤدي ذلك إلى بقاء كلمات جديدة،
وهي الفكرة التي بنى عليها الحليل بن أحمد معجم العين ^(١) .

بل إن السادة أدركوا قيمة الحركات في تعبير المعنى ، فمروا بيهب وبين
الحروف، فهي الفتحة والصمة والكسرة ، إن كانت حركات، وهي حروف الألف والواو
والياء إن كانت حروفاً. وقد أوردوا كثيراً من الأمثلة التي يعود الفرق بينها إلى الحركة،
وذلك نحو الفرق بين اسم الفاعل واسم المفعول ^(٢) .

وقد طور "ياكسور" الدراسات الفونولوجية مصيغاً إليها فكرة الملامح المميزة
Distinctive Features، فأصبح مفهوم الفونيم عنده، مجموعة من الملامح المميزة التي
تتبع من الخصائص النطقية والسمعية التي تحدد كل صوت من أصوات اللغة، وبناء على
فكرة الملامح المميزة، أقام ياكسور نظريته الفونولوجية على مبدأ الازدواجية أو الثنائية
Binarism ، التي تقوم على أساس أن الوحدات الصوتية تحدث وتظهر نتيجة لتفاليات
صوتية معينة - إذا وجدت - أصبحت الوحدة الصوتية مُعلّمة أو ذات علامة Marked،
وإذا غابت أصبحت غير مُعلّمة Unmarked، ويمكن مقابلة هذه الفكرة مع ما يأتي .

(١) مقدمه كتاب العين تحقيق عبد الله درويش ، ص ٦٦

وانظر ابن جني الخصائص ج ١ ص ٥

(٢) الشعر الشمالي ، فقه اللغة المطبعة لأديبة ، مصر ، ١٣١٧ هـ ص ٣١٠

١ الأصل و الفرع عند النحاة: فالمذكر غير مُعَلَّم لأنه أصل ، والمؤنث مُعَلَّم لأنه فرع، يقول ابن هشام، " لَمَّا كَانَ التَّأْنِيثُ فَرَعَ التَّكْثِيرَ اِحْتِجَ لِعَلَامَةٍ ، وَهِيَ إِمَّا تَاءٌ مَحْرُكَةٌ ، وَتَحْتَصِرُ بِالْأَسْمَاءِ ، S "قائمة" أَوْ تَاءٌ سَاكِنَةٌ ، وَتَحْتَصِرُ بِالْأَفْعَالِ كـ " قَامَتْ " ، وَإِذَا أَلِفٌ مَعْرُودَةٌ كـ " حَبَلِي " ، أَوْ أَلِفٌ قَبْلَهَا فَتُقَلَّبُ هِيَ هَمزة كـ " حَمْرَاءٌ " وَيَحْتَصِرُ بِالْأَسْمَاءِ " (١) يُسْتَنَتَّى مِنْ ذَلِكَ تِلْكَ الْأَسْمَاءُ الْقَدِيمَةُ الَّتِي تَمَثِّلُ مَرَحِلَةَ كَانَتْ فِيهَا الْعَرَبِيَّةُ تَفَرُّقٌ بَيْنَ الْمَذْكَرِ وَالْمُؤنَّثِ ، عَنْ طَرِيقِ التَّنْبِيهِ ، لِاشْتِقَاقِيٍّ ، بِمَعْنَى أَنَّ تَعْبِيرَ عَنِ الْمَذْكَرِ بِاشْتِقَاقٍ لَيْسَ مِنْ جِسِّ اشْتِقَاقِ الْمُؤنَّثِ (حَصَرٌ ، فَرَسٌ) ، وَفِي الصِّفَاتِ ، يَبْدُو أَنَّهَا لَمْ تَكُنْ تَفَرُّقٌ بَيْنَ الْمَذْكَرِ وَالْمُؤنَّثِ الْبَتَّةَ ، وَمِنْ ذَلِكَ تِلْكَ اللَّفْظُ الْمَتَمَثِّلَةُ فِي قَوْلِهِمْ : رَجُلٌ صَبُورٌ ، وَامْرَأَةٌ صَبُورٌ (٢)

كما أن العربية حصت المُعرَفَ بعلامات ، فإذا خلا من هذه العلامات فهو بكرة ، وإن كانت البكرة ذات علامة في الأصل وهي التثوين ، إلا أن هذه العلامة قد فقدت قيمتها مع الزمن ، بل أصبحت تدخل على بعض أنواع المعارف كالأعلام .

٢ العامل: فتم النحاة العوامل إلى عوامل لفظية وذلك نحو كان وأحوالها ، وإن وأحوالها ، وعوامل معنوية كالابتداء . ومن الفروق المهمة بين العوامل اللفظية والمعنوية ، أن العوامل اللفظية تمثل علامات بارزة ، أما العوامل المعنوية ، فهي تمثل معلماً بعدم وجودها . يقول ابن الأنباري : " فإن قيل ، فلم جعلتم التعري عاملاً وهو عار عن عدم العوامل قيل : لأن العوامل اللفظية ليست مؤثرة في المعمول حقيقة ، إنما هي أمارات وعلامات ، فالعلامة تكون بعدم الشيء ، كما تكون بوجود شيء ، ألا نرى أنه لو كان معك ثوبان ، وأريت أن تمير أحدهم على الآخر ، لكنت تصبغ أحدهما مثلاً ، وتترك صبغ الآخر فيكون عدم الصبغ في أحدهم كصبغ الآخر ، فينبين بهد أن العلامة تكون بعدم شيء كما تكون بوجود شيء ، وإذا ثبت هذا جاز أن يكون التعري من العوامل اللفظية عاملاً " (٣)

(١) أوضح المسالك ، ج ٣/ ٢٣٣

وانظر بهذا المعنى نظرية النحو للعربي ص ٤

(٢) اسمعيل عميرة ، ظاهرة التأنيث ص ٣٦

(٣) ابن الأنباري ، لمرار العربية ص ٦٨

٣- كثيراً ما اعتمد البحاة على تعريف بعض المصطلحات النحوية، وبخاصة القسمات النحوية، فإذا اطمأنوا إلى أن قسمين منها أصبحا واصحين بعلامات معينة ، فهذا يعني أن القسم الثالث يصبح مميراً تلقائياً لعدم اشتراكه مع دينك القسمين في علامتهما. ولموضح ذلك من خلال المثال الآتي في حديثهم عن أقسام الكلام (الاسم، والفعل والحرف، سيبويه مثلاً وضع علامة لكل من الفعل والحرف ، ولكنه لم يضع علامة للاسم، واعتذر أبو علي الفارسي عن صيغ سيبويه هذه، بأن عدَّ علامة للفعل، وعلامة الحرف كاهيتين لمعرفة الاسم، فالاسم على هذا ما ليس بفعل ولا حرف ، قال الفارسي: "وإذا عرّف سيبويه من هذه الأشياء الثلاثة (الاسم والفعل والحرف) شيئين (الفعل والحرف)، على الوجه الذي ذكره ، صار الثالث منهما معرفة ولم يستبينهم" (١) .

٧- النظم

يرى الوصفون أن العلاقة بين العناصر اللغوية تتحدد وفقاً لانسجام بعضها مع بعض، يقول هلمسليف: " فليست هناك لغة تتميز بحرية ترتيب عناصرها، فكل عنصر تتحدد علاقته بالذي يجاوره " (٢) .

ويمكن مقابلة هذه الفكرة مع قول عبد القاهر الجرجاني " إذا ثبت الفرق بين الشينين في موضع كثيرة، وظهر الأمر بأن ترى أحدهما لا يصلح في موضع صاحبه، وجب أن تقضي بنسب الفرق، حيث ترى أحدهما قد صلح في مكان الآخر ، وتعلم أن المعنى مع أحدهما غيره مع الآخر ، .. ويعكس لك هذا الحكم ، أعني: أنك إذا وجدت الاسم يقع، ثم لا يصلح الاسم مكانه، ولا يؤدي ما كان يؤديه " (٣) ويقول: " وهل نجد أحداً يقول . هذه اللفظة فصيحة إلا وهو يعتبر مكانها من النظم، وخمس ملامحة معناها لمعاني جاراتها، وفصل مؤانستها لأخواتها " (٤)

(١) أبو علي الفارسي ، المسائل النحوية تحقيق إسماعيل صايرة، منشورات الجامعة الأردنية ، ١٩٨١م

ص ٢٣

(٢) جورج مونز، علم اللغة في القرن العشرين ترجمة مجيب غراوي ، ص ١٣٦

(٣) الجرجاني ، دلائل الإعجاز ص ٢٢٧

(٤) الجرجاني، دلائل الإعجاز ، ص ١٣٥

مثال ذلك أن ظهور حرف الجر في جملة ماء، لا بد أن يصاحبه ظهور الاسم، وظهور الصفة يؤدي إلى ظهور الموصوف أي أن ظهور أي عنصر لعوي بحكمه ظهور عنصر لعوي آخر .

وقد تطلّع هلمسليف إلى أن يشكل نظرية تصاعُ صيغة رياضية صورية، تصدق على جميع اللغات، وتكون بمثابة علم الجبر في الرياضيات، فتقول مثلاً إن ظهور العنصر (س)، في تركيب ما، يؤدي إلى ظهور العنصر (ص)، أو أن ظهور العنصر (ص) في تركيب ما يؤدي إلى ظهور العنصر (س) في التركيب نفسه، ويترتب على ذلك أن أي عنصر لعوي مثل الاسم أو الحرف أو الصائت أو الصامت لا يمكن تحديده إلا في وجود العنصر الآخر ، أو العناصر الأخرى. وبذلك فإنه يدرس الظاهرة اللغوية من مطلق رياضي، انطلاقاً من أن البنية اللغوية، كيان صوري مستقل، يتمثل في مجموعة من العلاقات الداخلية، ومن هنا، فإن بسوية هلمسليف تأخذ شكلاً ثابتاً لا متغيراً، فهو يعطي أهمية كبرى للعلاقات الثابتة أكثر من النعيرات أو التحولات التي تطرأ على اللغة^(١) .

ويمكن مقابلة أفكار هلمسليف هذه بالمحاولة للرياضية التي قدمها ابن جني حين عالج بعض الأنماط التركيبية في (باب المستحيل وصحة قياس العروع على فساد الأصول)^(٢) بعمليات رياضية، فالمقابلة بين العملية الذهنية في الرياضيات والعناصر مع العملية الدخوية منوارة في إقامة علاقات شكلية تدور في صميم المتكلمين حتى تتولد النماذج الدخوية المقبولة في سياق الإبلاغ لعدم، وفي المستوى العقلي المطلق، ومرمى ابن جني هو بيان أوجه من الإحالة، ولكنه صمماً يوحى لنا بإمكانية التعليق التركيبي بين أسية إسنادية ممكنة لدى المتكلمين . ويقوم نوعاً من القانون في الكلام قائلاً: " فمن المحال أن تنقص أول كلامك بآخره"^(٣) ثم يحاول تقديم نماذج من العمليات الذهنية الشكلية ليلور به نظرة في المعطيات اللغوية، فيقدم عمليات حسابية في (أجوبة صحيحة على أصول

(١) . كريا إبراهيم ، مشكلة البنية ص ٦٨

(٢) ابن جني، الحصائص ح ٢٣٨/٣

(٣) السابق

فائدة) من صرتِ وقسمة وكسور ، ثم يقدم بمادح من العرائض والورائش عن طريق سؤال وجواب ، وهو في عرصه حريص على المطهر العقلي للتطير في الشكلي، للأشكال الكلامية مثال ذلك، أنه قدم مجموعة من العرصيات في الحساب فقال

$$أ إذا فرصت أن $٧ \times ٣ = ٤٠$$$

$$وكم $٨ \times ٥$$$

وجوابه أن نقول :

$$\frac{٢٦}{٧} + \frac{٣}{٧} ، نأيه على الاختصار أن نزيد على ٢٤ منعها ٢٤ ، وهو $\frac{٣}{٧} + \frac{٣}{٧}$$$

مثل زيادة السبع من ٣٥ وهو ٥

$$أي أن $٣٥ + ٥ = ٤٠$$$

ب. وكذلك لو كان نصف المائة = ٤٠

$$\frac{١٠٠}{٢} = ٤٠$$

$$\frac{٣٠}{٢} = ١٥$$

ويعلق على ذلك قائلاً " والمسائل من هذا الجذر تمتد وتتعد ، إلا أن هذا طريق صحتها " (١)

ويتلخص رؤيته في إقرار القوانين النحوية والعلاقات التركيبية بين المؤلفات المباشرة، والراجعة إلى مبداء المعاني النحوية ، أو الوظائف النحوية، فلا مجال لها ، ولا إفادة لما يبدو مناهياً للمسنعمل لدى المحبرين في سياق إبلاغي، بتحير فيه الناطقون معانيهم المقصودة

وبلاحظ أن هلمسليف يلتقي مع ابن جني من حيث القدرة على معالجة الظواهر اللغوية معالجة شكلية صورية ، تقوم على منطق رياضي، إلا أنه يفترق معه في استحصاره أهمية المعنى في اللغة ، ومن ثم فإنه عد أن العيصل في قبول تراكييب لغوية

(١) ابن جني ، الحصائر ، ج ٣ ، ٣٤١

أو عدم ذلك، عائدٌ إلى المعنى، وذلك لأن المنهجية المُطَرَّدة في تحديد العلاقة التركيبية في النحو العربي، غايتها إقرار البنية الوظيفية المقبولة، فبكر على سبيل المثال، أن الجملة:

"ريدٌ أفصل بحوته". حالة، حالة

بينما "ريدٌ أفصل الناس"، حالة إمكان.

ويعزل ذلك أن الجملة الأولى، تشير إلى أن ريداً ليس من بحوته، وإنما هو من بني أبيه، وكذلك فإن الأخوة مصافون إلى صمير ريد، وهو الهاء في (بحوته)، فلو كان واحداً منهم، وهم مصافون إلى صميره كما نرى لوجب أيضاً أن يكون دحلاً معهم في إصافته إلى صمير، وصمير الشيء هو الشيء البتة، والشيء لا يُصاف إلى نفسه (١) وعلى ذلك فالوجه المقبول هو:

ريدٌ أفصل بني أبيه

أو ريدٌ أكرمٌ جُلّ أبيه

بل إن حضور المعنى في ذهن ابن جني، جعله يقلب المعنى ويعبر عنه بأكثر من وجه، وبذلك بقوله، إنه يمكن إصافته تحويلاً على الجملة السابقة بإدخال دليل من الحروف المبينة عن الإضافة، وبذلك تصبح الجملة ريدٌ أفصل من إحوته (٢)

فهذا الدليل يسقط الإضافة من العملية التركيبية، ويسمح بالاحتياز في العاصر

الكلامية

٨ القياس الوصفي

يمكن الموازنة بين القياس عند الوصفيين والقياس عند النحاة العرب من خلال

البيانات الآتية

١ يتسم القياس في المصباح الوصفي، بأنه مرحلة تقوم على استقراء اللغة، وملاحظة الطواهر فيها، ومن ثم تشكيل أو صوغ قاعدة قياسية، وبذلك تكون القاعدة القياسية نتيجة

(١) ابن جني، الخصائص ج ٣/٣٣٣ ٣٣٤

(٢) سريد مر الأمثلة، لفظ ابن جني الخصائص ج ٣/٣٣٣

طبيعة للاستقراء ، يقول فندريس: " يُطلق القياس على العملية التي بها يخلق الدهر صيغة أو كلمة أو تركيب، تبعاً لأنموذج معروف " (١) ، ويقول " الإنسان يتبع القياس دائماً في كلامه، وما جداول التصريف و الإعراب، التي تُذكر في كتب النحو إلا مبادئ يطلب إلى التلميذ محاكاتها " (٢)

وبذلك تستقر نظم اللغة في مجاميع مرتبة يعود الإنسان من خلالها طريقة صياغة الأفعال ، والتذكير والتأنيث .. إلخ

وه مرّ بنا في الفصل السابق ، أن النحاة كانوا في البداية تغلب عليهم سمة الوصفية، وقد جسّسها أقوال من نحو: " فستعمل من هذا الباب ما استعملت العرب وأحر ما أجازوا " (٣)

ومن ذلك ما قاله الأحفش " إنما هذا يجوز فيما استعملوه، وأحد سماعاً عنهم " (٤) ويقول الأحفش- " ولو تكلمت به العرب لأجراه " (٥) وقال ابن جني " إذا ذاك القياس إلى شيء ما، ثم سمعت العرب قد نطقوا به أحر ، على قياس غيره، فدع ما كنت عليه إلى ما هم عليه " (٦)

ولعل هذه سمة واضحة في كتاب سيوييه والمتقدمين من النحاة، على أنها لا تُشكل السمة المنهجية الوحيدة، فالسمات المعيارية، واضحة أيضاً، مثال ذلك ، أنهم لا ينجحون كثيراً من أدوات الشرط، تحت باب الشرط لأنها تحالف معيارهم القائم على أن الجراء مقرون بالجزم (٧)

(١) فندريس ، اللغة ص ٢٠٥

(٢) فندريس، اللغة ص ٢٠٥

(٣) سيوييه، الكتاب ج ١ / ٤١٤

(٤) ابن السراج، الأصول في النحو ج ١، ٢١٥

(٥) السابق ج ١ ٢٣٦

(٦) ابن جني ، الخصائص ج ١ ١٢٥

(٧) إسماعيل عمارة، نظرة معاصرة على المدرسة النحوية العربية من خلال باب الشرط مجله دراسات ،

مشورات الجامعة الأهلية ، قسم العلوم الإنسانية ، المجلد الحادي عشر ، العدد الرابع ، ١٩٨٤م

٢ القياس في المصهج الوصفي تعبير عن السلوك اللعوي كما بدا في المادة المستقرأة، ولا يسحب على السلوك اللعوي في المستقبل، ومن ثم فالقاعدة القياسية عند الوصفيين ليست قاعدة تحكّمية معيارية ، وهذا ما يأحده الوصفيون على المصاهج التقليدية في دراسة اللغة، يقول داهيد كريستل " تمثل المعيارية prescriptive أكثر من غيرها، الاتجاه التقليدي في دراسة اللغة، لأن النحاة يهتمون بوصف قواعد نبيّن للناس كيف ينبغي لهم أن يتكلموا أو يكتبوا ، وذلك على هديّ مستوى لعوي عرير عليهم، وذلك كاهتمامهم بالأساليب العريقة كالمراجع إلى استعمال كبار الكتاب أمثال شكسبير * وجين بوسن * (١) "

وقد ترتب على هذا أن كان للمصهج الوصفي رأي متسامح، مع ما يشد عن القاعدة الوصفية، يقول سابير Sapir: " كثير من حالات المندوب لا يمكن أن تندرج تحت القاعدة العامة ، وحيثما كان الأمر فلا بد أن نعترف أن القاعدة شيء ونطيق القاعدة شيء معيار تماما " (٢) .

وهم بذلك يؤمنون بدراسة المستوى المطوف اللغة (اللهجات) ويرفعون شعار "ع لعتك وشأنها " (٣) ، ويعنون الفصحى بمط كلاسكيا ميتاً ، ويشبهون من يقيم دراسة اللغة المكتوبة على المطوقة كمن يصنع العربة أمام الحصان (٤) ، مما يؤدي إلى قلب أوليات علم اللغة، وما يترتب على ذلك من تفكير مشوش .

وقد أدرك النحاة العرب هذه الأفكار التي يطرحها الوصفيون، فهم يرون أن اللغة في تطور مستمر، يقول أبو علي الفارسي واصفاً كثرة الطوائف اللعوية التي لا تحصى لقانون مطرد، ذلك لأن المتكلمين " ليست لهم أصول يرجعونها ، ولا قوانين يعتصمون بها، وإنما تهجم بهم طباعهم على ما ينطقون به، وربما سنفواهم الشيء ، فراغوا به عن

(١) داهيد كريستال ، التعريف بعلم اللغة ترجمه حلمي حيل ، ص ٥٧

* شاعر معر حي إنجليزي مشهور ، مات سنة ١٦١٦ م

** رواية إنجليزية مشهورة ، توفيت عام ١٨١٧ م

(٢) Sapir, Language, p 6

(٣) ايمس هريشة، نصريات في اللغة دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، ١٩٧٣م، ص ٥٢

(٤) داهيد كريستل ، للتعريف بعلم اللغة ص ٧١

الفصل ١٠^(١)، وقد بيّنا في الفصل السابق مآدح من اهتمامهم بالمستوى المنطوق، كاللهجات واهتمامهم بالقراءات القرآنية، وحرصهم على السماع، بيد أنهم بصدد هدف سام، هو اتحادهم من لغة القرآن الكريم لغة مركزية تنبؤاً وسط دائرة الرمان لكل الناطقين بالعربية على اختلاف لهجاتهم^(٢)

٩ - التعليل الوصفي

ذكرنا في الفصل السابق عدداً من الملامح الوصفية للتعليل، عند النجاة العرب، ولاحظنا أن التعليل عند النجاة بدأ وصفاً^(٣)، يهدف إلى تفسير الظاهرة اللغوية، من المادة المستقرأة، وهم في هذا التصور للتعليل يلتقون مع تعريف الوصفيين للغة بأنها ظاهرة اجتماعية يصعبها البحث، ويمضي إلى معرفة العلاقات بين الظواهر وصفاتها، أو بين الظواهر وظروفها، وهذا لا يتحقق إلا بوصف علمي محايد لهذه الظروف والصفات، وهم يرون أن هذا المفهوم للتعليل يلتقي مع المنهج العلمي (Scientific Method)^(٤)، وهو يتمثل في ملاحظة الظواهر اللغوية، ثم إقامة فروص نظرية تصف هذه الظواهر، وبذلك فهم يدرسون اللغة في ذاتها ومن أجل ذاتها

وقد اُحد الوصفيين على الدراسات التقليدية للغة، أنها كانت تحصى لمطالبات دراسات أخرى، مثل المصطلح والحطابة والفلسفة والتاريخ، فما منح عنها أنهم " كثير ما كانوا ينتقون الظواهر اللغوية يدرسونها لمجرد حب الاستطلاع، بل كانوا يذهبون بعيداً في الاستدح من الدراسة اللغوية، لكي يدعموا وجهة نظر غير لغوية، كما شئت بينهم مجادلات ومناظرات مريرة حول بعض القضايا المتصلة باللغة مثل نشأة اللغة الإنسانية الأولى " (٥).

(١) السيوطي، المهر في علوم اللغة ج ٢، ص ٢٤٨

(٢) إسحاق بن عمار، التفكير اللغوي التراتبي بين النصيب والتعديم ص ٩

(٣) انظر، من الفصل الثاني، ص ٧٤

(٤) رافيد كريستال، للتعريف بعلم اللغة ترجمه، حلمي خليل، ص ٩٩

(٥) رافيد كريستال، للتعريف بعلم اللغة ص ٨٧

وقد حاول بعض المستشرقين دراسة العربية من منظور وصفي (١) ، وذلك نحو الدراسة التي قام بها فيشر (Fischer) في كتابه Grammatik des Klassischen Arabisch (٢) ، وقد ذكر أنه أراد أن يحلّص كتابه تماماً من أثر الدرس اللعوي العربي، من جانب المصطلح، ومن جانب طريقة التفكير ، وبذلك سار على الطريقة الوصفية العربية في دراسته للعربية ، وعلى هذا فقد عرّض المادة اللغوية المتنوعة مبدئياً بالمبحث الصوتية ثم الصرفية ثم النحوية، مع ملاحظة أنه لا يعتمد على نظرية العامل في انتزاع المباحث اللغوية، وجعل من فكرة (الجملة الإظهارية) Top-Comment-Satze اسماً في ذلك، والمقصود بالجملة الإظهارية، هو تقديم المادة اللغوية من خلال تداعل المفهوم الشكلي للغة، بالمفهوم المعنوي (المضمون)، وذلك بمعالجة الأنماط التي تشتمل على عنصر مقدم للتركيب عليه، وذلك نحو: باب الاشتعال (ريداً قائننه)، والمبتدأ والخبر (ريداً سمعته طيبة)، والجملة المضمرة بـ (إن ، وإنما)، وهكذا فقد بحث مادة بحث في أبواب متنوعة عدداً، في باب واحد وفقاً لهذا المفهوم الوصفي.

ثم إنه اعتمد على استحصار الأنماط السباقية، التي حيزها وردت في الألمانية، كالأنماط الدالة على الزمن مثلاً، نحو sobald - حالماً - و wenn - حينما - و salange طالما - ثم بحث المؤلف عن الأنماط التي يمكن أن تتأخرها في العربية عند الترجمة، وأسمى ذلك بالجملة الزمنية Zeitsatze (٣) .

ولا يحق أن المستشرقين " لم يصطربوا في مسألة لغوية معاصرة كاصطرايهم في تحديد مفهوم ثابت يميز الفصحى المعاصرة . وقد بلغ الاضطراب عند ' أمبروس Ambros' مثلاً أن أحد بالحركات الإعرابية على صعيد الأفعال ، وأهمها على صعيد الأسماء (٤) .

١ { انظر إسماعيل عميرة الفصحى في الدرس اللعوي عند المستشرقين لألماس مؤنة للبحوث والدراسات ، ١٩٩٤

(٢) السابق ص ٣٥

(٣) إسماعيل عميرة ، الفصحى في الدرس اللعوي عند المستشرقين لألماس ص ٣٧

(٤) يمز يد من التفصيل في هذه المسألة انظر بحث فيشر (Fischer) بعنوان " المرحل الرسمية للعربية الفصحى ، ترجمه إسماعيل عميرة المجلة الثقافية للجامعة الأردنية ، العدد ١٢ ١٣ سنة ١٩٨٧م

وقدُ الوصفيين هذا يدكراً بالنقد الذي وجهه بعض البلاغيين والنقاد القدماء للنحاة بسبب مبالغتهم في التعليل، ومن هؤلاء الجاحظ الذي يرم بعزل النحاة مشيراً إلى أنه لا يصل أحد من علم النحو إلى ما يحتاج إليه، حتى يتعلم ما لا يحتاج إليه^(١). وابن سبن الحفاحي الذي يبه على سقم حجج النحاة ووهيها بقوله " فإن النصر إذا سُلط على ما يعزل الحويون به لم يثبت منها إلا ألف الفرد، بل ولا يثبت شيء البتة، ولذلك كان العيب منهم المحصل من يقول هكذا قالت العرب، من غير زيادة على ذلك، وربما اعتذر المعاصر لهم بأن عليهم إما ذكرها وأورسوها لتصير صاعدة وريضة، يتدرب بها المتعلم، ويقوى بأمثلها المبتدئ، فأما أن يكون ذلك جارياً على قانون التعليل الصحيح، والقياس المستقيم، وذلك بعيد لا يكاد يذهب إليه محصل^(٢) .

وقد تبلورت فكرة النقد هذه عند ابن مضاء، الذي نقد النحاة في محلهم في التعليل مثيراً بين العلل بقوله. " والفرق بين العلل الأول والعلل الثاني، أن العلل الأول بمعرفتها حصل لنا المعرفة بالنطق بكلام العرب المدرك ما بالنظر، والعلل الثاني هي المستعنى عنها في ذلك، ولا تفيدنا إلا أن العرب أمةٌ حكيمه^(٣)، ونسك من بعض المواضع، كان يقال في (أكرم القوم): لم حركت الميم من (أكرم) وهو أمر؟ فيقال لأنه لقي ساكناً حر، وهو لام التعريف، وكل ساكنين النفاً بهذه الحال، فإن أحدهما يُحرك، فإن قيل: ولم لم يتحرك ساكنين؟ فالجواب: لأن النطق بهما ساكنين لا يمكن للناطق بهذه قطعة، وهي ثانية واصحة، ولكن يستعنى عنها^(٤) وهكذا فقد استطاع بعض النحاة القدامى إدراك كثير من العيوب المعيارية التي أشار إليها الوصفيون المحدثون، قبل أن يظهر هذا المنهج بقرون عديدة، ويسو أن كثيراً من الأسس الوصفية لم تكن لتحقق على كثير من النحاة، حتى المعياريين منهم، فالعارسي مثلاً، نحوي معياري، وقد

(١) الجاحظ، الحويون في فصح (شرح الهجر بالجد)، ص ١٠٦، ١٣٥٦ هـ، بتحقيق الأستاذ عبد السلام هارون

(٢) ابن سبن الحفاحي، سر القصصحة تحقيق محمد المتعال الصعبي، القاهرة مكتبة محمد علي، ١٩٦٩، ص ٣٣

(٣) ابن مضاء الفرطبي الرد على النحاة، ص ١٥٢ - ٥٦

(٤) انظر عبد الحلق عصيمة النحو بين التجديد والتقليد مجلة كلية اللغة العربية بالربيع، العدد السادس،

١٩٧٦م، ص ١٩ - ٢

استخدم الفلسفة والمطوق في كثير من المسائل النحوية ، التي يدّعم بها «رأيه المعيارية» ، ومع ذلك فلم يحبّ عنه أن يُبذَى نحطاً إراء الفلسفة أحياناً ، فهو يردُّ على الفلاسفة والمنكلمين ممن ينكرون أن تكون دلالة الفعل على رمان ، علامة من علامات الفعل ، فلو سُرَّ الفعل عندهم على رمان ، لكان هذا يعني قدم الرمان المفترى بقدم الفعل قال "وقد قيل لم وصف الفعل بهذا الوصف ، أرأيتم قولكم : خلق الله الرمان ، هل يدل هذا على رمان ، فإن قلتم: لا ، فسد وصعكم ، وإن قلتم: يدل ، فقد ثبت رماناً قيل " (١) .

ثم احاب سفي هذه القصيدة الفلسفية ، اعتماداً على مبدأ وصفي قائم على وضع اللغة فيما أتت إليه بحسب واقع الاستعمال ، وما نعارف عليه الناس ، قال " وذلك ممتنع لما يجيبون به عن ذلك ، أن اللفظ فيه قد جرى عندهم الآن ، مجرى ما يتحاطبون به ويتعرفون " (٢) .

وبعد التمهّل في التحليل ، كثرة من الباحثين المحدثين ، انصوى بفردهم في معظمه بحث لواء تيسير الدراسة النحوية ، فمنهم من دعا إلى تنقية النحو من العنل الثنوي والثالث ، وما يليها ، والتي من شأنها إصاعة الجهد والوقت في عبث لفظي لا غناء فيه ، بل فيه كل العناء ، وكان من الواجب توجيهها إلى إصلاح نحوي مفيد ، وعمل مثمر .

ومنهم من يميل إلى إلقاء العنل بعامة ، ويصف النحاة القدماء بأنهم يعدوا عن التماس التحليل الصحيح ، وأنهم قد اصابهم الحيرة في فهم محلفات العربية على الوجه الواقعي (٣) . ومنهم اجتهد في القصاء على العوامل مصطفى جواد ، حيث عرّض للأفعال التي يطق بها العرب ، لارمة معنى ومتعدية لفظاً ، فقال : (فالتعدي هو صدور الفعل من الفاعل ووقوعه على غيره .. فإذا قلنا لَكُنْتُ الطعم .. فالطعام مفعول به بتعدّي حقيقي ، وقولهم سعه نفسه وغيث رأيه . ورشد أمره ، إنما هي متعدية تعدي لفظياً ، وذلك بدلالة جوار قولك سهت نفسه ، وغيث رأيه . . ورشد أمره . برفع هذه لأسماء على الفاعلية .) (٤) ، ويقول بعد ذلك " تكلمنا سابقاً على التسمية اللفظية ، والتعديّة الحقيقية ،

(١) أبو علي الفارسي ، للمعامل العسكرية تحقيق إسماعيل عميرة ، منشورات الجامعة الزيتية ، ط ٣٠

(٢) المصدر السابق ، ص ٣

(٣) عبد الله العلايلي مقدمه لدر من لغة العرب ، المطبعة المصرية ، ص ٦٤

(٤) مصطفى جواد ، دراسات في فلسفة النحو والصرف ، ص ٥٠

والمفعول به اللفظي ، والمفعول به الحقيقي . . ونكرر أن ذلك مما لم يعرفه علماء النحو ، لأنهم لم يعكروا فيه ، إنما كان وكدهم أن يعينوا المنصوب ويميزوه من غيره ... " (١) .

وقد ذهب سيبويه في هذه الحالة وأمثالها ، إلى أن الفعل قد يعمل في اللفظ دون المعنى ، وذلك حين فسّر قول عامر بن الطفيل ، " فلأبعيكم قنا وعوارصا . " فأشار إلى أن " قن وعوارصا : مكانان ، وإنما يريد بقنا وعوارص . أي أن الفعل في (أبعيكم) قد عمل في المعنى حين نصب الصمير المتصل ، فلامت الحركة المقنطرة المعنى ، لكنه عمل في اللفظ حين نصب (قنا) ؛ لأن الحركة المقنطرة لم نحاس المعنى ، بل أن المعنى على نية الجر ، والحركة هي النصب (٢) .

وقد ورد في القرآن الكريم . " إلا من سعه نفسه " (٣) الوجه الذي أشار إليه مصطفى جواد وهو النصب على نية الجر ، وذلك للروم الفعل (٤) ، ذكر أبو حيان في تفسير الآية " . وانتصاب نفسه على أنه تمير على قول بعض الكوفيين ، وهو للفرء ، أو مثبته بالمفعول على قول بعضهم أو مفعول به ، إما لكون سعه يتعدى بنفسه كسعه المصعب ، وإما لكونه صم معنى ما يتعدى ، أي جهل ، وهو قول الزجاج ، وابن جني ، وأهلك ، وهو قول أبي عبيدة ، أو على إسقاط حرف الجر وهو قول بعض البصريين " (٥) ، فهذا رأي قيم عرفه النحاة ، ومن عاب أيضاً على النحاة التعليل بوجه عام محمد الكسار ، فنكر أن النحاة أفسدوا النحو وشوهوه ، فاستبهمت عليهم معالم القصد ، وعميت وجوه الرشد ، فسفه رأيهم ، وطاش سهمهم ، وقد عرا ذلك إلى أعجميتهم حبباً وشعوبيتهم حبباً آخر ، بل رده إلى جهلهم وادّعى أنه جاء بجديد في (إن) واسمها وحبرها ، فجعل اسم - إن - المنصوب ، فصلته ، وحبرها المرفوع مسدداً إليه ، فإذا قلت . إن الله واحد ، فالتوكيد ينصرف إلى الوجدانية المستفادة من أحد ، وليس منصرفاً إلى لفظ الجلالة وجعل اسم - إن - شبه فعل ، وهي المسد ، واسمها منعم له وحبرها هو المسد إليه

(١) مصطفى جواد ، دراسات في فلسفة النحو والصرف ص ٥١

(٢) سيبويه ، الكتاب ج ١/ ١٩٣

(٣) البقرة الآية ١٣٠

(٤) العنكبوت ، النيس في غراب القرآن ج ١ ، ص ١١٧

(٥) أبو حيان ، البحر المحيط طبعه دار الفكر ، بيروت ، ١٩٨٣ ، ج ٢ ص ٣٩٤

وبعد ذلك يقول : " إن بحث الإسناد من وجهة نظري الجديدة التي أقرتني عليها
الكثيرون من شأنه أنه يساعد على توحيد أبواب المرفوعات كافة تحت اسم العمدة بعد أن
استعصى هذا التوحيد .. بسبب سوء فهم الإسناد " (١)

والمأمل في أقوال النحاة يجد أنهم أوضحوا أن - إن - نعيد التوكيد ، وأن معدها
يتجه إلى المصدر المستفاد من الخبر ، وهو المسند في الأصل ، فالمؤكد هي قولك (إن الله
وحد) على ما ذكر النحاة ، إنما هو الوجدانية ، لا " الله " ، وبحول إن يعني تأكيد
(ثبوت المسند أصلاً ، وهو الوجدانية ، لله ، وهو المسند إليه) .

ففي شرح قطر الندى لابن هشام: (إن وأن ، ومعاهما التوكيد، تقول: ريد قائم،
ثم تدخل - إن - لتأكيد الخبر وتقديره ، فتقول - إن ريدا قائم (٢) ، وأشار السيوطي إلى
أن (إن المكسورة وأن المفتوحة لتؤكد النسبة . أي تقوية وتثبيت النسبة الكائنة بين
اسمها وخبرها ، وهي ثبوت المسند للمسند إليه ، نحو " إن الله غفور رحيم " ، وهكذا
يصبح الخبر كالعمدة ، والاسم كالفضلة) (٣)

وهناك إشارات كثيرة تشير إلى أن النحاة حاولوا توحيد المرفوعات
و المنصوبات، فجعلوا الرفع للعمد كيف جاءت، والنصب للفصلات كيف اتفقت، فإذا حدث
لعمدة أن نصبت، فذلك تشبيه لها بالفضيلة ، فحبر (كان) في لأصل عمدة، لكنه نصب
لتشبيهه بالفضلة وقال الأسترابادي : " وأما من قال، وهو الحق، إن الرفع علامة للعمد
فاعلة كانت أو لا، والنصب علامة الفصلات مفعولة كانت أو لا، فلا يحتاج إلى تشبيه
هذه المرفوعات بالفاعل، بل يحدح في نصب بعض العمد، وهو سم إن وأحواتها وخبر
كان وأحواتها . إلى تشبيهها بالفضلة (٤)

(١) محمد الكسر ، المفاح ، دمشق ، ١٩٧٦م، ص ٩

(٢) ابن هشام ، شرح قطر الندى وبل للصدى، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، المكتبة التجارية ، ص

١٠٧

(٣) السيوطي ، الهمع ج ١ ص ١٣٤

(٤) الرصافي الأسترابادي شرح الكافية ج ٢ ص ٢٧٧

وعلى هذا فلا أرى جديداً أصافه محمد الكسار ، واحد عليه تسعيفه للنحاة غير المبرر
وكان الأجدر به لو احتذى حدو ابن مصاء، الذي حمل على النحاة كثيراً ، غير أن ذلك
كان بأسلوب علمي فقال " وإني رأيت النحويين، رحمة الله عليهم، قد وصعوا وصباغة
النحو لحفظ كلام العرب من اللحن، وصيانته عن التعيير ، فبلغوا من ذلك إلى العاية التي
أموا، وانتهوا إلى المطلوب الذي ابتغوا " (١) .

١٠ - الاتجاه الوصفي الاجتماعي

مرّ بنا في الفصل الأول أن المدرسة الوصفية السياقية اهتمت بمساق الحال
Context Situation، فقد نظر أبرز أعلامها فيرث Firth، إلى المعنى على أنه علاقة
بين العناصر اللغوية والسياق الاجتماعي ، به تتحدد معاني تلك العناصر، وفقاً لاستعمالها
في المواقف الاجتماعية المختلفة، فقد يكون لكلمة أو جملة ما، معنى لا يلبث أن يتغير
بالنسبة إلى الموقف المتغير الذي قد تُستعمل فيه ، كما أنه وعلماء هذه المدرسة
الذين جاءوا بعده، أشاروا إلى مجموعة من العناصر التي ينبغي أن تؤخذ بعين
الاعتبار ، وذلك كالعنصر البشري، وما يترتب على ذلك من تقسيم يُنسب إلى
العالم K. Ammer

١ سياق لغوي (٢) Linguistic Context

٢ سياق عاطفي Emotional Context .

٣ وسياق ثقافي Cultural Context .

٤ سياق موقف Situational Context .

(١) ابن مصاء، الرد على النحاة، ص ٨٠

(٢) انظر أحمد مختار عمر علم الدلالة مكتبة دار المعروية، الكويت، ١٩٨٧، ص ٦٩

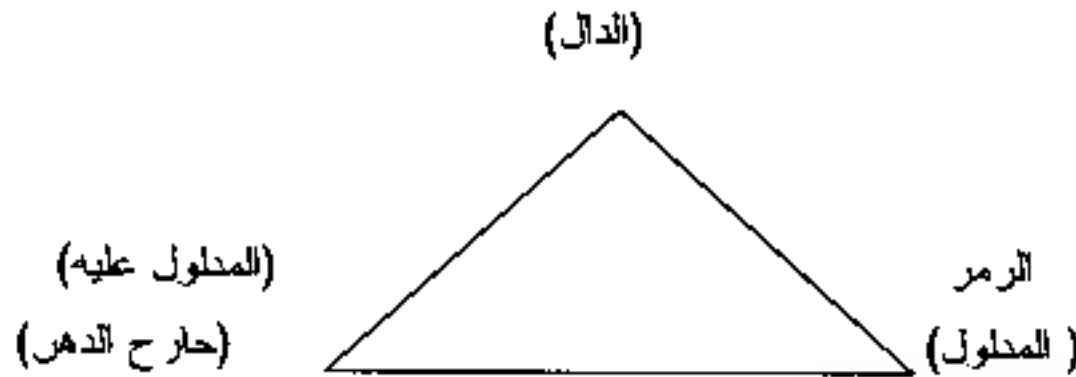
وانظر د. هادي علم اللغة الاجتماعي ترجمه محمود عبد الحفي عياد، منشورات (سلسلة المائة

كتاب) بغداد، ١٩٨٧، ص ١٦٠

المسياق اللغوي:

إن المتأمل للتراث النحوي العربي يلحظ أنهم يصدرون عن تصور واع للطاهرة اللغوية في إطارها الاجتماعي^(١)، فكما أن هذه المدرسة ترى أن المعنى لا يتصح، لا من خلال الوحدة اللغوية، أي وضعها في سياقات مختلفة^(٢)، فإن نجد أن علماء العربية صدروا عن مثل هذه النظرات، فهم يصنعون حشثين للمفردة، سمى الجرجاني الأول (المعنى)، ويقصد به المعنى العرفي الرمزي المعجمي، وسمى الثاني (معنى المعنى) ويقصد به المعنى الذي يتأتى عن طريق الاستعمال، وهو الذي يحقق القصد والعرض والمجاز، يقول الجرجاني: "ما تصل إليه من المعنى بظاهر فهو (المعنى)، فإذا كنت لا تصل منه إلى العرض بدلالة للفظ وحده - بل وجدت لذلك المعنى دلالة ثابتة تصل بها إلى العرض، . . . فذلك هو (معنى المعنى)، ويتأتى لك عن طريق المجاز، . . . وذلك نحو: (طويل الجاد كثير الرماد)."^(٣)

وهذا ما عُرِف في الدراسات اللغوية الأوروبية الحديثة (The meaning of meaning)، بل إن "معنى المعنى"، ذلك المصطلح الذي أشار إليه الجرجاني، كان عنواناً لكتاب (أوغدن وريثارد، ١٩٣٢م) (The meaning of meaning)، الذي حاول فيه توضيح فكرة المعنى من خلال القاعدة المشهورة التي أسماها (المثلث الأساسي)^(٤)



(١) انظر: بهاد للموسى، نظرية النحو العربي ص ٩٢

(٢) أحمد مختار عمر علم الدلالة ص ٦٨

(٣) الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص ٢٣

(٤) رشيد العبيدي، الألفبائية بين عهد القاهر والمحشثين، ص ١٩

وقد أشار فيها إلى أن أية علاقة رمزية لها ثلاثة جوانب أساسية هي

أ. الرمز نفسه . وهو في دراسة اللغة (الكلمة المنطوقة) مثل (منصدة).

ب. المحتوى الفعلي . الذي يحصر في ذهن السامع حين يسمع الكلمة (منصدة)

ج. الشيء نفسه : وهو (المنصدة) وقد يطلق عليه (المقصود) أو المعنى ، ويلتقي

الجرجاني مع علماء اللغة المحدثين في التعبير بين المعنى والعرض ، ولك كإن

يقول ريد كالأسد ، فإنها تختلف عن معنى قولنا (كأن ريد الأسد)، والثانية أكثر قوة

من حيث المعنى، ولكن الجملتين افادتنا غرضاً واحداً هو تشبيه ريد بالأسد ^(١) .

ويبحث في السياق اللعوي اختلاف المعنى لكلمة واحدة في السياقات المتنوعة وذلك نحو

قول ^(٢)

١ أكل علي طعامه.

٢ أكل علي مال اليتيم .

٣- أكر علي أصابعه يوماً

٤ نكل علي صربة علي رأسه

٥ أكله جلده .

٦ عني يأكل عمره

٧ علي يأكل لحوم الناس

ولعل هذا قريب من مفهوم " احتمالية الوقوع " Collocability، عند هيرث ^(٣) .

وهو يقوم على أساس تبديل المفردات المعجمية، أو تبديل أنواع السياق اللعوي لإصدار

لأحكام

(١) انظر الجرجاني دلائل الإعجاز ، ص ٢٠٦

وانظر رشيد العبيدي الألفية بين عبد القاهر والمصنثي ، ص ١٩

(٢) ابن منظور ، لسان العرب مادة (أكل)

(٣) أحمد محار عمر ، علم الدلالة ص ٧٥

ونحن هذا يتفق مع ما عثر عنه Joos بالتوزيع Distribution، والذي حصر من خلاله اختلاف المعنى باختلاف السياق، وشرح ذلك بواسطة المفردة Code، التي تكرر بها أربعة عشر استعمالاً موقعاً (١)

السياق العاطفي :

وقد لحظ البُحاة ما يكون من تعبير صفات الخطاب وعناصره وفق لمرئيه لمحاطب والأحوال التي تعترضه ، مما ينحل في نطاق السياق العاطفي الذي عده علماء اللغة الاجتماعي المحدثون ، مطلب مهم لدراسة اللغة ، من تلك قوس المبردة " والدعاء بجري محري الأمر والبهى ، وإنما سُمي هذا أمراً وبهياً ، وقيل بلأحر طيب للمعنى ، قام اللفظ فواحداً ، وبذلك قولك في الطب: اللهم اغفر لي ، ولا يقطع الله يد ربه ، ويعفو بحاله ، فإنه يقول سألت الله ، ولا تقُ أمرتُ الله ، وكذلك لو قلت للطبيعة انظر في امري ، انصفني لو انت سألته ، ولم تقل امرتُ " (٢) ، " لأنك تأمر من هو دونك وتطلب إلى من انت بونه " (٣)

وكذلك فقد تنحل موقف الخطاب في لائحير النحوي ، فالمبادئ " إن كان بعيداً أو من هو في مرئته من ناتم أو سمع بدينه بـ (ي وأيا وهي) ، وإذا كان قريباً دعوته بـ (ي والهمزة) ، وإذا كان مسوياً دعوته بـ (و) " (٤) .

وبعد في راء مجموعة من البُحاة صدوراً واصف عن فهم الحالة النفسية العاطفية التي يعيشها المتكلم ، وذلك عندما عاجوا بعض الشئ الذي وردت بسنعمال أسلوب النداء ، وليس فيها القصد من النداء وذلك نحو (٥) .

(١) السبقي ٧٦

(٢) المبردة ، المفتاح ج ٢ ٤٤

(٣) السابق ج ٢ ، ١٣٢

(٤) الزمخشري ، المفصل ص ١٤٤

(٥) ننوسع في هذه الشئ في انظر الرسالة التي قدمتها الباحثة نبيل نرجه الماجستير وهي بعنوان " جملة النداء

بين النظرية والتطبيق " ، عم ١٩٩٠م ، ص ٢٨ ٤٢

١ - إذا تبع أداة النداء "ليت" ، وذلك في نحو قوله تعالى : " يا ليتني كنت معهم فأفوز فوزاً عظيماً " (١) .

٢ - إذا تبع أداة النداء "رب" وذلك في نحو قوله صلى الله عليه وسلم " يا رب كاسية في الدنيا عارية يوم القيامة " (٢) .

٣ - إذا تبع "يا" حيداً ، وذلك في قول جرير

يا حيداً جيلُ الرِّين من جيلٍ وحيداً ساكنُ الرِّين من كانا (٣)

٤ - إذا تبع يا النداء ، وذلك في قول الفرزدق يهجو رجلاً من بني عذرة :

يا أرعم الله أنعا أنت حاملةٌ يا د، الحد ومقالُ الرور والحطل (٤)

٥ - إذا تبع "يا" الأمر ، وذلك في نحو قوله تعالى : " ألا يا سجدوا لله الذي يخرج الحب من السموات والأرض ويعلم ما تسرون وما تخفون " (٥)

وعلى هذا ذهبوا إلى عدم تقدير منادى ، وذلك إدراكاً منهم لأن الإنسان بطبعه يفاعل تفاعلاً داخلياً يعبر به عن ذاته الفكرية ، بألوان من التأمل والحوار الذي يعلب أن يكون باطنياً بين الإنسان ونفسه

وقد استعمل العربي أسلوب النداء في تحقيق هذه التفاعلات الدانية معصفاً عن حلاط نفسه يعيشها ، من أن يكون هناك محصوص بالنداء ينتظر منه الانتباه ، وقد أشار ابن جني في تفسيره للآية الكريمة " ألا يا سجدوا " ، بقوله :

" فحاء يا ولا مادي معها ، قيل يا ، في هذه الأمكن يعني التي تجيء فيها من غير ذكر المادي قد جردت من معنى النداء ، وحلصت نبيهاً . أما قول أبي العباس : إنه أراد

(١) سورة النساء الآية ٦٣

(٢) ابن هشام ، معني اللبيب مبحث " رب "

(٣) المرادي ، للجني الداني في حروف المعاني ، تحقيق فخر الدين قباوة ، المكتبة العربية ، حلب ، ١٩٧٢ ، ص ٣٥٧

(٤) ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ص ٢٨٥

(٥) سورة النمل الآية ٢٥

” ألا يا هؤلاء اسجدوا ، فمرود عند ” (١) وإلى هذا الرأي ذهب أبو علي الفارسي (٢) ،
والمالقي (٣) ، وكذلك أبو حيان (٤)

السياق الثقافي

وقد صدر للنحاة عن فهم للسياق الثقافي Cultural Context الذي يُعد أصلاً من
أصول علم اللغة الاجتماعي ، وذلك بأمانة كثيرة يذكر منها ، تعبيرهم عن حروح بعض
الألفاظ عن حدود دلالتها الحرفية، بما يشير إلى أن الاحتبار الثقافي المشترك بين أهل
اللغة شكّل ملحطاً إضافياً في ضبط قواعدهم ، وذلك نحو قولهم لقول العرب (يا ابن
أمّ) ، وب ابن عمّ ” فإنهم جعلوها واحداً بمرئاة خمسة عشر ، وعملوا ، بكثرة الاستعمال ،
واستشهدوا على ذلك بأن ” الرجل منهم يقول لمن لا يعرف ولمن لا رحم بيبه وبيته : يا
ابن عمّ ، ويا ابن أمّ ، حتى صار كلاماً شائعاً مُخرجاً عن هو له ” (٥)

وكذلك فإنهم يفسرون التلزم التركيبي بين عناصر بعض الألفاظ، وذلك نحو
قول ” كلمته فاه إلى في ” ، بالاحتكام إلى مدلولات هذه الألفاظ الاجتماعية ، قال
سيبويه ” واعلم أن هذه الأشياء لا يفرد منها شيء نور ما بعده ، وذلك أنه لا يجوز أن
يقول كلمته فاه، حتى نقول - إلى في ، لأنك إنما تريد مشافهة ، والمشافهة لا تكون إلا من
اثنين ، وإنما يصح المعنى ، إذا قلت إلى في ، ولا يجوز أن نقول : ما بعته يداً ، لأنك إنما
تريد أن نقول أحد مي وأعطاني ، فإنم يصح المعنى إذا قلت بيد لأنهما عملان .. ” (٦)

وكذلك فإنهم يلتفتون إلى حال المتكلم ومستواه الثقافي، ويفسرون من خلاله تنوع
العبارة ” فإذا كان المتكلم من سواد الناس حدثت عن نفسه بمنزلة (أ)، أما ” الله تعالى
فيحبر عن نفسه بلعظ ملك الأملاك نحو (بحر قسماً) ، و (إنا أعطيناك) ، وهو وحده لا

(١) ابن جني ، النحائص ج ٢ / ١٩٦

(٢) السبوق ج ٢ / ١٩٦

(٣) المالقي ، رصف المياني في شرح حروف المعاني تحقيق محمد الحرايط ، دمشق ، ١٩٧٥ م ، ص ٤٥٢

(٤) أبو حيان البحر المحيط ، ج ٢ / ٦٩

(٥) العميد ، المختص ج ٤ / ٢٥

(٦) سيبويه ، الكتاب ج ١ / ٣٩٢

وانظر بهلا الموسى ، نظرية النحو العربي ص ٩٢

شريك له. لأن القرى برل بلعة العرب، والملك والرئيس والعالم يحبرون عن أنفسهم بلغة الجماعة، فيقول قد امرت لك بكذا، وهو لأمر وحده " .

وينتقي اللفظة في كثير من النشوات مع راء العالم المساوي كارل سيلز^(١) (من علماء المدرسة الوظيفية)، فقد دعا إلى دراسة اللغة في إطار عوامل رئيسة ثلاثة ينضمها الموقف، وهي المتكلم والمستمع والأشياء، (أي عناصر الموقف المحيطة وأوصافها التي هي موضوع الكلام، ويرى أن الزمر السعوي يقوم على التوافق وهذه العوامل، فليس أدل على ذلك من المثال الذي صرحه ابن جني بقوله " ألا ترى إلى قوله^(٢)

يقول - وصكت وجهي بيمينها ابغلي هذا بالرحى المتفحس^(٣)

فإنني سمع كلامها مباشرة، أي قولها (ابغلي هذا بالرحى المتفحس)، وشاهدت صكت وجهي بيديها في الوقت نفسه، سيكون أشد تأثيراً، وحالتها أكثر معرفة بفعل هذين الحديثين " (٤)

وذهب ابن جني إلى أبعد من ذلك، إذ رأى أن الحال المشاهدة (الحدث غير الكلامي) ، يمكن أن يتوب عن اللفظ، ويكون ذا تأثير في بين المعاني المحوكة، التي ترتب عليها المعاني الدلالية قال " ومن ذلك ما أقيم من الأحوال المشاهدة معم لأفعال الناصب، من ذلك أن ترى رجلاً قد سدد سهماً نحو العرس، ثم أرسله فسمع صوته فتقول القرطاس والله، أي أصاب القرطاس، وأصاب في حكم الملقوط به التينة، وإن لم يوجد في اللفظ . فصارت شهادة الحال بالفعل بدلاً من اللفظ به " (٥)

ولا أرى بأساً في إنهاء هذه المواربة بقول لاس حني تتمثل فيه قمة الانغماس بالمسابق والعد الاجتماعي بوجه عام، يُصدره على شكل أمية . وقول ليفيرث Firth أحد أبرز العلماء الوصفيين الاجتماعيين الذين جعلوا من السياق نظرية منظمة يقول ابن

(١) ابن هشام، شرح قطر للندي ص ١٤٨ - ١٤٩

(٢) بهاد النموسي، نصريه النحو العربي ص ١٤٧

(٣) يعقود الشاعر نعيم بن الحارث بن يزيد السعدي

(٤) ابن جني، الخصائص ج ٢٤٥

(٥) ابن جني، الخصائص ج ٢٤٥

والمفحس الذي يدع صبره على الأمم والخلف بصورة مبالغة

حي " فليت شعري إذ شاهد أبو عمرو وابن أبي اسحق ، ويونس وعيسى بن عمر ،
والخليل وسيبويه وأبو الحسن وأبو ريد وحلف الأحمر ، والأصمعي ، ومن في الطنفة
والوقت من علماء البلنن ، وجوه العرب فيما تتعاطاه من كلامهم ، وتقصد له من
أغراضهم ، ألا تستفيد بتلك المشاهدة وذلك الحضور ما لا تؤديه الحكايات ولا تصبطه
الروايات ، فتضطر إلى قصود العرب ، وعوامس ما هي أنفسهم ، حتى لو حلف منهم حالف
على غرض ملته عليه إشارة ، لا عبارة ، لكان عند نفسه وعند جميع من يحضر حاله
صافياً فيه ، غير متهم الراي والعقل " (١) .

فابن حي يرى أن الإشارة وما تصحبها ، أي الحدث غير الكلامي ، أبلغ عبء
من العبارة أو الحدث الكلامي ، حتى لو شُفعت هذه العبارة بأغلط الأيمان ويقول فيرث
Firth " إن التصور الأساسي في علم الدلالة يقوم على سياق الحال ، وذلك السياق يشمل
المشارك البشري أو المشاركين ، ماذا يقولون ، وماذا يجري ، ويحدث فيه عالم الأصوات
سياقه الصوتي ، كذلك الحوي والمعجمي بجدان سياقاتهم فيه ، وإذا أردت أن تبحث عن
الحلفية الثقافية الأصلية ، فعليك بسياقات حبرة المشاركين وتجاربيهم ، فكل شخص يحمل
معه ثقافته وجزءاً كبيراً من واقع الاجتماعي أينما يذهب . وبعد فراع عالم الأصوات
والحوي والمعجمي من عمله يعقب ذلك عملية التكامل الكبرى التي تقيد من عملهم في
الدراسة الدلالية ، ولهذه الدراسة السياقية والتجريبية احتفظ بمصطلح علم الدلالة
Semantics " (٢)

فهو لا يتصور علماً للدلالة دون دراسة السياق ، ومن ثم فإنه يمكن أن نلمس
توافقاً كبيراً بين آراء العالمين ، إلا أن لابن حي الأصالة في هذه الآراء الناصجة دون
سخير ودون تجزئ على غيره . و " أصاب في حكم الملقوظ به البتة ، وإن لم يوجد في اللفظ
فصارت شهادة الحال بالفعل بدلاً من اللفظ به " (٣) .

(١) ابن حي ، الحصائص ج ١ ص ٢٤٨

(٢) Firth, Papers in Linguistics, Oxford University press. London, 1957 p 17

(٣) ابن حي ، الحصائص ج ١ ص ٢٤٥

ولا ائبل على انتقاة النحاة العرب بوجوب الإحاطة بالأشياء ، من مثال ابن جني الذي ذهب فيه النظر إلى دلالة إمساك الغناة برمام يعبرها بما يُعنى عن كثير من التفسيرات المحتملة للنص الواحد ،^(١) وكذلك فإن المثل الذي صر به ابن جني وهو قول العرب (رفع عقيرته) ، أوضح أنه لم يكتسب هذا المعنى بالأصوات المكونة له ، بل اكتسبه من السياق الذي صاحبه

التنعيم

مرت بنا بعض الشواهد^(٢) التي تُعد إرهاباً يعكس حضور التنعيم في أدبيات النحاة ، وهم يُحلّلون الظاهرة اللغوية ، فالأمثلة التي ذكرها ابن جني للاعتماد على ما وصفه بالتطويح والتطريح والتفحيم والتعطيم ، وزيادة قوة اللفظ والتمكين من التتمطيط ، وإطالة الصوت ، بالحرف تكشف عمّا يعنيه المحدثون بالتنعيم بما يؤدّيه من وظيفة نحوية ودلالية في الجملة^(٣) ، فابن جني وإن لم يذكر النبر والتنعيم ذكرًا مباشرًا ، إلا أنه من خلال الكلمات التي استعملها يلتقي مع علم اللغة الحديث ، من ذلك قوله التطريح^(٤) من " طرح الشيء " إذا طوّكته ورفعته وأعلاه . والتطويح^(٥) - من طوّح به ، ذهب هنا وهناك . والتفحيم^(٦) - ظاهرة صوتية ناتجة عن حركات عصبية تُعبر عن شكل حركات السنين بالفر الذي يعطي الصوت هذه القيمة الصوتية المعيّنة

فقد أشار بيتر ليدفوج Ladefoged ، إلى أن المقطع المبور غالباً ما يكون له حركة طويلة ، وأنه يُلفظ بكمية أكبر من الطاقة^(٧) ، وعلى هذا ، فالعلاقة واضحة بين النبر وطول المقطع ، وهذا يتفق مع معنى التطريح والتطويح والتتمطيط لـ (اللام) في " رجلاً " بقوله : " ويتمكن في تمطيط اللام وإطالة الصوت بها " على أن القوة والتمكن في

(١) انظر الفصل الثاني ص ٩٥

(٢) انظر الفصل الثاني ، ص ١٠٠

(٣) انظر عبد الكريم مجاهد ، الدلالة للغة عند العرب ص ١٨٠

وانظر محمد حماسة ، النحو الدلالي ص ١٢٤

(٤) ابن منظور ، اللسان مادة طرح

(٥) ابن منظور ، اللسان مادة طوح

(٦) تمام حساس ، مباحث للبحث في اللغة ص ٩٠

(٧) إيراهيم النيس ، الأصوات اللغوية مكتبة النهضة مصر ، د.ب. ، ص ٨٢

السطح لا تقع على جميع مقاطع الكلمة، وإنما على بعضها، أو على أجزاء من الكلمة دون غيرها

وكذلك يلتقي ابن سينا مع تعريف المحدثين للتعيم، وذلك من حيث هو تعيرات موسيقية تتأوب الصوت من صعود إلى هبوط، أو من انخفاض إلى ارتفاع، يحصل في كلامنا لعناية وهدوء، وذلك حسب للمشاعر والأحاسيس التي نتأبها، من شك ويقين، وفي إثبات، وإعجاب أو استغهام فقد شئنا تمام حسان التعيم في الكلام المنطوق بالترقيم في الكلام المكتوب، غير أن التعيم أوضح من الترقيم في الدلالة على المعنى الوطيفي للجملة، وقسمه إلى ستة نماذج هي^(١):

- ١- النعمة الهابطة الواسعة
- ٢ النعمة الهابطة المتوسطة .
- ٣ النعمة الهابطة الضيقة .
- ٤ النعمة الصاعدة الواسعة .
- ٥ النعمة للصاعدة المتوسطة .
- ٦- النعمة الصاعدة الضيقة .

وهو متأثر في تقسيمه هذا بالتقسيم الذي قدمه هول Hall للتعيم في النعمة الإنجليزية، حيث يقول (وهناك ثلاثة اتجاهات للتعيم في اللغة الإنجليزية تسمى أحياناً حدود العبارة Clause-boundaries)، وهي ارتفاع في النعمة على النهاية الأخيرة لسلسلة النعمات، ونشبه في مدلولها علامة الاستغهام، أو هبوط في النعمة، وغالباً ما تستعمل في الأسئلة التي لا تحتاج إلى جواب، كالاستنكار، أو بقاء النعمة في المستوى نفسه، ونشبه في دلالتها الفاصلة في الترقيم^(٢)، وقد أصاف تمام حسان ما يقابل هذه النعمة الأخيرة، وهو م سمة (النعمة المسطحة)، وصرب لها مثلاً بقوله: ' ومن أمثلتها الوقوف عند

(١) تمام حسان، معاهج البحث في اللغة ص ١٦٥

وانظر تمام حسان اللغة العربية معناها ومبداها، ص ٢٢٩

(٢) Robert Hall Introduction to Linguistics. Motilal Banar S.dess. Delhi, India. (٢)

1969 pp 115-116

الفواصل الثلاث في قوله تعالى (١) : (فإذا برق البصر وحسف القمر ، وجمع الشمس والقمر ، يقول الإنسان يومئذ أين المقر)^(٢)

ومما يعجب له أن جلُّ الباحثين المعاصرين من عرب ومشرقين يعطلون دور علماء العربية في التنعيم، ويعدونه من منحرات علم اللغة الحديث، يقول تَمَم حَسَنٌ : " إن دراسة النبر والتنعيم في العربية تتطلب شيئاً من المجارفة، لأنها لم تعرف ذلك في قديمها، ولم يسجل لها القدماء شيئاً من هاتين الباحثين " (٣) ويقول أنيس فريجة، " إن قصيدة النبرة لم يُعرها العرب أقل نسبته، ولم يعطها لعويو العرب حقها من العناية، حتى أنهم لم يصعوا لها لفظاً خاصاً، ويعني قصيدة النبرة وأثرها في الحركة من حيث الطول والفصر " (٤)

ويرى هنري فليش Henry Fleisch : " نبر الكلمة فكرة كانت مجهولة تماماً لدى النحاة العرب، بل لم يجد له اسماً في سائر مصطلحاتهم " (٥) ، ويذهب إلى أن " العربية لا تتصف بشيء من النبر الموسيقي " (٦) ، بحالعه في ملك بر وكلمان في كتابه عن اللغات السامية Semitsche Sprachwissenschaft حيث يقول " في اللغة العربية القديمة يحل نوع من النبر تغلب عليه الموسوعية، ويتوقف على كمية المقطع، فإنه يسير من مؤخرة الكلمة نحو مقدمتها، حتى يقابل مقطعاً طويلاً فيقف عنده، فإذا لم يكن في الكلمة مقطع طويل، فإن النبر يقع على المقطع الأول منها " (٧)

وقد اتضح مما بيّنه أن علماء العربية تطرقوا إلى مدلولات النبر والتنعيم، وإن لم تكن المصطلحات لديهم ثابتة، مما يجعلني أرى أن النظرة الموضوعية تشير إلى أنهم، ولا سيما ابن جني ، كانوا قد وصعوا اللبنة الأولى .

(١) الأبناس ٩ ، ٨ من سورة القيمة

(٢) تَمَم حَسَنٌ ، مداخل البحث في اللغة ، ص ١٦٦

(٣) السبكي ص ١٦٣ ، ١٦٤

(٤) أنيس فريجة، اللهجات وأساليب دراستها معهد الدراسات العربية العالمية القاهرة، ١٩٥٥م، ص ٧٠

(٥) هنري فليش، العربية الفصحى تعريب عبد الصبور شاهين، بيروت، ١٩٦٦، ص ٤٩ ، ١٨٢

(٦) العربية الفصحى تعريب عبد الصبور شاهين، ١٨٢

(٧) نحن العامة رمضاني عبد المتوكل ، مصر ، دار المعارف ، ١٩٦٧م، ص ٥٤

ولا شك في أن المنهج الوصفي المعاصر قد جلى موضوع البير والتتبع
بمعاييره الدقيقة، التي تفوق ما أشار إليه القدماء، ولكن هذا لا يعني إغفال القدماء له
، فعلاً كما رأينا ، بل لقد أشاروا إليه إشارات دالة في كثير من المواطن

ماخذ على المنهج الوصفي

من الواضح استبعاد المعنى عند الوصفين مع إقرارهم بأهميته، وذلك لطبيعتهم أن
المعنى لا يمكن احصاءه للدراسة الوصفية العلمية الدقيقة التي يمكن أن تخصص لها
الأنظمة الظاهرة^(١) ، وقد أدى ذلك إلى النتائج الآتية :

١- إن نظرة الوصفين للعلاقة بين الدال والمثلوث، على أنها تمثل توارباً صورياً
(شكلياً)، كان نتيجة إلى أنهم درسوا وجهاً واحداً للظاهرة اللغوية، وهم بذلك كمن " يصف
صنع السفن من غير إشارة إلى البحر "^(٢) ، ومن ثم فقد قصر المصنف الوصفي في دراسة
العلاقات بين الجمل المختلفة ذات العلاقة^(٣) وذلك نحو قولنا :

كتب محمد الرسالة

كتب الرسالة

أو العلاقة بين الجملة الخبرية والجملة الاستفهامية نحو .

ذهب الولد صباحاً إلى السوق

متى ذهب الولد إلى السوق ؟

أين ذهب الولد صباحاً ؟

٢- لم يستطع المصنف الوصفي تحليل الجمل التي تشمل على شيء من العموص، وذلك
نحو

العاملون والطلاب المجتهدون غير رغبين في إصاعة الوقت، فالصفة (المجتهدون)،

قد نصف العاملين والطلاب، وقد نصف الطلاب فقط

(١) مواد كريب جبر للبيان الكويف، حوليات كلية الآداب، جمعه الكويت، العدد الأول، ص ٨ وانظر

نايف حرم ، اصواء على الدراسات اللغوية المعاصرة ص ٢٩٥

(٢) نايف حرم ، اصواء على الدراسات المعاصرة ص ٢٩٤

(٣) انظر دافيد مائيس عم النعم ترجمة سبيح عثمان وعبد الرزاق لأصغر الموقف الأنبي، العدد

١٣٥ ٣٦ ، ص ٢٢٣

٣ لم يُجر الوصفيون دراسات لغوية تطبيقية متكاملة على اللغة المكتوبة والمطوقة، مع أن الوصفيين أجادوا في الكشف عن قواعد لغات مطوقة، كلغات اليهود الحمر في أمريكا

٤ ربما كان عدم الاهتمام بالمعنى سبباً رئيسياً جعل من نماذجهم، ولا سيما نموذج هاملستيف (رغم دقته الرياضية)، نماذج قاصرة لم تتجاوز تصنيف العناصر اللغوية إلى مؤلفاتها المباشرة، بينما أعطى الصدور عن المعنى ابن جني قدرة على بناء تصور رياضي للظاهرة اللغوية، والنقاد منه إلى فرر التراكيب الصحيحة بحويّات (شكلياً) ودلالياً، والتراكيب الصحيحة شكلها فقط، وتجاوز ذلك بإضافة عناصر تحويل يلتقي بها مع المنهج التحويلي كما ستوضح فيما بعد .
هذا إضافة إلى الإحساس بصعوبة التطبيقات الرياضية على الطواهر اللغوية^(١) .

(١) حلمي حنين ، انظر العربية وعلم اللغة البنيوي ص ٧ ١

المبحث الثاني المنهج التحويلي

أسهم المنهج التحويلي في تفسير الظاهرة اللغوية، وذلك بأن بدأ براسستها من
الدهن البشري إلى الواقع اللغوي، وأصحاب هذا المنهج يرون أن العملية اللغوية تتألف
من أربعة عناصر هي :

العصر النحوي :

ويشمل الوحدات التركيبية لهد العنصر، كل الجمل النحوية ذات النظام الدقيق،
وهو عنصر توليدي يُنتج جملاً غير محدودة من الجمل النحوية
العنصر التحويلي .

وهو المسؤول عن تحويل الجمل الأساسية Kernal sentence الى جمل أخرى
(كالاستفهامية والشرطية . الخ)
العنصر التركيبي .

والهدف منه إنتاج جمل صحيحة في صياغات لغوية مكتوبة او منطوقة .

العنصر الدلالي

ويهدف إلى ربط الشكل بالدلالة .

ومن ثم فإن المنهج التحويلي يترأس اللغة من خلال معيارين

١ معيار الشكل

٢ معيار المصموم (الدلالة)

ولما كان النحاة العرب قد صدروا عن مثل هذه المعايير، فإنه يمكن إقامة مقارنة
بيهم وبين المحنثين من أصحاب المنهج التحويلي في النقاط الآتية

١ - العلاقة بين الفكر واللغة

لا شك أن المنهج الوصفي أسهم بشكل علمي جاد في دراسة الظاهرة اللغوية، إلا
أنه قصر عن الإحاطة بها، فقعدت به سبله عند الوصف والتصنيف، وربما كان السبب
الرئيسي في ذلك هو استثناء المعنى مع قناعهم بأهميته فطل المعنى عندهم نتيجة
دلالية لرمز لغوي مكون من الارتباط بين الموضوع الخارجي والصورة الذهنية لذلك

الموصوع بصورة عشوائية، وربما راد في ذلك استناد بعض رواده أمثال بلومفيلد إلى الفلسفة السوكية، مما جعل الطاهرة الدلالية، عملية سلوكية، وليست عملية ذهنية فكرية^(١)، ومن ثمّ ظلّ المنهج الوصفي قاصراً عن تفسير القرع الحلاقة لدى المتكلم في إنتاج عدد غير محدود من الجمل التي لم يمنعها من قبل، وكان هذا إرهاباً لميلاد المنهج التحويلي على يد تشومسكي، الذي جهد في دراسة الطاقة اللغوية لإبداعية عبد البشر، فقد احرص أن الإنسان منذ طفولته " لديه طاقات فطرية يعالج من خلالها حصيلة الإشارات المقدمه إليه من محيطه، وأن محتوى هذه الطاقات الفطرية ليس له أية علاقة باللعة، الخاصة التي سيتعلمها " ^(٢)، وبذلك التقى تشومسكي مع المفكرين أمثال ديكرت الذي يرى أن هناك علاقة وثيقة بين الفكر واللغة، وليس هناك فكر بدون لغة، ولا لغة بدون فكر " ^(٣)، وبدأ نأثر تشومسكي بديكرات في كتابه (علم اللغة السيكرتي) الذي عرّض فيه نظريته إبداعية اللغة ^(٤)

وكذلك التقى مع العالم اللغوي الألماني فون هومبولت (Weihelm von Humboldt)، الذي يرى أن اللغة (تستخدم وسائل محدودة استخدام غير محدود، وأن النحو يسعى أن يصف العمليات التي تجعل ذلك ممكناً) ^(٥)

وقد صرّ علماء العربية عن مثل هذا النصور الفكري مشيرين إلى تلك العلاقة القوية بين الفكر واللغة، فلا سبيل إلى بقاء أحد من الناس ووجوده إلا بالكلام " ^(٦) فبين حرم جعل قوام وجود الإنسان اللغة، من حيث هي حجة عليه، فيكون الكلام حجة العقل على الإنسان، مثلما كان العقل حجة الإنسان على وجود الإنسان، وهو في هذا يلتقي مع ديكرت في مقولته المشهورة التي يربط فيها بين الفكر والوجود، فكأن بين حرم بقول

(١) مارر الوعر دراسات سانية بطيعة، ص ٢٦

(٢) دانييل مائيس علم اللغة، ترجمه سهيل عثمان وعبد الرزاق الأصغر مقالة مشورة في مجلة (الموقف الأدبي)، العدد ١٣٥ ١٣٦، ص ٢١٧

(٣) شيد العبيدي، الأكسيه بين عبد القاهر والمحدثين، مجلة المورد، عدد ٣، مجلد ١٨، ١٩٨٩م، ص ٩

(٤) دانييل مائيس، علم اللغة ص ٢٠٧

(٥) بهاد المومسي، نظرية النحو العربي، ص ٥٤

(٦) عبد السلام المسدي، التفكير اللساني في الحضارة العربية، ص ٥٦

"أنا أنكم، فأنا أعقل، فأنا موجود" ^(١) وسلوك كانت اللغة من السمات التي يميز فيها الإنسان عن الحيوان ^(٢).

وقد مرّ ابن جني هذه الظاهرة من ركنها، ينطلق فيه من تصور يتمثل في وعي الإنسان بأهمية اللغة المعبرة عن المعاني في وجوده بوصفه إنساناً، بتصوره لتعريفه العرب في وضع لغتهم "وذلك أنهم يريدون أحوالهم وعرفوا مصابيح أمورهم، فعلموا أنهم محتجون إلى العبارات عن المعاني، وأنهم لا بدّ لها من الأسماء والأفعال والحروف، فلا عليهم بأيها بدوا، أو بالاسم أم بالفعل أو بالحرف، لأنهم قد أوحوا على أنفسهم أن يأتوا بهم جمع، إذ المعاني لا تستعني عن واحد منها" ^(٣).

وقد بلغ الربط بين اللغة والفكر دروته عند عبد العهر الجرجاني الذي اعتقد أن كل قوى العقل والفكر والفريضة تبقى حبيسة ما لم يُعبر عنها بالكلام، إذ "لو لاه سم تكس لتعدي فوائد العلم عالمة، ولا صح من العاقل أن يفق عن إلهير العقل كمائمه، لتعطّلت قوى الحواضر وأفكار عن معانيها، واستوت القصبة في موجودها وفانيها، ولكس لإسراك كالي يساهبه من الأصداد، وليبيت انقلب مفعلة على ودائعها، والمعاني مسجوبة في مواضعها، ولصارت الفرائض عن تصرفها معقولة، والأدهن عن سلطانها معرولة" ^(٤).

٢ ثنائية (الكفاية - الأداء)

ميز تشومسكي بين الكفاية أو القدرة Competence والأداء أو الإنجاز Performance، وهما بعندين ثنائيي (اللغة - الكلام) عند الوصفيين، وذلك من حيث إن اللغة هي تلك الرصيد الداخلي الذي يمتلكه كل فرد من الجماعة، وليس للفرد عليها أي سلّص، ولا يستطيع خلقها أو تعديلها عند الجماعة، أما الكلام فهو لا يكون موضوعاً للعلم، لأنه متعدد الأوجه، فردي. لا أنه يفترق عن الوصفيين، في أنه يرى أن الكفاية،

(١) ابن جرد، الإحكام في أصول الأحكام، ط ٢، مطبعة الإمام بمصر، د.ت، ط ١، ص ٢٩.

(٢) مصر الجحظ الحيوان ج ٧ ص ٧٢.

و انظر العمدي التفكير اللساني في الحضارة العربية ص ٥٧.

(٣) ابن جني، الخصائص ج ٢ / ٣.

(٤) الجرجاني - سرر البلاغة في علم البيان نشر محم رصا، ط ٢، القاهرة، ١٩٥٩.

هي القدرة اللغوية على الخلق والتوليد ، المسؤولية عن إيجاد البنية العميقة Deep structure والبناء يعادل الحملة المطوقة Surface Sturcture .

والمصيح التحويلي يرى أن البنى السطحية مستمدة من البنى العميقة التي تمثل الشروط الضرورية لتعلم اللغة، نظراً لوجود كليات لغوية مشتركة لدى الإنسان^(١) وقد أشار عبد القاهر الجرجاني إلى أن تنسيق الكلام وترتيبه يكون موافقاً لم في العقل، وأن البنية الموجودة في النفس (البنية العميقة)، موافقة للبنية في النطق (السطحية)، يقول: " به لا بُدُّ من ترتيب الألفاظ، ونوالها على النظم الحاصل إن الألفاظ إذا كانت واعية للمعاني، فإنها لا محالة تنبع المعاني في مواقعها ، فإذا وجب أن يكون المعنى أولاً - في النفس ، وجب للفظ الدالُّ عليه، أن يكون مثله - أولاً - في النطق " (٢) ، أي وجب أن ينحول م في النفس إلى بنية مطوقة، وهي الحملة المطابقة للقواعد عند التحويليين .

٣ السليقة Competence

يرى تشومسكي أن ابن اللغة ، مد بدء حلقه، وهو يكتسب اللغة من والديه، ومحيطه، يكسب المعرفة باللغة من خلال تعرض تلقائي، ومن دون أن يتدرج عبر تمارين محصنة ، فيستطيع من ثم، وبسر العياد بأي مجهود يذكر ، استعمال بني مُعقدة وقواعد موجهة للتعبير عن أفكاره وعن احساسه^(٣)

وهذا يلتقي مع تصور ابن جني في صدور ابن اللغة عن سليقة طبيعية ، بمعنى انه عفوي، في تأليف الكلام وفي فهمه ، وقد أورد ابن جني مثلاً يوضح فكرته، يتصور سؤال أبي الحسن الأحفش لأعرابي ، عن نصعير (الحباري) عجيب الأعرابي ، بأن نصعيره (خبرور) ، ويُعلل ابن جني هذا الرد بأن " هذا الجواب من قصر العرص، ولم يحفل باللفظ . وذلك أن هذا الأعرابي تلقى سؤال أبي الحسن الأحفش بما هو العرص عند العامة في مثله، ولم يحفل بصناعة الإعراب التي إما هي لفظية، ولغوم محصوصين

(١) انظر ، كريب إير هيم مشكلة البنية ص ٣٣

(٢) الجرجاني ، دلائل الإعجاز ص ٤١

(٣) انظر ، رشيد المبيدي لألفية بين عبد القاهر والمصنفين ص ١٨

من بين أهل الدنيا أجمعين " ثم يصيب حبراً يقوي به مفهومةً للسليفة، يقول " ونحو من
 ذلك أني سألت الشجري، فقلت: كيف تجمع المحرجم ؟، فقال وأيضاً فرقة حتى لجمعة^(١).
 وبذلك يلتقي ابن جني مع تشومسكي في أن ابن اللغة يكون عارفاً بالمعنى العام
 للغة^(٢).

وقد أشار الجرجاني إلى مصموم السليفة موصفاً ذلك بأن ابن اللغة، مع تمثله
 لقواعدها، ربما لا يستطيع تعليل الخطأ الحاصل فيها، رغم إدراكه له، وقد مثل لذلك
 بالأعرابي الذي قال حين سمع المؤذن يقول " أشهد أن محمداً رسول الله "، بالنصب،
 يعني رسول الله، فأكره، وقال: صنع ماذا ؟ لأن الأعرابي أدرك احتلال التركيب مع
 عدم اكتمال البناء الصحيح للجملة، التي تكون كلاماً معيماً، يقول الجرجاني: " أنكر من
 غير علم أن النصب يُخرجُه عن أن يكون حبراً، ويجعله والأول في حكم اسم واحد، وأنه
 صار والأول في حكم اسم واحد احتجج إلى اسم آخر، أو فعل، حتى يكون كلاماً،
 وحتى يكون قد ذكر ما له فائدة، إن كان لم يعلم ذلك، فلماذا قال : صنع ماذا ؟ فطلب ما
 يجعله حبراً " ^(٣).

ومن ثم كان للنحو عدد علماء العربية أهمية كبرى، فالبحت من خلاله معني
 بالوقوف على مجموعة القواعد التي تمكن من (انتحاء سمت كلام العرب)، معتقدين بأن
 (العرب نطق على سجيئها وطباعها، وعرفت مواقع كلامها، وقام في عقولها علل)
 وهذا يتفق مع الأهمية الكبرى التي أولاها تشومسكي للنحو، فهو يعتبر " أن موقع
 النحو من اللغة هو بمثابة القلب من جسم الإنسان " ^(٤).

٤ الدلالة

مر بنا في الفصل الأول أن تشومسكي أحد على الوصفيين (قصاصهم لعناصر
 الدلالة هي دراستهم للطاهرة اللغوية، ومر بنا أنه لم يتغلب - في البداية - فعلياً على هذه

(١) ابن جني، الخصائص ج ٢ ص ٤٦٦

(٢) انظر بهاء المومسي نظرية النحو العربي ص ٥٩

(٣) انجرجاني دلائل الإعجاز ص ٣٢١ - ٣٢٢

(٤) محمود فهمي حجازي، مدخل إلى علم اللغة ص ٦٩، ٧٠، ٧١

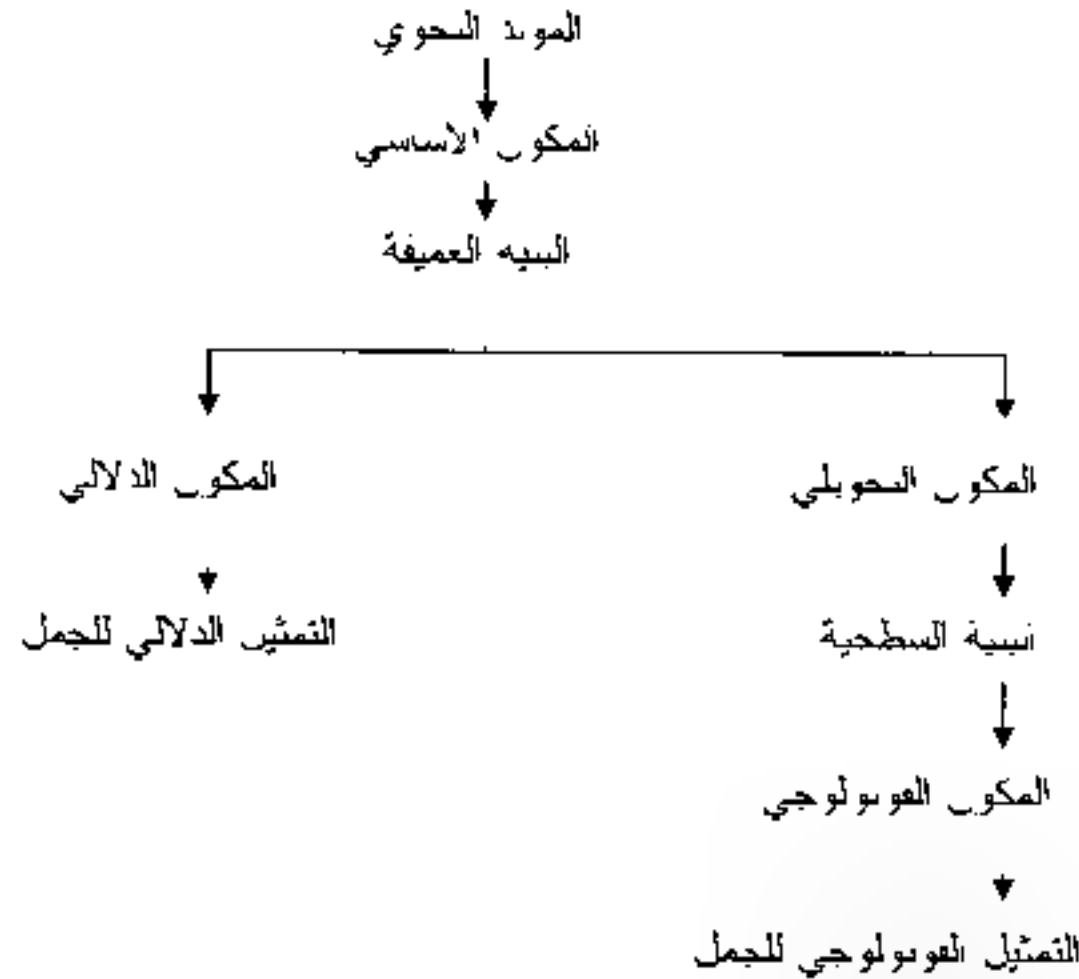
وانظر نايف خرم، اصوات على الدراسات اللغوية للمعاصرة ص ٢٩٩

المشكلة لا أنه قيم بعد ووفق مع بعض علماء اللغة التحويلييين في جعل المعنى أساس في
الدراسة اللغوية، لا سيما ما عُرِف بنظرية العامل والربط الإجمالي Government and
Binding theory

وقد ترتب على هذا الاهتمام في الدلالة، أن جعلوا المكون الدلالي مكون رئيسي،
في دراسة الجملة، فأصبح تشكيل الجملة في النحو التوليدي ينصص مطومتين من
القواعد

الأولى هي الأساس الذي تنبأ منه السية العميقة للجملة، وهذا ما يعبر عنه بالموئل
الدلالي الذي يصح الجملة معاًها .

والثانية هي الموئل التحويلي الذي ينتقل بالبيه العميقة إلى بنية سطحية، وهذه بدورها
تعبّر عن الموئل الصوتي الذي يصحّح اللفظ، وهكذا فإن توليد جملة كاملة ينصص
أمرأجل التالية (١)



(١) انظر دانييل مانيش عدم اللغة ترجمة مهيبي عثمان، ص ٢٢٢
وانظر دانيال حرم أصوات على الدراسات اللغوية الفهرس، ص ٢٩٩

و على هذا فمصطلح القواعد عدد التحويلات يشمل .

١ المستوى الصوتي

٢ المستوى الصرفي

٣ المستوى الحوي

٤ المستوى الدلالي

وقد أشار تشومسكي الى عناصر التحويل، من حيث ترتبها في (البنية العميقة)، بحسب وظائفها الحوية، وبذلك يرى التحويلات أن البنية العميقة مسؤوله عما يأتي : (١)

١ انها تكون الأساس بالنسبة للمكون الدلالي، ويتم التفسير الدلالي من خلالها

٢ تبرر اعتماد مفهوم التحويل، وذلك أن التحويل عملية ذهنية تقرر بين بني الجرس

(العميقة) و السطحية

٣ تحدد الوظائف الحوية، وترتب عناصر الجملة

وقد مرّ بنا في الفصل الثاني (٢) مظهر اهتمام علماء العربية بالجانب الدلالي،

والجانب الدلالي هو " اورُ واجب على المعرب " كما يرى ابن هشام وعلى هذا حراح

بيب ر هير (٣)

تَقِي نَفِي لَمْ يُكْثَرْ غِيْمَةٌ سَهْكَةٌ دِي قُرْنِي وَلَا جَقْلَد

لا يمكن اعراب (بجقلا ، حتى نعرف معدها ، ويصيف ' فظرياه ، فاد هو شيء

الحق ، فقلت هو معطوف على شيء متوهم ، إذ المعنى ليس هو بكثرة غيمة " (٤) .

وقد ذكر السيوطي أنه " قد ينجذب المعنى والإعراب الشيء الواحد ، بأن يوجد

في الكلام ، أن المعنى يدعو إلى أمر ، والإعراب يمنع منه ، والتصمك به صحة المعنى ،

ويؤول لصحة المعنى ، لإعراب " (٥)

(١) نصر عبّاش ركن ، لألفية التوبييه ص ١٠٤

(٢) نصر العصر الثاني ص ٩٥

(٣) ميوار هير بشرح تعد ، طبعه دار الكتب المصرية ، ١٩٤٤ ، ص ٢٣٤

(٤) ابن هشام معني اللبيب ج ٢ ، ٥٢٠ ، ٥٢٨

(٥) السيوطي ، الإتقان في علوم القرآن ، ط ٢ ، القاهرة ، ١٣٥٤ هـ ، ص ٨٢

وكثيراً ما استدُلُّ الحاجة بالمعنى على صحة الإعراب، فقد بينوا أن قول الشاعر
 لا تنه عن خلق وتأتي مثله
 عارٌ عليك إذا فعلت عظيم
 يأتي على وجه إعرابي دون سواه، ولو جاءت على وجه آخر لفسد المعنى، وذلك
 بأنه لا يجتمع أن تنهى وتأتي، ولو جزم كان المعنى فاسداً^(١)
 وكذلك إعراب النحاة (لله درّه فارسا ، فكلمة " فارسا " تمييز لا حال على
 الصحيح ، إذ لم يقصد به الدلالة على الهيبة، بل التعجب من فروسيته، فهو لبيان التعجب
 منه، لا لبيان الهيبة)^(٢)

أما فيما يتعلق بوظائف البنية العسقية ، فقد عثر الجرجاني عن ذلك قبل ما يقرب
 من ألف عام، في أكثر من موقع حيث قال " إنك إذا فرغت من ترتيب المعاني في
 نفسك، لم تحتج إلى أن تستأنف فكراً في ترتيب الألفاظ ، بل تجدها تترتب لك بحكم أنها
 خدم للمعاني ، ونابعة لها، ولاحقة بها، وأن العلم بمواقع المعاني في النفس، علم بمواقع
 الألفاظ الدالة عليها في النطق "^(٣) .

وهو يشير هد إلى أن المعاني تترتب في النفس قبل تحولها إلى النطق بحسب
 وظائفها النحوية ، ويؤكد هذه الفكرة، بقوله " لا يكون النظم إلا أن تنظر على الألفاظ
 مرتبة على الأنحاء التي يوجبها ترتيب المعاني في النفس، . . . وأن النظم هو توحى معاني
 النحو في معاني الكلام "^(٤) .

٥- التعليق

يبحث المنهج التحويلي في العلاقات بين مكونات الجملة؛ لأن هذه العلاقات تحدد
 أصولية الجملة ، والجملة الأصولية هي الجملة الموافقة لقواعد اللغة^(٥)، ومن ثم
 فالنحويليون يبدأون بدراسة الجملة انطلاقاً من أنها وحدة اللغة الأساسية ، وهي عبارة عن

(١) ابن السراج ، الأصول في النحو ج ٢ / ١٦٠

(٢) ابن عيين ، شرح ابن عيلى على العية ابن مالك حققه طه اللريبي، ج ٢ / ١٣٢

(٣) للجرجاني، دلائل الإعجاز ص (٢٥٦ ، ٢٧٧ ، ٢٨٢)

(٤) السابق ، ص ٣٠١

(٥) ميشال ركريب ، لألفية للتوليفية ص ١٠٨

والنظر بعجب حرم اصواء على الدراسات النحوية المعاصرة ص ٣٠١

الإشارات التي تحلقها " ميكانيكية " القواعد في النموذج التوليدي، أما ما يتفرع عن هذه الجملة فإنه يدرس في نطاقها ، وهم يعترضون في قواعد اللغة أن تكون جهازاً لتوليد جميع الجمل الصحيحة

وهذا يذكرنا بما صدر عنه سيبويه في تحديد باب الاستقامة في الكلام و لإحالة، حيث يقول " والكلام منه مستقيم حسن، ومُحال، ومُسْتَقِيمٌ كذب، ومُسْتَقِيمٌ قبيح، وما هو مُحال كذب " (١) ، نلاحظ أن سيبويه في تقسيمه هذا يفكر صمياً في التعليق الإسنادي الذي من شأنه أن يُنتج جملة أصولية ، وهذا يشير إلى قدرته على ربط الدلالة بالوظائف التركيبية، والجملة التي تمثل المستقيم الحسن نحو . " أتيتك أمس " ، وأصح أن مصدر الصحة فيها من ناحيتي التركيب والدلالة معاً .

أما المستقيم الكذب ومثاله عند سيبويه " حملتُ الجبل " أو " شربتُ ماء البحر " (٢) ، ومن الواضح أن هاتين الجملتين صحيحتان من ناحية التركيب ، والجملة الأولى مثلاً تتكون من :

مسد + مسد إليه + مفعول به

ولكنهما غير صحيحتين من حيث الدلالة

أما المستقيم القبيح ومثاله " قد ربدأ رأيت " ، أو " كي ربدأ يأتيتك " (٣) ومصدرُ القبح في أمثال هذه الجمل مترتب على وصع اللفظ في غير موضعه ، وفي هذا إشارة إلى أن الموضع بمثابة القانون التركيبي الذي يُسهم في تأليف علاقات الكلام في مجموعات العمليات الإسنادية .

ومما يُذكر أن الموضع يُعد عنصراً من عناصر التحويل في المصحح التحويلي كما

سنوضح

(١) سيبويه، الكتاب ج ١ ص ٢٥ ٢٦

(٢) السيق ، ج ١ ص ٢٦

(٣) السابق، ج ١ ، ص ٢٦

وأما المُحال الكذب، فمثاله " سوف أشرب ماء البحر أمم (١) " ومصدر الإحالة في أشباه هذه الجملة يعود إلى أنها غير مقبولة على الصعيد المنطقي، الدلالي، وإن كانت مقبولة من حيث التركيب فهي تتكون من [أداة + (مسند + مسند إليه) + مفعول به (مضاف إليه) + ظرف زمان] ، وقد أشار تشومسكي إلى هذا النوع من الجمل الصحيحة نحويًا لكنها لا تحمل معنى دلاليًا وذلك نحو: " الأفكار الحائرة المجردة من اللون تدم حائقة " (٢) " Colorless green ideas sleep furiously "

وقد طرأ ربط النحو بالدلالة وأصبحاً عند سيدييه، وعند النحاة من بعده، فقد مرّ به كيف كان ابن جني بارعاً في استخدام عمليات ذهنية رياضية ، وذلك في باب (المستحيل وصحة قياس الفروع على فساد الأصول)، وقد قصد منها إلى إثبات أن هناك علاقات شكلية مقبولة، ولكنها تُعد من المُحال، وذلك " لأن المتكلم يفتقر أو كلامه بحر " (٣)

وكذلك فقد حدّد القاضي عبد الجدر (٤١٥هـ) مجالاً للعلاقة النحوية وطرق اختبارها عند حديثه عن الفصاحة ، وبذلك يقول: " اعلم أن الفصاحة لا تظهر في امر أو كلام، وإنما تظهر في الكلام بالصم على طريقه محصورة، ولا بُد مع الصم من أن يكون لكل كلمة صفة، وقد يجوز في هذه الصفة أن تكون بالموصفة التي تتناول الصم، وقد تكون بالاعراب الذي له مدخل فيه، وقد تكون بالموقع " (٤)

وهذه ما أشار إليه التحوينيون، وكذلك أشار إليه العالم الفرنسي مارتينييه في إطار تحديد الوظيفة النحوية الواقعية

وقد بلغ مفهوم الربط بين النحو والدلالة ذروته عند عبد القاهر الجرجاني حين عُرف بنظرية النظم، فقد أشار إلى أنه " ليس النظم إلا أن تصع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو ، ونعمل على قواعبه وأصوله ، ونعرف مدهجه التي بهجت فلا يربح

(١) السابق ، ج ٢٦

(٢) محمور بحه، مطبوع غير دراسة الجمعية العربية ص ١٥

(٣) انحصائص ج ٢ ، ٣٣٠

(٤) عبد السلام المسدي، المسمي في أبواب التوحيد والعدل، فعلا عن التفكير اللساني في الحضارة العربية

ص ٢٤٩

عنها " (١) فتتحقق صحة الكلام وفساده، مرهون بتحقيق معاني النحو عند الجرجاني، وقد صرب مثلاً لذلك بأنه لو قرئ بيت امرئ القيس :

قف بك من ذكرى حبيب ومرل

هكذا بك قف حبيب ذكرى ومن مرل

نور مراعاة لقواعد النحو، أدى ذلك إلى إحلال في صورة النظام اللغوي، وحصلنا على تركيب لا معنى له

وهذه المعبلة تذكر بتلك التي رأينا، عند تشومسكي

٦- الجملة البسيطة والمركبة

أشار النحويون إلى وجود جمل بسيطة، وجمل مركبة، وهم يرون أنه يسعى إلى بدرس هذه الجمل في ضوء فهم العلاقات بين مكوناتها، ليس باعتبارها وظائف على المستوى التركيبي، ولكن باعتبارها علاقات للتأثير والتأثير في التصورات العميقة، وقد اشتهر صواباً في الجملة الأساسية Kerne. Sentence، أن تكون بسيطة، تامة، خبرية، فعلها مبني للمعلوم إن كانت فعلية، مشتقة أما الجملة المركبة أو المحولة Derived sentence وهي التي لا يتحقق فيها شرط أو أكثر، كما تكون مركبة، أو ناقصة، أو استثنائية، أو فعلها مبني لمجهول، أو منفية

وقد قسم السحابة العرب الجملة إلى اسمية وفعلية، واعتنوا بتحديد موقعها إلى ما يقع في صدرها وصدر الجملة هو المسند أو المسند إليه، ولا عيردهم تقدم عليهما^(١) وعسى هذا اعتنوا جملاً نحو قوله تعالى: 'فريقاً كذبتم وفريقاً تقتلون'^(٢)، ونحو قوله تعالى: 'حُشِبَ أبصارهم يحرجون'^(٣)، فعلية لأن هذه الأسماء في بيا التاخير، وكذلك

(١) الجرجاني دلائل الإعجاز ص ٦٥

(٢) بير هشام، معنى اللبيب ج ٢ ص ٤٢

(٣) سورة البقرة الآية ٨٧

(٤) سورة القمر الآية ٢

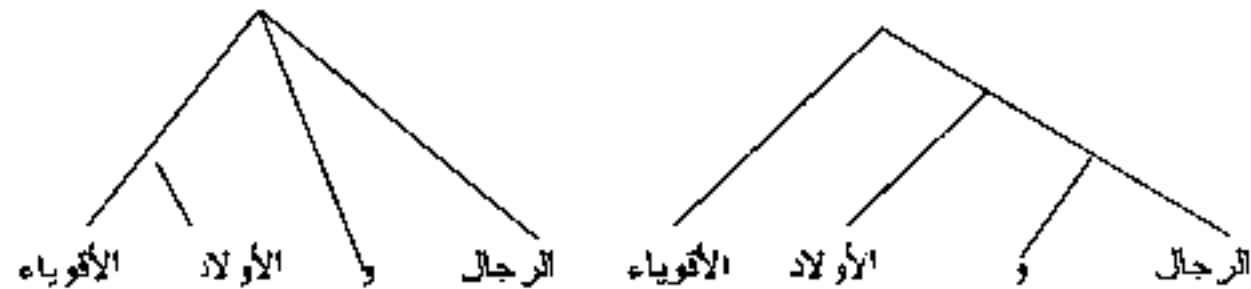
الحمل نحو " يا عبد الله " وقوله تعالى " والأنعام خلقها " (١) فعلية ، لأن صدورها في لأصل أفعال (٢).

وقد عثر ابن هشام عن انقسام الجملة إلى صغرى وكبرى بقوله: " الكبرى هي لاسمها التي خبرها جملة ، نحو ريثم قام أدوة ، والصغرى هي المبينة على المبدأ كالجملة المحض بها في المثالين " (٣)

٧ الجمل المتنبسة

كان من المأخذ التي وجهها التحويليون لأصحاب المنهج الوصفي ، عدم القدرة على تفسير الجمل المتنبسة ، وذلك نحو : " الرجال و الأولاد الأقوياء " وجملة " نقد ريد نقد منبر " ، وذلك بالإشارة إلى أن أمثال هذه الجمل يحمل أكثر من معنى ، ففي الجملة الأولى قد يكون المقصود ، نسبة القوة إلى الرجال و الأولاد جميعاً ، وقد يكون المقصود نسبة القوة إلى الأولاد فقط ، وهي الجملة الثانية قد يكون النقد موجهاً إلى ريد ، وقد يكون موجهاً من ريد .

وقد حاول التحويليون تفسير هذه الجمل بردها إلى بيئتين عميقتين متعايرتين ، ومن ثم مثلوا هذه الجمل بمشجرتين مختلفتين هما للجملة الأولى (٤) .



(١) سورة النحل الآية ٥

(٢) السابق ج ٢ / ٤٢١

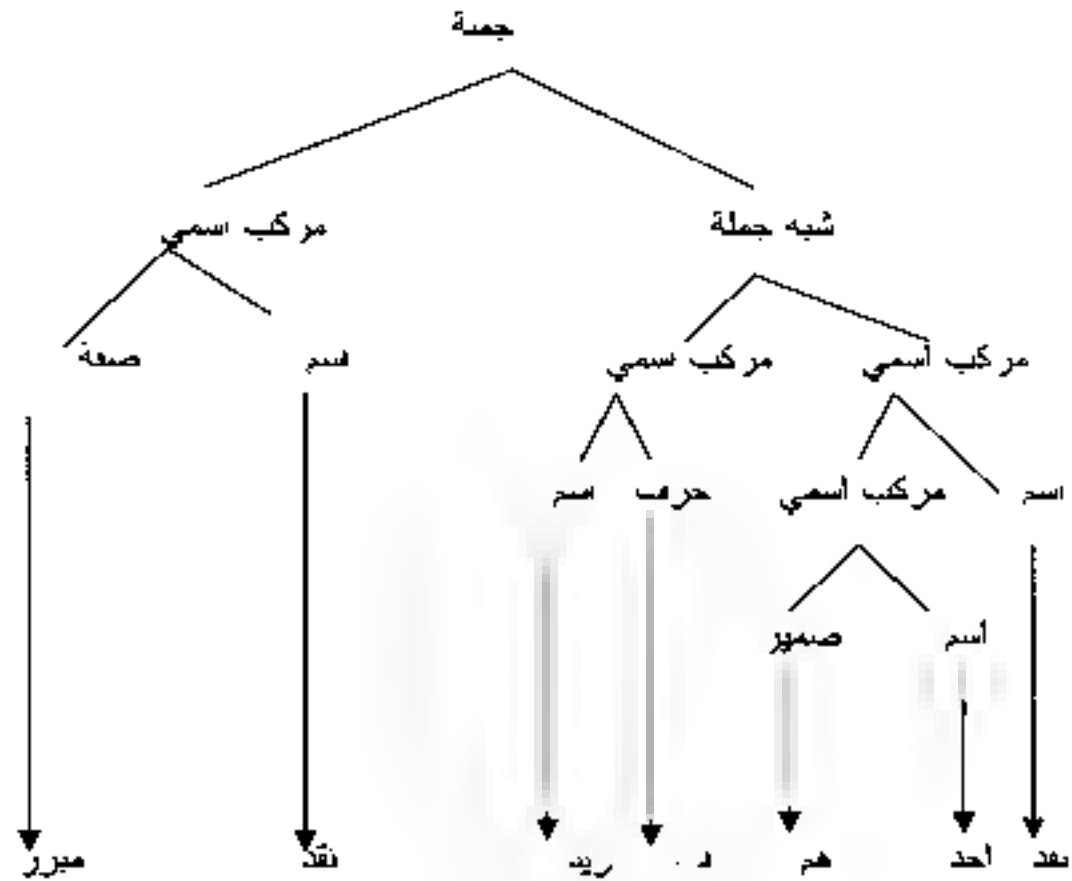
وانظر بهذا المعنى نظرية النحو العربي ص ٥٩

(٣) معنى السبب ، ج ٢ / ص ٢٢١

(٤) غائب فحوري ، اللسانيات التوثيقية التحويلية منشورات بيل ، ص ٢١

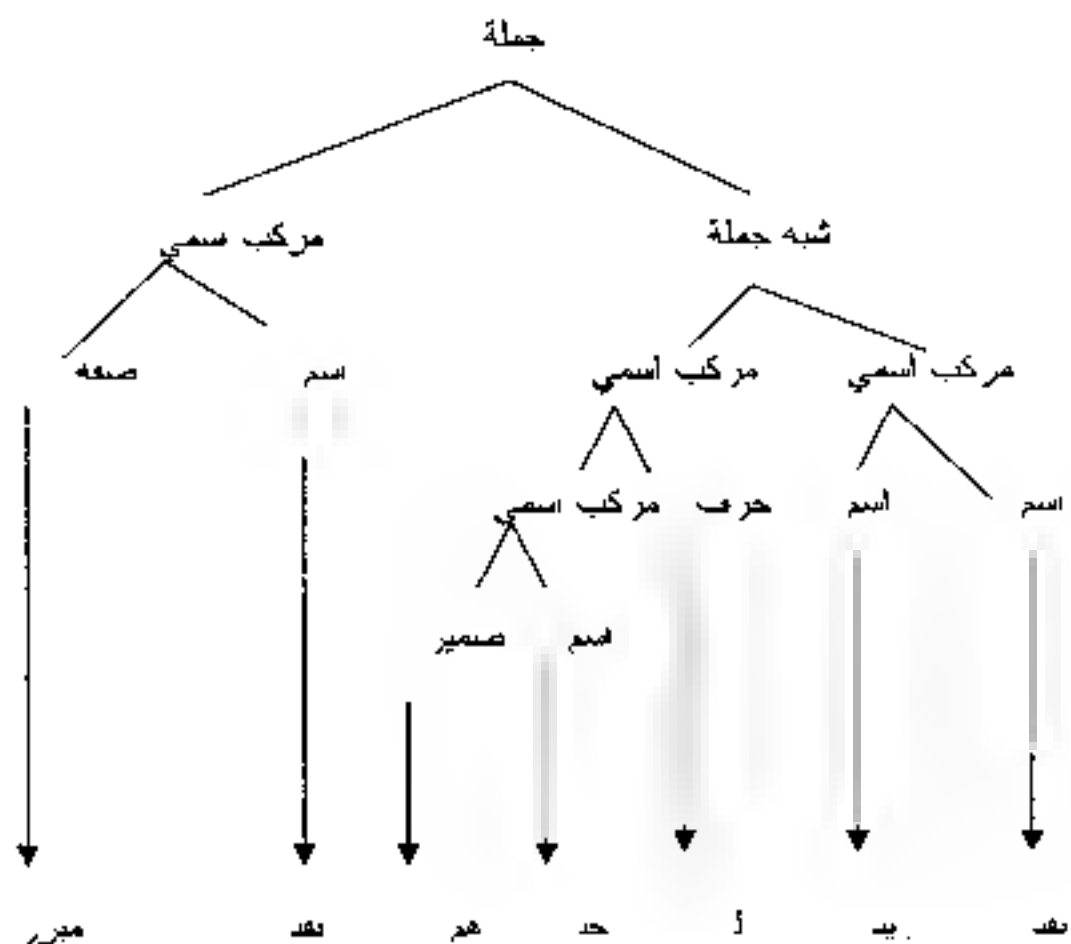
ومن الواضح أن المشجر الأول، يشير إلى أن القوة مسوبة إلى الرجال و الأولاد
جميعاً، بينما المشجر الثاني يشير إلى أن القوة مسوبة إلى الاولاد فقط
ويمكن تمثيل الحملة الثانية بالمشجرين التاليين^١

شكل رقم (١)



١، جون سيرس، تشومسكي، الثورة اللغوية، مجلة في مجلة الفكر العربي، العدد (٨، ٩)، ص ١٣٢
و انظر عادل فخوري، اللسانيات القولية والتحوينية، ص ١٩

شكل رقم (٢)



وأصبح ان الجملة تعود إلى سبئتين عميقتين ، الأولى تُعبر عنها الجملة " بعداً احدهم
لرب نقد مبّرر " والثانية " بعداً زيد لاحدهم بعداً مبّرر " .

وقد أشار بحاء العربية إلى هذه المواضع وما شابهها ، وصدرت عن تمثّل عميق
لمعاني هذه الحمل عند تحليلها من تلك نصّهم على أن المصدر يمكن أن يُصاف إلى
الفاعل وعدد " انجر " وانتصب المفعول به " ويمكن أن يُصاف إلى المفعول ، وعدد
" انجر " وارتفع الفاعل " .

وذلك نحو

عجبت من أكل زيد الحبر

وعجبت من أكل الحبر زيد

وعلى هذا فسروا قول الشاعر

افنى نلاذي وما جمعت من شب

فرغ القوافير أهو الأبريق

فإن كانت أفواه (بالنصب) كان الأصل (البينة العميقة):

قرعت القوافير أفواه الأباريق. وكانت بصافة المصدر للفاعل

أما إن كانت أفواه (بالرفع)، كان الأصل ،

قرعت أفواه الأباريق القوافير

وكانت بصافة المصدر للمفعول . (١)

ومن ذلك تمييزهم بين " رأى " القلبية والبصرية، وذلك نحو " رأيت ريد فقيهاً،

ورأيت الهلال طالعا، فإن " رى " هي الجملة الأولى قلبية ، وفيها مفعول به ثان، وفي

الجملة الثانية " رأى "، بصرية، وطاقع، " حال " .

وعلى هذا خرجت الآية " وتركهم في ظلمات لا يبصرون " (٢) فإن فسرت

تركهم " بصيرهم "، فلا يبصرون ، مفعول ثان وفي ظلمات ظرف، أو الضرف مفعول

ثان، والجملة بعده حال وإن حمل الفعل ترك على الوجه الثاني، فالظرف حال، وجملة لا

يبصرون حال أيضا (٣)

٨ توحد المعنى وتعدد المعنى

وقد حاول التحويليون تفسير انجس لثني ثبو متشبهة في بينها الطاهرة إلا أنها

نوعي معاني مختلفة ، وذلك نحو :

ريد كبير الرأس

وريد كبير الإحوة

أو دفع المال من ريد

وسرق المال من ريد

وذلك بردها إلى بي عميقة مختلفة فمثلا الجملة لأولى يمكن تحويلها إلى

رأس ريد كبير " ، دون أن يتغير المعنى ، بينما لا يصح ذلك في الجملة الثانية لأن

جملة " حوة ريد كبار " لا تساوي في المعنى " ريد كبير " لأحوة " وكذلك ، فإن جملة،

(١) نظر ابن جني التلمع في العربية، تحقيق خلد هرس ص ١٩٧

(٢) سورة البقرة الآية ١٧

(٣) نظر ابن هشام معاني اللبيب، ج ٢، ص ٥٩٨ ٥٩٩

"دفع المال من ريد" ترتد إلى البنية العميقة "دفع ريد المال" بينما يتنافى ذلك في
الجمليتين :

سرق المال من ريد

وسرق ريد المال.

وقد حاولوا كذلك تفسير الجمل التي لا تتحد في الشكل إلا أنها تتحد في المعنى.
وبذلك نحو (١)

ريد عريص الجبير

جبير ريد عريص

ريد جبيبة عريص.

إد لا يحفى أن هذه الجمل تحمل المعنى نفسه، فهي ترتد إلى بنية عميقة واحدة،
وقد أدرك حاة العربية القدماء هذه الظاهرة. لاحظ ذلك من خلال تقليبهم لأمثلة الطاهرة
الواحدة، إذ يمكن الربط في الجملة الأولى بين الصفة المشبهة (عريص) وفاعلها (الجبير)
بعلاقه إساده، فالتركيب على أصله (ريد عريص جبيبة).

قال المبرد: "اعلم أن هذه الصفة إنما حدها أن تقول: هذا رجل حسن وجهه،
وكثير ماله، وترفع ما بعد (حسن) و (كثير)، بفعلهما، لأن الحسن إنما هو للوجه، والكثرة
إنما هي للمال" (٢). وقال "ويجوز أن تقول: هذا رجل حسن الوجه" (٣) وقد أشار
المبرد إلى أن علة استعمال الصيغة الثانية (ريد عريص الجبير) من قبيل الحجة (٤).

(١) انظر غلاب محوري،

١ اللسانية النوفيدية والتحويلية ص ٢

ب جول سيرل، تشومسكي والثورة اللغوية ص ١٢٦

(٢) المبرد، المعتصب ج ٤، ١٥٨

وانظر سيبويه الكتاب ج ١، ص ١٩٤

(٣) السبوي ج ٤، ١٥٨

(٤) السبوي ج ٤، ١٥٩

وفي الجملة الثانية نلاحظ أن الخبر يتحمل صميراً (فاعلاً)، عائداً على المبتدأ (جيب) ^(١) وكذلك في الجملة الثالثة

ويتضح هذا المفهوم لديهم من خلال تقليبهم لظاهرة تقدم التمييز إذا كان العامل فعلاً منصرفاً، فقد ربطوا بين جملتين من نحو :

نصب ريد عرقاً

و . نصب عرق ريداً .

وعلى هذا الأساس الدلالي رفض معظم البصريين تقدم التمييز عليه، إذ لا يجوز أن نقول " عرقاً نصب ريداً " وذلك لأنه هو الفاعل في المعنى ، فالمتنصب هو العرق وليس " ريداً " .

بيما أجازوا ذلك في الحال، إذ يجوز أن نقول (جاء ريداً ركياً، وركياً جاء ريداً)، فريد هو الفاعل لفظاً ومعنى ، وإذا استوفى الفعل فاعله من جهة اللفظ والمعنى صار " ركياً " بمرحلة المفعول المحتصر لاستيفاء الفعل فاعله فجار تقديمه ^(٢) . وكذلك بعد أدركوا الفرق بين بعض الجمل المتشابهة في التركيب، إلا أنها مختلفة في الدلالة، وذلك نحو تمييزهم بين الجملتين :

امتلاً الإناء ماءً

و . نصب ريداً عرقاً

ودلك بتحليل التركيبين، ففي التركيب الأول لا يجوز أن نقول . " امتلاً ماء الإناء "، وذلك لأنه فاعل في الحقيقة بينما نستطيع القول . " نصب عرق ريداً " وذلك لأن (ريداً) ليس فاعلاً في الحقيقة ^(٣) .

(١) انظر ابن هشام ، أوضح المسالك ج ١ ص ١٣٦

(٢) انظر ابن الأثيري ، الإتحاف في مسائل الخلاف المسألة (١٢٠) ج ٢ ص ٨٣

(٣) ابن الأثيري ، الإتحاف في مسائل الخلاف ج ٢ ص ٨٣١/٢

٩- عناصر التحويل

التقديم والتأخير Rearrangement Rules

عند التحويل ترتيب عناصر من عناصر التحويل في الجملة، ويتم ذلك بحل محل
عنصر مكان عنصر آخر فيها، ويمكن التعبير عن هذا العنصر رياضياً بالشكل التالي

$$أ + ب \longleftrightarrow ب + أ$$

وهذا يشير إلى الأثر الدلالي الذي يحدثه هذا النوع من التحويل
وقد اعتنى نحاة العربية بهذه الظاهرة، ودرسوا أثرها من ناحية تركيبية ودلالية،
فقد أشاروا إلى أن التقديم والتأخير، قد يؤدي إلى انتقال الكلمة من حالة عربية إلى حالة
عربية أخرى، من ذلك قولهم "إن نعت النكرة إذا نعت عليها أعرب حلاً" (١) وذلك
بحول قول كثير

لمية موحش طلل يلوح كأنه حلل

والأصل، (طلل موحش لمية)، وهذا يتحقق فيه شرط الابداء بالنكرة، وذلك بأن
تكون موصوفة. وهذا التقديم، نفع النحاة إلى التعبير في الإعراب بما يتناسب مع التعبير
في التركيب، فكان إعراب موحشاً حلاً، وصحح الحال هو المندأ، وهذا يتفق مع التعبير
الدلالي، وفي هذا إبراز لمعهوم الأهمية الذي وضعه سيبويه عنواناً للتقديم بوجه عام،
ولذلك بقوله "إنهم يقيمون الذي بيانه أهم لهم، وهم يبينونه أغنى، وإن كان جميع
بهمانهم ويغنيهم" (٢)

وه كان للترتيب أثر في العمل عند النحاة، وذلك بحول ما أشار إليه سيبويه
بخصوص (صر)، وأحواتها، قال " فإن العيب قلت عيب الله أطر داهب، وكلم أربت
الإلاء، فالأحير أقوى، وكل عربي جيد، وكلما طال الكلام، صعب التأخير إذا
أعجب، وذلك قولك ريد أحاك أطر، فهذا صعب، كما بصعب ريداً قائماً صريراً، لأن
الحدث أن يكون الفعل مبتدأ، إذا عمل " (٣)

(١) سيبويه، الكتاب، ج ٢، ١٢٣

وانظر ابن جني الحصص ج ٢/٤٩٤

(٢) سيبويه، الكتاب، ج ٢، ٣٤

(٣) سيبويه، الكتاب، ج ١، ١٩

وقد نفا عبد القاهر الجرجاني من خلال ملاحظته لتريب الجملة إلى إدراك البنية العميقة لها (الأصل)، ولحظ ما يترتب على ذلك من أثر في الدلالة، مثال لك، أنه نوقف عند الآية الكريمة "واشتعل الرأس شيباً" (١)، فقال "فإنه لو كان اللفظ واشتعل شيب الرأس"، أو "واشتعل الشيب في الرأس"، على الأصل، لم ينفذ ما أفاده الأول من معاني الشيب الذي يُفيدُ الشمول والشروع والاستقرار، حتى لم يبق شيء من سواده. وبذلك فقد حث الجرجاني على العناية بظاهرة "التقديم والتأخير"، وأحد على بعضهم عدم لاهتمام بهذه الظاهرة كما يجب بقوله: "وقد وقع في طيوس الناس أنه يكفي أن يقال إنه قم لعناية، ولأن تكره أهم، من غير أن يذكر، من أين كانت تلك العناية، ولم كان أهم، ولتحديثهم ذلك قد صغر أمر التقديم والتأخير في نفوسهم، وهوتوا الحطب فيه، حتى أنك لمرى أكثرهم يرى تتبعه والطر فيه صرباً من التكلف، ولم نر ظب اررى على صححه من هـ وشبهه" (٢).

وقد اهتم المفسرون بالتقديم والتأخير في الجملة اهتماماً كبيراً، فميزوا من خلاله بين آيات التي تبدو على قدر كبير من التشابه، وذلك نحو تمييز المحشوري بين الآيتين الكريميين "لقد وعدت هذا بخن وأبوت من قبل، إن هذا إلا أساطير الأوليين" (٣) و "لقد وعدت بخن وأبوت من قبل، إن هذا إلا أساطير الأوليين" (٤) وذلك بقوله "فإن قلت، قلتم في هذه الآية (هذا). قلت التقديم، دليل على أن المقدم هو العرص المنعم بالكر، وأن الكلام إنما سيق لأجله، ففي إحدى الآيتين دليل على أن اتحاد البعث هو الذي تعمم بالكلام، وفي الأخرى على أن اتحاد المبعوث بذلك الصمد" (٥).

(١) سورة مريم الآية ٤

(٢) الجرجاني، دلائل الإعجاز ص ٣١١

(٣) سورة الصمد الآية ٦٨

(٤) سورة المؤمنون الآية ٨٣

(٥) المحشوري الكشف ١٥٨/٣

وكذلك فقد ألفى أبو حيان الصوء على لايتين الكريصين : " ولا تفتنوا أولادكم
 من املاق نحن رزقكم وبيهم " (١) و " ولا تقتلوا أولادكم حشية املاق، نحن رزقهم
 وإيكم " (٢) ، فأبى أنه سبحانه ونعالى قدم صمير المحاطين على الأولاد في الآية الأولى،
 وقدم صمير الأولاد على المحاطين في الآية الثانية، لأن الخطاب في الأولى للعفراء،
 بدليل قوله من املاق، أي أنهم في فقر، فكان رزقهم أهم عندهم من رزق أولادهم،
 والخطاب في الثانية للأغنياء، بدليل (حشية املاق)، فإنم الحشية بما تكون من أمر لم يقع
 بعد، فكان رزق أولادهم في هذه السياق هو موضع الاهتمام دون رزقهم، فزرقتهم حاصل
 ولذا قدم الوعد برزق الأولاد على رزقهم (٣)

ومن هنا يتضح لنا أن التقديم والتأخير عنصر من العناصر التي يمكن أن تطرأ
 على التركيب، فيكون له أثر واضح في الدلالة، وليست مجرد ظاهرة ساقها الحياة من
 حلال أمثلة مصنوعة ، وشواهد كثيرة في القرآن الكريم على نحو ما قدمنا من أمثلة،
 وليست كذلك مجرد رعاية لموسيقى الفاصلة القرآنية، يقول إبراهيم انيس " ولست اغالي
 حين أقرر هنا أن المعول لا يصح أن يسبق ركني الإسناد، في الجمل المثبتة كما يرغم
 أصحاب البلاغة في تلك الأمثلة المصنوعة من نحو : ريداً صريت، وريداً صربت، أم
 التقديم في مثل الآيات القرآنية " إياك نعبد وإياك نستعين " و " إياي فاعبدون " و " ولكن
 كانوا أنفسهم يظلمون " و " حدوه فقلوه، ثم الجحيم صلوه " فالأمر فيه لا يعدو أن
 يكون رعاية لموسيقى الفاصلة القرآنية، فهي إذ شبة بالقافية الشعرية التي يحرص الشاعر
 على موسيقها كل الحرص " (٤) .

وقد مرّ بنا كيف أن علماء العربية ميروا بين معاني الآيات المتشابهة من حلال
 ترتيب عناصرها

(١) الأنعام الآية ١٥١

(٢) الإسراء الآية ٣١

(٣) انظر أبو حيان للبحر المحيط النحوي لأبنسني، المجلد الرابع ، ص ٢٥١

(٤) إبراهيم انيس ، من سرار اللغة ص ٣٣٣

قواعد الحذف Reduction Rules

مرّ بنا أن الحذف يحصر من عناصر التحويل التي تتحول البنية العميقة من خلالها إلى بنية سطحية \rightarrow لالة خاصة، ويعبر عنه التحويلات بالمعادلة الرياضية التالية

$$\begin{aligned} 1 + b & \leftarrow a : b \neq 1 \\ 1 + b & \leftarrow b : a \neq b \end{aligned}$$

وقد أدرك النحاة العرب ظاهرة الحذف في اللغة ، وحاولو الوقوف على أسبابها، فذكروا أن الحذف قد يكون لكثرة الاستعمال، وذلك نحو : حذف الفعل بعد (أما) وذلك " لأنه من المصمر المنزوك بظهاره " . لأن أما كثرت في كلامهم ، واستعملت حتى صارت كالمثل المستعمل " (١) .

وقد أشاروا إلى كثرة الاستعمال في المسموع، وذلك " كفولهم : امرأ ونفسه، أي: دغ امرأ ونفسه ، وإنما كانت (العلقة) سماعية لعدم وجود صابط يُعرف به ثبوت علة وجوب الحذف، أي كثرة الاستعمال " (٢) .

وكذلك قد يقع الحذف لوجود قريبة دالة على تعيين المحذوف ، وهذه القرينة قد تكون لفظية، كما إذا قال شخص من أصرب؟ فنقول، ريداً، وقد تكون حالية، كما إذا رأيت شخصاً في يده حشبة، قاصداً لصرب شخص فنقول - ريداً " (٣) .

وهذا يدل دلالة واضحة على أن النحاة كانوا يهتمون بالموقف الكلامي بكل عناصره، وما الحذف في مثل هذه الحالات إلا دليل على بلاغة المكلّم ، الذي يرى أن " ترك الذكر أفصح من الذكر " (٤) .

(١) سيبويه ، الكتاب ج ١ / ٢٩٤

(٢) السابق، ج ١ / ١٢٩

(٣) لأسير بلادي ، شرح كافة الأمثلة الجاهلي ج ١ / ١٢٩

(٤) الجرجاني ، دلائل الإعجاز ص ١١٢

وهي هذا إشارة إلى أن الإيجار هدف من أهداف الحنف، ومن تلك قولهم " من كذب كان شراً له، يريد- كان الكذب شراً له، إلا أنه استعنى بأن المحاطب قد علم أنه الكذب، لقوله كذب في أول حديثه " (١)

وإلى مثل هذا أشار الفراء في تفسيره لقوله تعالى " ولو أن قرناً سُيرت به الجبال " (٢)

وال " لم يأت بعد جواب لـ (لو)، فإن شئت جعلنا جوابها منروكا، لأنّ تَمَرَةً معلوم، والعرب تحذف جواب الشيء، إذا كان معلوماً، برأية لإيجار " (٣)

وقد أشاروا إلى أن الحذف قد يكون بسبب ارتباط الحديث بالحواس الخمس، قال سيبويه " وذلك أنك إذا رأيت صورة شخص فصار أية لك على معرفة الشخص فقلت عبد الله وربي كأنك قلت ذاك عند الله، أو هو عند الله، أو سمعت صوتاً فعرفت صاحب الصوت، فصار أية لك مع معرفته، فقلت، ربي وربي، أو مسمت جسداً أو شئتمت ربح فقلت ربي أو الممسك، أو دقت طعاماً، ففت العسل " (٤)

وقد أشاروا إلى أن الحذف قد يكون للاتساع، وذلك نحو حذف المصاف وإقامة المصاف إليه مقامه، كما في قوله تعالى " وأسأل القرية " (٥)، وقول العرب سؤ فلان بصوهم الطريق، يريدون أهل الطريق (٦)

وهكذا فقد كان النحاة على وعي بكثير من مسالك الحذف وما يترتب عليه من تعبير في الدلالة، مما جعلهم يعثونه " باب بقيق المسلك، لطيف المأخذ، عجيب الأمر، شبيهة بالسحر " (٧)

(١) سيبويه الكتاب ج ٢/ ص ٢٩١

(٢) سورة الرعد آية ٣١

(٣) الفراء، معاني الفراء ج ٢ ص ٦٣

(٤) سيبويه الكتاب ج ١ ص ١٢٨

(٥) سورة يوسف آية ٨٢

(٦) ين السرخ، لأصوب في النحو ج ٢ ص ٢٦٥

(٧) الجرجاني، لائل لإعجاز ص ٢٠١

غير أننا نجد تقديرات لمحدوفات أملتها على النحاة نظرية العامل ، وقد افترضها النحاة للحفاظ على قاعدة شاعوا اطرادها، لو لتسوية حركة إعرابية وذلك نحو: تقديرهم حيراً محدوفاً في مثل (إِنْ حُرِّسَ أَسْدًا)، لتبرير نصب " أَسْدًا " (١) .

وكذلك هم يقدرون ضمير الشأن في نحو (إِنْ بَكَ رِيذٌ مَأْهُودٌ) (٢) ، لتبرير عدم نصب (ريذ)، وكذلك، يقدرون فعلاً محدوفاً يعسره الفعل الموجود ، فيرون أن أصل (ريذاً صربت) مثلاً هو (صربت ريذاً صربت)، لا لسبب إلا لتسوية نصب (ريذ) .

كما يقولون إن أصل (إِذَا لِلسَّمَاءِ انْشَقَّتْ) هو (إِذَا انْشَقَّتِ السَّمَاءُ انْشَقَّتْ)، لأنهم يريدون اطراد قاعدة تنص على أن أدوات الشرط والعرض والتخصيص، لا يليها إلا الفعل، وكذلك يقدرون كلمة محدوفة بعد حرب في (هَذَا جُحْرٌ صَبَّ حَرْبٌ فَيَعْدُونَ الْأَصْلَ ، هَذَا جُحْرٌ صَبَّ حَرْبٌ جَحْرَةٌ ، وذلك لأن (حرب) رُوِيَتْ بِالْجَرِّ مَعَ أَنَّهَا صَفَةٌ لاسم مرفوع (٣) .

وقد عفا ابن السراج باباً بعنوان " المحدوفات التي قاس عليها النحويون " (٤) ، بين فيه مواطن كثيرة من هذا القبيل، ومما ينتج عن الحذف، الاختلاف في إعراب الكلمة المقترنة، فإذا قُترِبَ المحدوف مبتدأ، فإن الكلمة الثانية تُعَرَّبُ حِيراً، وإذا قُترِبَ المحدوف فعلاً ، فإن الكلمة قد تُعَرَّبُ مفعولاً به وهكذا .

وقد يحذف غير شيء من الجملة الواحدة ، وذلك نحو قوله تعالى : " فاصدغ بما تؤمر "، فالأصل المقتر " فاصدغ بما تؤمر به " ويرى ابن هشام أن الحذف للجار والمجرور المقتر قد مرّ بمراحل متعددة هي :

١ فاصدغ بما تؤمر بالصدغ به

٢ فاصدغ بما تؤمر بالصدغ

٣ فاصدغ بما تؤمر بصدغه

(١) ابن هشام ، معاني اللبيب ج ١ / ٣٧

(٢) سيبويه ، الكتاب ج ٢ / ١٣٤

وانظر ابن الأنباري لإتصاف في مسائل الخلاف ، ج ١ / ص ٧٩

(٣) سيبويه ، الكتاب ج ١ / ص ٦٧

(٤) ابن السراج ، الأصوات في النحو ج ٢ / ٣٢٣

٤ فاصدع بما تؤمر به .

٥ فاصدع بما تؤمره .

٦ فاصدع بما تؤمر

فقد تحولت من الصورة الأولى إلى الثانية بحذف الياء، ثم حذفت الياء لامتناع جمعها مع الإضافة، ثم حُذِف المضاف كما في (واسأل القرية)، فصار به، ثم حُذِف الجار، فصار تؤمره، ثم حُذِفَت الياء كما حُذِفَت في (أهدا الذي بعث الله رسولا)^(١)

وللمحدثين موقف متباينة من التقدير، فقد عدَّ تمام حسن التقدير، صرباً من الفلسفة والمطلق، ورأى أن الحياة " انساقوا إلى التفكير في جوهر الجملة، فاحترعوا فكرة تقدير ما غاب من هذا الجوهر، والتقدير بنية فلسفية ميتافيزيقية ومطابقة يُبتلى بها النحو العربي، ولا يزال يُبتلى "

وهذا، عند تمام حسن على بعض الفرائض التي يمكن أن تعني في فهم الظاهرة

اللغوية دور اللجوء إلى التقدير

وقد أحد محمود حجازي على الحياة القديما «رتكارهم على نظرية العامل، وما يترتب عليها من تقدير، ويرى أن ذلك لا يتفق مع علم اللغة الحديث، بل أن علم اللغة الحديث، يصع هفة دراسة التركيب الشكلي لعناصر الجملة، وسيله للتعبير عن المعنى، ومن ثمَّ يُعدُّ المعنى قطباً مهماً في دراسة بناء الجملة. ويورد حجازي دليلاً على جدل الحياة حول التركيب (حتى + فعل مضارع منصوب) بقوله : ' وهذا يقول أكثر النحاة، إن التركيب حتى + فعل مضارع منصوب، ينبغي أن يفسر تقديراً لشيء لا وجود له في التركيب، استدعته النهاية، وهذا ما يرفضه علم اللغة الحديث، فهو يُعني بالتركيب الموحود فعلاً، واصفاً له، مُحدداً وطبيعته، أما التساؤل حول العامل وتخصيصه وتقديره، وما شاكل ذلك، فيتجاوز النطاق الذي رسمه علم اللغة الحديث مجالاً لبحثه، إن علم اللغة الحديث يدرس التركيب واصفاً له هي اللغة الواحدة، أو مقارباً إياه في المجموعة اللغوية، ومن هه يقول، إن تعميق البحث يتم بأدوات تختلف عن الجدل المصطفي حول لغة ما، في

(١) انظر ابن هشيم معنى اليبب ٣٠٥، ١، وآية ٤١ من سورة الفرقان

مستوى يعينه دور النظر في طبيعتها ، أو في مراحلها التاريخية ، أو في اللغات
الأخرى^(١) .

وكذلك مهدي المحرومي فقد أخذ على النحاة منهجهم في تقدير عناصر غير
موجودة، وهو يرد التقدير بوجه عام إلى (إيمان النحاة بفكرة العامل ، وبأن كل حركة في
الأسماء أو في الأفعال إنما هي أثر من أثار العوامل^(٢)) ، مع أنه لجأ إلى التقدير في
بعض المواقف وذلك نحو قوله في معرض حديثه عن اسم الفاعل، (. فقد وقع موقع
المصاف إليه، في مثل قولنا (عجبتُ له من ماهر في صديقه) ، فقد جر بالإصافه بعد
(من)، وإن كان المجرور الحقيقي هو الذات .^(٣) .

وكذلك إبراهيم السمراني فقد عدَّ التقدير من سمات " المنهج النحوي القديم ، مما
لا يرصاه البحث العلمي الحديث ، فهو دهاب في المجهول^(٤) ، علماً بأنه لجأ إلى
التقدير، في مثل تقديره لحرف جر في الجملة (أعطيتُ ريذا درهماً) بقوله : " ويبدو أن
اسقاط الجار أمر واضح في الأفعال التي تتعدى إلى مفعولين والتعدي إلى المفعولين من
باب التوسع في الكلام، فإذا قيل : ' أعطيتُ ريذا درهماً ' ، فإن الدرهم هو المُعْطَى إلى
رِيذ^(٥) ، وكأن التقدير ' أعطيتُ إلى ريذ درهماً " .^(٥) .

وكذلك محمد عيد فقد عرّض لبعض قصايا التقدير النحوي، ورفضها رفضاً
حاصلاً، معرباً عن تنبيهه للمنهج الوصفي الذي يراه (منهجاً لغوياً حاصلاً ، يصف اللغة
المروسة كما هي ، فيبين ما لعناصرها من خصائص ومميزات ، وما بينها من علاقات،
دور إقحام العوامل الذاتية من فروع وطبوع وآراء شخصية، وذلك أن قيام الدراسة على
هذا الأساس هو السبيل لوجدة عناصر الدراسة اللغوية وتكاملها، وهو السبيل للوصول إلى
نتائج تتفق مع واقع اللغة دور ريب أو اضطراب ، فالالتجاء إلى مؤثر خارجي، وتطبيق

(١) انظر محمود حجازي محل إلى علم اللغة ص ٧٤ ٧٧

(٢) مهدي المحرومي ، في النحو العربي ، نقد وتوجيه المكتبة العصرية ، بيروت ، ١٩٦٤م، ص ٧٦

(٣) السابق ص ١٣٩

(٤) إبراهيم السمراني ، الفعل ، معناه وأبنيته ص ٤٢ ٤٣

(٥) إبراهيم السمراني ، الفعل ، معناه وأبنيته ص ٨٧

أفكاره، ومبادئه على دراسة اللغة يتنافى مع هذه الحقيقة وهو مرفوض من وجهة النظر الحديثة *

وأرى أن داود عبده نظر إلى مسألة الحذف والتقدير نظرة موضوعية، فهو يرى أن التقدير ضروري في بعض المواقف، والحاجة محقون في كثير من تقديراتهم، من ذلك تقديرهم (أن) محدوفة بعد حتى، حين تسبق الفعل، وذلك لأن حتى حرف جر، وما يعادل الاسم بعد حرف الجر هو (أن المصدرية + الفعل)، وليس الفعل منعزلاً^(١). فالحذف ضروري كما قدر داود عبده، وإن كنت لا أوافق على مثاله في (حتى) فما الذي يمنع من أن تتعدد استعمالات حتى، فتكون ناصبة أحياناً، وجارة أخرى؟ وقد يأتي الفعل بعده مرفوعاً كأن يقال: سرت حتى لأحلقها، وقد أشار القدماء إلى هذا كله^(٢) وللحذف نظائر في الإنجليزية كما في السؤال: Have you been ever abroad? Never (I have been abroad وقد يكون الجواب Never فقط، دون أية تكملة أخرى. وهذه الجمل وغيرها لها نظائر في العربية، وإجابات مثل هذه الأسئلة صحيحة نحوياً. هذا إضافة إلى أن المبهج الوصفي محاولة من سلسلة محاولات في دراسة اللغة، له كثير من المزايا وعليه بعض المآخذ، وينبغي للباحث أن لا يتعلق في حلقة واحدة بفرد من حسنها، ويأخذ كذلك بالمآخذ الموجهة إليها

التصديق Reduction

مرّ بنا أن التصديق نمط من أنماط التحويل في المبهج التحويلي يتم بحذف عنصر من عناصر التركيب، متصمناً في العنصر الباقي، ويعبر عنه رياضياً:

$$A + B \leftarrow A : B \rightarrow A$$

يتحول التركيب المكون من العنصرين (أ) و (ب) إلى (أ)، بحيث يكون العنصر (ب) متصمناً في (أ)

(١) انظر داود عبده أبحاث في اللغة العربية منشورات مكتبة لبنان، ١٩٧٣، ص (٧٠-٧٨)

* انظر ابن الأنباري لإتصاف في مسائل الخلاف مسألة ٧٩

(٢) المبرد المقتضب، ج ٢/ ص ٣٨

أو

أ + ب ← ب . أ د ب

ينحول التركيب المكون من العنصرين (أ) و (ب) إلى (ب) ، بحيث يكون العنصر (أ) متصمداً في (ب) .

ويمكن تفسير حذف ياء الإضافة إلى المتكلم والتعويض عنها بالكسرة مثلاً، على أنه نمط من أنماط التحويل بالتصويق، ذلك أن إبقاء الكسرة دالاً على الياء، فالياء محذوفة متصمة في العنصر الباقي منها، وذلك في نحو قوله تعالى : " ب عباد لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزبون " ^(١)، ولا شك أن هذا النمط من التحويل يحسم غرض الحذف والإيجاز .

ويمكن تفسير الترحيم أيضاً على أنه من أنماط التحويل بالتصويق ، وذلك لأنه بالترحيم يتم " حذف لو آخر الأسماء المفردة تحفيفاً " ^(٢) وذلك نحو قول الحاضرة
أسمي ويحك هل سمعت بعدرة
رفع اللواء لبها في مجمع ^(٣)
ويمكن بواسطة التصويق تفسير وجود أسماء خاصة بالنداء وذلك نحو " فل " و " فلة " بدلاً من " فلان وفلانة " ^(٤) ، إذا ما بقي من الاسم بعد الحذف دالاً عليه .
ويمكن أن يفسر السحت في اللغة بواسطة التصويق ، ذلك أنه يتم نصيقي أكثر من عنصر من عناصر التركيب ، في عنصر واحد وذلك نحو " قول " لا حول ولا قوة إلا بالله " ، يكون بحثها على " حو قل " ، وهذه الصيغة المحوثة تنصص العنصرين المحذوفين جميعاً .

الزيادة Addition

الزيادة عنصر من عناصر التحويل في المنهج التحويلي ، ويقصد بها زيادة في المصطوف على نظيره في البنية العميقة ، ويُعبر عنه رياضياً بالقانون

(١) الحرف ٦٨

(٢) سيبويه ، للكتاب ج ٢ / ٢٣٩

(٣) المفصل الصبي ، المفصليات ص ٤٥

(٤) انظر سيبويه الكتاب ج ٢ ٢٤٨

؛ $\leftarrow \text{أ} + \text{ب} \cdot \text{ب} \neq \text{أ} \quad (١)$.

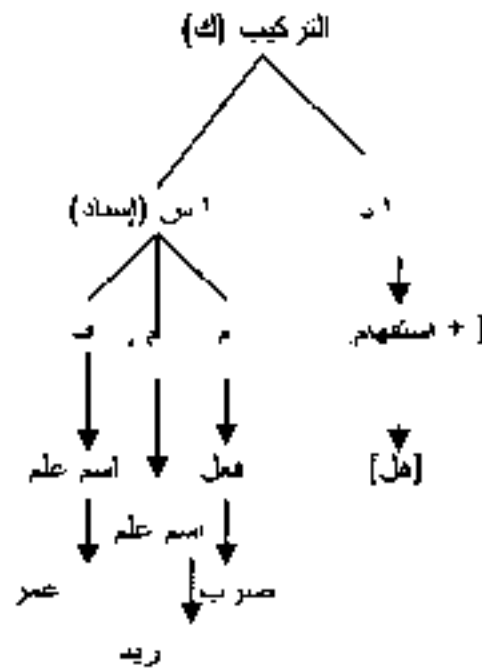
أي أن (أ) تتحول إلى (أ) + (ب) ، حيث (ب) غير متضمنة في (أ)
فالتحويل يشيرون إلى (أن هناك تركيبات بظمية تدخل فيها كلمات لا تدل على
معنى في العمق ، ولكنها تظهر في البنية السطحية ، مع حدوث دلالة جيدة لها " . كزيادة
هل أو الهمة في الجملة فنقلها إلى إعادة معنى الاستفهام ، وذلك نحو :
هل صرب ريذ عمراً .

فالبنية العميقة لهذه الجملة تتكون من :

صرب ريذ عمراً .

مسد (م) + مسد إليه (م إ) + فصلة (ف) .

ثم دخلت الأداة (أد) ، (هل) ، فأصبح التركيب يعيدُ الاستفهام ويمكن تمثيله
بالمشجر الآتي (٢) .

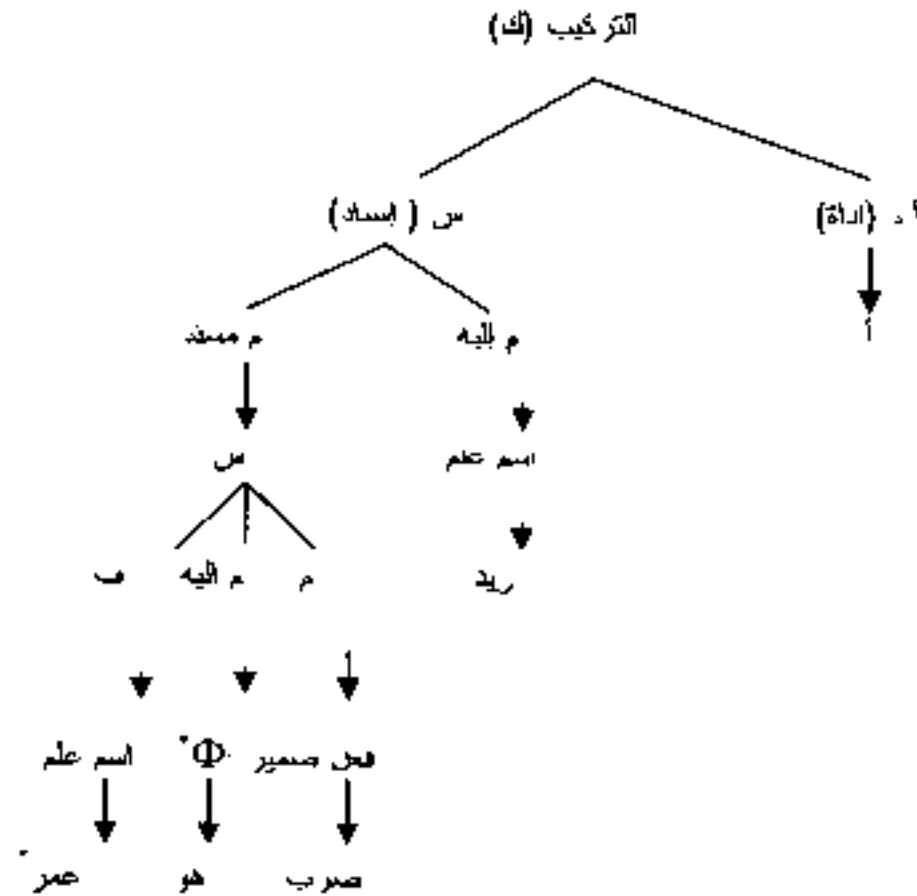


(١) سمير سنييه، الأنماط النحوية في الجملة الاستفهامية العربية مجله المو د، عدد (١) ١٩٨٩م، ص

وانظر عبده الرجحي النحو العربي، للدرس الحديث دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٧٩م، ص

(٢) مازر الوعر ، نحو نظرية نسائية عربية حديثة ص ١٦٢

ويمكن تمثيل الجملة "أريد صرب عمر"
بالمشجر الآتي (١)



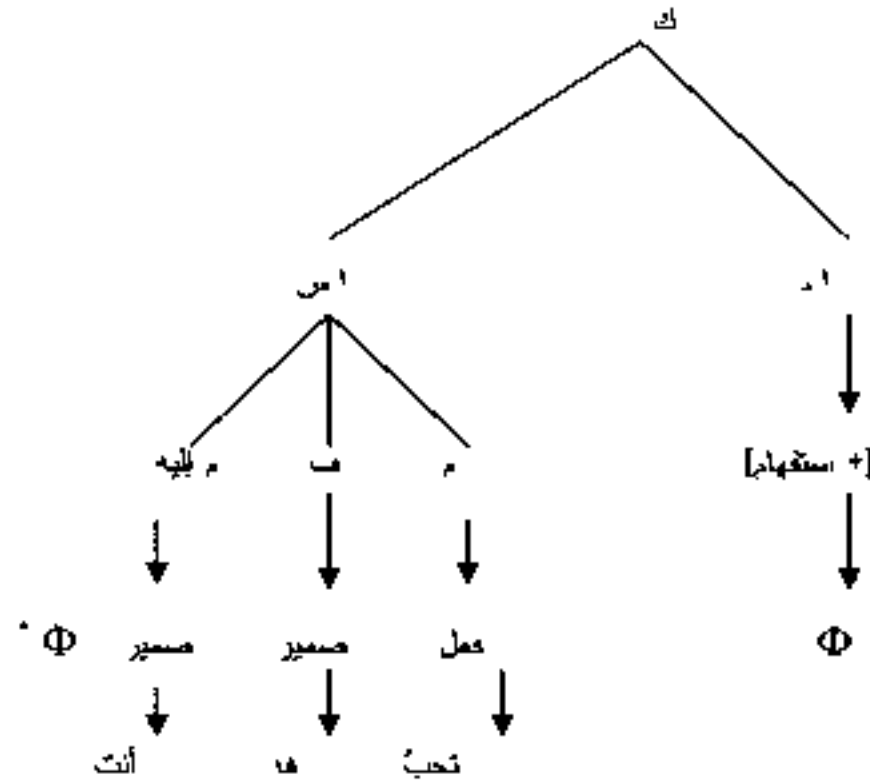
ومعنى ذلك أن :

التركيب الاستفهامي = استفهام تصديقي + التركيب الأساسي . ومعلوم أن الهمزة
تسعمل للتصديق الإيجابي والسلمي ، بينما هن تستعمل للتصديق الإيجابي فقط
ويلتقي بحدّة العربية في تصورهم لناد الاستفهام مع المصيح التحويلي ذلك أنهم
عدّوا (هل والهمزة) ، أداتين تفيدان الاستفهام التصديقي ، ويجوز حذفهم من التركيب ،
ويمكن أن يقوم التعيم معامهم ، وذلك كما في قول عمر بن أبي ربيعة ،
ثم قالوا ، تحبها ؟ قلت بھر ، عدد الرمل والحصى والتراب

() مارن المعر ، نحو نظرية سلافية عربية حديثة ١٦٢

* Φ - عنصر محذوف

قال ابن هشام " قيل : أراد لأحبها "، فحذف همزة الاستفهام (١)، ويمكن تمثيل هذه الجملة بالمشجر الآتي



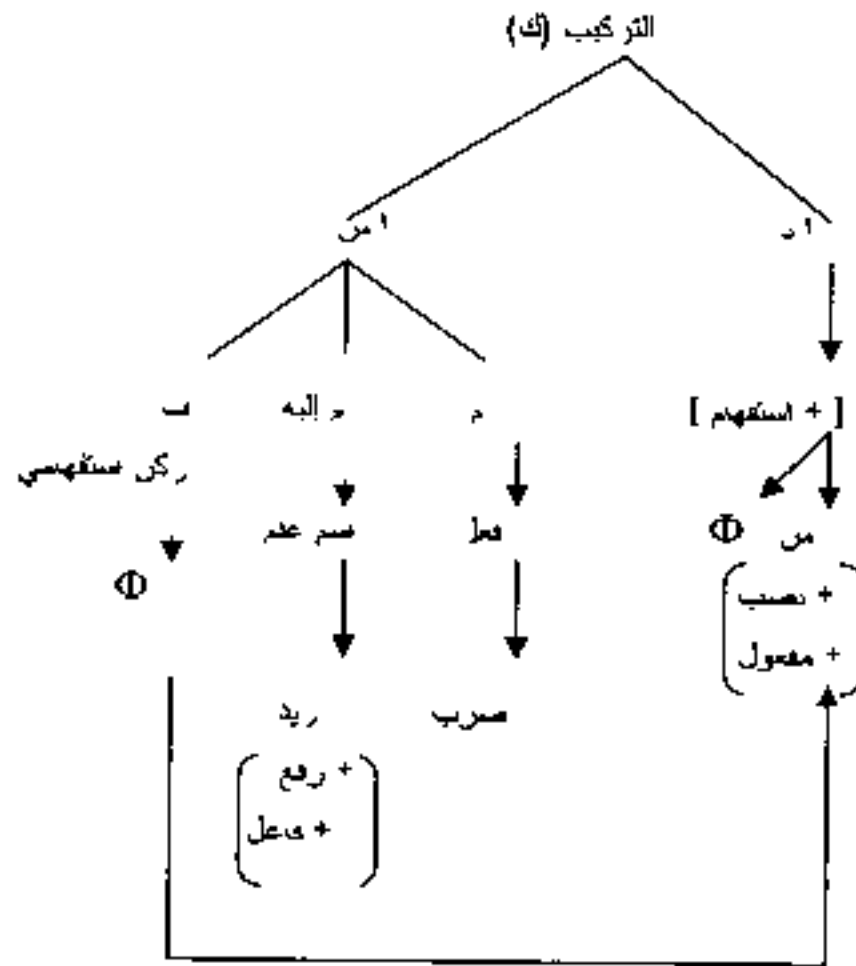
بينما لم يجبروا حذف أسماء الاستفهام التصوري، وذلك نحو (من، ومنى، وكيف، ومادا .)، أي أننا نعلم بقول :
من صرب ريّة ؟ يكون تحليلها كالآتي (١) :

(١) ابن هشام، معلى اللبيب ج ١ / ١٥

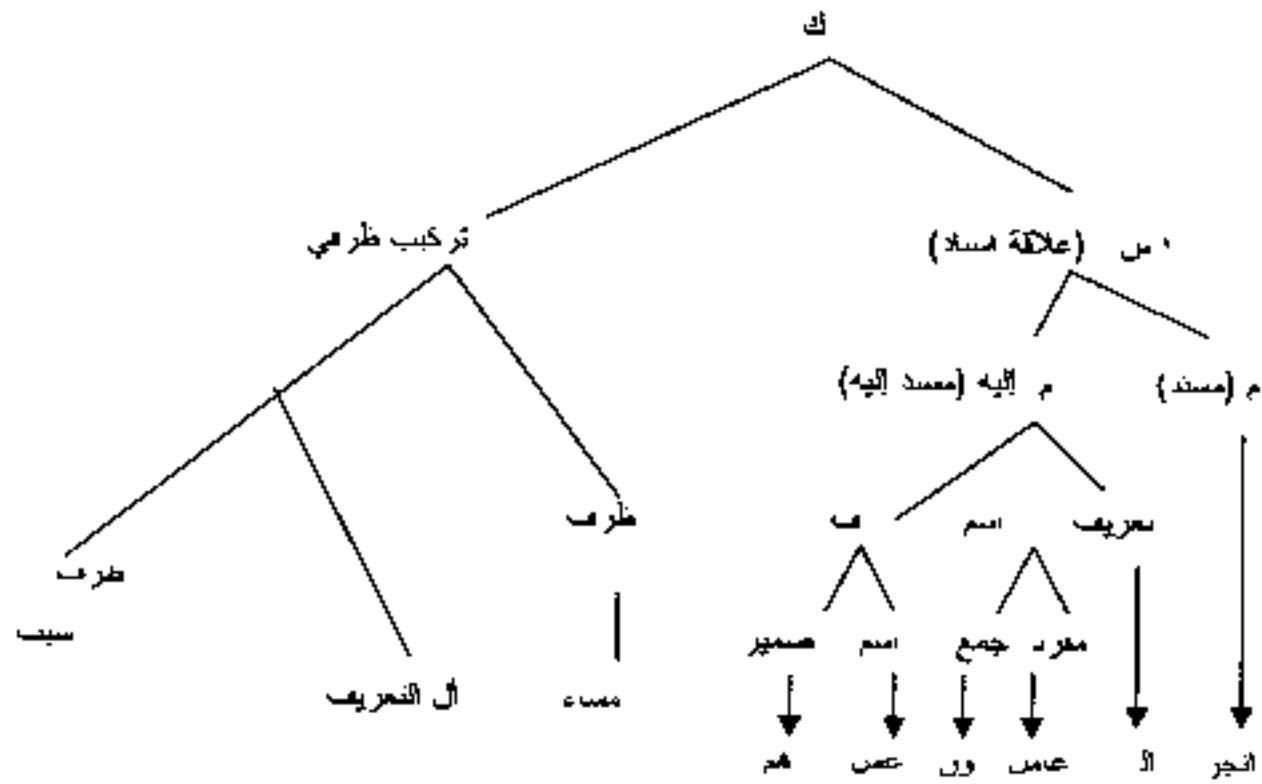
Φ - عنصر محذوف

(٢) انظر مرزوق الوعر نحو نظرية نسائية عربية حديثة ص ١٨١

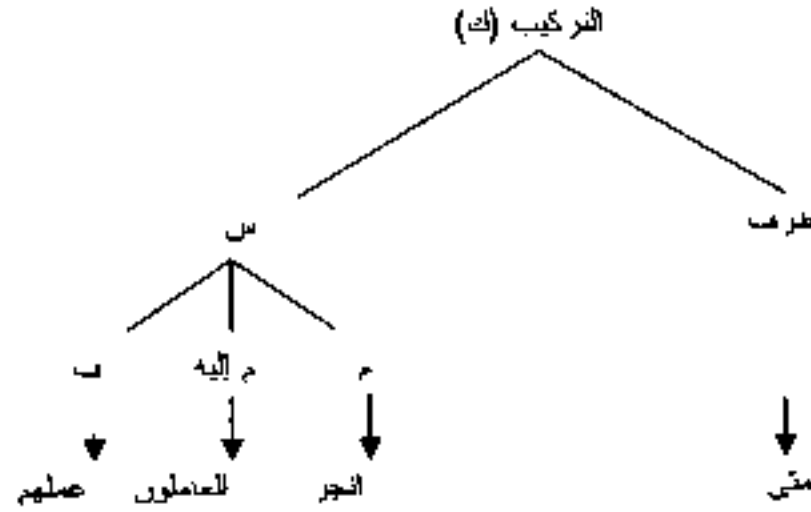
وانظر سمير ستيتيه الأنماط التحويلية في الجملة الاستفهامية العربية ص ٤١



ويمكن تمثيل الجملة التالية : " أجر العاملون عملهم مساء السبت " .



ويمكن تمثيل الجملة الاستفهامية " متى أبحر العاملون عملهم " .



نلاحظ من المشجرات السابقة أن أسماء الاستفهام تشكل جزءاً أساسياً في البنية العميقة Deep structure ، كما لاحظ من المشجرين السابقين، أن رأس الجملة الإخبارية فعل إخباري، وأن التركيبية الظرفية فيها فصلة ، بينما يكون اسم الاستفهام الدال على الظرفية ، هو رأس الجملة الاستفهامية وهذا نمطان متعايران في العربية، وإن كانت لهما أطر دلالية مشتركة أو كانت بينهما العميقة واحدة، وهذا في حقيقته مرتبط بمبدأ التوضع "Topicanzation" ، الذي تحاول النظرية التوليدية التحويلية تفسيره في إطار العمليات والأنماط التحويلية، التي تتم في التراكيب المختلفة ، فلو حاولنا تحليل الجملة " متى أبحر العاملون عملهم ؟ " بحذف اسم الاستفهام اعتماداً على التوسع ، لحصلنا على جملة استفهامية تختلف في دلالتها عن الجملة الأولى (أبحر العاملون عملهم مساء السبت) وعلى هذا يمكن فهم عدم جوار حذف أسماء الاستفهام، وذلك لما يترتب من جعل البنية العميقة لكل من الجملتين مختلفة عن البنية العميقة التي كانت في الأصل بطريقاً مطابقاً لها (١)

(١) انظر سمير منيمنة الأنماط التحويلية في الجملة الاستفهامية العربية ص ٣٧

وانظر مارن الوعر نحو نظرية نسائية عربية حديثة ص ١٣١

وعلى هذا يمكن أن ندرس مفهوم الريادة بوجه عام ، بأنه ما راد على التطير هي السبة العميقة ، وليس لأنه لا قيمة له في المعنى ، أو لأنه تسمية مبعثه نأثر الحياة بالمطلق كما ذهب بعض الباحثين ، يقول مهدي المحرومي في سياق تعليقه على مفهوم العُمدَة والعُصْلَة : " إن الذي دفع الحياة إلى هذا التصور هو عرفانهم بالقضية المنطقية المؤلفة من موضوع ومحمول ، وهما عُمْدَة القضية وركناها ، فإذا سقط أحدهما سقط البناء كله ، أم ما عداها فهو رائدٌ إن شئت استعيت عنه " (١) .

ومن منظور تحويلي أيضاً يمكن أن نفهم معنى الحروف الرائدة ، ولعلها من أكثر المفاهيم التي تعرضت لشيء من الاضطراب في التسمية عند القدماء ، فمنهم من سمّاها حروف الصلة ، وهي ثمانية (أ ، إ ، م ، لا ، من ، الياء ، اللام ، الكاف) (٢) ، وذلك لأنه ' يتوصّل بها إلى ريادة الفصاحة ، أو إلى إقامة وزن أو سجع أو غير ذلك ' ، ومنهم من سماها حروف ريادة " لأنه لا يتغير بها أصل المعنى ، بل لا يريد سببها ، لا تأكيد المعنى الثابت وتقويته " (٣) .

وقد وصّوها لها معبراً يدل عليها ، وهو أن تحولها كحروجهما (٤) ولعل المقصود بريادتها ، هو ريادةها من ناحية تركيبية ، وهذا يبدو جلياً من منظور تحويلي ، إذ بحث التحويليون عن الجزء الأساسي أو المركزي في الجملة ، Kernal sentence ثم بدأوا بعد ذلك بحث ما يطرأ على هذا التركيب من خلال قواعد أو عناصر التحويل من ترتيب وحذف وتصييق وريادة وتوسيع وبحلال .

وعلى هذا فإن ريادة (من) في الآية الكريمة (هل يراكم من أحد) (٥) هي ريادة على التطير غير القرآني ، فالجملة النواة للآية الكريمة هي يراكم أحد ، ثم بعد ذلك

(١) مهدي المحرومي ، في النحو العربي ، بغداد ، دار الفكر ، ص ٩٥

(٢) ابن هشام ، الإعراب عن قواعد الإعراب ، ابن هشام محقق رشيد العبيدي ، بغداد ، دار الفكر ، ١٩٧٠ ،

ص ٥٧

(٣) لاسر ابادي شرح الكافية لابن الحجب ، ص ٢ بيروت ، دار الكتب العلمية ، ١٩٦٩ ، ج ٢ / ٢٨٤

(٤) ابن السراج ، اصول النحو ، ج ٦٨

(٥) النوبة ١٢٠

حدث تحويل بريادة (هل)، نقل البنية العميقة إلى بنية سطحية استفهامية، فأصبحت " هل يراكم أحد "

ثم حدثت زيادة وذلك بعرض للنوكيد، فأصبحت: " هل يراكم من أحد ".
وقد أدرك اللحاة قيمة هذه الريادات من ناحية دلالية، وعبروا عنها غير مرة، من ذلك قول ابن جني في الآية الكريمة " أليس بركم ؟ "، " واعلم أن هذه الياء قد ريدت في أماكن، ومعنى قولي ريدت، إنما جيء بها توكيداً للكلام " (١)

التوسعة Expansion

التوسعة نمط من أنماط التحويل، وهي تتمثل في جعل مجال عنصر من عناصر الجملة أكثر تساعاً مما كان عليه قبل التحويل، ويعبر عنه رياضياً بـ

$$A \leftarrow A + B \quad B \neq A$$

أي أن (أ) تتحول إلى (أ) + (ب)، حيث (ب) منصمة في (أ)
ويمكن أن تلقى هذه القاعدة التحويلية الصوء على بعض التراكيب في العربية، وذلك نحو: وجود أكثر من أداة نداء للمنادى. كما ورد في قول الشاعر:

أي راكباً إمّا عرّصت فيلعل
بذلماي من جزا أن لا نلاق (٢)

فقد اجتمعت ' الهمزة، والياء'، وذلك من باب التوسعة للتأكيد، وكذلك نحو وجود أكثر من أداة في قوله تعالى: " يا أيها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان " (٣)، وقوله تعالى: " يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم " (٤) فقد اجتمعت فيها (الياء، وكذلك الهاء والألف)، أشار إلى هذا سيبويه بقوله " وأما الألف والهاء اللتان لحقتا (أي)، نوكيداً، فكانت كررت (يا) مرتين " (٥) وربما كانت " أي " أداة نداء أيضاً، وبذلك ينسجم نطاق عنصر النداء أكثر يؤيد هذا التصور أن (أي) أصلاً أداة من أدوات النداء التي

(١) ابن جني، من صناعة الإعراب ج ١، ١٥٠

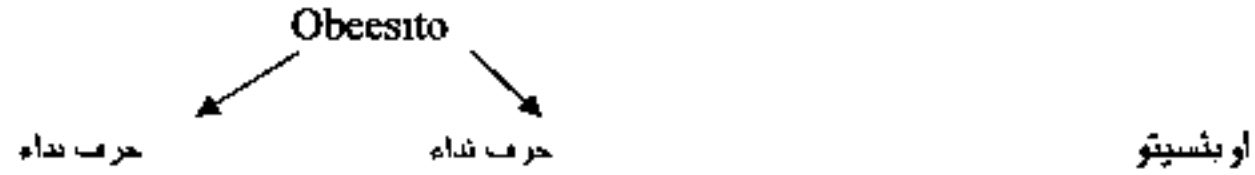
(٢) ابن هشام، أوضح المسالك ج ٢ / ٧٦، وذكر أن صبر لليب وقع عند عدة شعراء، منهم عبد يغوث الحارثي، قائل لليب المبكور وصابيء البرجمي، ومالك بن الزيب العازمي

(٣) سورة النور الآية ٢١

(٤) سورة البقرة الآية ١٧٢

(٥) سيبويه، الكتاب ج ٢ / ١٨٨

نصَّ عليها النحاة وأيدها واقع الاستعمال ، إضافة إلى أن المصباح التاريخي يتلقى صوءاً يؤكد هذا التصور ، وذلك أن أدوات النداء كثيراً ما تتكرر في اللغات السامية، وربما كانت سابقة للمادى أو لاحقة له. من ذلك ما ورد في الحبشية من قولهم ^(١)



ومعناها، يا أنثى، ومثل هذا النمط يتكرر كثيراً في اللهجات الدارجة اليوم، فيقال عند الجهر بالنداء (هيه زيد هيه)، وعلى هذا فربما كان استخدام "أي" في نداء الاسم المعروف تبعاً من حاجة صوتية في التركيب، والمعروف بأن ربما لا يدخل عليه نداء، لما في ذلك من الثقل إذا قطعت الهمزة، ولم فيه من عدم القدرة على مد للصوت المقصود بالنداء إذا وصلت. وقد أدرك النحاة وضع أي من (أيها) في النداء، فعبروا عن ذلك بأنها وصلة يتوصل بها للنداء، وعلى هذا لم يُجوزوا في الاسم بعدها إلا الرفع، قال المبرد: "يا أيها الرجل أقبل، أي مدعو، والرجل نعت لها والهاء للتنبيه" ^(٢) وقال أيضاً: " فإذا قلت : يا أيها الرجل، لم يصح في الرجل إلا الرفع ، لأنه المادى حقيقة، وأي مبهم يتوصل به إليه " ^(٣)

إلا أن جمهور النحاة أعربوا (أي)، مادى مبيناً على الصم في محل نصب ، لأنهم صدروا عن قالب لفظي حاص يسجم مع نظرية العامل، وقد كان هذا الإعراب يسجم مع تفسير حركة الصم على "أي"، وقد أدرك بعض المفسرين هذا الجانب، من ذلك ما قاله أبو حيان في تفسيره للآية " يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم": الخطاب مؤكد لقوله " يا أيها الناس كلوا مما في الأرض "، ولما كان لفظ الناس يعمُّ المؤمن والكافر ، ميّز الله المؤمنين بهذا النداء تشريعاً لهم ، وتنبيهاً على خصوصيتهم .

(١) Brockelman. (Ggrundriss der Vergleichenden Grammatik der Semitischen Sprachen Bd, I , Bre) 1908- 1913

(٢) المبرد، المعتصب ج ٤ ص ٢١٦

(٣) السابق ج ٤ / ص ٢١٦

ويمكن أن يُدرس في نطاق التوسعة وصف العنادى بـ (نن أو ابنه) وذلك في
 نحو قوله تعالى: " يا عيسى بن مريم " فزيادة (بن مريم)، من باب التوسعة في التعريف
 بعيسى عليه السلام. ومن التوسعة أيضاً ما ورد في باب الاستفهام في قوله تعالى: "
 أنقولن للحق. لما جاءكم: أسحر؟ هذا؟ " (١)، فالسبة العميقة تنصمّر الجمل التوليدية
 التالية

١ - جاءكم الحق

٢ - قلنم للحق : هـ سحر .

ولما دخل الاستفهام على الجملة التوليدية (قلنم للحق)، فقد حولها إلى جملة تحويلية
 استفهامية فأصبحت " أنقولن للحق؟ وكان من المتوقع أن يكون التركيب في بيئته
 المطوقة: " أنقولن للحق لما جاءكم هذا سحر؟، ولكن الاستفهام جاء بصورة موسعة
 إذ امتد إلى الجملة التوليدية " هذا سحر "، فأصبحت " أهذا سحر؟ ثم تغير الترتيب
 فأصبحت (أسحر هذا)، والدليل على أن (أسحر هذا؟) من باب التوسعة للاستفهام الأول
 هو أن الاستفهام فيهما واحد، وهو السؤال عن قولهم للحق إنه سحر . (٢)

ومن التوسعة أيضاً تكرار صيغة السؤال في الإجابة، وذلك بإضافتها إلى الإجابة
 نعم أو لا، وذلك نحو - إجابتك لسؤال، هل قرأتَ الدرس؟ بـ " نعم، قرأتُ الدرس " .
 فـ (قرأتُ الدرس)، تُعد توسعة للإجابة بنعم، ودليل ذلك أنه يمكن أن نكتفي بالإجابة بـ
 (نعم) دون حاجة إلى إعادة " قرأتُ الدرس "

الإحلال Replacement

الإحلال نمط من أنماط التحويل، ويتمثل في أن يحل عنصر آخر متصمناً معناه،
 مع إضافة دلالة جديدة، ويمكن أن يفسر من خلال هذا النمط بعض تراكيب اللغة
 العربية وذلك نحو إحلال الشبيه بالمصاف، مكان المصاف في نحو قول الشاعر " أيا
 راكبا أمارصت قبلن " إذ الأصل :

ب راكب ناقتة ثم تحولت إلى ————— ب راكبا ناقتة

(١) سورة يونس الآية ٧٧

(٢) انظر سمير سفيانة الأنماط التحويلية في الجملة الاستفهامية للعربية ص ٤٤

وقد أدى هذا التحويل دلالة خاصة في إعطاء لفظ " الراكب " قدراً من التكبير ، وهذا هو المقصود من قول الشاعر ، الذي يتلاءم مع الحالة النفسية التي كان يعيشها ، " ركب : اسم فاعل ، وهو صالح للإطلاق على كل ركب ، ولكن الاستعمال على أنه : لا يقال " ركب بالإطلاق إلا لراكب الجمل والباقة " (١) .

ولم كان الشبيه بالمصاف ، هو " ما اتصل به شيء من تمام معناه " فقد تمت عملية تحويل أخرى أدت إلى تحويل :

يا راكباً باقته ← يا راكباً

وذلك بالتصديق ، ولهذا دلالة أيضاً ، إضافة إلى الإيجاز الذي يتناسب مع أسلوب البدء بعامة ، تتمثل في استبطان الحالة النفسية عند الشاعر ، في أنه كان يُنادي أي ركب ، وللقارئ أن يكمل " ركب باقة أو جمل أو غيرهما " ، وهذا أبلغ في الدلالة من استعمال " يا ركباً باقته " مثلاً .

ومن التحويل بالإحلال ، إقامة الوصف مقام الموصوف ، وذلك في نحو قوله تعالى " يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً " (٢) إذ الأصل فيها " يا محمد النبي " ثم أقام الصفة مقام الموصوف ، مستعملاً لذلك ما يتناسب معه من أدوات البدء ، فأصبحت " يا أيها النبي " ، ولهذا دلالة مهمة في إثبات صفة النبوة للرسول صلى الله عليه وسلم ، وهي هذا تكريم له من الله سبحانه

ومن الإحلال أيضاً الإجابة عن الاستفهام للتصديقي الذي يكون باستعمال أداتي الاستفهام (هل و الهمة) وذلك بالتصديق بنعم ، أو عدم التصديق بلا . وذلك كأن يسأل : " هل جاءك اليوم رائر ، فيكون الجواب نعم أو لا " (٣) .

(١) انظر ابن هشام أوضح للمعاني ج ٣ ، ص ٧٨

(٢) سورة الأحزاب الآية ٤٥

(٣) شعر حزن الموعر

١ نحو نظرية لسانيه عربية ص ١٦٢

ب سميح سبئية ، الأنماط التحويلية في الجملة الاستفهامية العربية ص ٤١

المبحث الثالث المنهج المعياري

لم تكرر المعيارية قصراً على المنهج المعياري بمفهومه التراثي ، فقد أسعرت بعض المصاحح اللغوية عن نوع من المعيارية، وسوف أتناول في هذا المقام الحديث عن مثلين من أمثلة المعيارية لدى المصاحح الحديثة ، وذلك قبل أن أنتقل إلى الحديث عن بعض النظرات التقويمية للمعيارية التراثية، وعلى هذا، فليحل الأيسر أن أرتب حديثي في المقطعين التاليين على النحو الآتي :

١ أمثلة على مفهوم المعيارية في المصاحح اللغوية الحديثة .

أ. المعيارية في المنهج الوصفي

ب. المعيارية في المنهج التحويلي.

٢ تقويم المعيارية في التراث النحوي العربي.

أ- المعيارية في المنهج الوصفي

أحد الوصفيين الأوروبيين على الدراسات اللغوية التقليدية ، أنها تنحصر منحى معيارية في معالجة الظاهرة اللغوية ، ذلك أن النحاة " يهتمون بوصف قواعد تبيين للناس كيف ينبغي لهم، أن يتكلموا أو يكتبوا، وذلك على هدي مستوى لغوي عرير عليهم " (١)، وعلى هذا فإنهم ينبغي أن يتقبلوا حقائق لتغير اللغوي Language change، من حيث المستوى الصوتي ، والصرفي، والنحوي، والدلالي، وأن يتعاملوا مع كل مرحلة لغوية جديدة بمصطلحاتها الخاصة بها، وهم يرون أن لا قيمة للمقياس الجمالي الذي كان يشكل اتجاه عام في الدراسات اللغوية القديمة

وكذلك فقد أجد بعض الباحثين العرب المتأثرين بالمنهج الوصفي على نحاة العربية صدورهم عن المعيارية في دراسة الظاهرة اللغوية ، فعبد الرحمن أيوب مثلاً يأخذ على التفكير النحوي " أنه لا يخلص إلى قاعدته من مادته، بل إنه يبني القاعدة على

(١) - هيد كريستل ، التعريف بعدم اللغة - ترجمه حلمي حنين ، ص ٧١

أساس من اعتبارات عقلية أخرى ، ثم يعمد إلى المادة ، فيعرض عليها القاعدة التي يقول بها ، وهذا نوع من التفكير لا يمكن أن يوصف بأنه تفكير علمي بالمعنى الحديث ^(١) . ويرى أن الدرس اللغوي الحديث ينبغي أن يتصف بالموضوعية والعلمية . ويرى أن هذه الصعقات تنطبق على مدرسة التحليل الشكلي ، فدعا إلى دراسة اللغة من خلالها وذهب إلى أنها تصحح معياراً آخر عند السحاة ، ألا وهو صدورهم عن المعنى في دراساتهم اللغوية .

ونصام حسان يأخذ على السحاة التنبؤ بالمعيارية ، التي يراها تتمثل في القياس والتعليل ، والاحتكام إلى مستوى صوابي معين ^(٢) . ويرى أن تحديد الصواب والخطأ معيار ينبغي أن يكون مقياساً اجتماعياً يعرضه المجتمع اللغوي على الأفراد ، ويرجع إليه عند الخلاف حول الاستعمال ، وبذلك فهو يرى أن فكرة المعيارية في الدرس اللغوي القديم ليست من منهج البحث الوصفي ، ومن ثم فقد دعا إلى دراسة اللغة دراسة وصفية متكاً فيها على النظرية الاجتماعية متأثراً بأبرر أعلامها هيرث Firth ^(٣) ، وعلى هذا فهو يحدد الإطار العام لهذه الوصفية بقوله : " أن كل منهج علمي من مناهج البحث في الوقت الحاضر يعني أولاً واحداً بالإجابة عن " كيف " تتم هذه الظاهرة أو تلك ، فإذا ما تعدى هذا النوع من الإجابة إلى محاولة الإجابة عن " لماذا " تتم هذه الظاهرة أو تلك لم يعد منهجاً علمياً ، بل لا معرّاً من وصفه بالحدس والتحمين " ^(٤) .

ولا يحفى أن هناك مفارقة بين الوصفية التي يدعو إليها عبد الرحمن أيوب والتي تركز على الشكل من خلال مدرسة التحليل الشكلي ، وتأخذ على السحاة صدورهم عن المعنى ، وبين وصفية تمام حسان التقديرية التي تأخذ على السحاة اهتمامهم بالشكل ^(٥) .

(١) عبد الرحمن أيوب ، دراسات عقلية في النحو العربي ص ٥ من المقدمة

(٢) انظر تمام حسان اللغة بين المعيارية والوصفية ، ص ٥٥ - ٦٦

(٣) انظر الفصل الأول ص ٣٥

(٤) تمام حسان ، اللغة بين المعيارية والوصفية ص ٤٢

(٥) انظر الفصل الأول ص ٣٦

وبعدُ المعنى الهدف المركزي الذي ينبغي أن تُصوَّب إليه ساهم الدراسة اللغوية من كل جانب (١) .

وَأرى أن نقد الوصفيين العربيين للنحاة من العربيين ، نقد مُسوَّغ ، ولا سيما بعد أن فشلت المحاولات في اجتماع الناس على اللغة الفصحى (اللاتينية) ، وذلك في أواخر القرن الثالث عشر ، ومما يذكر ، أن علماءهم حذروا من استعمال العاميات ، وطلبوا من مجتمعاتهم المحافظة على لغتهم القومية التي وعت لهم تاريخ أجيال وحضارات مصت ، وبذلك فإنهم من خلالها يتصلون بماضيهم وحاضرهم ومستقبلهم ، وقد اشتركت في هذه الدعوة جمعيات وطبية ، وذلك كالجمعية الوطنية الفرنسية التي عهنت عام ١٧٩٤م ، إلى الأب (جرجوار) أن يصنع تقريراً يبين فيه الوسائل الناجعة للقضاء على اللهجات الشعبية ، وبشر اللغة الفصحى (اللاتينية) (٢)

ومن ثم فإن علماء الوصفية انطلقوا في تقديم من الواقع اللغوي الذي يعيشونه ، بعد أن أصبح المستوى (العربى عليهم) على رأي دافيسد كريسفل (يقصد اللاتينية) ، مستويات كثيرة منها ، البرتغالية ، والقشتالية ، والفرنسية والإيطالية والرومانية والإسبانية ، وقد بلغ من شدة التعيرات بين هذه اللغات ، أن المرء يحس أنها لغات مختلفة تماماً (٣) وقد تعدى الأمر ذلك ، فالفرنسية اليوم تختلف عن اللغة الفرنسية مثلاً قبل مئة عام أو أقل ، ومما يُذكر أن لئابلون مذكرات تحنّاح اليوم إلى من يترجمها (٤)

فالوصفيون يرون أن دراسة اللغة ينبغي أن تصف الطاهرة اللغوية وفق تطورها الذي وصلت إليه ، ومن ثم فإنهم يتحدثون شعار " دغ لعنك وشأنها " ، ويرون أن الدراسات اللغوية ينبغي أن توثق التطورات الحاصلة في اللغة

(١) تمام حسن ، اللغة بين المعيارية والوصفية ص ٦٩ وما بعده

(٢) عبد الوحد وافي ، علم اللغة ص ٤٩

(٣) محمود السمران ، اللغة والمجتمع ص ١٦٧ ١٦٩

وانظر عبد المعار هلال علم اللغة بين القديم والحديث ص ١٠٠

(٤) انظر أحمد بصيف الجبالي ملاح من تاريخ العربية دار الرشيد للنشر ، بغداد ، ١٩٨١م ، ص ٦٦

بيما يرى ان المعيارية تشكل ضرورة ملحة بالنسبة لدراسة اللغة العربية ، وذلك لأنها مرتبطة بالقرآن الكريم ، الذي هو دستور الإسلام الأعلى ، ومعجزته البينانية الكبرى، ومن ثم فالمسلمون يشعرون بضرورة المحافظة على هذا المستوى اللغوي المميز في ألفاظه ونراكيبه، ومعانيه، قال الإمام الحطابي " علم أن القرآن إنما صار معجراً لأنه جاء بأفصح الألفاظ في أحسن نظوم التأليف، مُصمّناً أصح المعاني " (١)، ومن ثم فإنه لا بد أن يسعى النحاة إلى تثبيت المعايير اللغوية ما أمكن ، لتواجه ألوان التطور اللغوي، وتيسر للأجيال أن تلجأ إلى هذه المعايير في التعرف على ذلك المستوى الأمثل ونعلمه، وإن كانوا لا ينتمون إلى ذلك العصر ، أو تلك البيئة ، اللذين استنبطت منهما هو عد اللغة المعيارية (٢)

ب- المعيارية في المنهج التحويلي

أما عن المعيارية في المنهج التحويلي ، فهي قوانين رياضية مبنية على مفاهيم اقترائية، ومن ثم فالحو التحويلي ينسب على عدد متناه من الجمل المحتبرة (المعطيات الواقعة) يعمل على (إسقاطها) على عدد غير متناه من الجمل النحوية، بواسطة قوانين عامة (قواعد النحو)، حددت على أنها مفاهيم اقترائية ، من ذلك القويمات الخاصة والكلمات والأركان . إلخ (٣)

وهذا يعني أن المنهج التحويلي منهج استنتاجي Deductive Method ، يسعى إلى شرح العالوية اللغوية من الداخل، وذلك لمعرفة المقدرة الكلامية التي تعمل داخل الدهن النشري وذلك عن طريق الخطوات الآتية (٤) :

(١) انظر عائشة عبد الرحمن الإعجاز البياني للقرآن ط دار المعارف بمصر ، ص ٣٤

(٢) انظر إسماعيل عميرة التفكير اللغوي التراثي بين التأصيل والتعيم ص ١٠

وانظر أحمد نصيف الجنبلي ملامح من تاريخ اللغة العربية ص ١٩

(٣) انظر مجموعة من النصوص لتقومسكي ترجمها صالح للكتو ، وأثبها في كتابه " مدخل في اللسانيات

" ، تونس، الدار العربية للكتاب ، ١٩٨٥م ، ص ١٧٢

(٤) سطر مارن الوعر قصاص لاسمية في علم اللسانيات الحديث ص ١٠٧

- ١ وضع فرصيات لغوية تعتمد على نظريات علمية
 - ٢ تطبيق العرصية اللغوية وتجربتها على مواد لغوية معينة .
 - ٣ إعادة صياغة العرصية اللغوية إذا دعت الحاجة إلى ذلك
 - ٤ تثبيت العرصية اللغوية في حال ماسبتها للمواد اللغوية .
- أما المتأمل في المعيارية عند بحاة العربية فيلاحظ أنها هدفت إلى تثبيت معايير لغوية استُنتجت من استقراء كلام العرب ، وعلى هذا فإنه يمكن تلخيص خطوات الوصول إلى هذه المعايير كالآتي ^(١) :

- ١ ملاحظة المادة اللغوية .
 - ٢ حذف المادة اللغوية .
 - ٣ صياغة عرصية للمادة اللغوية
 - ٤ - فحص العرصية وتدقيقها
- ويكون من نتائجها تمييز الخطأ والصواب بالنسبة للكلام الفعلي في زمن الاحتجاج اللغوي.

بينما نلاحظ أن المعيارية التحويلية تسعى إلى الملازمة بين ما هو ذهني فكري، وما هو واقعي لغوي. وعلى هذا فالمعيارية بهذا المفهوم، ليست وصفاً للكلام الفعلي، بل هي قواعد للجملة على أساس أنها شكل تجريدي نظري ، ومن ثم فليس لها علاقة بالصواب والخطأ بالنسبة للاستعمال الفعلي للغة ^(٢) .

مأخذ على المعيارية التحويلية

نؤخذ على المعيارية التحويلية المآخذ الآتية

- ١ نكرنا أن المبهج التحويلي يسعى إلى أن تكون العرصيات التي تنص على الخصائص العامة التي تخص لها كل لغة إنسانية محتملة الوجود ، والتي هي عائدة إلى النشاط اللغوي الإنساني بصورة عامة ^(٣) .

(١) مازن الونع ، قصص أساسيه في علم اللسانيات الحديث ص ١١٠

(٢) تابع جرمب ، اصو ، على الدراسات اللغوية المعاصرة ص ٣٠٠

(٣) ميشال ركب ، لأسسية للتوليفية ص ٨٨

ولا يحق أن لكل لغة خصوصيتها، والقاعدة الدوالة التي اعتمد عليها التحويليون، وحددها الحياة العرب بالإسناد، تنطبق على الإنجليزية والعربية، مثلاً، غير أنها لا تنطبق على الإيطالية والبرنغالية، وذلك لأن الفاعل فيها لا يشكل عصباً تتم الدلالة^(١). ومما ينكر أن المبهج التحويلي لم يقم دراسته إلا على معادح من اللغة الإنجليزية، لغة تشومسكي الخاصة^(٢).

٢ قدمت التحويلية معايير ركزت على السلوك اللعوي الداخلي للإنسان، وذلك على اعتبار أن اللغة قدرة فطرية مناسبة للإنسان وحده، ولذلك ينبغي على التحليل اللساني أن يشرح تلك المقدرة بوسائل فكرية ونفسية لمعرفة طبيعة اللغة وقد اتحدت هذه المعايير بعد رياضي، فيريولوجي، ولكنها قصرت عن الإحاطة باللغة، ظهرة اجتماعية متغيرة، تغير الرمان والمكان^(٣).

٣ امتصعت القواعد في المبهج التحويلي، لأنها ذات طابع رياضي متشعب^(٤).

٤ أضحى المبهج التحويلي نروعه إلى النقص، فكلمة قُمت بطريقة أجريت عليها تعديلات جديدة، وربما كان السبب في ذلك أنها أصلاً من "بات أفكار فرد معين"، قام بتطويرها على مر السنين، وفي الوقت نفسه يقوم بتكريسها لطلابه، وهؤلاء الطلاب يقومون بتطوير وجهات نظرهم الخاصة حول النظرية الأصلية، ومن ثم تظهر اختلافات متعددة^(٥).

(١) انظر رشيد العبيدي، الألفية بين عبد القاهر والمحدثين ص ٢

(٢) رشيد العبيدي، البحث اللعوي وصفه بالبيوية في السانيف ص ٧

(٣) انظر مارن الوعر عدم التمسك من البيوية إلى الدنية معاه مذكوره في مجلة المعرفة، السنة الثامنة

عشرة، العددان ٢٢٠ ٢٢١ حزيران، ص ١٥٩

(٤) ساهيد كريستال، عدم اللغة ترجمة حلمي خليل، ص ١٥٩

(٥) السابق ٥٩

من هذه التعديلات التي أحد بها تشومسكي التعديل الذي قام به علماء تحويليون أبرزهم فوسور وكاتس (Fodor and Katz)، واعتقدوا أن هذه التعديل يركز على المعنى، وبذلك يكون مكملاً ومُعَدِّلاً لنظرية القواعد النحويّة التي بدأها تشومسكي، وقد حاول هذا التعديل أن يفسر الخصائص الدلالية، وذلك عند مقابلة الجملتين التاليتين مثلاً

الرجل الصادق

و السمكة الصائقة .

« نجد أن الجملة الأولى مقبولة من حيث الدلالة، في حين نجد أن الثانية غير سليمة، وذلك عن طريق دراسة مكونات الجملة الأولى، وما تنقسم به من سمات، فمثلاً كلمة " رجل " يتألف معناها من العناصر الأولى التالية

[+ اسم / + محسوس / + معبود / + حي / + بشري / + ذكر / + بالغ]

وقد استعملوا العلامة "+"، كي تشير إلى انتماء المفهوم الدلالي، إلى مصموم الكلمة الموافقة، والعلامة (-)، إلى عدم انتمائه فالسمكة مثلاً يتألف معناها من العناصر الأولى التالية

[+ اسم / + حي / - إنسان / + حيوان ، + يعيش في الماء]

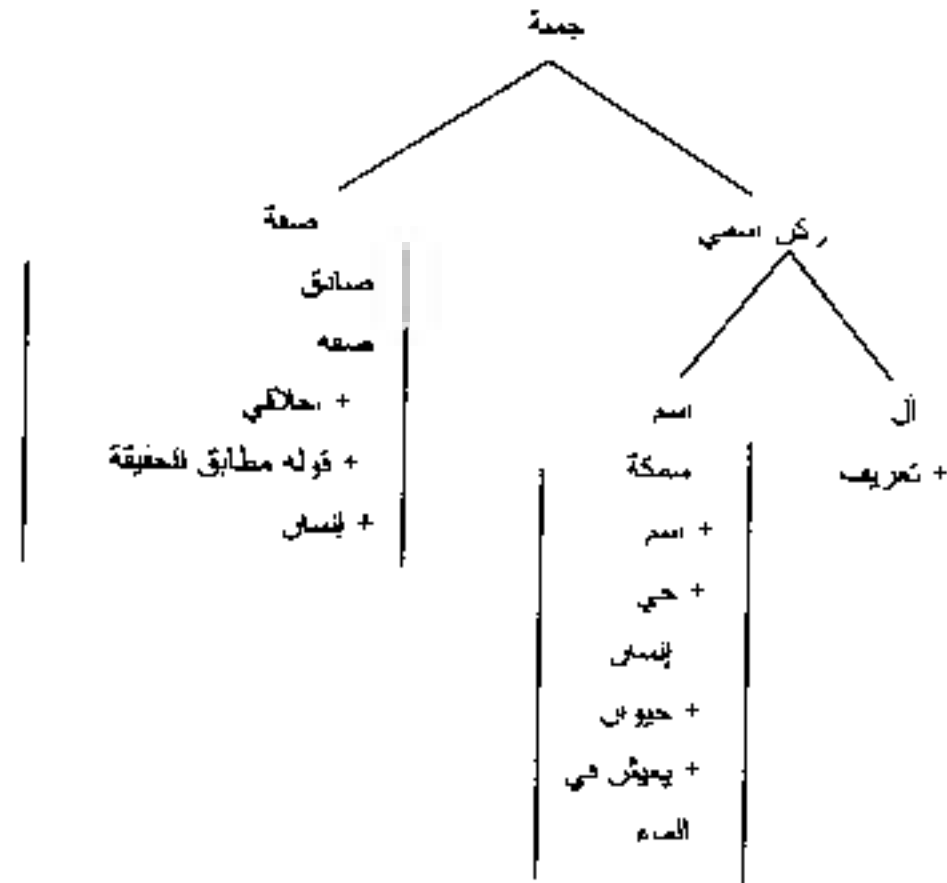
وصفه صادق تتكون من

[+ صفة / + أخلاقي / + قوله مطابق للحقيقة / + إنسان]

ومن هنا نجد أن صفة ' صادق ' تحتوي على (+ إنسان)، بينما الموصوف وهو (سمك)، يحتوي على (- إنسان) وبالتالي يحصل تناقص من إسداد الصق إلى السمك ويمكن تمثيل ذلك بالشكل الآتي (١) .

(١) انظر دافع حرمه اصواء على الدراسات اللغوية المعاصرة ص ٣٢٦

وانظر عائد فحوري للسانية التوليبييه والتحويبية ص ٥٥ ٥٧



ويرور أنهم بهذه الطريقة يمكنهم تحليل معاني مفردات أية لغة، ومن ثمّ يتمكنون من تبين الحلال في معاني بعض الجمل، وذلك نحو انعدام المعنى في المثال المشهور "الأحلام المحصرء العزيمة اللون تنام يعنف"، ذلك ان أحد عناصر كلمة حُلْم هو (- حي)، بينما أحد عناصر كلمة نام (+ حي)، وبذلك فإنه لا يكون توافق بين حُلْم ونوم، ولا ينتج عن ارتباطهما معنى مفهوم .

وكذلك فإن كلمة حُلْم (- محسوس)، بينما من عناصر كلمة أحصر(+) محسوس)، ومن ثمّ لا يوجد توافق عند اجتماعهما وقد أخذ على هذه الطريقة طولها ، وتعقيدها إضافة إلى أنها لا تصلح للتطبيق على كثير من اللغات، مما يجعلها قصيرة عن أن تصبح نظرية متكاملة للمعاني كما توقع أصحابها لها أن تكون (١)

(١) انظر عادل فخوري اللسانيات الوونيه والنحويه ص ٥٩
وعنصر أيضا كيف خرف أصوء على التدريبات اللغوية المعاصرة ص ٣٢٧

٢ تقويم المعيارية في التراث النحوي العربي

سوف أتناول هه بعض النطرات التقويمية للمنهج المعيارى، مع محاولة لتقويم العلاقة التاريخية بين معيارية القدماء ، ومعيارية بعض المصاحح الحديثة كالتوليدية النحوية لنشومسكى .

أثبتت المعيارية التراثية فاعلية كبيرة في معالجة الطواهر اللغوية، فقد قتم العمل النحوي من خلال نظرية العامل هياكل تعليمية تقم عليها وحدة المعايير ، واتحدت المعيارية من هذه الهياكل شكلاً من الترابط بين الكلمة وسياقها ، لا أن ذلك لا يعنى حلوها من الماحد، فقد سُجلت عليها ماحد عدة أيرره

١ تعدد الأوجه الإعرابية : وقد أحد أشكالاً منها :

أ تعدد أوجه الاختلاف في تقدير الماحد، من ذلك اختلافهم في قوله تعالى: "وصية لأرواجهم" (١) قرنت بالنصب على أساس أن التفسير "كتب عليهم الوصية لأرواجهم"، وقرنت بالرفع على أساس أن التفسير "أمرنا وصية" (٢)

ب. تعدد أوجه الإعراب بسبب عدم ظهور العلامة الإعرابية كالأسماء المقصورة، والأسماء الموصولة، من ذلك أنه قيل في إعراب "الدين" في الآية (الدين يؤمنون بالعيب) إنها نحتمل :

١ الجر على أنها صفة للمتقين أو بدل منهم .

٢ الرفع على أنها مبتدأ، وخبره "أولئك على هدى" أو على أنه خبر مبتدأ مقدر تقديره "هم"

٣ النصب على تقدير (أعنى) (٣)

(١) سورة البقرة الآية ٢٤، ومن الآية (الذين يؤمنون منكم ويدينون أزواجهم، وصية لأرواجهم ماعداً إلى الحول غير بحر، وفي حرج فلا جناح عليكم في ما فعلت في أنفسهن من معروف، والله عليم خليم)

(٢) الفراء، معاني الفراء ج ١ ص ٢٠٥

(٣) المعكبري، التبيين في إعراب الفراء، ج ١ / ١٠، ١١

وانظر الفراء، معاني الفراء، ج ١ / ١١، ١٢

وتعمم الآية "الذين يؤمنون بالعيب ويعملون الصلوة ومما رزقناهم ينفقون" البقرة، الآية ٢

جـ. تعدد أوجه الإعراب بسبب اشتراك أكثر من باب نحوي هي علامة واحدة من ذلك أن لاسم بعد (إلا) إذا كان هي جملة منفية والمستثنى منه موجود في مثل " ما رأيت الطلاب إلا ريداً " يُعرب إعرابين (١)

لأول مستثنى منصوب وعلامة نصبه الفتحة .

والثاني : بدل من المفعول به منصوب وعلامة نصبه الفتحة .

د. أحصى النحاة قواعد ترتيب الجملة للعامل، فتناولوا ذلك في إطار جوار تقدم المعمولات على العوامل ، وبخاصة، أنهم فسّموا للعوامل ، إلى عوامل قوية وأخرى ضعيفة، ورأوا أن بعض الأنواع تمنع عمل ما قبلها فيما بعده، وعلى هذا توارعت ظاهرة الترتيب وفقاً للعامل ، وقد يجبحون في تفسير ذلك إلى افتراض حالات ربما لا يكون لها وجود في الواقع، وذلك نحو :

١. ما أورده السيوطي حول (٢) (هل يجوز في المصارع المنصوب بعد الفاء أن يتقدم على سببه، فيقال: " ما ريد فيكرمه بأثينا " و " متى فأتيك تحرح " و " كم فأسير نسير " والعريب أن يجد أن النحاة يتحاورون ويتجادلون في نحو هذه الأمثلة التي لا أحسب لها وجوداً في الواقع)، فيتابع السيوطي موضحاً بقوله: " فيه قولان : قال البصريون: لا، وقال البصريون في ذلك أن النصب بان مصمرة، وأن الفاء عاطفة ، عطفت المصدر المعبر من أن المصمرة والفعل، على مصدر متوهم من الفعل والمعطوف عليه، والتقدير لم يكن من ريد إثياناً فيكون مدّ إكرام. وعلى هذا يمتنع التقدير، لأن المعطوف لا يتقدم على المعطوف عليه، ومذهب الكسائي وأصحابه أن النصب هو الفاء نفسها، وليست عاطفة فلا معطوف لها، وإنما هو جواب تقدم على سببه مع تقدم بعض الجملة فلم يمتنع (٣)

(١) ابن جني ، للمع في العربية ص ٦٧

ونظر ابن يعيش شرح المفصل ج ٢ / ٨١

(٢) نظر السيوطي الأشباه والنظائر في النحو، ج ٢، ص ١٦٨ ، ٦٩.

(٣) السيوطي ، الأشباه والنظائر ج ٢، ص ٦٩

٢ . وختلف النحاة أيضاً في المسألة السابقة، حول جوار الفصل بين السبب ومعموله بالفعل ومحوها^(١) ، وذلك كأن يقال : " ما ريد يكرم - فكرمه - حاناً " مراداً به: ما ريد يكرم احاناً فكرمه ، فمذهب البصريين المنع ، ومذهب الكوفيين الجوار والحلاف قائم على أساس الحلاف في عامل النصب في الفعل بعد الفاء ، فالبصريون يذهبون إلى أن ما بعد الفاء معطوف على مصدر متوهم من يكرم فكما لا يجوز أن يفصل بين يكرم ومعموله، لأن يكرم في تقدير المصدر . والكوفيون يجيرون هذا التركيب المفترص، لا استناداً إلى خصوص لغوية نبيح النسخ على موالها ، وإنما لأنه لا عطف عندهم ولا مصدر متوهماً.

٣ اعتمد البصريون في منع تقديم خبر (ما زال) وما كان في معناها من أحواتها على قاعدة عندهم، يرون فيها أن حرف النفي لا يعمل ما بعده فيما قبله، في حين يجيز ذلك الكوفيون وابن كيسان^(٢) ولم يورد أي من الفريقين شواهد من اللغة لتأييد قاعدته معتمدين على أحكام العامل وحدها . وعلى عكس هذه الحالة، لا يجيز الكوفيون تقسيم خبر (ليس) عليها، يوافقهم في ذلك المبرد وابن الأنباري ، ويجيز تلك البصريون^(٣) .

ولعله يجدر بنا أن نلقي النظر على نقطة خلافية حول مدى علاقة المعيارية التراثية بالمعيارية التوليديّة التحويليّة

رأينا من خلال ما عرصناه في الفصل الثالث كيف أن اللغويين العرب القماء أرسوا دعائم أساسية من دعائم المذهب التي تسير عليها البحوث اللغوية الحديثة ، مما جعل بعض الناحيين يجرمون بتأثر تشومسكي مثلاً ، بالنحاة العرب ، تأثراً يُشعر بأن النحو التوليدي التحويلي إنما هو نسخة عن نظرية النحو العربي بقول محمد ريار الكبة " ما وصل إليه النحو العربي من التطور مد قرون عديدة تحاول النظرية النحوية الراجحة في العرب حالي أن تدركه، فالنحاة العرب أدخلوا الفكرة التوليديّة التحويليّة في صلب قواعد اللغة العربية . ولو أنهم لم يطلقوا عليها التسمية نفسها، وما قواعد الحذف والإضافة

(١) الميوطي ، لأشبّه والنظائر ، ج ٢ / ص ١٧٠

(٢) انظر ابن الأنباري لإتصاف في مسائل الحلاف المسألة رقم ٧ ، ج ١ ، ص ١٥٥

(٣) السابق ، المسألة رقم ١٨ ، ج ١ ، ص ١٦٠

والتقديم والتأخير ، ومفهوم (التقدير) في الإعراب إلا جزء من القواعد التحويلية الموجودة في صميم اللغة العربية وأغلب الظن - وهذا هو اعتقادي الشخصي - أن تشومسكي أحد مبادئ نحوه التحويلي عن العربية من خلال اللغة العبرية، التي قدم رسالته لبيل الماجستير فيها، ومن المعروف أن للنحو العربي أثر، بالغة في النحو العبري (١) .

ويرى بعض الباحثين (٢) أن هذا التوافق الكبير في الأنظار اللغوية، يرجع إلى انتقال العلم العربي إلى العرب اللاتين، وذلك أن (مفسر دي ساسي) كان عالماً بمفاهيم النحاة العرب اللغوية ، وأنه أستاذ (هون هومبولت)، الذي هو أول من ألمح بصراحة إلى طبيعة القدرة اللغوية الخلاقة، ثم استفاد تشومسكي من هذه الأنظار جميعاً .

و أرى أن معرفة تشومسكي باللغات السامية بوجه عام، وإطلاعه على النحو العربي شكلت بعداً من أبعاد ثقافته، وقد أشار إلى معرفته هذه صراحة في مقابلة أجريت معه بقوله . " قبل أن أبدأ بدراسة اللسانيات العامة، كنت أشتغل ببعض البحوث باللسانيات السامية ، وما رلت أذكر برستي للأجرومية (٣) مدسوت عدة حلت، أطن أكثر من ثلاثين سنة، وقد كنت أدر من هذا مع الأستاذ فرانز روزنتال Franz Rosenthal ، وكنت مهتماً بالبراث النحوي العربي والعبري، الذي نشأ في بعض ما كنت قد قرأته من تلك الفترة ، ولكنني لا أشعر أنني كهذا للحديث عن البحوث اللسانية التي كان العرب قد أسهموا بها لبدء علم اللسانيات الحديث (٤)

(١) جان بيور ، تشومسكي ترجمة محمد ربا الكية، منشورات النادي الأدبي بالرياض ، ١٩٧٠ ، ص ٦٥

وانظر . شيد العبيدي ، الألفية بين عبد القادر والمحشيين ص ١٣

(٢) انظر عبد الرحمن الخاح صليح ، منحنى إلى علم النفس الجبنة " مجلة اللسانيات الصادرة عن معهد العلوم اللسانية والصوتية التابع بجامعة الجزائر ، المجلد الأول (الجزء ١) ، والمجلد الثاني (جزء ١)

(٣) لأجرومية هو كتاب مختصر مشهور في النحو العربي مؤلفه ابن أجروم (القرن الثامن للهجري)، ونقل إلى اللاتينية في القرن للسابع عشر الميلادي

(٤) انظر المعايير التي جزءا مع من الوعر في امريك عام ١٩٨٠ وأقيمت في كتيبه. دراسات لسانيه تصنيفية ، منشورات دار طلاس ، دمشق ، ٩٨٩ ، ص (٢٩ ٣١١)

غير أن إمام تشومسكي وبعض العربيين بنحو بعض اللغات السامية، كالعبرية،
وتأليف بعض النحاة اليهود، الذين عاشوا في كنف الدولة الإسلامية وبخاصة في الأندلس،
ليس كافياً إلى خلق قناعة بأن النحو النوليسي، مؤسس على نظرية النحو العربي ولعل
أفضل ما يعال بهذا الشأن، أن تأثر هؤلاء بالنحو العربي كان بطريقة غير مباشرة، وربما
دخلها كثير من توارد الحواطر، وبخاصة عند البحث في قواعد لغات متشابهة، كاللغات
السامية، فكثيراً ما يقع العلماء على جوانب من التفسير المتقارب الذي يُمِيه تلك الوعي
الصممي على قواعد اللغة الأم عند الإنسانية جميعاً^(١)
ولعل ما مرّ به حول " المعيارية " مثالٌ جيد يوضح وعي التحوليين على مفهوم
المعيارية ، بيد أنهم يعبرون عنه بما يتفق وهدفهم في وضع نظرية لغوية شاملة

(١) انظر بهذا المعنى، نظرية النحو للعربي ص ٩٠

المبحث الرابع المنهج التاريخي

مرّ بنا في الفصل الأول، لأسس التي قام عليها المنهج التاريخي والتاريخي المقارن، وفي الفصل الثاني، برهانات هذا المنهج عند علماء العربية وقد أشارت هذه البرهانات إلى أن الانتباه إلى التشابه والصلات بين العربية واللغات السامية الأخرى، يُشكّل جانباً ولو هامشياً - من المعرفة اللغوية عندهم - إذ لم يبلغ شأن الدراسة المطلوبة في هذا المجال، كما هي حال المنهج التاريخي الحديث، الذي استصاع الباحثون من خلاله أن يكتشفوا اللثام عن أمور مهمة، وفي خطوات منظمة، وبأدوات مهيئة، من شأنها أن تحدم اللغة

بيد أن ومصحات اللغويين العرب التاريخية ذات قيمة، جعلتهم يصيبون أحيانا فيما يذهبون إليه، ويحفظون أحيانا أخرى، ويمكن أن نوارر بين دراهم التاريخية والمنهج التاريخي الحديث من خلال النقاط الآتية، مع التأكيد على أن الخطوات القليلة السابقة فصل الريادة المبكرة في شق الطريق أمام مستقبل الدراسات المنهجية اللاحقة في ضوء هذا المنهج

١ - تأصيل ليس

مرّت بنا آراء النحاة في (ليس) في الفصل الثاني^(١) والنظرة المقارنة تلقى صوءا يؤيد رأي التحليل في تركيبها من " لا أيس "، ذلك أن " أيت " تعني في السريانية فعل الوجود، وعندما تحل عليه اللام النافية يصبح (ليث) Let، فيلتقي مع معنى (ليس) العربية، ويمكن ربط هذا الفعل بفعل الوجود في العبرية وهو (יש) (يش)، ومم يرجح هذه الرؤية أن السين العربية تقبلها الشين السريانية، كما أن الناء السريانية تقابلها الناء العربية، وإذا علمنا أن الناء العربية تتبادل مع السين كما في نحو (الناس والنات) (والأكيس، والأكيات)، وذاك لقرب محرجهما، ولصفة الهمس فيهما، فإنه يسهل علينا

(١) انظر الفصل الثاني ص ١٤٤

وانظر الإنصاف في مسائل الخلاف لابن الأثير، المسألة رقم ١٨، والمسألة ١٩

أن تُرَاحَ أن (ليس من الأفعال المركبة Compound verbs من (لا يس) وهذا يلتقي مع الشواهد القليلة الباقية في العربية . نحو " انتهي به من حيث أيسر وليس ، أي من حيث هو ولا هو " (١) .

وكذلك فإن النظرة التاريخية المقترحة تسعف في إلقاء ضوء يريح رأياً لاس أبي الربيع ذهب فيه إلى أن الأصل في " لات " . " ليس " أبدلت سيدها ثاء كما في مست ، (٢) فعادت الياء إلى الألف ، لأن الأصل في ليس " لاس " ، لأنها فعل ، ولكنهم كرهوا أن يقولوا " ليت " ، فيصير لفظ التمني " ، في حين ذهب جمهور النحاة إلى أنها (لا) ، ردت التاء عليها لتأنيث الكلمة ، كما ردت مع رب (٣)

من الواضح أن ابن أبي الربيع يعيد (لات) إلى (ليس) ، وهي كما أوضحنا مكونة من " لا يس " بل لعل (لات) هي الصورة الأقدم لـ (ليس) قبل تحول التاء هيها إلى سين

وكذلك فإن ابن أبي الربيع يلفت النظر إلى سمة من السمات التي تتميز بها العربية في التوسعة على داتها وذلك بتميير (لات) عن ليس التي للتمييز غير أن رأي ابن أبي الربيع ظل رلياً فرياً ، لأنه لم يقدم أدلة تاريخية مقاربة تساعد في دعم رأيه هذا ، ومن ثم لم يسهم رأيه في تخفيف حدة الخلاف بين النحاة فيها .

٢- تأصيل الاسم الموصول

اختلف النحاة في أصل الاسم الموصول ، فذهب الكوفيون إلى أن الاسم هو " الدال " ساكنة فقط من " الذي " ، لسقوط الياء في التثنية وهي الشعر ، ولو كانت أصلاً لم تسقط ، واللام ردت ليتمكن النطق بالدال ساكنة .

(١) لنظر

١- اسماعيل عميرة ، خصائص للعربية ص ٥٥

٢- إبراهيم السامرائي ، فقه اللغة المقارن ص ٦٨

٣- مهدي المحرومي ، في النحو العربي ، قواعد وتطبيق ص ١٣٧

٤- برجستر أسرار ، التطور النحوي ص ١١١

(٢) اسماعيل عميرة ، (مست) أصلها مسس " ، فبببت السين ثاء وادخلت هيها الدال ولمزيد من التفصيل

انظر ، العدد (دراسة لغوية مقارنة) ص ٧٩ ، ٩٠

(٣) الميوطي ، الجمع ، ج ٢ / ١٢١

ورهب الفراء ، إلى أن أصل الذي ، "دا" للمشار بها. وذهب السهيلي، إلى أن أصل الذي ، "دو" بمعنى صاحب ، وقدّر تفسيرات حتى صارت الذي في غيبة التعسف و لاصحلال " (١) .

والمصهح التاريخي المفارر يلقي ضوءاً على هذه المسألة بما يرجح رأي الفراء، ذلك أن "أل" من معانيها الصلّة ، فهي تفيّد ما بعده الاسم الموصول أحياناً، وقد تركبت "أل" مع "دي" في العبرية في قولهم **הָאֵלֹהִים** ، ومعناها الذي ، هذا إذا علمنا أنه يمكن رد "أل" التعريف العربية إلى من العبرية ، فـ "هل" استعملت للتعريف في العبرية، وكذلك استعملت في اللحيانية، وفي النمودية، وهما عربيتان بائدتان، فقالوا: هعرس وهم يقصدون، (الفرس) و (هجل). وهم يقصنون الجمل (٢)، والتبادل بين الهاء والهمزة ظاهرة معروفة في العبرية، في نحو "هب" ، و "أيا" ، و "هرروف" ، و "أرروف" ، و "هدار" و "أدار" ، وقد ذكر ابن هشام : أنه ورد عن العرب "أفعلت" بمعنى "هل فعلت" وهو من إبدال الحويث ثقيلاً (٣)

٣ تأصيل مذ ومنذ

واختلف النحاة في "مذ ومنذ" ، فذهب الفراء إلى أن أصلها "مر دو" من الجارة ، "دو" بمعنى الذي (٤) .

وذهب آخرون إلى أن أصلها "من" إذ ، خُذت الهمزة ، فالتقى ساكنان، النون والدال ، فحُرِّكَت الدال، وجُعِلَت حركتها الصمة التي هي أَثَقُلُ للحركات لأنها صممت معنى شبنين "من" و "إلى" ، وذهب البصريون إلى أنها بسيطة غير مركبة (٥) .

ويرجح المصهح التاريخي أنها مركبة من "من" و "إدا" ، ذلك أن "إدا" في العربية تقابلها (أري) **אֲרִי** في العبرية ، فتكون الدال العربية قابلت الاري العبرية، والألف العربية قابلت الياء العبرية، وهي في الحبشية "يئري" ، وقد تطورت "إدا" فُحِثَتْ منها

(١) السيوطي ، الجمع جـ ٢٨٣ /

(٢) انظر بسماعين عساير ، خصائص العربية في الأفعال والأسماء ص ٦٩ ، ٧٠

(٣) ابن هشام ، معنى اللبيب ج ١ / ٥٤

(٤) انظر للسيوطي الجمع ج ٣ / ص ٢٢٦ ، ونظر المرادي الجني الداني ص ٤٦٤

(٥) ابن يعيش، شرح المفصل ج ٢ / ٢٢١

مع " من " كلمة واحدة في العبرية ، فتكونت كلمة **Meaz** **מֵעַז** وتعني " مد " ،
ويبدو أثر النحت أكثر وضوحاً في " مد " ، تلك أن النور صوت صغيف ، قابل لأن يتأثر
بما بعده ^(١) .

٤ تأصيل لفظ الجلالة (الله)

واختلف النحاة في أصل لفظ الجلالة " الله " ، فذهب يونس بن حبيب والكمائي
والفراء ، إلى أن أصل " الله " الإله ، ثم حدثت الهمزة نحيفاً ، فاجتمعت لاماً ، فأدغمت
الأولى في الثانية ، فقيل (الله) ^(٢) .

وقال الخليل بن أحمد ، أصل إله (ولاه) ، من الوله والتحيز ^(٣) ، وقد أبدلت الواو
همزة لانكسارها فقيل (إله) ، كما قيل في (وعاء ، إعاء) وهي (وشدح ، إشاح) ، ثم انحلت
الألف واللام وحدثت الهمزة فقيل (الله) .

ودكر ابن منظور رأي سيبويه يذهب فيه إلى أن " ولاه " ، أصل اسم الله تعالى .
ودهب المارني إلى أن قولنا " الله " ، إنما هو اسم هكذا موصوع لله عز وجل ،
وليس أصله (إله) ولا (ولاه) ، فقال " والدليل على ذلك أنني أرى لقول (الله) ، فصل مريّة
على إله ، وأني أعقل به ما لا أعقل بقول (إله) ^(٤) " .

ويعود لفظ الجلالة في اللغات السامية إلى الأصل (Cl) ، أي ألف مكسورة ولام ،
تدعي القوة والقدرة ، ومن معاني الإله في العربية ، القادر القوي ، ويُلفظ في السريانية
ellan ، وهو قريب جداً من لفظ الجلالة ، " الله " في العربية ، وهذا يجعل رأي سيبويه
أقرب الآراء إلى أصل الكلمة مقارنة باللغات السامية .

وقد كان الدعاء بصيغة " اللهم " ، منار نقاش بين النحاة ، فقد ذهب البصريون
إلى أن الميم عوض عن حرف الداء ، ولذا فهم لا يجوزون تحول حرف الداء على

(١) مصاحف عميرة ، نظره مقارنة على بعض لنوات المعاني في ضوء اللغات السامية من مشهور مجله

در اسلاف " الصادرة عن الجامعة الأردنية ، العدد الرابع ، ٩٩٣ م ، ص ١١٨

(٢) الرجائي ، اشتقاق أسماء الله تحقيق عبد الحميد العثلي ، ص ٢٢

(٣) ابن فارس ، معجم مقاييس اللغة تحقيق عبد السلام هارون ، مطبعة للناهي الحلبي ، مادة " وله " ، ج ٦ ص

٤٠

(٤) الرجائي ، مجالس العلماء تحقيق عبد السلام هارون ، مطبعة الكويت ، ١٩٦٢م ، ص ٦٩

"اللهم"، يقول سيوييه، "قال الحليل رحمه الله، اللهم نداء، والميم ها هنا بدل من "يب"، فهي ها هنا فيما رعم الحليل رحمه الله احر الكلمة بمصرلة يا في أولها" (١). ويقول الزجاجي "ومما لا يُستعمل فيه حرف النداء قولهم: اللهم اغفر لنا، ريدت الميم في احره، لأن الميم في آخره عوض من حرف النداء" (٢). أما الكوفيون، فإنهم يرون أن الأصل في "اللهم" هو "يا الله أما بحير"، ولم كثرت في كلامهم حذف بعض الكلام طلباً للحفة واستدلوا لرأيهم ببينين من الشعر لم يعرف قائلهما (٣).

ولا يحى أن حجة الكوفيين واهية في هذا الموطر، وقد كان ردّ البصريين عليهم لطيفاً، إذ لو كان الأصل في "اللهم يا الله أما بحير"، فكيف يفسر ورود أدعية لا تتفق وهذا المفهوم. من مثل "اللهم العنة" (٤)؟

ولعل كلمة "اللهم" بهذه الصيغة تشبه الصيغة العبرية الأولى لفظ الجلالة إلهيم (٥).

وسبق أن ذكرنا أن لفظ "إلهيم" العبري، جاء من أصل (el) التي تعني "الله" في اللغات السامية، والياء والميم في العبرية علامة الجمع، ويجمع لفظ الجلالة من باب التعظيم، وهذا يفسر لنا أن الميم في (اللهم) العبرية، جاءت من باب التعظيم، وليس من باب العوض كما أشار النحاة (٦).

ولعل وجهة النظر المقارنة هذه تكشف عن القيمة الدلالية للدعاء بهذه الصيغة، والداعي بها يكشف عن تقرب حالص لله سبحانه وتعالى، يجمع فيه كل أسماء الله في هذا اللفظ "اللهم" ثم إنه يعكس شدة ما يُحس به

(١) سيوييه، الكتاب ج ٢ / ١٩٦

(٢) الزجاجي، الجمل ص ١٦٤

(٣) ابن الأنباري، الإنصاف في مسائل الخلاف مسألة ٤٨

(٤) ابن الأنباري، الإنصاف في مسائل الخلاف مسألة ٤٧

(٥) إسماعيل عسيرة، صاهره للتأنيث ص ٤٣

(٦) السبقي ص ٤٣

وقد أشار البلاغيون إلى هذا المعنى إشارة دالة، قال أبو حيان في تفسيره للأية الكريمة: " قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتسرع الملك من تشاء، بيدك الخير، إنك على كل شيء قدير " (١) من قال . اللهم ، فقد دعا بجميع أسمائه كلها، و " اللهم " مجمع للدعاء ، ومعنى " اللهم " هو الله يريد فيه الميم فهو الاسم العلم المتضمن لجميع أوصاف الذات (٢)

٥ - تأصيل أداة النداء (هيا)

وردت إشارة تاريخية في باب النداء تشير إلى أنه ربما كان الأصل التاريخي لأداة النداء (هيا) هو (أيا)، ذكر سعيد بن الدهان (٥٦٩هـ) في كتابه (العروة في شرح اللمع) . " فإن بعن المصادي عن هذا قلت: أي ريد وقد يبدلون الهمزة (هاء)، كما قالوا: إياك وهياك " (٣) وما يرجح أن الإشارة تاريخية، أنهم أوصحو أن " يا " هي أم اللاب في النداء ، وذلك لأنها تستعمل للقريب والبعيد والندبة

والمصحح التاريخي المقارن يرى أنه ربما كانت (هيا) أقدم من أيا، وذلك لأن العربية تميل إلىبدال الهاء همزة، فيما اشترك من كلمات بينها وبين اللغات السامية فصيغة أفعل تقابلها في العبرية والأرامية هفعل **הפעל** وكذلك فإن العربية ما تزال تحوي على آثار من هذه الهاء في " أدر " و " هدر " (٤).

وقد أشار الحليل إلى أن قرب محرهم كان سببا في تبدلها ، في مجال النداء وغيره، يقول الحليل بعد ذكر تقارب الهمزة والهاء في المحرج : " ولذلك استخفت العرب انحال الهاء على الألف المقطوعة (يعنى الهمزة) ، يقال . أراق وهراق، وإيهاب وهيهات ، وأشبه ذلك كثير " (٥) ، ثم ذكر الرماني أن " هيا مجراها مجرى أيا " تقول

(١) سورة المائدة الآية ٤

(٢) أبو حيان ، البحر المحيط ج ٢ - ٤١٩ وانظر الرازي للتفسير الكبير ج ٦ / ص ٢٨٥

(٣) ابن جني، اللمع في العربية ، تحقيق حامد مؤمن ، عالم الكتب ، بيروت ، ١٩٨٥

(٤) اسماعيل عمارة ، الألفية الغنوية المهجورة ص ٢٠

(٥) الأزهري ، تهذيب اللغة ، تحقيق أحمد عبد العظيم إبراهيم ملادة (راق)

من ذلك هي ريد ، وهب عبد الله ، والهاء بدل من الهمزة ، كما أبدلوا في هرقف الماء^(١)

٦ تحديد معيار للحكم على الدخيل

يلتقي المنهج التاريخي للمقارن مع علماء العربية القدماء في تحديد معيار للحكم على اللغز كن دحيلاً أو لا ، فقد اتحد علماء العرب القدماء معيار " القوانين الصوتية " لهذا العرص ، وعلى هذا أشاروا إلى وجود مقيلات مطردة بين العربية والأرامية ، ذكر الجواليقي^(٢) (٥٤٠هـ) تطبيقاً لهذه الفكرة بأن ذهب إلى أن كلمة " ناطور " عربية وأن المقيال العربي لها هو (الناطور) ، ونعي (حافظ السخل والشجر) وذكر ابن دريد في الناطور : " الناطور ليس بعربي ، إنما هي كلمة من كلام هل السواد ، لأن البيط يقلبون الطاء طاء .. وإنما الناطور ، الناطور بالعربية ، فقلبوا الطاء طاء ، والناطور الأمين ، وأصله من النظر " (٣) .
والواقع أن الطاء العربية يقابلها طاء في الأرامية ، وهذا قانون من القوانين الصوتية المطردة^(٤) .

٧ تلصيل علامة الجمع

ذكر النحاة أن الواو والنون علامة جمع المذكر السالم ، غير أنهم وجدوا ألفاظاً انتهت بالواو والنون ، غير أنها تنفقر إلى شروطه ، ولذا سموها ملحقة بجمع المذكر السالم ، وذلك نحو (ألفاظ العقود ، مثل عشرون وأحوتها ، وأرصون ، وأهلون ، وبسبون ، وسبون ، وعصون) كما في قوله تعالى : " الذين جعلوا القرآن عصي^(٥) " ، أي هرقوه أعصاة ، ومثله (عريين) .

(١) الروماني ، معاني الحروف ، تحقيق عبد الفتاح شلبي ، القاهرة ، دار النهضة ، ص ١٧

(٢) منظر الجواليقي المعرب تحقيق أحمد محمد شاكر ، ط الثانية ، ص ٦٨ ، وص ٣٣٤

(٣) ابن دريد ، جمهرة النعمه حيدر ابلا ، ١٣٥٠ ، ج ٢ ص ٣٧٥

(٤) يرجع اسر ، للتطور النحوي نعمة العربية اخرجوه وعلق عليه رمضن عبد التواب ، القاهرة ، ١٩٨٢ ، ص ١٤٠

وانظر محمود فهمي حجازي ، أسس علم النعمة العربية القاهرة ، ١٩٧٩ ، ص ٢١٥

(٥) سورة الحجر ، الآية ٩١

والمندرج التاريخي المقارن يسهم بمعالجة أكثر إقناعاً للجموع بوجه عام، وذلك لأن الواو والنون علامة للجمع بوجه عام، قبل أن تصبح علامة لجمع المذكر، فالجمع في العبرية مثلاً يكون بإضافة الواو والنون دون تخصيص^(١)، ولكن العربية مالت بمرور الزمن إلى جعل الواو والنون علامة للمذكر، وكثرت الأضياء والنطائر فعدها النحاة علامة له، ومن ثم فإن المنظور التاريخي المقارن، يمكن أن يبين التطور في هذه الظاهرة، وبذلك يصح هذه الشواهد التي سُميت (بملحقات جمع المذكر المتألم) في موقعها التطوري المناسب

٨ تأصيل تاء التأنيث

اشترط النحاة أن يكون ما قبل تاء التأنيث مفتوحاً، قال ابن يعيش: "تاء التأنيث لا تكون في الأسماء المفردة إلا وقبلها مفتوح، نحو: حمرة وطلحة"^(٢). وعلى هذا ذهبوا إلى أن التاء في مثل 'بنت وأخت' ليست للتأنيث، وذلك لسكون ما قبلها، ويلاحظ ابن جني اضطراب سيبويه في هذا بقوله: "يقول صاحب الكتاب (سيبويه)، في غير موضع من كتابه: إن التاء في بنت وأخت للتأنيث، وقال أيضاً في باب ما ينصرف وما لا ينصرف إنها ليست للتأنيث، واعتل لهذا القول بأن ما قبلها ساكن، وتاء التأنيث في الواحد لا يكون ما قبلها ساكناً"، ثم نقل رأي أسقاده أبي علي الفارسي في المسألة بقوله: "قال أبو علي رحمه الله ليس بنت من ابن، كصغية من صغب، إنما تأنيث ابن على لفظة ابنة، والأمر على ما ذكر، فإن قلت: فهل في بنت وأخت علم تأنيث لم لا؟ قيل: بل هيها علم تأنيث. ابن قيل: وما ذلك العلم؟ قيل الصيغة فيها علامة تأنيثها، وذلك أن أصل هذين الاسمين: بنو وأخو"^(٣) وفتى ابن جني بعد ذلك ببيان رأيه في أن تاء "أخت وبنت" ليست للتأنيث، وإنما هي بدل من الواو.

(١) انظر بروكلمس، فقه اللغات السامية ترجمة رمسيس عبد الفتاح، ص ٩٦

واسطر إبراهيم السامرائي التطور اللغوي التاريخي بيروت، ط ٢، ١٩٨١م، ص ٧٨

(٢) ابن يعيش، شرح المفصل ج ١ ص ٥٥

(٣) ابن جني، الخصائص ج ١ ص ٦٠٩

وعلم اللغة التاريخي المقارن يُلقي الضوء على هذه المسألة ، ويبين ذلك أن
 الفتحه على الحرف الذي يسبق تاء التانيث ، والتي عدّه السحاة اصلاً ، هي حركة طارئة
 جيء بها للتخلص من نوالي السواكن ، وهذا ما حصل في الأكادية ، هذا بصافه إلى أن
 الأكادية تستعمل طريقة أخرى للتخلص من النقاء السواكن المتمثلة بعد التانيث وذلك
 بحريك أحد الساكنين اللذين في المدكر ، وذلك كأن يصبح تانيث كلمة (عدواني -
 nark) (nakar-t-um) بمعنى عدوانية بدلا من nark-at-um .

وقد يكون التخلص من النقاء السواكن بدلا من الفتحه، وذلك نحو ما حصل في
 لأكانية، في نحو تصغير كلمة (صغير Sehr) بـ صحرتم Sehertum^(١)
 وقد أشار سيبويه إلى أنه سمع عن العرب مثل هذه الظاهرة ، وذلك بقوله:
 " سمعت العرب يقولون صربت صرية وأحدث أحده وشبه الهاء بالالف، فأمال ما قبلها،
 كم يميل ما قبل الف " ^(٢) ومثل هذا ما يحصل في اللهجات الدراجة اليوم . حيث يُمال
 ما قبل تاء التانيث في " فاطمة ، وكريمة " .

وتتخلص العبرية من نوالي السواكن في حالة التانيث بالسيجول (حركة مُمالة
 نحو الكسر) ، وذلك كقولهم : emet بمعنى حقيفة، أما السبب في السكون الذي في بنت
 فهو أن بنت مؤنث " ابن " ، ومن الواضح أن الف في أولها جيء بها بسبب سكون الياء
 في أول الكلمة، وعلى هذا يكون تانيث (بن) بزيادة التاء فنصبح الكلمة (بنت) ولما كان لا
 بد من حريك الياء نحاشيا للداء يساكن لم يلزم فتح ما قبل تاء التانيث لجوار النقاء
 ساكنين في آخر الكلمة ، وقد أثبت (ابن) على (ابنة)، لكن من المرجح أن صيغة (ابنة)
 أحدثت استعمالاً من (بنت)، لأن (بنت) هي الصيغة المبينة على الأصل، وهي الصيغة
 الواردة في اللغات السامية، وهكذا يحسم المبهج المقارن هذا الاضطراب وذلك لتشدد
 السحاة في القياس ، وعدم التفاتهم إلى الطاهرة اللعوية من منظور تاريخي .

(١) إسماعيل عمارة، ظاهرة التانيث بين اللغة العربية واللغات السامية - عرس ، ١٩٩٣ ، ص ٤٩

(٢) سيبويه الكتاب ج ٤ ، ص ١٤٠

٩ الإعراب والبناء

وقد مرَّ النحاة الجانب التطوري، عندما رأوا أن البدء أسبق من الإعراب، ومما يشير إلى ذلك أن النحاة أدركوا أن الحركة الإعرابية أحياناً قد تتغير دون أن تؤثر في الدلالة، من ذلك قول ابن يعيش في قولهم "من علو" يروى بالصم والفتح والكسر، وهذه اللغات وإن اختلفت ألفاظها فالمُرَاد بها معنى واحد^(١) قال أعضى باهله.

بني أنتني لسان لا أسرُّ بها من علو لا عجب منها ولا سحر

وقال الزجاجي "إن الكلام سابق الإعراب في المرتبة، وقد تلفطت العرب به زماناً غير مُعرب، ثم رأت اشتباه المعاني فأعربتْ أو نطقت به مُعرب في أول تبلبل ألسنها به"^(٢).

فالإعراب عند القدماء تطور عن البناء من ناحية تاريخية أما علماء الساميات المقارن، فيذهبون إلى أن اللغات السامية معربة في الأصل، ثم مالت إلى البناء التدريجي في مراحل لاحقة^(٣).

وهناك مريد من الأمثلة التي كان للمنهج التاريخي المقارن أثرٌ في إلقاء الضوء عليها، وفي كل هذا إشارة واضحة إلى أنه لو ملك النحاة العرب أدوات المنهج التاريخي، لاهتدوا إلى كثير من المسائل المهمة، ولأوصلتهم هذه الدراسات إلى آفاق رحبة من شأنها أن تحفِّض حدة الخلاف بينهم

١٠ - مزايا المنهج التاريخي

نبين لنا كيف أن معرفة علماء العربية الجرنية بالمنهج التاريخي، لم تسهم في انتفاعهم به في دراسة الظواهر اللغوية بشكل مطرد شامل، ورأينا أمثلة من إصابات المنهج التاريخي على اللغة، سواء منها ما كان يرصد هذه الظواهر من مباحثها وتوجهاتها، وما تناول إليه، مع تحديد ذلك كله زماناً ومكاناً أو ما كان يسعى نحو تفسيره تفسيراً ينطلق أصلاً من الواقع النصي بوصفه الوثيقة التاريخية في يد الباحث التاريخي،

(١) ابن يعيش، شرح المفصل ج ٤ ص ٩٠

(٢) السيوطي، اللهم ج ٤ ص ٤٤

(٣) بهاء الموصى، في تاريخ العربية، ص ١١٣ وانظر اسماعيل عميرة، المستشرقون والمنهج اللغوي

مما يقلل من أهمية التعليقات المنطقية أو الفلسفية التي ينكب عليها أصحاب المصباح المعيارى ، كما يقلل كذلك من أهمية بعض التعليقات التي تترتب على التفسير الشكلي القائم على مبدأ البحث عن (العامل النحوي)

وقد كان للمصباح التاريخي المعارر فصل في إثبات المربا التالية للعربية :

١ أثبتت الدراسات المقارنة أن العربية اشتملت على معظم الحروف التي اشتملت عليها أحواش الساميات، ورائت أصواتاً أو حروف لا وجود لها في كثير منها، كالظاء والعين والصاد (١) .

والأبجدية العبرية والأرامية لا تتجاوز - عملياً - اثنين وعشرين حرفاً، ومما يذكر أن التاء والحاء والذال، وهي من أحرف طاهرة " بجد كفت " المعروفة في هاتين اللغتين ليست سوى تلوين صوتي لكل من التاء والكاف والذال على التوالي - ولا يترتب على تلوينها اختلاف في المعنى ، تماماً كما يتلون نطق الراء في العربية بين الترفيق والتفخيم دون أن يترتب على ذلك فرق في المعنى (٢) .

وهضلاً على ذلك تتميز العربية عن أحواش الساميات بثروة لفظية معجمية هائلة مما حدا بمؤلفه أن يقرر أن " مقارنة قواعد اللغات السامية يجب أن يبدأ حتماً من العربية" (٣)

٢ أثبتت الدراسات التاريخية المقارنة أن العربية أوسع الساميات وأدقها في قواعد الصرف والنحو ، من ذلك أن أوران الأفعال في العربية موطعة نوطياً دقيقاً لكل ورر معانيه ، فورر فاعل : وهو الورر الذي لم تشارك فيه العربية سوى الحبشية في المشاركة والتكثير ، وورر أفعل - يفيد التعنية والصيرورة

(١) بونكه - اللغات السامية ترجمة رمضان عبد التواب ، ص ١٥

والنصر إسماعيل عميرة - طاهرة (بجد كفت) بين العربية واللغات السامية - مجله مجمع اللغة العربية
لألسي ، العدد (٤٣) ، ١٩٩٢ ، ص ٢٩

(٢) انظر إسماعيل عميرة - طاهرة (بجد كفت) بين العربية واللغات السامية ، ص ١٦

(٣) بونكه ، اللغات السامية ، ص ١٥

والعربية نمناز باشتمالها على «ور ان للمطاوعة»، وذلك نحو - (انفعل ، وافتعر،
ومفعّل، وتفاعل، واستفعل)، في حين لا يوجد في السريانية غير ثلاثة من هذه الأفعال
هي

(فعل ، فَعَّل ، فَعِّل)

وهي العبرية ورس هما (افنعل ، وانفعل)، وتنفرد العربية بصيغ خاصة للفعل
المبني للمجهول وذلك نحو ^(١)

(فعل، وفَعَّل، واستفعل، وفَعِّل)، بينما اعتمدت اللغات السامية الأخرى، على
صيغ المطاوعة في التعبير عن معنى المبني للمجهول ^(٢).

٣- أسهم المنهج المقارن في تاصيل بعض الطواهر اللغوية، وذلك كظاهرة الإعراب في
اللغات السامية، مما ألقى الضوء عليها في العربية ^(٣). وأكد أنها ظاهرة أصيلة وليست
طائرة

٤- اسهم المنهج التاريخي المقارن في ردّ بعض التُّهم التي وُجِّهت للعربية ، وذلك نحو
قصورها في مجال التعبير عن الزمن يقور المستشرق سبتيو موسكاتي ^(٤). ولغات
السامية ومنها العربية - نظام في تصريف الفعل يختلف اختلافاً تاماً عما في اللغات
الهندية الأوروبية ، فليس فيها إطلاقاً صيغ رمنية بالمعنى الصحيح ، أي صيغ خاصة تدل
على حدوث الفعل في الحاضر أو الماضي ، أو المستقبل ، فهي لا تميز إلا بين الحالة
والحدث أي بين نشاط (مستمر أو اعتيادي)، وحدث ثم ... ^(٥)

ويمكن تلخيص الدوافع التي دفعت ' موسكاتي ' وأمثاله إلى مثل هذا الرأي بالاتي :

(١) انظر سبيويه الكتاب ج. ٤ ٢٨٠ ، ٢٨٥ ، ٣٧٢ ، ٣٧٥

وكذلك ابن هشام ، أوضح المسالك ج ٢ ١٥٥

(٢) انظر بروكلمان لغة اللغات السامية بروكلمان ، ص ٥٧

وانظر إسماعيل عمارة حصائص العربية ص ٣٢

(٣) انظر القصر الاور ، ص ١٩

(٤) موسكاتي الحصرات السامية القديمة ترجمه للعبد يعقوب بكر دار الكتاب العربي، القاهرة ، ص ٤٦

١ - قياسهم الرمز في العربية على الرمز في اللغات الهندية الأوروبية ، وهذا يدل على عدم إدراكهم لسمية مهمة في الفعل العربي ، تلك هي دلالة على الهيئة ، بصافة إلى دلالة على الرمز ، فمثلا الفعل العربي (يكسر) ومشتقاته :

يكسر ، يكسر ، يتكسر ، ينكسر ، ينكسر ، كل منها يدل على الحاضر من حيث الرمز ، بيد أن كلا منها يدل على هيئة خاصة ، فالألف في يكسر تعيد المشاركة ، والتشديد في يكسر يعيد المبالغة والتركيز Intensiv أو الشدة والتكرار Iterativ أو السببية Kausativ ويعيد اللون في ينكسر المطاوعة Reflexiv ، في حين أن لأفعال في اللغات الهندية الأوروبية ، لا تنقسم ببيان الهيئة ، وإن كانت تحفل بصيغ متعددة لإبراز الرمز (١) .

وقد أدرك هنري فليش عدم صلاحية هذه الموارد بين العربية ، واللغات الهندية الأوروبية ، فقال : " لا نجد في أنفسنا ميلاً إلى أن نركب النظام العربي للفعل على النظام العربي ، فيؤدي به ذلك إلى ألا نفهم منه شيئاً " (٢) .

٢ - النمط الذي جرى عليه تقسيم نحاة العربية القدماء في تقسيم الفعل ، فقد ربطوا الفعل بالصيغ الرسمية الثلاث شكلاً ومعنى ، كما ربطوه بالحدث قال سيبويه : " . وأما الفعل فأمثلة أحدث من لفظ أحدث الأسماء وبُنيَت لما مضى ، ولما يكون ولم يقع ، وما هو كائن لم يقطع ، فأما بدء ما مضى ، فذهب ، وسمع .. وأما بقاء ما لم يقع فإنه قولك أمر اذهب ، واقتل ، واصرب ، ومحبراً يقتل ويذهب . وكذلك بدء ما لم يقطع وهو كائن إذ أُحبرت " (٣) .

فتقسيم سيبويه شامل للصيغ الشكلية (الماضي ، والمضارع والأمر) ، والمعنوية أي الرمز الماضي ، والمستقبل (الذي يشمل المضارع والأمر صيغة) والدائم (الذي يقصد به اسم الفاعل ويعني الحال المستمر في المستقبل) . وأكد ذلك المبرد بقوله : " . إن كل فعل تعدي أو لم يتعد ، فإنه متعدٍ إلى ثلاثة أشياء ، إلى المصدر . . . وإلى المصدر الرمز ، فكل فعل يتعدى إلى زمان . والمكان لا يحلو فعل منه " (٤)

(١) انظر إسماعيل عميرة حصائص العربية ص ٣٨

(٢) هنري فليش ، العربية العصرية ، ترجمة عبد الصبور ، ص ١٣٧

(٣) سيبويه ، الكتاب ١٢١

(٤) المبرد المقتضب ج ٤ ٣٣٥ ٣٣٦

٣- صدور بعض علماء العرب وبخاصة أصحاب المذهب العقلي مثل (همبولت)، عن موقف حصاري، ينجور البعد اللغوي، فهم يرون أن "اللغة التي تحتوي على أرمية محددة وأصحة للأفعال مثلاً، تدفع المتحدثين بها إلى إدراك قيمة الوقت، وتعودهم النفاة في المواعيد والمحافظة عليها، أما اللغة التي لا توجد فيها أرمية وأصحة للفعل، بل تكفي بصيغة رمنية واحدة، فإنها تؤثر في المتحدثين بها، وتفقداهم الاهتمام بقيمة الوقت مما يجعلهم يهملون المحافظة على المواعيد، ولا يهتمون بإنجاز أعمالهم، حسب جدول رمني وأصح" (١)

وقد رد "ماريو باي" على أصحاب المذهب العقلي مشيراً إلى أن الصلة بين اللغة والأجسام، فقدت صحتها، نظراً لاحتلاط الشعوب، مما أصاح المعالم المحددة لكل جسم منها (٢)

وقد أدرك بعض المستشرقين فساد المعايير السابقة، وقدوا هذه الدعوى بقصور العربية، وذلك بمقارنة الرمز في العربية مع اللغات السامية، مما ألقى الضوء على الرمز في العربية وأبرر تفوقها، يقول براجستراسر داعياً العربية بأنها "أغنى مهما (أي من اللغات الأوروبية)، من حيث الوفاء بحاجات التعبير عن الرمز (٣) والمتأمل للرمز في العربية يجد أن وسائله متعددة فهي

١- عن طريق الصياغة الفعلية وبذلك نحو الصبح :

فعل، يفعل (المرفوع)، يفعل (المجروم)، يفعل (المنصوب)، أفعَل،

وقد يُصاف إلى ذلك بعض المشتقات التي يمكن أن تنوب عن الفعل، كاسم الفاعل، واسم المفعول.

٢ عن طريق الأدوات، وذلك نحو

قد فعل، قد يفعل، سيفعل (سوف يفعل)

(١) ماريو باي، لغات البشر، ص ٥٤

(٢) السبق، ص ٥٥

(٣) براجستراسر، المصور النحوي، ص ٨٩، ٩٠

٣ عن طريق لأفعال وذلك نحو

كان يفعل ، أحد يفعل ، شرع يفعل ، صفى يفعل .

٤ - عن طريق لأقسام السابقة كلها .

كان قد فعل ، سيكون قد فعل ، ما يزال يفعل .

والعربية في هذه الصياغات للمطرودة تلتقي مع اللغات السامية إلا أنها تتفوق عليها في أنها وطفت هذه الصيغ بدلالات رمزية متميزة ، فالسريانية والعبرية فيهما الفعل (كان) بوصفه فعلاً مساعداً ، إلا أن استعماله لا يعطي دلالة رمزية جديدة ، وقد علق براجستر اسر على هذه الظاهرة بقوله : " وهذا يظهر طبيعة السريانية ، بخلاف العربية ، فهي (أي السريانية) ، وإن حارت كثيراً من وسائل التنويع والتخصيص ، فلا نستفيد منها ، بل نهمل الفروق ونبقى مبهمه المعاني مُسبهة لألفاظ " (١)

وقد تتفوق العربية في هذا الجانب على اللغة الألمانية مثلاً ، فالألماني إذا أراد ترجمة الجملة العربية " كان فلان يفعل الخير " فإنه يترجمها بمعنى : فعل فلان الخير . دور إبراز للمقصود في الجملة الأولى ، من تكرار لفعل الخير بما يشبه العادة ، وذلك لعدم وجود صيغة قياسية في الألمانية تحتم هذه العرص (٢)

٥ عن طريق استخدام القرائن اللفظية السياقية ، وذلك نحو اقتراح الجمل بالظروف الرمزية مثل : إذ ، لما ، الآن . أو افتر أنها بالرمز المستفاد من الأسماء ، التي تنقل إلى معنى الظروف وتستعمل استعمالها ، ومن هذه الأسماء

أ. المصادر التي تبين الأوقات نحو . أتيتك قدوم الحاج .

ب. أسماء الزمان نحو . أتيتك مقم الحاج .

ج. بعض الأسماء المبهمة الدالة على أوقات ، أو ما أصيب إليها كأسماء المقادير ، نحو . كم ساعة بقيت هناك ، وأسماء الأعداد نحو : مكثت خمسة عشر يوماً ، وأسماء الأرمسة المعينة ، وذلك نحو " أمس وسبحر ، ومساء ، وصحوه . إلخ) (٣)

(١) براجستر اسر ، للتطور النحوي ص ٩٠

(٢) انظر بمعاين عمايره خصائص العربية ص ٤٤

(٣) انظر عباس محمود العقاد لندوة الشاعرة القاهرة ر ب ، ص ٨٣ ، ٨٤

والصدر علي جابر المنصوري الدلالة الرمزية في الجملة العربية بغداد ، ٩٨٤ ، ص ٥٠

٦ عن طريق القرائن المعنوية والتاريخية، وذلك كقوله تعالى: "وُفِّعَ فِي الصُّورِ" فإن المعنى يدل على ما يُستقبل من الرمان، لأنه مرتبط بهيأاً بيوم القيامة، وبحو قول: خالد بن الوليد يدرك حطط الأعداء، فإن ذلك يعني أنه كان قد أدرك حطط الأعداء هي الماصي، فإدى إلى انتصار المسلمين

وقد أحد بعض الباحثين على النحاة القدماء عدم اهتمامهم بالرمز النحوي الذي يسمح مع ما توديه الألفاظ المترابطة في سياق معين، يقول نعمم حسّان " .. نظر النحاة العرب في معنى الرمز في اللغة العربية، وكان من السهل عليهم أن يحددوا الرمز الصر في أول وهلة، فقسموا الأفعال بحسبه إلى ماص ومصدر وأمر، ثم جعلوا هذه الدلالات الرمزية الصرعية نظاماً رمزياً، وفرضوا تطبيقها على صيغ للأفعال من السياق، كما يبدو من تسمية الماصي ماصياً حتى حين يكون معناه في السياق الاستقبال (١) .

والمواقع أن النحاة للقدماء تنبهوا إلى هذه الجوانب السياقية في الدلالة على الرمان، وإن لم يتعرضوا إليها تعرضاً منهجياً بارزاً كالصريح الصرعية، فابن هشام مثلاً نبيه إلى وظيفة الفعل في الاستعمال فقال: "إنهم يعبرون بالفعل عن أمور: أحدها، وقوعه وهو الأصل، والثاني مشاركته للوقوع - نحو قوله تعالى: "وإذا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَهَلَّعْنَ أَجْلَهُنَّ، فامسكوهن" (٢)

أي فشرهن انقضاء العدة والثالث: برادته - وأكثر ما يكون ذلك بعد أداة الشرط، الرابع، القدرة عليه نحو (وعدا علياً إن كنا فاعلين) ... (٣)

وأشار عدد الفاهم الجرجاني إلى أهمية اللواحق في تحديد رمز الفعل، وتعبير المعنى بدء على ذلك بقوله: " .. ثم يفرّد كل واحد منها بخصوصيته في ذلك المعنى، فيصع كلاً من ذلك في حاص معناه، نحو أن يحيى بـ (ما) في نفي الحال، وبـ (لا)، إذا أراد نفي الاستقبال وبـ (إن) في ترجيح بين أن يكون، وأن لا يكون. " (٤)

(١) نعمم حسّان، اللغة العربية معناه ومبناه ص ٣٤٢

(٢) سورة البقرة الآية ٢٣١

(٣) ابن هشام، معني اللبيب ج ٢/ ٦٨٨ - ٦٩٠

(٤) الجرجاني، دلائل الإعجاز ص ٦٤

وسنعرض في الفصل القادم بإس الله لمريد من الإصاءات التي أسهم المنهج التاريخي المقارن من خلالها بإعطاء رؤية جديدة مقنعة، وذلك من خلال عرضنا لبعض الظواهر اللغوية لا سيما تلك التي شهدت خلافاً بين النحاة

الفصل الرابع

**تعدّد تقويم الظاهرة اللغويّة بتعدّد
النظرة المنهجية إليها**

وقف في الفصول السابقة على ملامح من أظهر المباح في دراسة اللعبة في القديم والحديث ، ورأينا أن كلا من أصحابها يجتهد في دراسة الظاهرة اللعوية والمصهج الوصفي تعامل مع الظاهرة اللعوية بوصفها امتجاعاً لإثارة خارجية محيطية ، ومن ثم ركز هذا المصهج على السلوك الخارجي للإنسان ، واعتبرة عيّنات لعوية أصيلة يمكن استخدامها في البحث والاستقصاء ، هي حين أحد عليه عدم إحاطة بالسلوك الداخلي ، والعلوية النفسية والفكرية في الدماغ البشري . ومن مظهرية هذا المصهج أنه لا يعتني إلا بواقع اللعبة ولا يولي تاريخها كبير عناية .

والمصهج المعياري يسعى إلى تثبيت المعايير اللعوية ، ما أمكن لتوجيه ألوان التطور اللعوي ، ونيسر للأجيال أن تلجأ إلى هذه المعايير ، في التعرف على وضع لعوي ما ، إن كانوا لا يستمعون إلى تلك العصر أو تلك البيئة اللذين استنبطت منهما قواعد اللعبة المعيارية . ولا يحصى ما لهذا المصهج من قدرة على خدمة اللعبة العربية إنطلاقاً من خصوصيتها ، بوصفها لعبة محتصة بالقرآن الكريم بمنزل إعجازه في بيانه ، وقد أنزله الله لهداية الناس كافة على مرّ العصور .

والمصهج التحويلي يطر إلى الظاهرة اللعوية ، على أنها ذات أبعاد ذهنية فكرية نفسية ، ومن ثم ركز على السلوك الداخلي للإنسان ، بينما أحد عليه عدم إحاطته بأثر السلوك الخارجي له

والمصهج التاريخي يسعى إلى إضاءة جوانب الظاهرة اللعوية من خلال ما يكتشف الباحثون من نقوش واثار ، وما يجد عليه من تحليلات نتيجة لتأملهم لمراحل اللعبة المختلفة ، فتعدّد المصهج يدلّ فيما رأى على أهمية الظاهرة اللعوية ، وليس على تناقص هذه المصهج ، بل يجعل اللعبة تظهر كمكعب لا يكفي لوصفه أن يُسلط عليه الضوء من نور مصباح واحد بصيء سطحاً واحداً من مساحاته ، وتحفى عندئذ أسطحه الأخرى ، بل تسلط عليه المباح المتعددة كي يبدو المكعب أكثر وضوحاً وإشراقاً من جوانبه المتعددة

ومن خلال هذا العزم للطاهرة اللعوية ، والمناهج المتعددة سوف أحاول تفسير بعض الطواهر اللعوية النحوية ولا سيما تلك التي كانت مدار خلاف وحدل بين بعض أصحاب هذه المذهب ، حتى يرى كيف تتعاون هذه المناهج في الكشف عن أسطح الحقيقة اللعوية وأعماقها ، ولن تكون من همّة هذا الفصل أن يستقصي كل الأبواب النحوية، فحسبه أن يقف منها على جملة من الأمثلة الدالة من خلال بعض الأساليب التركيبية الآتية:

أسنوب التنازع

تقوم فكرة باب التنازع عند النحاة ، على أن يتقدم عاملان ويتأخر عنهما معمول، ويكون كل من العاملين طالباً للمعمول نحو . (دخل وجلس محمد) ، فلما تقدم في هذه الجملة عاملان ، هما : (دخل وجلس) وتأخر عنهما معمول ، وهو محمد ، وكان كل من (دخل) و (جلس) طالباً له ، فإنه لا يجوز عندهم أن يكون (محمد) معمولاً للعاملين جميعاً ، إذ لا بد أن يكون لأحدهما فقط ، وفي هذا احتلاف الحاة لاختلاف بيننا ، فالكوفيون يرون أن إعمال الفعل الأول أولى وذلك لتقدمه ، وذهب البصريون إلى أن إعمال الثاني أولى وذلك لجوارحه^(١)

وقد انقرب القراء برأي ذهب فيه إلى أن ((الفعل الثاني إن طلب أبص الفاعلية، نحو: صرب وأكرم زيد عمراً ، جاز أن نعمل العاملين في المتنازع ، فيكون الاسم الواحد فاعلاً للعاملين))^(٢)

والى مثل هذا ذهب الرمخشري في تفسيره لقوله تعالى : " ولكن تصديق الذي بين يديّ وتفصيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين "^(٣) فرأى أن (من رب العالمين) متعلق بـ(تصديق) و (تفصيل) معا^(٤).

(١) انظر ابن أنباري ، الإتصاف في مسائل الخلاف ، المسألة رقم ١٣ ج ١ ، ص ٨٣ ٩٦ وانظر ابن

هشام معنى اللبيب ، ج ١/٢٧٧ ، ص ج ٥٤٢/٧

(٢) الرصمى لأسر ايادي ، شرح الخافيه ، ج ١ ، ص ٧٩ وانظر الميوطي للجمع ، ج ٥ ، ص ١٣٧

(٣) سورة يونس الآية ٣٧

(٤) سطر الرمخشري تفسير الخلف ، ج ٢ ص ٣٤٧

ويمكن تصنيف مسائل التتارع على النحو الآتي .

أ. أن تكون حاجة العاملين واحدة ، وذلك كأن يحتاج كل من العاملين إلى فاعل واحد ، أو مفعول واحد ، كقوله تعالى . "أنوبي أفرع عليه قطر" (١) وقوله تعالى " هاؤم لقرأوا كتابيه" (٢) وقوله صلى الله عليه وسلم : " تسبحون وتكبرون وتحمدون ثبر كل صلاه ثلاثاً وثلاثين "

ب. أن تختلف حاجة كل من العاملين ، فالأول يحتاج فاعلاً ، والثاني يحتاج مفعولاً ، وفي هذا النوع اشتد خلاف النحاة ، وقد استندوا لإثبات رانهم إلى مجموعه محدودة من الشواهد الشعرية ، عرض سيويه لبعض منها (٣) ، وراا النحاة المتأخرون عليها شواهد بادية التكلف وذلك نحو قول ابن مالك (٤)

بحو أظرو ويطناني أحا ريداً وعمراً أحوين في الرحا

وقول الأشموني في التمثيل للمتعدّي إلى ثلاثة، إلى إعمال الأول "أعلمني وأعلمته إياه إياه ريداً عمراً قائماً " و " أعلمني وأعلمت ريداً عمراً قائماً إياه إياه " و " أعلمت وأعلمني ريداً عمراً قائماً إياه إياه " (٥)

وقد عرض بعض الباحثين الوصفيين ، لطاهرة التتارع موصّحين أن تفسير النحاة لهذه الباب لا يستند إلى واقع اللغة ، وإنما يقوم على أساس عقلي فلسفي محصر، إذ عالج النحاة موضوع إساد الفعل إلى فاعله ، في صوء اعتبارات فلسفية، وعالجوا مسأله الفعل كما لو كان عاملاً حقيقة ، فليس للفعل عندهم إلا فاعل واحد ، وليس للفاعل أكثر من فعل واحد ، ولا يجوز أن يتقدم الفاعل على الفعل ، لأن الفاعل معمول للفعل ، ورتبة المعمول بعد العامل

(١) سورة الكهف الآية ٩٦

(٢) سورة الحاقة الآية ١٩

(٣) سيويه ، الكتاب ، ج ١ ، ص ٧٣ ، ٧٤ ، ٧٥

(٤) ابن الناصم ، شرح ألفية ابن مالك ص ١٠٤

(٥) الأشموني ، ج ٢ ، ص ١٠٧

وعلى هذا فهم يرون ما رآه الفراء من قبل ، فلا مانع يمنع من أن يكون المعمول الواحد لعاملين مختلفين^(١) ، أما فيما يتعلق بالشكل الثاني لظاهرة التنازع ، فإنهم يرون أن الشواهد اللغوية لا تشكل ظاهرة عامة ، فهي شواهد محدودة إضافة إلى أنها شعرية ، وللشعر خصوصيات ، فقد أتيح للشاعر أن يصرف ما لا يصرف ، وأن يقصر الممدود ، وأن يمد المقصور ، ومن ثم فإنه يمكن أن تحمل الشواهد الشعرية المذكورة على الاصطرار ، أما الشواهد المصنوعة أي التمرينات غير العلمية ، فإنهم يرون أنها بصوص غير مقبولة ، وهي أقرب (إلى الهر وكلام السحرة) ، وهي لا تصدر عن مواقف اجتماعية^(٢) .

وعلى هذا ، فالوصفيون ينتهون إلى أن هذا الباب في النحو ، يمكن الاستعانة عنه ، لأنه لا يقوم على أساس سليم ، ولا يستند إلى واقع . وقد عرّض بعض الباحثين التحويليين لهذه الظاهرة ، وهم يرون أن الحاجة لم يلجأوا في تفسيرها إلى المعنى ، وذلك للكشف عن البنية الأصلية في كل شاهد من شواهد الباب ، وإنما استندوا إلى فكري الأعمال والإصمار . وقد حاولوا تفسير ظاهرة التنازع في صوء مفاهيم المسجع التحويلي ، من ذلك أنهم يعينون الجمل التالية :

١ نابت محمدًا وأكرمته

٢ ناديتُ محمدًا وأكرمتُ .

٣ ناديتُ وأكرمتُ محمدًا .

إلى بنية عميقة واحدة هي :

ناديتُ محمدًا وأكرمتُ محمدًا

وهذا يعني أن (محمدًا) في الجملة المعطوفة (١) ، قد استبدل به ضمير أعمل فيه العامل الثاني (أكرمتُ) ، ثم جرت عملية حذف لمحمد أو ضميرة في المثال رقم

(١) انظر مهدي المحرومي في النحو العربي (نقد وتوجيه) ص ١٦٧

(٢) انظر ناصح حسان اللغة بين المعيارية والوصفية ، ص ٨٤

(٢) استبعد بدلالة المذكور (وهو معمول العامل الأول) ، وعلى هذا يبقى العامل الثاني في هذا المثال غير عامل في شيء ظاهر أو مضمّر
 أم المثال الثالث ، فقد جرت فيه عملية تقديم للعامل الثاني، هذا كل من الفعلين مؤهلا للعمل في (محمد) ولا سيما أن جهة العمل لكل من الفعلين واحدة (١)
 ومما يلاحظ أن هناك شروطا معينة حتى تتم عملية الحذف والتقديم التي حدثت في الجملة الثالثة ، وتلك الشروط هي

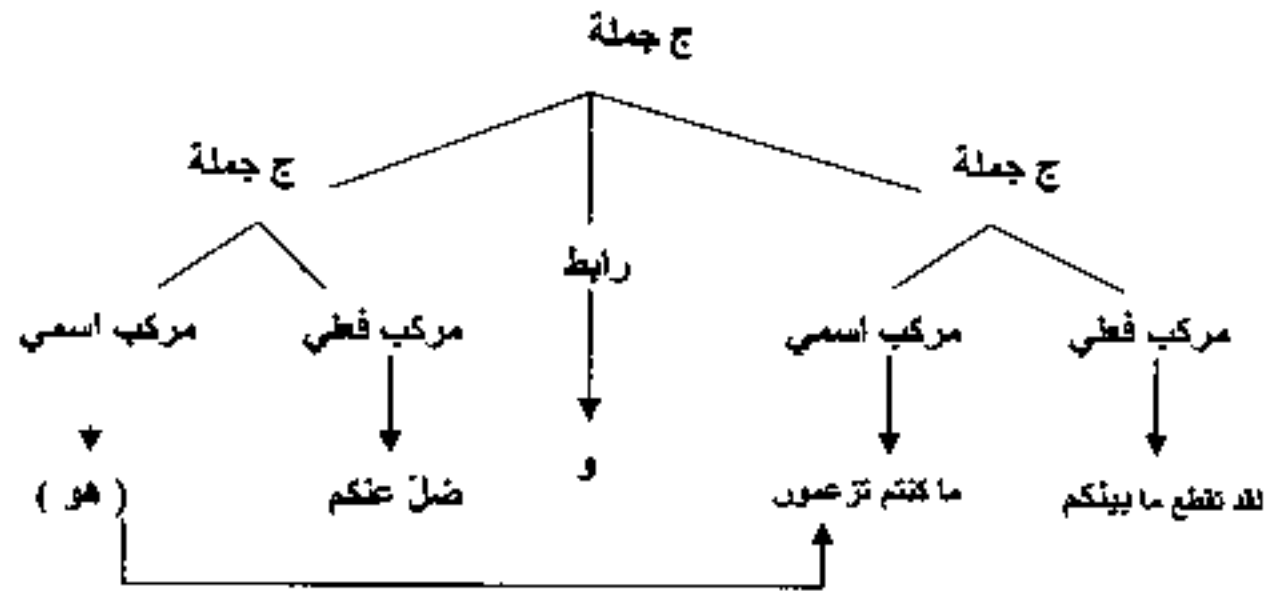
- ١- أن يكون العاملان متفقين في العمل المطلوب لكل منهما
 - ٢- أن يكون معمول أحدهم في البنية العميقة Deep structure مطابقاً لمعمول الآخر ، وهذا ما يُعرف بـ (جف انقطاع التسلسل) Gapping
 - ٣- أن لا يكون هناك إضمار للمعمول من النوع الذي فرصه النحاة في التراجع ، في أي من العوامل المتدركة عند تجاوزها بتقديم بعضها
 وعلى هذا فإنه - مثلاً - لا يمكن تفسير الآية (جاء الحق و زهق الباطل) ، كم فسرد الجملة الثالثة ، بل أن مركبي (زهق الباطل) يختلفان عن مركبي (جاء الحق)، ولو حاولنا حذف أحد مركبي الجملة المعطوفة، كما فعلنا في المثال السابق، لم أمكن بل أن لا نحذف هذا الاختلاف (٢)
- ومن الملاحظ أن معظم الشواهد التي نصمتت تنازعاً اتحاد فيها العاملون في العمل، ولأحد مثلاً على ذلك و يرى كيف يُحلل من خلال هذا المذهب
 قال تعالى " لقد تقطع ما بينكم وصلٌ عكم ما كنتم ترعمون " (٣)
 فالعامل الأول هو (تقطع) والعامل الثاني (وصل) ، والمعمول (ما كنتم ترعمون) ، ويمكن بوصف البنية العميقة لهذا التركيب بالمشجر الآتي

(١) انظر فيصل صف - صدره - التراجع في العربية - حسن نحوي - منشور من المجلة العربية لعلوم الإنسانيات

-المجلد الثامن العدد الثلاثون ربيع ١٩٨٨م ، ص ١٤ - ١٥

(٢) السابق ، ص ٢٢

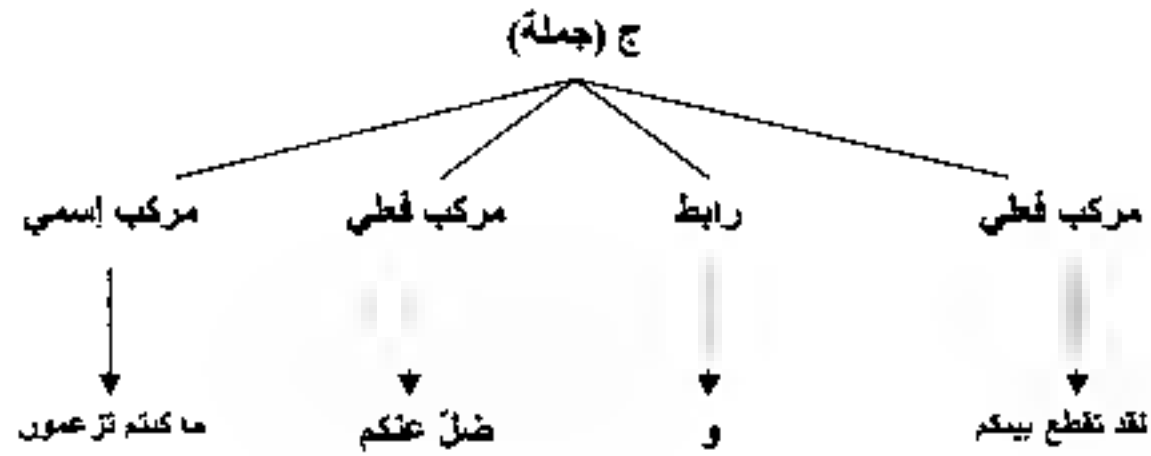
(٣) سورة الأنعام الآية ٩٤



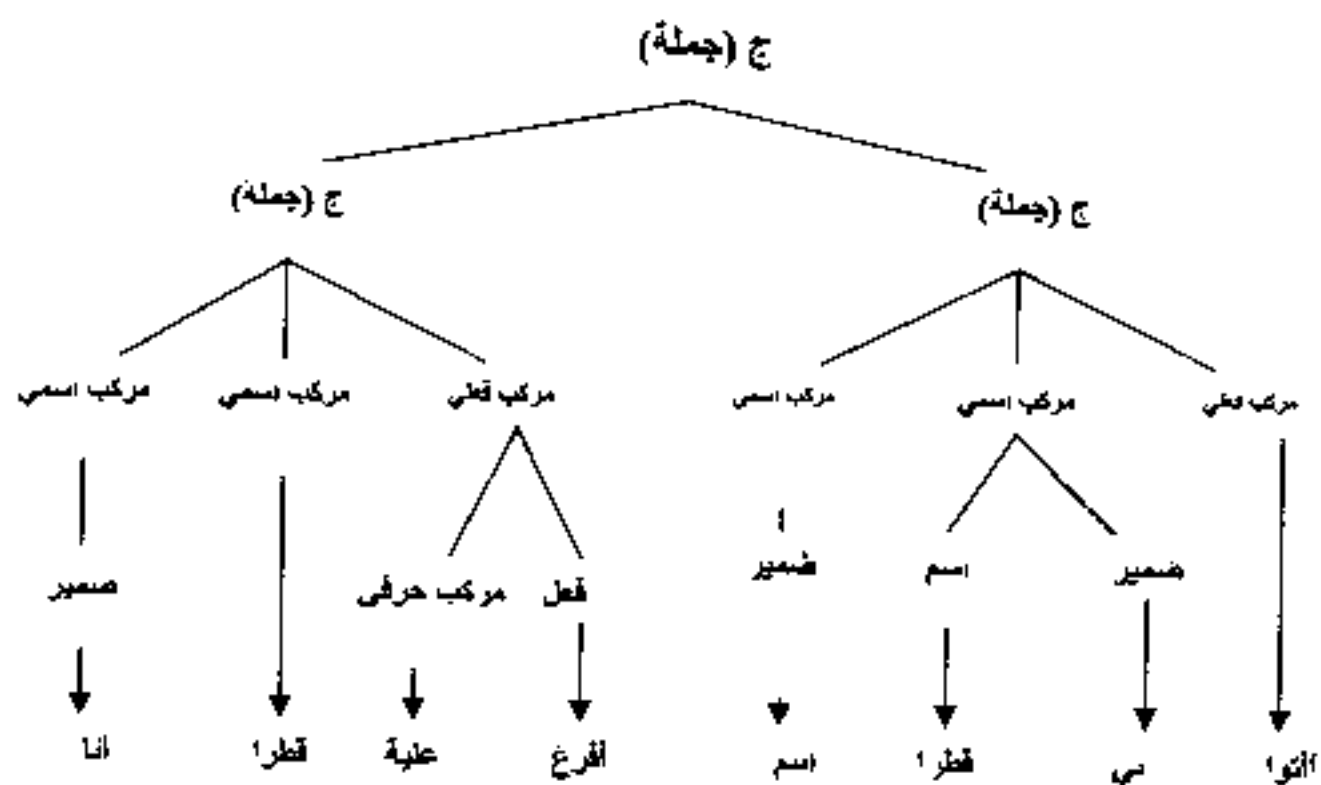
ان تفحص المعنى التفسيري السياقي يؤكد أن العليين (تقطع) ، و (صل) ، يطلبان معمولين يطابق أحدهما الآخر ، وعلى هذا تكون البنية العميقة " لقد تقطع بينكم (ما كنتم ترعمون) ، وصل عنكم (ما كنتم ترعمون) ، وقد جرى تحويل التعبير بالصميم عن الأسماء المكررة فأصبح التعبير هو " لقد تقطع بينكم (ما كنتم ترعمون) وصل عنكم (هو) ، ولما كان أحد العاملين يعمل في اسم هو نفسه الذي يعمل فيه الآخر ، فقد سمحت العربية بتجاور العاملين المتفقين في العمل المطلوب لكل منهما ، على نحو يتأرجح فيه المعمول الطاهر .

وهذا التعبير الأخير : (وهو حركة التجاور بتقديم العامل في الجملة الثانية) ، يجعل من الشاهد الذي كان مؤلفاً من جملتين في البنية العميقة كلاماً مؤلفاً من جملة واحدة فقط ، والعامل الثاني ما هو ، لا امتداد للعامل الأول . ويمكن تمثيل هذه الجملة الواحدة الممتدة بالمشجر الآتي ^(١) .

() فيص ص ٤ ، فلهذا التوزيع في العربية مسح نحوي ص ٣٣



ولناحد مثالاً آخر لا يشتمل على عطف بين العاملين كما في قوله تعالى "أتوسي أفرع عليه قظراً" ونكتب ملاحظ أن العامل الثاني (أفرع)، علق على العامل الأول تعليقاً شرطياً ولو لاحظنا المعنى التفسيري، نوجد أن العامل الأول فيه يطلب معمولاً مطابفاً، للمعمول الظاهر في الآية. وهذا يكشف أن البنية العميقة تمثل جملة كبرى مؤلفة من جملتين، معلقة ثانيتهما على أولاهما تعليقاً شرطياً يمثل رابطاً غير ظاهر، وعلى هذا يمكن توصيف البنية العميقة Deep Structure بالمشجر الآتي :



واصبح من المشجر أن معمول العاملين (قطرا) مكرراً ، وهذا يمثل رتبة مساوية
 رتبة العربية ، وعلى هذا يُحذف معمول الثاني ، ويحرك المعمول الأول ليقع في نهاية
 الجملة ثم يرتفع ليُمثل واحداً من خطوط العقدة العليا ، هكذا :



٦ إذا وجد ما يمنع من تقدم العامل الثاني ، اكتفي بتأخير معمول العامل الأول حتى نهاية التركيب ذي العلاقة ، ليصبح واحداً من مكوناته الرئيسة.

إذا هي لم تستك عود أركمة نحل ، فاستأكت به عود أسحل
فهم يروى أن هذه الشواهد قليلة ، وهي تفسر من باب الضرورة الشعرية

(٢) انظر لأشعري شرح الأشعري على ألفية ابن مالك ج ١، ص ٥٠٧.

ففي الشاهد السابق، (عود أسحل) معمول ظاهر مباشر للفعل (تَحَرَّ) ، أما العامل
الآخر (استنكت) فقد عمل في الصمير بواسطة الحرف، وعلى هذا فلا تنارع في البيت،
وما تقديم الشاعر (استنكت به) على (عود أسحل) ألا نتيجة لاضطرار الشاعر وذلك كي
يأتي بالقافية على وجهها (١).

وهكذا نرى أن إعادة النظر في الباب من روايا بطر متنوعة يسهم في تفسيره
تفسيراً معيها مرجحاً رؤية قيمة هي رؤية القراء ، وهذا يجعل الفرصة مهيأة للنحاة
المحسنيين للأحد برأية وبذلك نستعمل صيغة التنارع كما وردت عن العرب، نون أن نثير
النمحل في التفسير الذي يُعصي إلى الخلاف والاضطراب .
أسلوب الشرط

بحسب أن أسلوب الشرط من أكثر الأساليب التي نَحْتَج إلى مراجعة في ضوء
المناهج الحديثة ، تلك أن كثيراً من مسائله كانت مثار خلاف بين النحاة أنفسهم ، وسوف
أقف على بعض المفاهيم الأساسية فيه:

أ- في تعريف الشرط

لعل مصطلح الشرط من أكثر المصطلحات التي لم تتحد صورة مستقرة عند
النحاة القدماء ، فقد تحدث عنه ابن يعيش بمعناه العام: "الشرط" (٢)، وتحدث عنه
الرمحشري تحت اسم "الشرطية" ، وذلك حين قسم الجملة إلى اسمية وفعلية وشرطية
وطرفية (٣) ونكره أنو البركات الأنباري ، تحت "باب الشرط والجاء" (٤) وقد اضطرب
النحاة ، في تصريف جملة الشرط فمنهم من عذها جملة فعلية، قال ابن يعيش إن الجملة
الشرطية في التحقيق مركبة من جملتين فعليتين : الشرط :فعل وفاعل والجاء فعل
وفاعل (٥) ، في حين ذهب الرمخشري ، إلى أن جملة الشرط ، تمثل قسماً قائماً بدانه،
إلى جانب الجملة الاسمية والفعلية والطرفية ، وقد عارضه ابن هشام داهياً إلى أن

(١) فيص ص ٤ ، ظاهرة التنارع في العربية - منحل تحويبي ص ١٥

(٢) ابن يعيش ، شرح المفصل ج ٨ ، ص ١٥٥

(٣) الرمخشري ، المفصل ، ص ٢٤ - انظر ابن يعيش شرح المفصل ج ١ ، ص ٨٨

(٤) ابن الأنباري العربية ، ص ٣٣٦

(٥) ابن يعيش ، شرح المفصل ج ٨ / ٨٨

الشرط، جملة فعلية ، ووافقة في أن الجملة الظرفية ، جملة مستقلة بداتها . وذلك لأن التقسيم فيما يرى قائم على ما يقع في صير الجملة ، دون النظر إلى ما تقدمه من حروف (١)

من الواضح أن اضطراب النحاة هذا ، في باب الشرط ، عائد إلى أسباب شكلية اتحدوها معياراً للتقسيم ، وذلك وفقاً لما يقع في الصدر ، إضافة إلى توهج علاقة الإسناد في طرفي أسلوب الشرط كليهما

أما فيما يتعلق بإدراك النحاة لمصموم هذا لأسلوب ، فلا شك أنهم أدركوا دلالة إدراك عميقاً ، يبدو ذلك من قول ابن يعيش مثلاً : " وتدخل (إن) على جملتين ، فتربط إحداهما بالأخرى وتصيرهما كالجملة ، نحو قولك : إن تأتني أمك ، ولأصل . تأتيني أمك ، فلما دخلت (إن) عقدت إحداهما بالأخرى حتى لو قلت ، إن تأتني وسكت لا يكون كلاماً حتى تأتي بالجملة الأخرى " (٢) فهو يدرك إذن، أن أسلوب الشرط كل لا يتجرأ .

وعبر عن ذلك عبد القاهر الجرجاني بقوله " .. الشرط - كما لا يخفى في مجموع الجملتين لا في كل واحدة منهما على الانفراد ، ولا في واحدة دون الأخرى " (٣) وقد انعكس اضطراب النحاة القدماء على الباحثين المحدثين ، فلم يستقر المصطلح أمام فقد أطلق عبد القادر المهيري على الشرط الجملة الشرطية التلارمية (٤) وقد اكتفى ريمون الطحان بقوله " الشرط والجواب " (٥)

(١) انظر ابن هشام معني للذبيب ص ٤٩٢

(٢) ابن يعيش ، شرح المفصل ج ٨ ص ١٥٦

(٣) الجرجاني ، دلائل الإعجاز ص ١٨٩

(٤) عبد القادر المهيري وآخرون ، النحو العربي من خلال النصوص وتلامذه السبعة الثالثة من التعطيم للثانوي
نحو الجمل منشورات الديوان التربوي ، تونس ، ١٩٦٥ م ، ص ١٥٠ وم بعدها

(٥) ريمون الطحان ، الأسس العربية ، دار الكتب اللبنانية ، ٩٠

وهو يصنع جملة الشرط صمن جمل يصطلح عليها بدات الشقين^(١) ويرى عبد السلام المسدي أن أشمل المصطلحات هو " التركيب الشرطي "^(٢) وهو يتكون من جملتين جملة الشرط وجملة الجواب .

وهو يرى من خلال استتطاق الجداول الإحصائية لأسلوب الشرط في القرآن، أن تركيب الشرط يرد في القرآن الكريم، في سياق الاستتاف بنسبة كبيرة تصل إلى ٦٢,٦٦%، وهذا يعني أن تركيب الشرط يمتاز بالتكامل التركيبي المعصي إلى التكامل الدلالي ، مما يؤول إلى الاستقلال السببي في الخطاب ، حتى تكون له الطاقة الإخبارية التي تمكنه من افتتاح حلقة الكلام وغلقها في السياق نفسه .

ولعل هذا يعكس شيئاً من الترحيح لرأي الرمحي السالف الذكر ، إضافة إلى ما يدعو إليه المسدي من ضرورة مراجعة تعريف الجملة في العربية^(٣)

ويحلل حليل عمائيرة الجملة الشرطية من منظور وصفي، فيرى أن الجملة السواء في الجملة الشرطية " إن تخرج فأنا خارج " ^(٤) هي " أنا خارج " وهي جملة اسمية توليدية ثم جاء المتكلم بتحويل لعرض في المعنى هو الشرط ، وعلى هذا أصناف (إن تخرج) وأصناف (الغاء) رابطاً يربط الجملة بالشرط فأصبحت " إن تخرج فأنا خارج " وهو يرى أنه بهذا التحليل الوصفي يقدم تصوراً واضحاً لهذا الأسلوب في العربية ، ويخلص المتعلم من الإعراب المحلي ، فلا يقول مثلاً إن : (أنا خارج) في محل جرم جواب الشرط

وكذلك يرى أنه بهذا التحليل يستطيع إلقاء الضوء على التفاوت في المعنى بين الجرم الشرطي، مطلقاً بذلك من قول لعبد القاهر الجرحاني قال فيه . . . وفي الشرط والجرحاء إلى الوجوه التي تراها في قولك " إن تخرج اخرج ، وإن خرجت خرجت ، وإن تخرج فأنا خارج ، وأما إن خرجت اخرج . فيعرف لكل من ذلك موضعه ، ويجيء به

(١) الأكسية العربية ، ص ٩٠

(٢) عبد السلام المسدي ، ومحمد الطرايس ، الشرط في القرآن ، على نهج اللسانيات الوصفية ، دار العربية للكتاب ، تونس ، ١٩٨٥ ص ١٧

(٣) السابق ، ص ١٢٦

(٤) حبيب عمائيرة ، في نحو اللغة وتركيبها ، ص ١٢٤

حيثُ ينبغي له ، يَبيِّنُ في التي تُشترك في معنى ثم يقرر - كل واحد منها بخصوصية في ذلك المعنى ، فيصنع كلاً من ذلك ، في حاص معناه " (١)

ب الأصل في فعل الشرط وجواب الشرط

أدرك النحاة القنماء بينيين أساسيتين للشرط، أولهما خاصة بما يُعرف بأدوات

الشرط الجارمته وهي تتكون من العناصر الآتية .

[حرف شرط + جملة فعلية ذات فعل مضارع مجزوم + جملة فعلية ذات فعل مجزوم]
وحرف الشرط يعلّق إحدى الجملتين بالأخرى، ويجعل الأولى شرطاً في حدوث الثانية وذلك نحو : إن تدرس تنجح

وثانيها تتعلق بالأدوات التي تحمل معنى الشرط من حيث إنها تعلّق إحدى الجملتين بالأخرى ، إلا أن ما بعده لا يكون مجزوماً، وذلك نحو (إذا ، لمّا ، ولو)
فالجملة التي أداها (إذا) مثلاً تتكون من (إذا + جملة فعلية فعلها ماضٍ على الأغلب^(٢) + جملة فعلية جوابية)

ودنك نحو قوله تعالى " وإذا أنعمت على الإنسان أعرض ونأى بجانبه وإذا مسه الشرّ كان يئوس " (٣) وقد نأتي على الصورة الآتية :

(إذا + جملة فعلية فعلها مضارع + جملة فعلية جوابية) ، نحو قوله تعالى . "إذا بُكّي عليهم يحرّون لأنفس سجداء " (٤) ، ومن ثم فإن (إذا) لم تحتصر بجرم المضارع ، مع أنها وردت في بعض الشواهد الشعرية، فعذها النحاة بناء على النظرة الاستقرائية (التي تقوم على تكوين الأحكام العامة من خلال استعراض الجريئات) ضرورة شعرية.

مثال ذلك قول الشاعر

استعن ما أعضاك ربك بالعنى وإد تُصيّك حصاصة فتحمل

(١) الجرجاني ، دلائل الإعجاز ص ١٨

(٢) Ismail Amayreh Das Verhältnis Zwischen der Theorie der Arabischen National grammatik und dem Text befund Dissertation, Erlangen 1983

(٣) سورة الاسراء آية ٨٣

(٤) سورة الاسراء آية ٧٧

قال سيبويه في ذلك : ' وقد أجازوا ، في الشعر مصطربين شئوهم بـ (إي) إد ر أوها لم يستقبل ، وأنها لا بد لها من جواب ' (١) وقال الأشموسي : ' هو في النثر نادر وفي الشعر كثير ' (٢) وأد رجعا هذا الحكم الذي ذهب إليه الأشموسي في صوم النطرة الإحصائية (٣) ، فيمكن أن يفهمه أو أن تعدلة على النحو الآتي : تُعدّ (إدا) مع الفعل المصارع مرفوعاً أو مجزوماً نادرة ، إذا ما قوربت بسببها الطاغية مع الفعل الماضي، ولكن هذه السرة في استعمال المصارع يغلب أن يكون الجرم فيها للشعر الذي يحتمل الضرورة .

ومن الملاحظ أن النحاة لم يحملوا أبداً من صور (إدا) على الأخرى ، كما فعلوا في إشارات الشرط الجارمة ، إذ يُعدّ الماضي معها في محل جرم .

وعلى هذا فقد حاول النحاة الإلمام بباب الشرط بصوره المتنوعة من خلال فكرة ' لأصل والعزع ' فجعلوا الأصل في فعل الشرط أن يكون مجزوماً وذلك لرغبتهم في تعليل ظاهرة الجرم وفقاً لنظرية للعامل ، وردّ ما لم يكن مجزوماً إلى الجرم ، بجعله في محل جرم ' ، قال سيبويه ' أصل الجراء الفعل، وفيه تحمل حروف الجراء ، ولكنهم يصنعون في موضع الجراء غيره ' (٤)

وقال المبر : ' أصل الجراء أن تكون أفعالة مُصارعة لأنّه يُعربها ' (٥) إلا أن المنهج التاريخي يُقدّم رؤية جديدة لهذه الظاهرة بالمقارنة مع اللغات السامية، وذلك بعد فعل الشرط المجزوم يمثل صيغة مستقلة تمثل أصلاً سامياً قديماً، وهي صيغة الماضي Präteritum الأكادية ، ذات الدلالة الماضية، وقد تبدلت هذه الصيغة مع صيغة الماضي (فعل) في التركيب الشرطي، وهي صيغة (لم يفعل التي هي بفي (فعل)، وبذلك فهو ليس فعلاً مصارعاً Imperfekt ، تعرض للجرم (٦).

(١) سيبويه ، الكتاب ، ج ٣ / ٦١ وانظر المبرد ، المختص ، ج ٢ / ٥٦

(٢) الأشموسي ، شرح الأشموسي ج ٤ / ١٣

(٣) انظر الدراسة الإحصائية

Ismail Amayreh , Das Verhältnis Zwischen der Theorie der Arabischen National grammatik und dem Text befund Dissertation, Erlangen : 1981

(٤) سيبويه ، الكتاب ج ٣ ، ص ٩١

(٥) المبرد ، المختص ، ج ٢ ، ص ٦٦

(٦) إسماعيل عميرة ، نظرية مقارنة إلى للمبرمة النحوية العربية ، ص ١٣٨

أما فيما يتعلق بجواب الشرط، فإن الأكاديمية مثلاً تعبر عنه بما يدل على المستقبل، باستعمال صيغة المصدر المرفوع (يدرس مثلاً) وعلى هذا فإن الشكل لآتي يمثل التركيب السامي للجملة الشرطية^(١)

أداة + فعل يدل على الماضي + فعل يدل على المستقبل

مثل (يدرس) ، وهو المصارع المرفوع (يدرس)

وهذا النمط التاريخي القديم أصبح نادراً في العربية ، وقد أشار إليه بعض النحاة القدماء كالمحشري^(٢).

ولعل هذه النظرية التاريخية تحكي أصلاً مطعياً، حيث يعبر عن فعل الشرط بالماضي ، وجواب الشرط بالمستقبل، وقد يتحقق ما يرمي إليه النحاة من أن جواب الشرط ينبغي أن يكون تالياً في تحققه رمياً لفعل الشرط قال الميرد : الجراء غير واجب احره إلا بوجوب أوله^(٣)

ومما يلاحظ أن بعض النحاة كانوا على وعي بأن الدلالة للرمزية تكاد تختفي في أسلوب الشرط . قال ابن الحاجب " قد يستعمل الفعل الواقع شرطاً لـ (إن) وغيرها في مطلق الرمان " وذلك نحو قوله تعالى: "لن تؤمنوا وتتقوا يؤتكم أجركم"^(٤). فيحل الماضي والمستقبل^(٥) ولاحظ الفراء أن (كان) ، وهي من أهم قرائن الزمن في العربية لا يكون لها دور في التركيب الشرطي ، قال " وكان قد يبطّل في المعنى ، لأن القائل يقول إن كنت أعطيتني سألتك ، ويكون قولك إن أعطيتني سألتك "^(٦) ولعل للسبب في عدم ظهور دلالة الزمن بشكل واضح في أسلوب الشرط ، أنه مكون من حثيين ، فالحدث في الشرط

(١) بمصاعين عماير ، بحث بظرة معرفة إلى المدرسة النحوية العربية للمشور في كتابه بحوث في

الاستشراق واللغة ، ص ١٤٠

(٢) السابق ، ص ١٤٠

(٣) الميرد ، المقتضب ، ج ٢/٢٧

(٤) سورة محمد الآية ٣٦

(٥) الرضي (إستر بيادي ، شرح شافية ابن حبيب ص ١٥٠

(٦) انظر السيوطي التمعن ج ٤ ص ٣١٦

أبرر من الرمز ، وهذا ما اشر إليه عبد القاهر الجرجاني من خلال تقليبه لشواهد أسلوب الشرط .

قال " لا تعلم شيئاً يتبعه الساطم ببطمة غير أن يطر في وجوه كل باب (من أبواب النحو) ، وفروقه ، ... وفي الشرط والجاء إلى الوجوه التي تراها في قولك : إن تخرج أخرج ، إن خرج خرج ، وإن تخرج فأند خارج ، وأن إن خرج خارج ، فيعرف لكل من ذلك موضعه ، ويحيى به حيث ينبغي له " (١)

ومن ثم فقد اشر بعض الباحثين الوصفيين إلى أن الرمز في أسلوب الشرط، لا يبدو كثيراً من خلال دراسة المستوى الصرفي ، بل إنه يحتاج إلى دراسة السياق ، وما يشتمل عليه من قرائن دلالة على الرمز (٢).

ولا يتعارض حلّو الجملة الشرطية من وصوح الدلالة على الرمز مع ما مرّ سابقاً من أن فعل الشرط ينبغي أن يكون في تحققة سابقاً إذا ما تحقق جواب الشرط . وتشير الدراسات الإحصائية التي هي ثمرة من ثمار المنهج الوصفي ، إلى أن التقسيم العقلي الذي وضعه النحاة لأسلوب الشرط ، لا يتفق مع واقع الاستعمال اللغوي ، فقد ذكر الجرجاني ' والأجودُ في هذا الباب أن تأتي بفعلين مستقبلين متجرّهما .. أو أن تأتي بفعالين ماضيين فتدعهما على حالهما مفتوحين ... وبعد ذلك أن تأتي بفعل ماضٍ وتتركه على حاله ويكون الجوابُ مستقبلاً متجرّمه كقولك : إن ركبنا أركبنا معك (٣) وقد فسّر السيوطي الحالة الأخيرة ، بأنها جائزة للخروج من الأصعب (في العمل) إلى الأقوى (٤).

(١) دلائل الإعجاز ص ١١٨

وانظر السيوطي للهمع ج ٢، ص ٣١٢

(٢) نعم حسن ، النحاة العربية ، معانها ومبناها ص ١٠٤ - ١٠٥

وانظر علي جابر المنصوري الدلالة الرمزية في الجملة العربية ص ٤٣

(٣) للجرجاني ، الجمل ص ٨ ، ٢ ، وانظر سيويه للكتاب ج ٣، ص ٩١ والميرد ، المقتضب ج ٢ ص ٦٠

(٤) السيوطي ، الهمع ج ٤ ص ٣٢٢

في حين تشير الدراسات الإحصائية إلى أن الفعل الماضي في العربية هو الأكثر شيوعاً بوجه عام في الجملة الشرطية من الفعل المجزوم ، ولا سيما إن أحد بعين الاعتبار دلالة (لم يفعل) على الماضي^(١) ، وربما كان ذلك عائداً إلى أمرين ، الأول - عدم وصوح الدلالة الرمزية في أسلوب الشرط كما أسلفنا ، والثاني - ميل مستعمل اللغة للتخلص من التفكير في العلامات الأعرابية ويرى مهدي المحرومي أن أسلوب الشرط يتكون من عبارتين ، تكونان جملة واحدة لا جملتين ، وإن اشتمل كل منهما على مسند إليه ومسدد ، وذلك لأن العبارتين ترتبطان بوساطة أداة الشرط ، لرتباطاً وثيقاً ، لا يتصور معه استقلال إحدى العبارتين عن الأخرى ، ويمكن ربط هذه الرؤية للوصفية برأي عبد القاهر الجرجاني الذي عرّف عنه بقوله : ' . الشرط - كما لا يخفى - في مجموع الجملتين ، لا في كل واحد منهما على انفراد ، ولا في واحدة دون الأخرى^(٢) ' .

وعلى هذا فهو يرى أن تقسيم جملة الشرط إلى جملتين تقسيم قائم على النظم العقلي ، والتحليل المنطقي الذي كان طاعياً على أدها الدحاة^(٣) . ويحلل تحليل عمارة تركيب الشرط من وجهة نظر وصفية على أنه مكون من الجملة النواة "التوليدية" وهي تتكون من جملة جواب للشرط ، وعلى هذا فإن ما راد عليها هو الذي يكسيها معاني محتلفة حسب الريادة ويمكن تحليل الجملة الآتية :

"من يزرع المعروف يحصد الشكر" كالاتي

الجملة التوليدية هي (يحصد الشكر) ، وهي مكونة من فعل + فاعل + مفعول به . وقد جرى عليها تعبير بالريادة التالية :

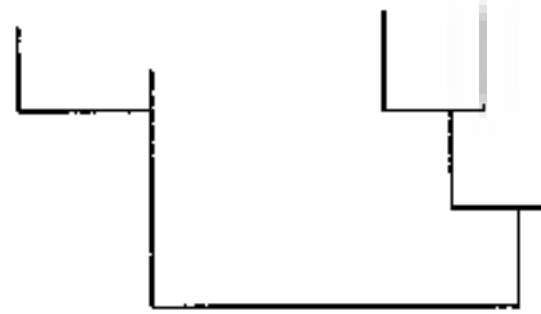
"من يزرع المعروف" وهي مكونة من حرف شرط + فعل + فاعل + مفعول به وعلى هذا أصبحت الجملة

(١) إسماعيل عايدة ، بحث في الاستشراق واللغة ، ص ١٤١

(٢) الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، ص ١٨٩

(٣) مهدي المحرومي في النحو العربي ، بغداد ، بوجيه ص ٢٩٩

من يزرع المعروف يحصد الشكر



وبما أن الريادة مؤثرة على بؤرة الجملة (بوائها)، فقد نقلت معنى الجملة التوليدية إلى جملة تحويلية ، عنصر التحويل فيها للريادة التي أفادت معنى الشرط^(١). رأيت كيف أن الجرجاني نظر إلى الجملة الشرطية على أنها بناء متكامل ، ووحدة تعبيرية واحدة ، وقد تكونت من جملتين، لكنه لم يبين أي الجملتين هي الأساس، أما وجهة النظر الوصفية هذه فقد اهتمت بتصنيف ذلك في جملة أساسية وأخرى فرعية.

ب- اقتران جواب الشرط بالفاء

لاحظ المحقق اقتران جواب الشرط بالفاء في مواضع محددة ، أتموه الفاء الجوابية، ومعدّها الربط ، وقد حصت الفاء بذلك لما فيها من معنى السببية ، ولمناسبتها للجراء معنى^(٢)، وهذه المواضع هي

١ إذا كان جواب الشرط جملة اسمية ، نحو قوله تعالى " وإن يمسسك بحير فهو على كلّ شيء قدير "^(٣).

(١) خليل عمار ، في نحو اللغة وتركيبها ، ص ١٢٢ - ١٢٥

(٢) خالد الأزهري ، شرح التصريح على التوضيح ، دار حياء الكتب العربية ، القاهرة ، ج ٢ ، ص ٢٥٠

وانظر المرادي الجعي الداني في حروف المعاني تحقيق خير الدين فيوة ومحمد فضل ص ٦٦ - ٨٨

(٣) سورة الأنعام الآية ١٧

٢- إذا كان جواب الشرط جملة طلبية نحو قوله تعالى " إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ " (١)

٣- إذا كان جواب الشرط جملة فعلية فعلها جامد ، أي غير متصرف نحو قوله تعالى :
إِنْ نَرَوْكَ أَفْئِدُ مِنْكَ مَا لَّا وَوَلَدًا ، فَعَسَى رَبِّي أَنْ يُؤْتِيَنِي حِزْبًا مِنْ جِئِكَ " (٢)

٤- إذا كان جواب الشرط جملة فعلية فعلها مسبوقٌ بقدر نحو قوله تعالى " إِنْ يَسْرِقْ فَسَرِقْ أَجْرَ لَهُ مِنْ قَبْلُ " (٣)

٥- إذا كان جواب الشرط جملة فعلية مسبوقة بحرفي ، السين أو سوف ، نحو قوله تعالى : " وَإِنْ حَقَّ عِثْلٌ مِمَّنْ هُيَئَتْ مِنْكُمْ اللَّهُ مِنْ فَصْلِهِ " (٤)

٦- إذا كان جواب الشرط جملة فعلية مفعلة بحرف (ن) نحو قوله تعالى : " وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ حَيْرٍ قُلْ يُكْفَرُونَ " (٥) أو بحرف (ما) نحو قوله تعالى : " فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ " (٦)

وقد كان لالتزام النحاة بهذه القواعد آثار أهمها :

أ- لجوء النحاة إلى إحراج الشواهد التي جاءت غير مشتملة على الفاء ، مع أنها شواهد قرآنية ، فيها دلالة الشرط وأصحة ، مثال ذلك رأيهم في الآيتين التاليتين :
قال تعالى : " وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ " (٧)
وقال تعالى " وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ " (٨)

فقد أخرجها ابن هشام من الشرط ، فقال " فإذا فيهما طرفٌ لحبر المبتدأ بعدهما ، ولو كانت شرطية ، والجملة الاسمية جوارها ، لاقررت بالفاء " (٩)

(١) سورة آل عمران الآية ٣١

(٢) سورة الكهف من الآية (٤٠ ، ٣٩)

(٣) سورة يوسف الآية ٧٧

(٤) سورة التوبة الآية ٢٨

(٥) سورة آل عمران الآية ١١٥

(٦) سورة يوسف الآية ٧٢

(٧) سورة الثوري ، الآية ٣٩

(٨) سورة الثوري ، الآية ٤٢

(٩) ابن هشام ، معى للبيب ص ١٣٦

ولم يستطع أبو حيان التخلص من سطوة هذه القاعدة النحوية ، فقال معلقاً على تفسير أبي البقاء الذي أشار فيه إلى أن " هم : مستنداً ، ويعفرون ، الخبر والجملة جواب (إذا) " (١) قال أبو حيان " وهذا لا يجوز لأن الجملة لو كانت جواب (إذا) لكانت بالقاء " (٢)

ب أدخل النحاة بعض الشواهد في أسلوب الشرط ، مع أن معناها لا يفيد الشرط، مثال ذلك جعلهم قوله تعالى " إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ " (٣) شاهداً للجملة الشرطية التي يأتي جوابها فعلاً مسبوقاً بقَدْ، وكان دليلهم على ذلك ارتباط الجواب بالقاء ، والمتأمل للآية يجد أن " فقد سرق أخ له من قبل " لا يتضمن جواب الشرط الحقيقي ، إذ ليس فيه تتيحة جرائية للمشروط ، وعلى هذا فالقاء ليست واقعة في جواب الشرط ، ويمكن تقدير جواب الشرط بقولنا : " فلا يُستعرب ذلك ، لأن أحاً له قد سرق من قبل " أو " لا عجب، فقد سرق له أخ من قبل " (٤) ومثل ذلك في فعل الشرط ، إذ يمكن عدّه محذوفاً معىً ، وتقديره : (إِنْ يَثْبُتَ أَنَّهُ سَرَقَ)، وقد درس بعض المستشرقين هذه الظاهرة التي يتم فيها تتيحة جواب الشرط الحقيقي، والاستعاضة عنه بما يدل عليه، أمثال (ريكدورف) Reckendorf وبروكلمان ، وعُرِفَت باسم الرخرحة Verschiebung (٥)

ولم يلتفت النحاة لهذه الظاهرة في هذه الآية وأمثالها، وذلك بسبب رغبتهم في إطراد القاعدة النحوية ، حتى لو أدى بهم ذلك أحياناً - إلى الالتفات إلى الشكل على حساب الدلالة، وأما النلاغويون فقد فطنوا إلى هذه الظاهرة من باب حرصهم على المعنى وأصبح أن وجود القاء في جواب الشرط من أكثر القواعد صرامة عند النحاة، لدرجة أنه كان لها الدور الحاسم في التفريق بين طبيعتي التركيبين في الآيتين التاليتين

(١) أبو حيان ، البحر المحيط ج ٧ ، ص ٥٢٢

(٢) المصنف ص ٥٢٢

(٣) سورة يوسف ، الآية ٧٧

(٤) إسماعيل عميرة ، نظرة معبرة إلى المدرسة النحوية العربية من خلال باب الشرط ص ١٤٢ - ١٤٣

وانظر سمير سنيته اتماط التركيب في جملة الشرط العربية ص (١٥ - ١٦)

(٥) إسماعيل عميرة ، نظره مقارنه إلى المدرسة النحوية العربية ص ١٤٣

قال تعالى " فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون " (١)

قال تعالى " إذا جاء أجلهم فلا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون " (٢)

وأخرجوا الآية الأولى من الشرط لعدم اقتران الفعل فيها بالفاء بينما أدخلوا

الثانية في الشرط وعذوا " فلا يستأخرون ساعة " جواباً للشرط .

وقد ألقى المصحح التحويلي ضوءاً على ظاهرة الشرط غرقت عند القدماء

بـ (عتر اص الشرط على الشرط) ، كتب فيها ابن هشام رسالة تحمل العنوان نفسه ،

والظاهرة تعني ، بإحاطة ثني للشرطين قبل نمم التركيب الشرطي الأول ، وذلك كما في

قوله تعالى . " ولو لا رجالٌ مؤمنون وساءةٌ مؤمناتٌ لم تعلموهم أن تطوؤهم فتصيبكم منهم

معرفةٌ بغير علمٍ ليدخل الله في رحمته من يشاء ، لو تريبوا لعنبا الذين كهروا منهم عذاباً

أليم " (٣) .

فقد اختلف النحاة في تقدير جواب كل واحد من الشرطين ، فمنهم من ذهب إلى

أن يكون الجواب المذكور جواباً للشرط الثاني ، وهم أي (للشرط الثاني وجوابه) ، جواباً

للشرط الأول (٤) ومنهم من ذهب إلى أن الجواب المذكور للشرط الثاني ، أما جواب

الشرط الأول فهو محذوف معلوم مما بعده .

ومنهم من ذهب إلى أن الجواب ، للشرط لأول ، أما الشرط الثاني ، فلا جواب

له ، لأنه ليس أكثر من قيد للشرط الأول فيقدر بحال واقعة موقعه (٥) ، فتصبح الآية على

إيفاع " " لو لا رجالٌ مؤمنون وساءةٌ مؤمناتٌ غير متريبين " والرأي الأخير هذا يتفق مع

رأي بعض الباحثين التحويليين ، ذلك أن هذا النمط من الشرط يمكن أن يفسر بقانون

التوسعة والتصيق ، ذلك أن الشرط الثاني توسعة للشرط الأول .

والشرط الأول = لو لا رجال مؤمنون .

(١) سورة الأعراف الآية ٣٤

(٢) سورة يونس الآية ٤٩

(٣) سورة الفصح الآية ٢٥

(٤) انكسري ، اثنيان في عراب الفراء ج ٢ ، ص ٦٩٦

(٥) ابن هشام عر اص الشرط على الشرط ، تحقيق عبد الفتاح الحمور ، الأرس ، دار صابر ، ١٩٨٦ م

والشرط الثاني = لو تزيلوا، ولما كان الشرط الثاني، توسعة للشرط الأول، فقد
حصر نصيبق يهدف إلى البلاغة والإيجاز في جواب الشرط، بأن كان جوابا واحداً ، لا
جوابين

وبهذا المفهوم فإن اصطلاح الاعتراض ليس دقيقاً ، فالاعتراض يعني صرفاً
لبعض الكلام عن وجهته ، وليس في توالي الشرطين شيء من هذا، بل إن الشرط الثاني
لا يريد عن كونه توسعة للشرط الأول^(١).

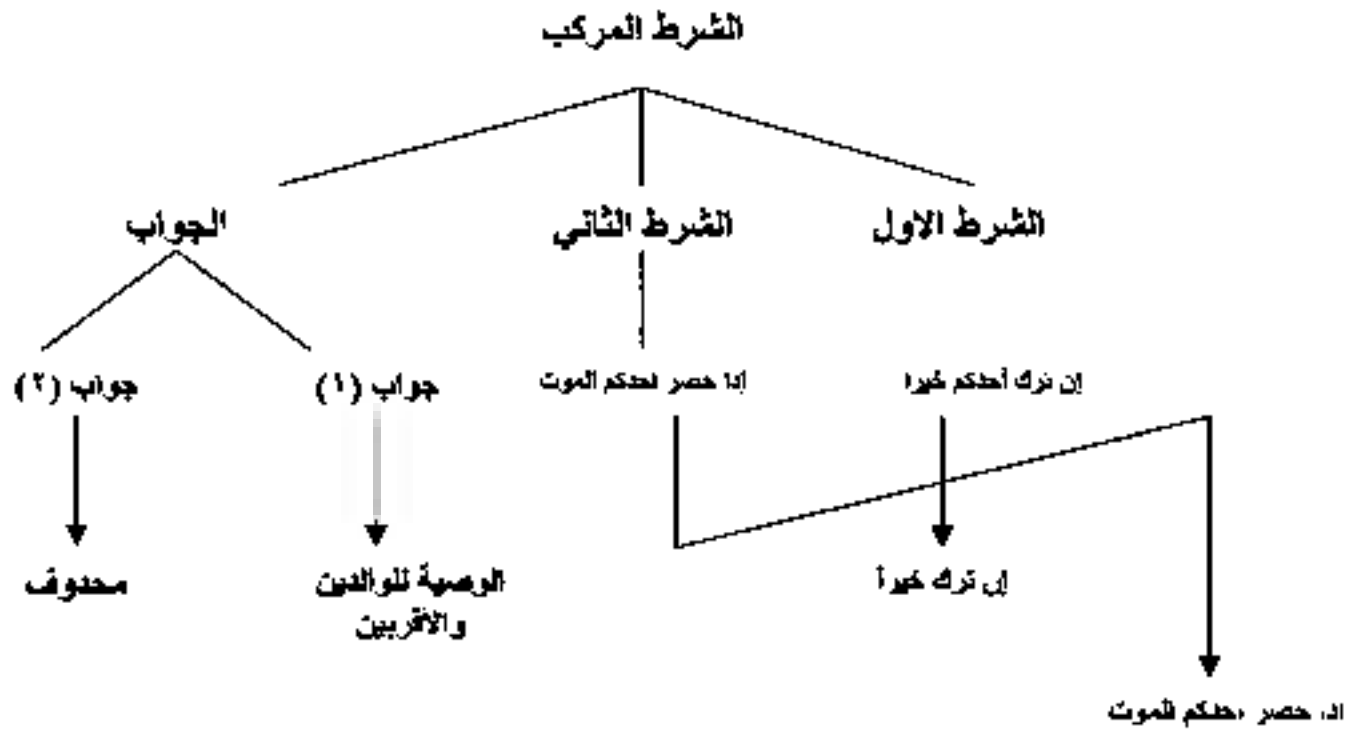
ويمكن من خلال هذه الرؤية أن نفهم بعض التراكيب الشرطية التي يبدو فيها
الشرط الأول امتداداً للشرط الثاني، وذلك كما في قوله تعالى :
" إذا حصر أحنكم الموت إن ترك حيراً الوصية للوالدين والأقربين " ^(٢)

وذلك بتصور البنية العميقة للأية بأنها : إن ترك أحنكم حيراً إذا حصره الموت،
فالوصية للوالدين والأقربين ، إلا أن الشرط الثاني تقدم على الشرط الأول ، وهذا يتناسب
مع رهنة الموت وحصوره ، وبذلك يكون التقديم قد تناسب مع الدلالة المقصودة بإعطائها
بعداً بلاغياً معجراً ويمكن توصيح ذلك بالمشجر الآتي : ^(٣)

(١) انظر سمير سبيتي ، أنظمة التركيب في الجملة الشرطية للعربية ص ٥٢

(٢) سورة البقرة الآية ١٨

(٣) سمير سبيتي ، أنظمة التركيب في الجملة الشرطية العربية ص ٥٢



وعلى هذا يمكن أن يُقَدَّر الشرط الأول بطرف وذلك على نحو :

" إن يترك أحدكم خيراً ، حين يحصره الموت ، فالوصية للوالدين " .

وليس بالضرورة أن يكون التقدير للشرط الثاني فقط، كما يرى ابن هشام وذلك حيث يكون التقدير " إذا حصر أحدكم الموت تاركاً خيراً ، فالوصية " بل إن في هاتين الصورتين توسيعاً يتفق مع المعنى، وإن كنت أرى أن تقدير الشرط الأول فيه بعد أبعد إلى المعنى المقصود .

ويمكن في ضوء هذا المنهج ترجيح رأي الكوفيين في تَقْدِير جواب الشرط على فعله على رأي البصريين ، وذلك كما في نحو قوله تعالى : " قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين " (١) وذلك برر التركيب إلى أصله ، ثم دراسة ما ينبثق عن هذا الأصل ، وعلى هذا فأصل التركيب " إن كنتم صادقين هاتوا برهانكم " (٢)

ثم تقدم الجواب على فعل الشرط ، وذلك لبيان الأهمية لبيان البصريين إلى القول بحذف الجواب، ففقدوا الجملة على أصل " هاتوا برهانكم ، إن كنتم صادقين هاتوا "

(١) سورة البقرة الآية ٩١

(٢) معجم سيبويه ، انظمة للتركيب في الجملة الشرطية العربية ص ٥٨

برهانكم ' والذي دفعهم إلى مثل هذه التصور ، اعتقادهم بـ ((استحالة أن يتقدم المسبب ، على السبب ، ولذلك فمرتبة الجراء ، أن يكون بعد الشرط))^(١)

ولا يحفي أن تصور البصريين في هذه المسألة مستند إلى المنطق الذي لا نحصى له اللغة دائماً ، يساند ذلك كثرة الجمل الشرطية التي تبدو فيها هذه الطاهرة ، وذلك نحو قوله تعالى ' بني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم ' (٢) .
وقوله تعالى : ' كانوا إذا قيل لهم لا إله إلا الله يستكبرون ' (٣)

هذا بصافة إلى التزامهم بالقاعدة المعيارية ، التي نرى أن أداة الشرط لها الصدارة والمهج الوصفي يرجح رأي الكوفيين كذلك لانه غير محتاج الى تأويل ، فجواب الشرط المذكور ولا حاجة بنا إلى الحدب والتقدير الذي ذهب إليه البصريون .

أسلوب الاستثناء

درس النحاة الاستثناء انطلاقاً من معنى الاستثناء ، فقد عرّف سيبويه الاستثناء بأنه ' مُحَرَّحٌ مما أدخلت فيه غيره ' (٤) وتابعه في ذلك النحاة فذكر ابن السراج مثلاً أن 'إلا تُحَرِّحُ الثاني مما دخل فيه الأول موجباً كان أو منقياً' (٥)
ومثال ذلك :

قام القوم إلا ريداً .

فالاستثناء مثبت ، والمستثنى منه موجود ، وأداة الاستثناء إلا والاسم الذي بعدها (المستثنى) منصوب .

وقد ظل حظ المبني متوافقاً مع حظ المعنى في توسيع نطاق الاستثناء ، حتى تعدى الاستثناء الحوي الذي عُرف بعناصر معينة هي (المستثنى منه ، وأداة الاستثناء ، والمستثنى) إلى تراكيب أخرى وذلك نحو :

(١) ابن الأنباري . الإنصاف في مسائل الخلاف ج ٢ ، ص ٦٢٦

(٢) سورة يونس الآية ١٥

(٣) سورة الصافات الآية ٣٥

(٤) سيبويه ، للكتب ج ٢ ص ٣١٣

(٥) ابن السراج ، الأصول في النحو ج ١ ص ٢٨٢

جاء الطلابُ غيرَ ريدٍ

جاء الطلابُ سوى ريدٍ.

فقد عدَّ النحاةُ (غير ، وسوى)، أسماءً للاستثناء، فهي تعرب بعرب الاسم التالي لـ(إلا) فنقول .

حاء القوم غير ريد .

وم جاء القومُ غير ريد (وغيرُ ريد) .

وما جاء غيرُ ريدٍ

ومن الواضح أنَّ محاولة النحاة للموازاة بين الشكل والمعنى كانت سبباً في صم (غير وسوى) إلى باب الاستثناء ، إذ هما من حيث المعنى تدلان على المعاكسة ، ومن حيث الشكل امكن إعطاؤهما حركة المستثنى .

ويرى بعض الباحثين الوصفيين أن (غير وسوى)، ليستا من الاستثناء، بل إنهما اسمان تكرتان نحو (مثل) في إيهامها ، فإن نُصِبتا فهما منصوبتان على الحال، وأن رفعتا فهم مرفوعتان على النعت . وربما بدا هذا الرأي مقبولاً ، بيد أننا يدعي أن ضمير بين التركيبين الأتيين :

جاء القومُ غير مسرعين . فسرعين هنا حال ، و (غير) ، نعت الحال وأعربت إعرابه . بينما نجد أن هذا التحليل لا يصلح في الجملة

جاء الطلابُ غير ريدٍ

وربما كان هذا سبباً في عدَّ النحاة لغير وسوى اسمين للاستثناء.(١)

العامل في المستثنى

اختلف النحاة في العامل في المستثنى ، فذهب بعضهم إلى أنَّ العامل فيه هو الفعل الواقع قبل إلا ، أو ما في معناه بنوسط إلا (٢)، وقد نسب ابن يعيش (٣) هذا الرأي إلى سيدييه وذلك لقوله .

(١) انظر ابن هشام معجم اللبيب ج١ / ١٥٨

(٢) ابن السراج ، الأصوار في النحو ج١ / ٢٨١

وانظر ابن يعيش شرح المعصم ج ٢ / ٧٧

(٣) انظر ابن يعيش شرح المعصم ج٢ / ٧٧

"عملاً فيه ما قبله من الكلام" (١)

وذهب بعض النحاة إلى أن العامل هو "إلا"، وردّ على هذا الرأي،

أ بأنه لو كان الأمر كذلك لوجب ألا يجوز في المستثنى إلا النصب، ولا خلاف في جوار الرفع والجر في المنفى على النحل.

ب- أن هذا يؤدي إلى إعمال معاني الحروف.

ج- وكذلك ليس (إلا) عامل النصب، لأننا نقول: قام القوم غير ريد، وتقدير (إلا) بفسد المعنى، إذا قلنا قام القوم إلا غير ريد.

د- إن كانت إلا هي العاملة للمستثنى، فالكلام يصبح مكوّن من جملتين، وإذا أعمل الفعل بتقويته إلا، كان الكلام جملة واحدة، والكلام متى كان جملة واحدة كان أولى (٢)

وذهب الفراء إلى أن عامل النصب هو (أن) المتضمنة في إلا، التي أصلها (إن)،

لا) فريد في (قام الطلاب إلا ريدا)، إسم إن مولا سدت عن الخبر لأن التأويل: إن ريدا لم يقم، ثم حُففت إن وأُدغمت في لا، ورُكبت معها فصارنا حرفاً واحداً وأعملوها عملين، عمل إن فصبوا بها في الإيجاب، وعمل لا فجعلوها عطفاً في النفي، وصارت بمرلة حتى

وأصح أن هذا الافتراض لا يستند دليل، وقد ردّ عليه ابن الأنباري، مرجحاً أن إلا حرف واحد، وحتى إن كانت تتكون من حرفين، فإنهما واجتماعهما فقد كل منهما ما كان عليه في حالة الإفراد (٣).

وقد ذهب بعض الباحثين الوصفيين (٤) إلى أن علامة النصب على المستثنى جاءت دليلاً على إحراجة، عما جاء قبل أداة الاستثناء إلا، وهم في هذا يطورون إلى الاستثناء نظرية دلالية يوجهون من خلالها خصوصاً لمسيبويه في نحو قوله "هذا باب لا يكون المستثنى فيه

(١) سيبويه، الكتاب، ج ٢ / ٣١٠

(٢) انظر ابن الأنباري، الإنصاف في مسائل الخلاف لمسألة ٣٤، ص ٢٦٢

(٣) انظر ابن الأنباري، الإنصاف في مسائل الخلاف، مسألة ٣٤

(٤) نصر حليل عميرة، في نحو النحاة تراكييب، ص ٥٥

وانظر: فخر بن عيسى، للنصب على الخلاف في ضوء نظرية العمل النحوي، مجلة مؤنة للبحوث

والدراسات، جامعة مؤنة، المجلد الثامن، العدد السادس، ١٩٩٣ م، ص ١٩١

لا نصباً ، لأنه مُحَرَج مما أحل فيه غيره وذلك قولك أتاني القومُ إلا أباك،
ومررتُ بالقوم إلا أباك، والقوم فيها إلا أباك وانتصب 'أب'، إذ لم يكن داخلاً فيما دخل
فيه ما قبله، ولم يكن صفة " (١)

وقال ابن يعيش '... فالاستثناء صرف اللفظ عن عمومته، بإخراج المستثنى
من أن يتناول الأول " (٢) وبذلك فهم يلتقون مع ما ذهب إليه الكسائي، بأن عامل النصب في
المستثنى هو مخالفة الأول " (٣).

ويرى تمام حسن أن العامل في المستثنى قريبة معنوية ، فالمستثنى بإخراج من
علاقة الإسماد التي عليها المستثنى منه، وتكون إلا " وهي قريبة لفظية تصافرت مع معنى
إخراج وهي قريبة معنوية ، ليفهم من كليهما ومعهما (النصب) ، وغيره من القرائن
معنى لاستثناء " (٤). وذهب بعض الباحثين التحويليين إلى أن العامل في المستثنى هو
الفعل الذي سدت مسده أداة الاستثناء (استثنى) وعلى هذا، فالبنية العميقة للاستثناء هي:

جاء القوم إلا ريداً

جاء القوم استثنى ريداً .

وقد جرى تحويل على البنية العميقة ، ثم به حذف الفعل استثنى ، وعُوض عنه بـ(إلا) .
ومن خلال عملية التحويل هذه صارت الجملتان جملة واحدة بعد أن عُوض عن الفعل
بأداة لاستثناء ، وبقيت الدلالة نفسها ، وهي إخراج ما بعد أدوات الاستثناء مما دخل فيه
ما قبلها حكماً، ومن ثم فإن الاستثناء ، من حيث حقيقته التركيبية والدلالية ، تحويل مركب
أجملي، بالهدف والتعويض ، بأدوات خاصة ، بإخراج بها ما بعدها ، مما دخل فيه ما
قبلها ، حكماً (٥).

(١) سيبويه ، الكتاب ج ٢ ص ٣٣ ٣٣١

(٢) ابن يعيش ، شرح المفصل ، ج ١ ص ٧٥٦-٧٦

وانظر السيوطي الهمع ج ٣ ص ٢٤٨

(٣) انصر السيوطي الهمع ج ٣ ص ٢٥٣

(٤) تمام حسن ، اللغة العربية ، معارف وعباء ص ١٩٩ - ٢٠

(٥) تيمير عيسى، الانماط النحوية في الجمع لاستثناء للعربية رسالة ماجستير ، جامعة اليرموك ،

١٩٨٩م، ص ٣٨

وربما كان رأي الوصفيين في الاستثناء أقرب إلى الصحة من رأي الباحثين
التحويليين ، وذلك لأنه لا يوجد ما يمنع من أن تكون البنية العميقة لجملة
جاء القوم إلا ريداً

هي . جاء القوم وامتنع ريداً

وهذا هو محور المحاوراة التي جرت بين عصد الدولة وأبي علي العارسي ، حيث
قال عصد الدولة (هلاً قُذِرْتِ امتنع ، فرفعت ريداً ، فقال له أبو علي : هذا الجواب الذي
ذكرتُ لك ميداني ، وإذا رجعتُ لك الجواب الصحيح إن شاء الله)^(١)

الاستثناء المفرغ

هو الجملة المنفية المستعملة على الحرف (إلا) ، ولكن المستثنى منه فيها غير موجود
وذلك نحو :

ما جاء إلا ريداً

وهذا من الأمثلة التي تدل على أن النحاة كانوا يحتكمون إلى الشكل في كثير من
الأحيان ، فمع إدراكهم لدلالة هذا الأسلوب ، بأنه يعيد القصر والتوكيد ، إلا أن وجود إلا
جعلهم يجعلونه نوعاً من أنواع الاستثناء ، فشكل التركيب جعلهم يتجاهلون دلالة الاستثناء
الذي فيه إخراج المستثنى مما دخل فيه المستثنى منه ، وهذا يثبت المجيء لريد في المثال
السابق ، وعلى هذا يذهب بعض الباحثين الوصفيين إلى عده من أساليب القصر
والتوكيد^(٢)

وقد امتد ميل النحاة إلى الشكل في باب الاستثناء إلى أن انتظم هذا الباب عندهم
حلاً وعداً وحاشاً ، فعنوها من الاستثناء ، إن كانت مقترنة بـ (ما) ، وجاء ما بعدها
منصوباً ، وهي على هذا أفعال جامدة فاعلها مستتر فيها ، وما بعدها مفعول بها^(٣) .
وأما إن جاءت غير مقترنة بـ (ما) ، وما بعدها أسماء مجرورة ، فهي عندنا
تعامل معاملة حروف الجر ، وما بعدها مجرور بها .

(١) بين لأثيري ، انظر الإتصاف المسألة ٣٤

(٢) انظر مهدي المخرومي في النحو العربي ، نقد وتوجيه ص ٢٣٧

وانظر حبيب عمارة في نحو اللغة ومراكيبها ص ١٤٨

(٣) سيبويه ، الكتيب ج ٢ / ٣٤٩

واضطراب النحاة^(١) هذا يمثل قمة الانحراف باتجاه الشكل في تفسير هذه الظاهرة

ويبظر بعض الباحثين الوصفيين إلى أنها (حلا و عدا وحاشا) حروف ، وذلك لعدم اشتغالها على رمز وحدث ، وهذا يوافق رأي الرجاسي^(٢) وابن يعيش من القدماء، فيها^(٣)

وقد يشير لاختلاف حركة الاسم الواقع بعدها ، إلى أنها سمات لعوية لقبائل عربية مختلفة ، وإلى مثل هذا أشار السيوطي ومن الملاحظ أن شواهد هذه الكلمات قليلة، وبخاصة تلك التي جاء ما بعدها منصوباً ، وبذلك نحو قول شاعر مجهول : "ألا كل شيء ما حلا الله باطل"

لعل فيما ذكرنا من مسائل ، وغيرها من باب الاستثناء ، تفسيراً لكثرة القواعد النحوية في هذا الباب، وفي معظم أبواب النحو العربي. ولعل كثرة القواعد وتصحح الأبواب ظاهرة يمكن ردها إلى أسباب كثيرة أهمها :

أ الاختلافات في اراء النحاة التي يعطون بها الظاهرة النحوية، وبخاصة أثناء محاولتهم ردّ المعمول إلى عامل معين

ب التعدد في صور الظاهرة اللغوية الواحدة ، وبخاصة في حركة الإعراب ، فالاسم في المستثنى المنفي، تارة يكون تابعاً وأخرى يكون منصوباً، مما يشير إلى تعدد في اللهجات ، ولكن النحاة وإن كانوا على علم بذلك ، إلا أنهم كانوا يجهلون في تحريج الصور المتعددة ، بما يتفق ونظرية العامل ، حتى لو نبع بهم ذلك حد التأويل .

وقد قدم المنهج الإحصائي الذي يُعد ثمرة من ثمار المنهج الوصفي دراسة تطبيقية إحصائية لباب الاستثناء^(٤)، وذلك من حيث ينس عند قواعد باب الاستثناء في ستة من

(١) انظر السيوطي للهمع ج٣/ص ٢٨٢-٢٨٨

(٢) الرجاسي ، الجمل نص ٢٣٤

(٣) ابن يعيش ، شرح للمعص ج٨/ص ٤٦

(٤) انظر نهاد الموسى، باب الاستثناء بين النظرية والتطبيق، مجلة دراسات للصادرة عن الجامعة الأردنية،

مجلد ٦ ، ١٩٧٩ م

الكتب لأصول ، ومن ثم بيان مدى دوران هذه القواعد في نصوص متعددة ومنوعة تعود إلى عصر الانحياح اللغوي

وقد بلغ عدد قواعد الاستثناء في كتاب " الأصول في النحو " لابن السراج مثلاً ما نني قاعدة، ولا شك أن ابن السراج، كان حريصاً على استقطاب الوجوه المختلفة للقواعد وردها إلى أصولها في النظر ، ومن ثم قد اتسع عنه الباب ، بينما وصلت عدة للقواعد عدد الرجائي في كتابة (الجمل) إلى تسع وأربعين قاعدة ، وذلك لأنه كان يستهدف غاية تعليمية قريبة . في حين وصل عدد القواعد المستعملة في الواقع اللغوي تسعاً وأربعين قاعدة .

وهذه النتائج الإحصائية تكشف عن نصم قواعد الأبواب النحوية، وتُسعر عن بيان حقيقة دوران قواعد الباب في واقع الاستعمال ، مما يُمكن من بيان القواعد الصوتية والصرفية والنحوية ، التي تقوم بها الفصحى ، وبمعرفة تتحقق للمعرفة بالفصحى، حالصه بلا حشو ولا عامية ، وهذا يُمكن من ترتيب هذه القواعد ترتيباً منهجياً مفيداً على مسنوى التعليم المبتدىء ، والبحث العلمي المتخصص أسلوب التوكيد

يتجانب النحاة - فيما أحسب - مبدآن في عملية التفكير اللغوي ، المعنى والشكل، ولو أمع النظر في شريحة من شرائح التفكير اللغوي القديم ، ممثلاً في موضوع التوكيد ، لرأينا أن تسمية التوكيد بهذا الاسم ، تمثل جانب المعنى ، ولكن مفهوم التوكيد في العربية أوسع من هذا الذي تصممه المفهوم النحوي للتوكيد فقد قسم النحاة التوكيد إلى قسمين

- ١ التوكيد اللفظي قوامه تكرير اللفظ نفسه وهذا القسم جائز في الأفعال والأسماء والحروف، وفي الجمل أيضاً
- ٢ التوكيد المعنوي وينم باللفاظ محصورة بسطها النحاة في كتب النحو، وقد حصروه على الأسماء ولا نجد احتلافاً بذكر بين النحاة بشأنه، فحدوده ومرداته واحدة عند الجميع، ما عدا بعض الاجتهادات الشخصية كالذي نلاحظه عند ابن جني، الذي ذكر نوعي التوكيد بقوله: " التوكيد نوعان، أحدهما تكرير اللفظ بلفظه،

وهو نحو قولك : قام زيد قام زيد ، وقد قامت الصلاة، قد قامت الصلاة، والثاني تكرير الأول بمعده، وهو على صريحين أحدهما للإحاطة والعموم، والآخر للتنبيه والتأكيد، الأول كقولنا ، قام القوم كلهم ورأيتهم أجمعين ، والثاني نحو قولك : قام زيد بفسنة، ورأيت بفسنة^(١).

ولا يحق أن ابن جني قسم التوكيد المعنوي الذي جعله السحاة قسماً واحداً إلى قسمين .

التوكيد في معنومه النحوي يتحكم فيه جانب الشكل إلى جانب المصنوع، إذ يحده من جانب الشكل، مبدأ التبعية الإعرابية، وهو مبدأ محكوم في عمومته بطريقة العامل وهذا يعني أن التأكيد تابع للمؤكد ، والعامل فيه هو العامل في متبوعه، رفع ونصباً وجراً، يقول ابن مالك^(٢).

يتبع في الإعراب الأسماء الأول نعت وتوكيد وعطف وبدل

ولكن العربية فيها أنواع أخرى من التوكيد من جانب المعنى ، بيد أن المعنوم النحوي للتوكيد لم يسطمها، من ذلك توكيد الفعل فقد أشار إليه السحاة إشارة في التوكيد اللفظي ، لانسجامه مع طريقة العامل ، في التبعية ، ولكنهم لم يدركوا أن الفعل يمكن أن يؤكد بتوكيد معنوي ، فيما عدا إشارة لابن عصفور ، قال فيها "التوكيد المعنوي يقسم إلى قسمين ، قسم يراد به إزالة الشك عن الحديث ، وقسم يراد به إزالة الشك عن المحدث عنه ، والذي يراد به إزالة الشك عن الحديث هو التوكيد بالمصدر ، نحو قولك : مات زيد موتاً ، وقتلت عمرو قتلاً ، وذلك أن الإنسان قد يقول مات فلان مجاراً، وإن لم يموت ، أي كاد يموت فإذا قال : مات عمرو موتاً، وقتلت زيداً قتلاً، كان الموت والقتل حقيقيين^(٣) وعلى هذا يمكن أن ينظم باب التوكيد ، مؤكداً الفعل وذلك نحو .

(١) ابن جني ، الخصائص ج ٣ / ١٠٢

(٢) ابن هشام ، أوضح المسالك ج ٣ / ٥٠

(٣) ابن جني ، شرح جرس للرجلي تحفيقاً ودراسة لأوقاف والشؤون الدينية ، بغداد ١٩٨٢ ، ص ٢٦٣

نونا التوكيد . وهما حرفان من حروف المعاني لا محل لهما من الإعراب ، وقد بسط النحاة القول في الموضع التي تأتي بها كل منهما، بين الجوار والوجوب^(١). وسوف أعرض لبعض القضايا المتعلقة بها ، والتي وقف النحاة فيها بين الشكل والمعنى

١- تأصيل نوني التوكيد :

يمكن تلخيص آراء النحاة القدماء في أصل نوني التوكيد بما يأتي

ذهب الكوفيون إلى أن النون الحقة متفرعة من النون الثقيلة ، عن طريق احتزالها تماماً كما حذف (أ) و (لكن)^(٢) وذهب البصريون إلى أن كلا من النون الحقة والثقيلة أصل مستقل قائم بذاته، قال سيبويه: "فالحقفة في الكلام على حدة، والثقيلة في الكلام أكثر، ولكن جعلناها على حدة لأنها في الوقف كالتنوين ، تذهب إذا كان بعدها ألف حقة أو ألف ولام ، كما تذهب لالتقاء الساكنين ، وما لم يحدث عنه شيء"^(٣).

ويرى فريق ثالث من النحاة أن النون الحقة هي الأصل ، وأن النون الثقيلة هي الفرع ، أحداً بعيداً قريبة البساطة في التركيب^(٤).

ورجح بعض الباحثين رأي الفريق الثالث^(٥) وذلك استناداً إلى ظاهرة النبر ، ويمكن أن نوضح هذه الظاهرة بما قاله بروكلمان الذي ذهب إلى أن " في اللغة العربية القديمة، ينحس نوع من النبر ، تغلب عليه الموسيقى ، ويتوقف على كمية المقطع، فإنه يسير من مؤخرة الكلمة نحو مقدمتها حتى يقابل مقطعاً طويلاً فيقف عنده، فإذا لم يكن في الكلمة

(١) ينظر في ذلك على سبيل المثال ،

١ سيبويه ، الكتاب ، جـ ١٠٤/٣ ، ج ٥٠٩/٣

٢ المبرد ، المقتضب جـ ٢ ، ص ٣٣٣

٣ ابن يعيش ، شرح المفصل جـ ٩ ، ص ٤٣

٤ المرادي الجنى الداني ص ١٤٢

٥ الملقى ، رصف المياني في شرح حروف المعاني ص ٣٣٤

(٢) انظر بين الأتياري الإتصاف في مسائل الخلاف لمسألة ٩٤ ، ص (٦٥ ٦٦٩)

(٣) سيبويه ، الكتاب ، جـ ٥٢٤/٣

(٤) هذا الرأي للشيخ يس بن ربيع الدين العمري الحمصي ، حاشية الشيخ يس على شرح للصريح على

التوضيح ، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة ، د.ب ، ج ٢ ، ص ٢٠٣

(٥) فطر عوي الشبيب التأكيد بالنون أصلة وطرة مجته دراسات الصائفة عن الجامعة الأردنية المجلد ١٥ ،

العدد ١٣ سنة ١٩٨٨ م ، ص ١١٩

مقطع طويل فإن الدير يقع على المقطع الأول منها^(١) وعلى هذا التصور فإن النون الثقيلة تنحدر عن حدوث سير بإشباع مقطع من المقاطع، بأن تقوى إما بارتفاعه الموسيقي أو شدته، أو مداه ، أو عدة عناصر من هذه العناصر، في نفس الوقت وبذلك بالنسبة إلى نفس العناصر في المقاطع المجاورة^(٢) .

وهذا الدير حصل على المقطع الأخير من الكلمة وهو النون الحفيفة ، فشددت بمعنى أنها أصبحت ثقيلة

ولرى أن البحث في أسبقية أي منهم تاريح لا يأتى بيسر ، وبخاصة أن هذا النوع من التوكيد ، يُعد سمة خاصة بالعربية ، فليس هناك فرصة للمقارنة بين العربية وأخوانها الساميات في هذه الجرنية^(٣)

وأحسب أن البحث في أثر هذه النون من ناحية صرفية وتركيبية ودلالية ، يكون نافعا وميسرا أكثر

إن ملاحظة التسيح للمقطعي لهدير الحرفين تشير إلى أنهم يشكلان سيجا خاصاً ، فهو في النون الثقيلة (ص-ص ح)^(٤) ، وهذا شكل غير مألوف في العربية؛ وكذلك لم نعرف اللعبة أداة تتكون من حرف واحد (ص) كما في النون الحفيفة .

ومما يلاحظ أن النون في (إن) التي تدخل على الاسم ، تقوم بالنون الوطيعي نفسه الذي تقوم به نون التوكيد مع الفعل ، مع فارق هو أن همزة (إن) النسخة التي تدخل على لاسم همزة قطع ، وهمزة هذه حين تحقق الفعل هي همزة وصل ، وثمة فارق بين همزة نوكيد الفعل وهمزات الوصل الأخرى في العربية هو ، أن همزة نون التوكيد مع الفعل، لا تظهر مطلقاً ، لأنها مدرجة في الكلام ، فلا يبدأ بها أبداً أمّا همزات الوصل الأخرى كهمزة (أل) التعريفية فإنها - نحقق من بدء الكلام، ولا نحقق عند وصله.

(١) كارل بروكلمن ، فة للعباب السمية ص ٤٥

(٢) جين كلتيو ، دروس في علم اصوات العربية ترجمه صلاح الفرمادي عشر مركز للدراسات والبحوث لاقصادية و لاجتماعية بوس ١٩٦٦ ص ١٤٩

(٣) انظر عبد الصبور شاهين المنهج للصوتي للبيئة العربية مؤسسة الرسالة ، بيروت ١٩٨٠ ص ٩٨

(٤) ص - ص ص ص

ح = حركة

بناء الفعل إذا اتصلت به نون التوكيد

استبدا إلى النظام المقطعي ، يمكن أن نفهم قول النحاة ، ببناء الفعل إذا اتصلت به نون التوكيد ، بأنه قول صدروا فيه عن التزامهم بنظرية العمل ، التي أوحى إليهم أن حركة البناء مُجْتَنِبَةٌ للفعل ، وعلى هذا يمكن دراسة بعض حالات الفعل المؤكد بدون التوكيد الثقيلة على النحو الآتي .

١ حالة توكيد الفعل المسند إلى اسم ظاهر ، أو ضمير الواحد المنكر .

عندما يتصل الفعل المسند إلى ضمير الواحد المنكر ، بدون التوكيد ، فإن الاتصال يكون مباشراً ، بعد سقوط الحركة الإعرابية ، هكذا :

يَصْر + أَنْ = يَصْرُونَ

Yansuru +anna → Yansuranna

وهذا يتضح أن نهاية الفعل هي الراء ، وهي متحركة بحركة الوصل وهي الفتح ، ولها قال النحاة إن الفعل مع نون التوكيد يُبْنَى عَلَى الْفَتْح

وقد اختلفوا في تحريك هذا الفتح وتعليله ، فذهب سيبويه إلى أن حركة الفتح جاءت لالقاء الساكنين . قال : "اعلم أن فعل الواحد ، إذا كان محروماً فالحقنة الحفيفة والثقيلة ، حركات المحروم ، وهو الحرف الذي أُسْكِنَ للحِزْم ، لأن الحفيفة ساكنة ، والثقيلة بوزن ، لأولي منهما ساكنة والحركة فتحة"^(١) وقد وافق سيبويه في رأيه هذا الزجاجي^(٢) والسيدي^(٣) وابن يعيش^(٤) . ويرى المبرد أن الحركة السابقة لنون التوكيد ، حركة بناء لأجل التركيب ، يقول : "اعلم أن الأفعال مرفوعة كانت أو منصوبة أو مجرومة ، فإنها تُبْنَى مع دخول النون على الفتح ، وذلك أنها والنون كشية واحد ، فبُنيَتْ مع النون بناء خمسة عشر .. وبما اختلفوا الفتح لأنها أحف الحركات"^(٥)

(١) سيبويه ، الكتاب ج ٣ / ٥١٨

(٢) الزجاجي ، الجمل في النحو ، تحقيق علي الحمد ، ص ٣٥٦

(٣) الأزهري ، للتصريح ج ٢ / ٢٠٦

(٤) ابن يعيش ، المعص ج ٩ / ٣٧

(٥) المبرد ، المعصب ، ج ٣ ص ١٩

ويذهب بعض المستشرقين^(١) إلى أن الحركات لم تأت لأجل التركيب ، ولا جاءت لأجل التخلص من النقاء الساكنين ، كما ذهب النحاة العرب ، وإنما هي عنصر اسمي ، وجرء لا ينجرأ من لاحقة التوكيد ، فعند إرادة التوكيد يصيب حسب وضعهم إما (an/ن) ، وبم (anna / ن)

وإرى أن رأي النحاة العرب وبخاصة سيبويه يثير تساؤلاً ، فإن كان النقاء الساكنين ، يؤدي إلى ظهور حركة الفتح ، كما مرّ بنا ، فهذا يصدق في حالة الفعل المجزوم ، ولكن أين ذهبت حركة الرفع في الفعل المصارع المرفوع ؟ وذلك في نحو
يصر - يصرُّ

وكذلك يثير رأي المستشرقين تساؤلاً آخر ، وهو أن كلامهم يشير إلى وجود (حركة + ن + ن) ،

وهذا أصلاً مقطّع غير متشكل في العربية ، إلا لا يوجد مقطع يبدأ بحرف علة فكيف يفترض وجود هذا المقطع ؟

وإرى أنه يمكن تفسير هذه الظاهرة من خلال الرؤية التي طرحتها سابقاً ، والتي نتلخص في الربط بين أن المؤكدة للفعل ، وأن المؤكدة للاسم ، وذلك بأن الأصل في الفعل يصرُّ ، مثلاً ، هو

يصرُّ + أن ، ومن ثم سهلت همزة القطع إلى همزة وصل لا تظهر ؟ لأنها تركبت مع الفعل فأصبحت بمثابة الكلمة الواحدة ، وبذلك فالمقطع المتكون قبل تسهيل الهمزة هو (همزة + حركة + صامت / ص + ح + ن)

وهو مقطع قصير معلق ن (مقطع قصير مفتوح)

والسؤال الذي ما يزال مطروحاً ، أين ذهبت حركة الفعل المصارع (الصمة) ؟ .

من الواضح أن "صمة" الفعل المصارع اجتمعت مع الفتحة التي هي حركة الهمزة ، ولا شك أن هناك صعوبة في نقل اللسان من الصمة إلى الفتحة ، إضافة إلى أن اللغة تميل إلى التوظيف ، فقد احتارت في صيغة المفرد أن تحذف الصمة ، وتبقى الفتحة ، أم في

(١) W Wright A Grammar of the Arabic Language 2 Vo 3rd edition Cambridge University Press London 1981. Vo. IP 61

صبيحة الجمع ، فيها تُبقي الصمة محفوفة (لأنها أصلاً واو مشبعة ، وذلك تحلصاً من المقطع الطويل، وذلك كما في نحو ينصرون، حيث يصبح الفعل مع مور التوكيد التثنية (ينصرون))، حدثت مور الرفع لتوالي الأمثال ، فصار الفعل بعد حذفها بمور مشددة

(Yan su/run. na)

ويلاحظ وجود مقطع مديد من نوع (ص + ح + ح + ص) في حالة الوصل ، وهي صعوبة تجنبها اللغة عند أمن اللبس ، فاحتصر هذا المقطع إلى مقطع قصير مقفل (ص + ح + ص) وأصبحت الصيغة

(Yan su run na)

والملاحظ أن صمير الجماعة هو الذي اختصر إلى النصف، وبقي نصفه في صورة الصمة القصيرة ، وعلى هذا فالمسد إليه باقٍ في الجملة على عكس ما ذهب إليه النحاة القدماء بأن الواو قد حذفت لغة : يتعاقبون فيكم

تفصي القاعدة القياسية المعيارية التي اعتمد النحاة فيها على أساس وصفي ، يستند إلى نسبة أعلى من الشيوع ، أن يأتي الفعل مع فاعله ، إذا كان اسماً ظهراً مجرداً من الصمير العائد على الفاعل ، فلا يُقال . قاموا الرجال ... ولا قاما الرجلان، وعندما وجه النحاة هذه الطاهرة في النص القرآني الكريم ، وذلك نحو قوله تعالى: "وأُسروا الجوى الذين ظلموا" ^(١) وقوله تعالى " وحسبوا ألا تكون فتنة فعُموا وصُموا ، ثُمَّ تاب الله عليهم، ثُمَّ عُموا وصُموا كثيرٌ منهم، والله بصيرٌ بما يعملون" ^(٢)

وهي الحديث النبوي الشريف كما في قوله صلى الله عليه وسلم ' يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار' ^(٣)

وهي الشعر ، وذلك نحو قول الضاعر :

نصروك قومي فاعتررت بصبرهم ولو أنهم حدنوك كنت دليلاً ^(٤)

(١) سورة الأنبياء الآية ٣

(٢) سورة المائدة الآية ٧١

(٣) مختصر صحيح مسلم المكتب الإسلامي ، بيروت ، ص ٤٠

(٤) انظر الأشموي شرح لأشموي ج ٣/٢٣٣

وقول آخر :

بلموسى في حبّ ليلي عوانلي
ولكنني من حبها لعميد^(١)
حاول النحاة تحليل هذه الظاهرة التي تشكل سمةً لهجية سست إلى بلحارث^(٢) وكذلك سست
إلى طيء وأرد شنوعة^(٣) ،
فأولاً أن ما ألحق بالفعل قد يكون علامة . شأنه في ذلك شأن علامة التأنيث ، وقد يكون
صميراً قال سيبويه " واعلم أن من العرب من يقول ، صربوني قومك ، وصرباني
أحوالك . فسبّهوا هذا بالتاء التي يُطهرونها في "قالت فلانة" وكأنهم أرادوا أن يجعلوا للجمع
علامة كما جعلوا للمؤنث " ، وهي قليلة

قال الفرزدق

ولكن دياهي أبوه وأمه
بحوران يعصرن السليط أقاربه
وأما قوله جل ثناؤه (وأسروا النجوى الذين ظلموا) ، فإيم بحيء على البدل^(٤)
ولكن جلّ النحاة على أنه صمير ، رجع تلك ابن مصعب بقوله " ... والدليل على ذلك
هوهم في التنثية قاما ويقومان ، وفي الجمع ، قاموا ، ويقومون ، فهذه صمائر نلّ عليها
بالفاظ^(٥) " ومن ثمّ فقد اختلف النحاة في إعراب الاسم بعد الصمير ، فمنهم من عدّه بدلاً ،
ومنهم من عدّه مبتدأ والجملة السابقة عليه هي الخبر^(٦)
ولا يحق أن النحاة حرجوا هذه اللمعة بما يتفق مع القاعدة التي تنص على أنه لا يجتمع
فاعل لفعل واحد^(٧) ، وعلى هذا لم يُعرب الاسم (البراغيث) في جملة (أكلوني
البراغيث) فاعلاً

(١) انظر لأشموسي ، شرح لأشموسي ج ١ ، ٢٨٠

وانظر ابن يعين شرح المعصم ج ٤ ص ١٢ ١٤

(٢) ابن عفرين ، شرح ابن عفرين ج ٢ ص ٨٠

(٣) السيوطي ، الهمع ج ٢ ، ص ٢٥٦

(٤) سيبويه ، الكتاب ج ٢ ص ٤١ ٤٦

(٥) ابن مصعب ، الرد على النحاة ص ٨٢ ٨٣

(٦) السيوطي ، الهمع ج ٢/٢٥٦ ٢٥٧

(٧) ابن جني ، الخصائص ج ١/٤٩

ومن الباحثين من يذهب إلى أن هذا الاسم يحمل معنى التوكيد ، وهو يرى أن قسرية القاعدة النحوية التي تنص على أن الظاهر لا يؤكد المصمر ، هي التي حالت دون إعرابه فاعلاً ، ويظل على ذلك من خلال تحليله لبعض الجمل التي تنسب فيها هذه اللمعة ، فهو يرى مثلاً أن الجملة النواة في جملة "أكلوني البراغيث" هي

أكل البراغيث يباي

فعل + فاعل + مفعول ويسمى الجملة النولينية

ثم تحولت هذه الجملة إلى :

أكل البراغيث البراغيث يباي ، وذلك بتوكيد الفاعل توكيداً لفظياً .

ثم تحول الاسم الظاهر إلى صمير ، فأصبحت الجملة

أكلوا البراغيث يباي

ثم تقدم الصمير المفعول ليلتصق بالفعل فأصبحت

أكلوني البراغيث^(١) .

ومن الباحثين من يرى أن هذه الظاهرة ذات جذور صربية في اللغات السامية فهي تمثل أصلاً تاريخياً في العربية ، ما زالت تحتفظ له بعدد غير قليل من الشواهد ، وهي تمثل القاعدة في بعض اللغات السامية ، وعلى هذا فإن هذه اللهجة تنبئ عن مرحلة من مراحل كانت العربية تشترك فيها مع أحوالها الساميات ، ثم تطورت عنها بالخروج على هذه القاعدة ، وربما كان ذلك جنوحاً للسهولة والبسر إضافة إلى أن المتحذث عندما لا يلحق علامة بالفعل ، يملك رمم الأمر في الفاعل ، فيفرده أو يثنيه أو يجمعه أو يؤنثه أو يذكره ، بعكس ما لو كان صرخ به قبل الفعل^(٢)

وبهذا فالمنهج التاريخي بصيء جانباً مهماً من جوانب هذه الظاهرة ، مما يرجح رأياً لدى بعض القدماء غير أنه لم يكتب له الشيوع ، إذ رأوا أن هذه اللواحق بالفعل علامات ، وبسبب صمائر ، وعلى هذا فالأمثل - فيما أرى - أن يُعرب الاسم الواقع بعد الفعل

(١) انظر حبيب عميرة في التحليل النحوي ص ٢٥٧

وانظر خنيس عميرة آراء في الصمير للعائد ومعة أكلوني البراغيث ص ٤١ ٤٢

(٢) انظر اسماعيل عميرة ظواهر التنقيط بين العربية واللغات السامية ص ١٠١

المتصل بلاحقة فاعلاً ، وليس بدلاً ولا مؤكّداً قال من عقيل : " أن الفعل إذا أسد إلى طهر مثنى أو مجموع أتى فيه علامة تدل على التثنية أو الجمع فنقول قما الريدان ، وقموا الريبون ، وقصر الهدات ، فتكون الألف والواو والنون حروف تدل على التثنية والجمع كما كانت الذاء في قامت هند حرفاً يدل على التانيث عند جميع العرب والاسم الذي بعد المكور مرفوع به ، كما ارتفعت هند بقامت ^(١) "

لا التانيث للجنس

درس النحاة لا الداخلة على لأسماء ، فألحقوها نارة د (ليس) ، وألحقوها أخرى د (إن) ، فهل احتكم النحاة في هذا الإلحاق إلى الشكل أم إلى المعنى ، أم إليهما معاً ؟

لتبين ذلك لابد أن نقف على استعمالات لا

١ - لاحظ النحاة أنه - أحياناً - يعقب لا اسم مرفوع وذلك نحو قولنا :

" لا رجل في الدار بل رجال " وقول الشاعر

نعر فلا شيء على الأرض باقياً ولا ورر مما قصى الله وأقياً

٢ - ويكون الاسم بعدها - أحياناً - أخرى - منتهياً بحركة الفتح ، وذلك نحو قولنا :

" لا حول ولا قوة إلا بالله "

وحنى يُمَيِّز النحاة بين هذه وتلك ألحقوا الأولى بليس والثانية بـ (إن) ولا يحصى أن هذه الإلحاق يستند إلى أساس شكلي ، وذلك لأن ما بعد ليس يكون مرفوعاً ، وما بعد (إن) يكون منصوباً وقد حاول النحاة التمييز بين دلالة كل من الاستعماليين ، فذكروا أن الأولى (الملحقة بليس) تشير إلى نفي الواحد ، في حين تستعمل الثانية لنفي الجنس وعلل المأمل في الاستعماليين ، لا يجد فرقاً يذكر في كثير من المواضع ، بل ليس من السهل أن يُحمَل قول الشاعر " نعر فلا شيء على الأرض باقياً " على نفي الواحد ، فالمقصود كما هو واضح من السياق نفي الجنس ، وعلى هذا فإن (لا) تعيد معنى النفي ، وما إلحاقها بـ (ليس) أو (إن) لا محاولة من النحاة لتسوية الحركات الإعرابية على الاسم الذي يليها ، ولا أدل على ذلك من ورود الاسم الذي بعدها

١ ابن عيينة ، شرح ابن عيينة ج ٢ - ٨٠

فقرأه ثلث قرأتين كما في قوله تعالى " لا يبيع فيه ولا حلة ولا شعاعة " (١) فقد قرأ
ابن كثير وأبو عمرو بالنصب ، بغير تنوين ، وقرأ الباقر بالرفع والتنوين (لا يبيع
فيه ولا حلة ولا شعاعة)

إلا أنهم حاولوا تحريجها بما يتفق مع نظرية العامل، يقول أبو زرعة " علم أن لا
إدا وقعت على نكرة جعلت هي والاسم الذي بعدها كاسم واحد ، وبني ذلك على
الفتح، فإذا كررت جار الرفع والنصب ، وإذا لم تكرر فالوجه فيه الفتح ، قال عر
وجل "لا ريب فيه " (٢)، من رفع (يبيع...حلة...شعاعة) جعله جواباً لقول القائل:
(هل فيه يبيع ؟ هل فيه حلة ؟) ومن نصب جعله جواباً لقول القائل: (لعل من يبيع
فيه ؟ هل من حلة) ، فجوابه (لا يبيع فيه ولا حلة) لأن (من) ، لما كانت عاملة
جعلت لا عاملة ، ولما كانت جواب (هل) لم تعملها، إذ كانت هل غير عاملة (٣)
وقد حاول النحاة التمييز بين " إن " ولا النافية للجنس التي ألحقت بها ، وذلك بأن
التمسوا لها ياباً مستقلاً من حيث ، إنها ترد لفي الخبر عن الاسم نعتاً مؤكداً ، أما
إن وأحوانها ، فهي لأثبات الخبر للاسم ، في صورة التوكيد ، أو التشبيه أو الاستدراك
أو التمني أو الترجي

وقد جعل النحاة لها شروطاً كي تعمل عمل (إن) ، أبرزها
١- أن تكون نافية .

٢ أن يكون متعبها هو الجنس .

٣ ألا يحل عليها جار .

٤- أن يكون اسمها نكرة .

٥- أن يكون خبرها نكرة

ولكن السؤال الذي يطرحه هنا . لماذا جعل النحاة اسم لا النافية للجنس مبيهاً على
الفتح إن كان مفرداً ، ولم يعتوه منصوباً ؟

(١) سورة البقرة الآية ٢٥٤

(٢) سورة البقرة الآية ٢

(٣) ابن خالويه ، حجة العرب ثلث السبع ص (١٤١ ١٤٢)

يبدوا أن النحاة احتاروا البدء على الفتح ، وذلك لأن :
فكره البناء يؤدي إلى تعدد الحيارات في تحريك الاسم الواقع بعد لا المكررة ،
وبخاصة أنهم لاحظوا أن هذا الاسم يأتي على وجوه عدة هي :
أ أن يكون الاسم بعد لا المكررة منتهياً بعلامة الفتح ، وذلك نحو قولنا " لا حول ولا قوة
إلا بالله " وقال تعالى " لا بيع فيه ولا حلة ولا شفاعة " .
وبذلك يكون الاسم معطوفاً على لفظ اسم (لا) الأول .
ب. أن يكون الاسم بعد لا المكررة منصوباً وذلك نحو " لا حول ولا قوة "

وقال الشاعر :

لا نصب اليوم ولا حلة اتسع الحرق على الراقع

فقد حرج النحاة نصب هذا الاسم على محل (اسم لا) ، وتكون لا الثانية رائدة بين
العاطف والمعطوف

ج . أن يكون الاسم بعد لا المكررة مرفوعاً وذلك نحو قول " لا حول ولا قوة إلا بالله " ،
ونحو قول الشاعر :

هذه - لعمركم الصغار بعية لا أم لي - إن كان داك ولا أب

فمن تحريجات النحاة لهذا الوجه ، أنه معطوف على محل " لا واسمها " وهو موضع
رفع بالابتداء (١)

من الواضح أن تحليل النحاة للوجوه الواردة بعد لا المكررة، يجسد رغبتهم في تفسير
حركات أوحر الكلمات ، وفق نظرية العمل ، مما دعا بعض الباحثين لإعادة النظر
في هذا الباب .

فرأى بعض الباحثين الوصفيين ، أن الاسم بعد لا مُعَرَّبٌ وليس مَبْنِيٌّ (٢) وذلك دون فرق
بين الفتح والتنوين ، قياساً على الممنوع من الصرف ، فهو مُعَرَّبٌ وإن كان غير منور ،
وهم بذلك يرفضون فكرة تركب لا مع اسمها ، وذلك لأن ظاهرة التلارم بين لا واسمها ،

(١) انظر في جي للجمع ص ٤٥

(٢) انظر محمد صلاح الدين بكر النحو الوصفى من خلال لقرآن الكريم ، ج ١ ، الجزء الثاني ، الكويت ،

ص ٤٤٦ ، انظر مهدي المحرومي في النحو العربي ، بغداد ، بوجية ، ص ٢٥٢

نُيِسَتْ مُحَنَصَةً بِهَا بَلْ يَبْدُو فِي كَثِيرٍ مِنْ الْأَنْوَاعِ الْحَوِيَّةِ كَتَلَارْمِ الْمَبْتَدَأِ وَالْخَبَرِ وَكَانَ مَعَ اسْمِهَا، وَإِنْ مَعَ اسْمِهَا

وَمِمَّا يَشِيرُ إِلَى صَعْفِ هَذِهِ الْفِكْرَةِ عَدَدُ النَّحَاةِ أَنَّهُمْ سَرَعَانِ مَا تَنَحَّوْا عَنْهَا إِذَا أَتَبَعَ الْأِسْمَ بَعْدَهَا بَعَثَ ، وَدَلَّكَ نَحْوُ قَوْلِهِ (لَا رَجُلَ ظَرِيفٍ فِيهَا) وَدَهْيُو ، إِلَى أَنَّ اسْمًا لَا يَرْكَبُ مَعَ صَفْتِهِ ، تَرْكَبُ الْعَدَدَ الْمَرْكَبَ (خَمْسَةَ عَشَرَ) ، وَقَدْ امْتَنَعَ تَرْكَبُ لَا مَعَ اسْمِهَا هَذَا لِأَنَّ الْمَرْكَبَ لَا يَكُونُ مِنْ ثَلَاثَةِ أَجْرَاءٍ^(١)

وَعَلَى هَذَا فَإِنْ كَانَ الْأِسْمُ يَعْدُ لَا الْمُكَرَّرَةَ ، مُنْتَهِيَا بِحَرَكَةِ الْفَتْحِ ، أَوْ تَنْوِينِ الْفَتْحِ ، فَهُوَ مَنْصُوبٌ بِلَا الثَّانِيَةِ ، وَالْوَاوُ نَعْطَفُ جُمْلَةً عَلَى جُمْلَةٍ أَمَّا إِنْ كَانَ الْأِسْمُ مُنْتَهِيًا بِتَنْوِينِ الصِّمِّ ، فَإِنْ (لَا) تَكُونُ عَامِلَةً عَمَلُ لَبْسٍ وَمَا بَعْدَهَا مَعْمُولٌ لَهَا ، وَالْوَاوُ عَاطِفَةٌ لَجُمْلَةٍ عَلَى جُمْلَةٍ . وَأَرَى أَنَّ هَذَا التَّفْسِيرَ ، قَدْ ظَلَّ يَنْوِرُ فِي دَائِرَةِ الْفِكْرِ الْحَوِيِّ الْقَدِيمِ ، الَّذِي حَوْلَ التَّعْلِيلِ وَفَقْ طَرِيقَةِ الْعَامِلِ مَعَ أَنَّهُ حَاوِلُ التَّحْلُصِ مِنْ فِكْرَةِ الْإِعْرَابِ عَلَى الْمَحَلِّ . وَيَرَى بَعْضُ الْبَاحِثِينَ الْوَصْفِيِّينَ^(٢) أَنَّ لَا مَعَ اسْمِهِ يَشْكُلُ جُمْلَةً تَامَةً لَا نَحْتَاكِ إِلَى حَيْرٍ ، وَدَلَّكَ اعْتِمَادُ عَلَى أَنَّهُمْ تَفِيدَانِ مَعْنَى يَحْسُ السُّكُوتَ عَلَيْهِ ، إِذْ يَقُولُ : لَا صِيرَ وَلَا قُوَّتَ ، وَلَا يَأْسَ ، فَبَيْنَ الْكَلَامِ .

وَكَذَلِكَ يَقِفُ بَعْضُ الْقَارِئِينَ عَلَى " لَا رَبِّبَ " فِي قَوْلِهِ تَعَالَى . " ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هَدَى لِلْمُتَّقِينَ " ^(٣)

أَمَّا عَنْ حَرَكَةِ الْفَتْحِ عَلَى الْأِسْمِ الَّذِي يَبِيهَا ، فَمَرْدُّ ذَلِكَ إِلَى أَنَّ الْأِسْمَ اسْتَعْمَلَ اسْتِعْمَالَ الْفِعْلِ فَصَارَ مَنْصُوبًا ، وَلَا سَبَبَ أَنَّ هَذَا الْأِسْمَ غَالِبًا مَا يَكُونُ مُصَدَّرًا أَوْ فِي مَعْنَى الْمَصْدَرِ ، وَدَلَّكَ نَحْوُ قَوْلِهِ تَعَالَى . " فَلَا عُدُوًّا إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ " ^(٤) وَقَوْلُهُ تَعَالَى " فَلَا

(١) انظر ابن جني اللع في العربية ص ٤٦

وانظر الرمضاني المفصل ، ص ٣٠٠، ٢٩

(٢) ابن هيم مصطفي ، بحبء النحو ص ١٣٧

(٣) سورة البقرة الآية ٢

(٤) سورة البقرة الآية ١٩٣

عدواً علي^(١) وقوله تعالى : " لا إكراه في الدين ، قد تبين الرشد من الغي " فمن يكفر
بالصغوث ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها^(٢)
ومن الوصفيين من يرى^(٣) أن " لا " تعبد مطلق النفي سواء أكانت حركة الاسم الذي
بعدها الفتح ، نحو ما مرّ من آيات ، أو الضم ، وذلك نحو قوله تعالى " لا خوف عليهم
ولا هم يحزنون " ^(٤) وقوله تعالى : " لا الشمس ينبغي لها أن تترك القمر ، ولا الليل سابق
النهار " ^(٥) وقوله تعالى : " لا فيها غول ولا هم منها يرفزون " ^(٦) ومن الأدلة على ذلك أن
الآية الواحدة قرئت بأكثر من وجه ، وفصلاً على ذلك فالآية الواحدة حركت الاسم الذي بعد
" لا " فيها بأكثر من حركة ، وذلك نحو قوله تعالى : " فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في
الحج " وقرأ ابن كثير وأبو عمرو (فلا رفث ولا فسوق) بحركة رفع موزن ، (ولا جدال)
بحركة نصب ، ومع ذلك فقد تكلف السحاة والمفسرون تسويج الحركات هذه وفق نظرية
العمل قال الفراء " فالقرءاء على نصب ذلك كلة بالتبرئة إلا مجاهد ، فإنه رفع الرفث
والفسوق ونصب الجدال ، وكل ذلك جائز ، فمن نصب اتبع بحر الكلام أوله ، ومن رفع
بعض ونصب بعضاً فلائ للنسبة في وجهان : الرفع بالنون ، والنصب بحدف النون ،
ومن نصب الفسوق والجدال بالنون لجاز ذلك في غير القرآن ؛ لأن العرب إذا بدأت
بالتبرئة منصوبها لم تنصب نون ، فإذا عطفوا عليها بـ (لا) كان في وجهان ، إن شئت
جعلت (لا) معلقة بجور حذفها فنصبت على هذه النية بالنون ، لأن (لا) هي معنى صلة ،
وإن نويت بها الابتداء كانت كصاحبيتها ، ولم تكن معلقة ، فنصب بلا نون^(٧) وعلى هذا
يمكن تحليل الآية (لا شريك له) ^(٨) على أن الجملة النواة لها هي " شريك له " ، مبتدأ
وحبر ، ثم زاد المتكلم أداة نالة على معنى النفي وهي (لا) فأصبحت الجملة (لا شريك له)

(١) سورة الفصص الآية ٢٨

(٢) سورة البقرة الآية ٢٥٦

(٣) انظر خليل عساير في التحليل اللغوي ، ومنهج وصفي تحليل ص ١٦٩

(٤) يونس الآية ٦٣

(٥) يونس الآية ٤٠

(٦) الصافات الآية ٤٧

(٧) الفراء ، معاني القرآن ج ١ ص ٢٠

(٨) الأنعام الآية ١٦٣

وهي جملة نحويّة عنصر التحويل فيها هو زيادة حرف النفي (لا) ، ولا قيمة للحركة على الاسم من حيث الدلالة .

إن الرؤية الوصفية السابقة تمثل - فيما أرى - الواقع الدلالي الذي نحمله (لا) في سياقها ، وربما شكلت مع الرؤية التاريخية صورة أكثر وضوحاً لهذه الظاهرة . وقد قسم بعض الباحثين التاريخيين مثل هذه الحالات التي تتعاور فيها الاسم الواحد أكثر من حركة في الموضع الواحد في صوء الأمور الآتية :

١ نعود هذه الظاهرة ، إلى مرحلة من مراحل تطور اللغة تعكس صيق المستعمل بالاحتكام إلى شكل إعرابي واحد صارم ، ومن ثمّ فقد بدأ بالتقلت من الالتزام بذلك ، واللجوء إلى التعدد^(١) ، هذا إضافة إلى أن العربية ، أحدث عن عدد من الفئات ، ولكل قبيلة سمتُها اللهجية الخاصة ، وإن كانت تشترك معاً في أمور كثيرة^(٢)

والشواهد على هذه الظاهرة متعددة، يبدو ذلك من خلال تبادل الفتحة والصمة، كما في نحو المصدر المعروف الواقع في ابتداء كلام ، نحو : الحمد لله^(٣) ، فإنة يرتفع على الابتداء في القاعدة العصبية العالية ، وينصب عند عامة بني تميم ، فيقولون : الحمد لله . ولا يحى أن المعنى واحد في حالتي الرفع والنصب . إلا أن بني تميم انتهت إلى النصب في حين انتهى غيرها إلى الرفع ، أما تأويل النحاة لهذه الظاهرة بعدهم المصدر في حالة الرفع مبتدأ ، بينما هو في حالة النصب مفعول مطلق (مصدر نائب عن فعله)، فهو تأويل ليس ملزماً كي يفهم الموضع من خلاله^(٤) .

(١) انظر اسماعيل عميرة تعدد الأوجه لإعرابية ، درسه تحليلية تاريخية ص ١١

(٢) انظر بهاد موسى نحو منهج في تحقيق قراءة الشعر القديم بعد تصوريّة التاريخيّة ص ١٣

(٣) سيبويه الكتاب ج ١ / ٣٢٨

و انظر بهاد موسى ظاهرة الإعراب في اللهجات العربية القديمة من منشورات (ابحاث الجامعة الأمريكية) لعام ٩٧٢ ، ص ٧٣

(٤) انظر بهاد موسى ظاهرة الإعراب في اللهجات العربية القديمة ص ٧٣

وكذلك فقد تبدلت الصمة والكسرة والفتحة على الاسم الواقع بعد لا سيما ، وذلك نحو قوت

أحب الكتب ولا سيما كتب الأدب ويجوز " كتب " و " كنب "

ولا يحى أن المعنى واحد في الحالات الثلاث ، مع أن النحاة جاهدوا في إيجاد تحريجات للحالات الثلاث (١)

فإن كان الاسم بعد لا سيما مرفوعاً ، فهو خبر لمبتدأ محذوف وجوباً تقديره هو . والجملة من المبتدأ والخبر لا محل لها من الإعراب ، صلة الموصول بعد (ما) ، وإن كان الاسم بعد لا سيما منصوباً ، فهو مفعول به لفعل محذوف تقديره أعني أو أحسن ، وإن كان الاسم بعد لا سيما مجروراً ، فإن سي . اسم لا منصوب بالفتحة الظاهرة ، لأنه مصاف وكتب مصاف إليه مجرور وعلامة جرة الكسرة .

٢- اتحاد مستعمل اللغة قرائن أخرى غير الحركة الإعرابية ، لتدل على المعنى (٢) ،

وتميز الباب عن غيره من ذلك في سياق لا النافية للجنس

١. قرينة الصيغة (وهي قرينة لفظية) (٣) ، فالاسم في سياق " لا " يأتي بكرة وهذا يتفق مع دلالة النفي ، بينما في سياق إن وأحواتها ، غالباً ما يكون الاسم معرفة ، وذلك لأن تأكيد النكرة لا يفيد شيئاً لما فيها من العموم والشموع ، أما تأكيد المعرفة فهو واضح الفائدة لتحديد

ب. وكذلك قرينة الرتبة وهي (قرينة لفظية أيضاً) ، إذ لا يتقدم خبر " لا " ، ولو كان شبة جملة على اسمها ، وهذا يمثل قيمة حلافة لها من باب (إن وأحواتها) ، حيث يكون ذلك جائزاً .

ج . وقرينة التصام ، (وهي قرينة لفظية) فيمثل تصام اللام المؤكدة مع الاسم (إن) أو خبرها قيمة حلافة تميز (إن) بصورة خاصة عن (لا) . كما أن تصام "

(١) انظر ابن السراج . لاصول في النحو ج ١ - ٢٠٥

(٢) انظر بهاد موسى ظاهرة الإعراب في اللهجات العربية القديمة ص ٨٢

(٣) انظر في تعريف هذه القرائن تمام حسن اللغة العربية معاه ومباه ص ١٩٤

مع " مع (إنَّ وأحوالها) بصيرها عن (لا النافية) ، حيث لا تتصم (مع) معها^(١)

تقديم الاسم على الفعل

حاول النحاة صيغ الكلمات من خلال وجودها في التركيب ، ومن خلال ارتباطها مع غيرها من الأبنية بعلاقات تحددها طبيعة التركيب ، ولعل علاقة الإسناد من أهم هذه العلاقات ، وهي علاقة تكون بين المبتدأ والخبر ، وبين الفعل والفاعل . قال الرصبي الأسدي : " فالكلام ما تصم كلمتين بالإسناد ولا يتأتى ذلك إلا في اسمين أو في فعل واسم^(٢) " وبدء على هذه العلاقة جندت أمور أخرى وذلك نحو الرتبة ، والحالة الإعرابية ، والحركة الإعرابية ، ومن ثم فإن رتبة الفاعل تأتي بعد الفعل ، وعلى هذا ميزوا بين الجملة الاسمية والجملة الفعلية ، بما جاء في صدر الأصل قال ابن هشام : " الاسمية هي التي صدرها اسم ، كريد قائم ، والفعلية هي التي صدرها فعل كقام ريد ، وصُرب اللص وكان ريد قائما وظننته قائما ، ويقوم ريد ، وقم^(٣) "

فإن تقسم الفاعل على الفعل فإنه يصبح مبتدأ ، والجملة تصبح خبراً ، بم فيها من صمير مستتر عائد عليه ، وذلك نحو : ريد قام . قال ابن الأثيري مُعللاً ذلك بقوله : " الفاعل يربط صلة الجراء من الكلمة وهي الفعل^(٤) " وقال ابن يعيش ، مركزاً على أهمية الرتبة في تعليله وجوب تأخير الفاعل : " إنما وجب تقديم خبر الفاعل يعني الفعل - لأمر ورء كونه خبراً ، وهو كونه عاملاً ، ورتبة العامل أن يكون قبل المعمول ، وكونه عاملاً فيه سبب أوجب تقديمه^(٥) "

ولكن هذه النظرة المعيارية لم تكن بهذه الحدة عند الكوفيين ، فهؤلاء كانوا يميلون إلى الانطلاق من جانب المصموم ، في هذه المسألة ، إذ يعدّون ريداً في جملة (ريد قام) هو

(١) محمد بكر ، النحو الواسع ص ٤٥٢

(٢) شرح الكافية ج ١ / ٧

(٣) ابن هشام ، مضي الليب ج ٢ / ٣٧٦

(٤) في اسرار العربية ص ٣٥

(٥) شرح المصطل ج ١ / ٧٤

الفعل سواء انقسم أم تآخر^(١) وهي بصرية وصفه يؤيده الباحثون انوصفيون الذين استقوا النحاة القدماء لقيام تقسيمهم للجملة على أساس شكلي، فيرى فندريس أن الفرق بين الجملة الفعلية والجملة الاسمية هو " أنه بالجملة الفعلية يعبر عن حدث مسند إلى زمن مطور إليه باعتبار مدة استعراقه مسبوها إلى فعل موجه إلى مفعول ، وإذا لزم الأمر، نحو أسمع الموسيقى . أم الجملة الاسمية، فيعبر بها عن نسبة صفة إلى شيء: البيت جديد ، وهي تنقسم طرفين : المسند والمسند إليه وكلاهما من فصيلة الاسم^(٢) وذهب مهدي المحرومي إلى أن الجملة الفعلية ما كان فيها المسند فعلاً والجملة الاسمية ما كان فيها المسند اسماً^(٣)

وقد استند المحرومي في رأيه هذا إلى ما ذكره القرويني في ذكر أحوال المسند " أما كونه - أي المسند - فعلاً، وللتفديد بأحد الأزمنة الثلاثة على أحصر وجه مع إفادة التجديد^(٤)

وكذلك استند إلى رأي عبد القاهر الجرجاني في دلالة الفعل للمسند على التجدد حيث قال: " إن موضوع الاسم على أن يثبت به المعنى للشيء، من غير أن يقتضي تجدد شيئاً بعد شيء، وأم الفعل، فهو موضوعه على أن يقتضي تجدد المعنى للمثبت به شيئاً فشيئاً^(٥) وعلى هذا فإن المحرومي يرى أن " محمد ساهر " و " ساهر محمد " جملتان فعليتان ، مدام المسند فعلاً. ولا شك أن رأي المحرومي يرجح رأي الكوهيين في هذه المسألة ، إلا أنه انكأ على معطيات تحتمل النظر والمناقشة، فالتجدد والحدوث سمة غالبية على الأفعال، ولكن نجد أن هناك أفعالاً تشمل على أحداث منقطعة لا تجدد فيها وذلك نحو " مات محمد " و" هلك خالد " ، وغيرها^(٦) . وذهب خليل عمارة إلى الرأي نفسه ، ولكنه يستند إلى أن الجملة النواة في جملة (ريد قام) هو " قام ريد " ، وهذه الجملة تمثل " حدا أدنى

(١) انظر السيوطي للمع جـ ٢٥٤/٢

(٢) اللغة ص ١٦٣

(٣) في النحو العربي ص ٤١

(٤) للحطّيب القرويني ، تلخيص المفتاح ص ٤٧

(٥) دلائل الإعجاز ص ١٣٣

(٦) انظر ابراهيم السمراني: الفعل زمانه وأدبيته ص ٢٠٤

من الكلمات التي تحمل معنى يحسن السكوت عليه^(١) ، أي أنها تمثل أحد الأطر الفعلية الرئيسية في اللغة العربية ، وقد تحولت هذه الجملة (النواة) بعنصر من عناصر التحويل وهو (الترتيب) ، ممثلاً في تقديم الفاعل على الفعل ، وذلك لعرض الأهمية والتوكيد ، وأرى أن هذا التحليل رجح رأي الكوفيين ، بالاعتماد على الأدلة المقنعة الآتية :

١ انطلق من نظرة وصفية في عدّه لكل من الجملة الإسمية والجملة الفعلية ، إطارين أساسيين في العربية ، دون افتراض لأصالة أحدهما على الآخر . ويساندة في هذا المنهج التاريخي ، هاللغات السامية استعملت فيها الجملتان ، الاسمية والفعلية على حد سواء ، وقد رأى علي الجارم ، أن الجملة الفعلية هي الأصل في العربية ، وبذلك حين قال : " تقتضي العقلية العربية أن تكون الجملة الفعلية الأصل والعالب الكثير في التعبير ، لأن العربي جرت ملىقته ، ودفعته فطرته إلى الاهتمام بالحدث في الأحوال العادية الكثيرة ، . . فالأساس عدة في الإخبار أن يبدأ بالفعل " (٢) . وهو رأي يعوره النليل ، وبخاصة أن الاستقراء التام في العربية غير متيسر ، قال أبو عمرو بن العلام : "لما انتهى إليكم مما قالت العرب إلا أقله ولو جاعكم واهراً لجاعكم علم وشعر وكثير" (٣)

٢ أفاد من فكرة "العبرة بصير الأصل " في تصنيفه للجملة الاسمية والفعلية في إطارها الأساسي (الجملة النواة) (٤) جملة "قم زيد " هي جملة أساسية فعلية بطراً لما ورد في صدرها

٣ أفاد من فكرة التقديم للأهمية ، وهي فكرة ذكرها النحاة غير مرة ، فقد ذكر سيبويه أن العرب " إنما يقدمون الذي بيانه أهم لهم ، وهم ببيانه أعنى ، وإن كان جميعاً

(١) في نحو اللغة وبراكيها ص ٨٧

و انصر في التحليل التحويلي ص ٤

وهو متأثر بهذا التعريف بم ورد عن الرمشتري في تعريف للجملة بأنها " ما كان من لألفاظ قائم برأسه معيذا لمعنى يحسن للسكوت عليه أو ينظر ابن يعيش : شرح المفصل ج ١ ص ١٨٦

(٢) الجملة الفعلية أساس التعبير في اللغة العربية معالة منشورة في مجلة مجمع للغة العربية ، القاهرة الجزء السابع ، ١٩٥٣

(٣) ابن أكياري ، نزهة الألباء ص ١٧

(٤) خليل صايرة ، في نحو اللغة للعربية وبراكيها ص ٨٦

بهمانهم ويعينانهم^(١) وذلك عند عذ أن الجملة " قام زيد " تعرضت لعنصر من

عناصر التحويل وهو التقديم لعرض الأهمية والتوكيد

ويسمى عبد القادر المهيري هذه الجملة: (زيد قام) الجملة المردوجة^(٢) وذلك لأنها

اسمية من حيث الشكل، فهي مكونة من متدا وحبر ، وهي من حيث المصنوع فعلية،
مكونة من فعل وفاعل قدم بالفعل فهي اسمية الشكل، فعلية المصنوع، ويرى أن هذه
التسمية تجيب الخلط بين الاسم المتقدم الواقع فاعلاً وغيره، وذلك لأن الاسم المتقدم على
الفعل لا يربط دائماً علاقة الفاعلية مع الفعل، بل قد تتمثل هذه العلاقة في المفعولية
وغيرها^(٣) وأرى أن العلامة الإعرابية، تسهم في تحديد العلاقة بين الاسم المتقدم والفعل،
وبخاصة أن النحاة ، أجازوا تقدم المفعول على الفعل إضافة إلى ما في هذه الرؤية من
إضافة مصطلح يبدو ملبساً، ويرجح محمد الحولي رأي الكوهيين أيضاً ، وذلك من خلال
تحليله لجملة يتقدم فيها الفاعل على الفعل وفقاً لفرصته " فيلمور "، إحدى العرصات
المعدلة لنظرية تشومسكي

فهو بحث الجملة التالية . الولد يكبر بالمعادلات التالية^(٤)

جملة ————— مساعد + فعلية + محور

————— مساعد + فعلية + [جار + معرف + اسم]

————— يكبر + ل + آل + ولد

بالتالي التحويلي (١) (حذف جار الفاعل أو المبتدأ)

————— يكبر + + آل + ولد

بالتالي التحويلي (١٣) نوافق الفعلية والفاعل

————— يكبر + . + آل + ولد

(١) ميبويه الكتاب ج ١ ص ٣٤

(٢) انظر مساهمة في تحديد الجملة معالة منشور في مجلة الحبيب النومييه ، العدد (٥) ص ١

(٣) السابق ص ٥

(٤) انظر كوهن بحوثه للغة العربية ص ١٨٢

بالقانون التحويلي (١٤) (سمح الاسم)

← ال + ولد + يكرر + . . . +

بالقانون التحويلي (١٦) (قانون الحركات)

← ال + ولد + يكرر + . . . +

بالقوانين المورفيمية الصوتية ← الولد يكرر

كان - بين الفعلية والحرفية

ينظر النحاة إلى 'كان' بوصفها فعلاً ، ولكنهم ينحطون إزاء المواضع الفعلية الكاملة لهذا الفعل ، ولد عتوها فعلاً بلفظاً^(١) ، واحتلف النحاة في 'عرب ما بعدها' ، فمنهم من رأى أنها مسندة إلى مرفوعها ، وهو فاعل ، ولا تنفك عن منصوبها وهو حال . ومنهم من رأى أنها لا تدل على حدث ، وأنها تدخل على الجملة الاسمية ، فترفع المبتدأ ويسمى اسمها وتنصب الخبر ويسمى خبرها ، قال ابن يعيش^(٢) : "إنها لا تدل على حدث ، بل تفيد الزمان مجرداً من معنى الحدث"^(٣)

ولا شك أن هناك اعتبارات حملت النحاة على علّها فعلاً ، وذلك نحو

١ - تصرفها : والتصرف سمه من سمات الأفعال ، ومن الشواهد التي وردت فيها كان منصرفة ، قول الشاعر^(٤)

عسى الهم الذي أمسيت فيه يكون وراءه فرخ قريب

٢ - ثباتها : إذ وردت "كان" في بعض الحالات دالة ، من تلك قول الشاعر^(٥) :

إذا كان الشتاء فأنهوني فإنّ المسيح يهدمه الشتاء

٣ - نظرهم المعيارية التي تسعى إلى تفسير العمل الحوي في الجملة الاسمية بعده ، والليل على ذلك أنهم اقتصروا مرة كلمات سموها "أحوال كان" تحت باب واحد ، يصممها أساس من العمل ، وليس أساس من التحصيل الوطيعي الرسمي

(١) انظر ابن أنباري لإصناف في مسائل الخلاف ج ٢/ص ٩٠

(٢) شرح المفصل لابن يعيش ج ٧/ص ٩٧

(٣) ابن جني ، للسمع ص ٢٠٤

(٤) السيوطي ص ٨٥

ولعل هذا التحفظ قد بلغ مبلغه عند الرخاجي ، فهي عدة حروف ، وقد وضعها تحت عنوان " باب الحروف التي ترفع الاسم وتنصب الخبر " (١)

وعلق أبو العاسم بن العريف على رأي الرخاجي بقوله " وإيم سمي الرخاجي - كان وحوادث حروف ، لأنها لا تنل على حدث ولا تصارع الفعل المتعدي فصعفت ، فأشبهت الحروف فسمّاها حروفاً لذلك " (٢)

وقال ابن الأنباري " لأنها لا تنل على المصدر (الحدث) ، ولو كانت أفعالا لكان ينبغي أن تدل على المصدر ، ولم كانت لا تدل على المصدر ، دلّ على أنها حروف (٣) وأحسب أن بطرّة الرخاجي وابن الأنباري في عدّها حروف لا تتعارض مع المنهج التاريخي ، فبعض الحروف ترجع إلى أصل فعلي ، نحو عدا وحاشا وحلا ، فهذه الأتوات أصلها حرفي وعلى هذا فقد تعددت بطرّة القدماء إليها فعذوها حروفا تارة وأفعالا أخرى. وعلى هذا فلا مانع من أن تكون " كان " غير الدالة على الحدث منطوقة تاريخياً عن (كان) الدالة على حدث ، ولكنها احتسبت بالزمان ، وهذا ما تؤيده الطرّة المفردة ، فهي السريانية والعبرية مثلاً أفعال تخصصت بالدلالة على الزمن من دون الحدث (٤).

أم تصرّفها الذي يعرّفها من الأفعال ، فأنّة قد يُفسر من منطور تاريخي أيضاً ، وذلك شأنها في ذلك شأن " من " المحكية مثلاً ، التي تجار فيها النحاة الرفع والنصب والجر والجمع والتذكير والتأنيث (٥) مما ينبئ عن أنها كانت في مرحلة تاريخية ما مغربة . ثم اتجهت نحو البناء وما تزال (أي) أداة معربة والذهب إلى أن " كان " أداة ، يتفق والمنهج الوصفي ، فكان يأتي منها المصارع ، والأمر ، واسم الفاعل ، ولكن حلولها من معنى الحدث يحول بينها وبين أن تكون أفعالا وعلاوة على ذلك فإن كان ، تنحل على لأفعال فقول " كان يقرأ " مثلاً

(١) التجلد تحقيق علي الحمد ص ٤١

(٢) السبوق ص ٤

(٣) سراج العرييه ر ص ٥٥

(٤) انظر إبراهيم السمرقاني الفعل زمانه وبيئته ص ٥٨

(٥) لخص ابن جني التلمع في العرييه ص ٢٣٥

وعلى هذا فهي أداة مُحَوِّلة عن الفعلية ، وهدف هذا التحويل هو التحصيص في الدلالة على الرمز^(١) .

وهي طارية على الحملة النواة في نحو ' كان الطفسُ جميلاً ' والجملة النواة هي ' الطفسُ جميلٌ ' جملة اسمية ثم جرى تحويل على هذه الجملة بزيادة عنصر الرمان وعلى هذا يمكن تحليلها على النحو الآتي :^(٢)

كان عنصر الإشارة إلى الرمز الماصي

الطفسُ مبتدأ مرفوع ، أو (مسند الية مرفوع) .

جميلاً . خبر ، احد الفتحة اقتضاء لكان أو (مسند أحد الفتحة قياس على ما جاء عن العرب وربما كان من إيجابيات هذه النظرة التحلص من الإعراب المحلي ، عندما يكون خبر (كان) جملة

تبيّن من استعراض هذه المادح أن الظاهرة اللعوبية يمكن أن تُسلط عليها أنوار من كوى مختلفة، بسبب من دبالّة كل منها نور بصيء جاسيا من جوانبها ، أو عمقا من عماقها، وكل نور يمثل منهجا وروية مختلفة، ولا يترتب على ذلك النصاد بالضرورة، فإن حصل نصاد ، فقد لا يعي عيب في تكامل الماصح وتعددّها ، وإنما يعي أن ثمة عيبا في طريقة تطبيقها أو طريقة تطبيق بعضها .

وعلى هذا فإن للمرء أن يطرح تصوّرا مفاده أن النحو العربي لا تكفي في دراسته الطره المعيارية وحدها، فقد بات لزاما بعد أن انتصحت معالم هذه الماصح الحديثة في عصرنا هذا أن يُعاد النظر في الدرس اللعوي كلة ، في ضوء كل منهج على حده ، وفي ضوء التكمّل المنهجي الذي ينقي وهجه على الحقيقة اللعوبية من جميع أبعادها

(١) انظر صمد حسن اللغة العربية معناه ، مبداه ، ص ٣

(٢) انظر حبيب عميرة في نحو اللغة وبراكيبها ، ص ٢٠١

المقدمة

لم يذخر علماء العربية جهداً في دراسة اللغة العربية ، مدفوعين برغبة علمية صادقة في ان يحافظوا على لغة القرآن الكريم ويُسهّلوا تعلّمه ، وهم في سبيل هذه العاية ، اقبوا من جميع العلوم المتوفرة في عصرهم . ساعد في ذلك لاحكامك الثقافي ، و لانفتاح الفكري الإسلامي ، واتصالهم بالحصارات المحبلة

حاول هذا البحث أن يعرض صورة لابرر الماهج اللغوية الحديثة، وان يتتبع الحيوط المبهجة عند علماء العربية، ومن ثمّ حاول بيان صورة الفكر النحوي العربي، بين الماهج الحديثة، من خلال الموارد بينها وبين هذه الماهج ، ومن ثمّ طرح دراسه تطبيقية ، اشتملت على دراسة بعض لأساليب اللغوية، من وجهات نظر الماهج المتعددة، وقد خلص البحث الى جملة من النتائج، وبعض التوصيات يمكن إجمالها في النقاط الآتية

١. يتبع التفكير النحوي بجعلنا نفق على بعض الإلهامات المبكرة للتفكير المبهجي عند النحاة القدماء ممثلاً في برسانهم لاسس الماهج الآتية .

أ. المبهج الوصفي

ب. المبهج التحويلي

ج. المبهج المعبري

د. المبهج التاريخي

وف تتبعت المظهر الدالة على هذه الماهج التي بدت متفوتة في نصيح عند النحاة

٢. إن المبهج المعبري هو المبهج الأكثر نصج عند النحاة ، ذلك لأنه يتفق مع هوب النحاة في إيجاد معايير للغة العربية في زمان ومكان محددين ، وذلك حفاظ على العربية في المستوى الذي برز عليه القرآن الكريم . وذلك حتى يتسنى لهذه المعايير ان تساعد في تعلّم العربية وتعليمها على مر الأجيال.

- ٣ المهج التاريخي كان مجرد معالم مشورة هب وهناك . وقد وقفت على مجموعه من الأسباب التي أسهمت في تشكيل هذه المعالم
- ٤ أوضح البحث أن مهج النحاة في تناولهم لمسنويات اللغة في مؤلفاتهم يوازي أحدث النظريات التربوية المعاصرة، إذ جعلوا للمادة النحوية وقواعد التركيب أسبقية تعليمية تفوق المستوى الصرفي ، والمستوى الصوتي ، مع أنهم يدركون قيمتهما التأصيلية ، وذلك انطلاقاً من الطريقة الكلية التي تبدأ بتعليم الكل وهو الجملة (التركيب)، ثم تنتقل إلى الكلمة (الصرف) ، ثم إلى الجراء (الصوت)
- ٥ عند مقارنة أنظار النحاة العرب القدماء من منظور وصفي فإننا نجد اتفاقاً في أفكار رئيسة كثيرة ، وذلك نحو صدورهم عن مبدأ التوزيع ، ومبدأ المكونات المباشرة ، والمبدأ الاجتماعي في دراسة اللغة، إضافة إلى تعريفهم بين الكلام واللغة وغير ذلك .
- ٦ وكذلك فإننا نجد نقاط مواربة كثيرة بين أنظار النحاة العرب، وأنظار المهج التحليلي ، وذلك فيما يتعلق بالبنية السطحية والبنية العميقة ، التي كثيراً ما عثر عليها النحاة بفكرة ، الأصل والفرع، وكذلك فيما يتعلق بعناصر النحول، وبخاصة في المحاولة التي عرفت بـ (نظرية العامل والرايط لإحالي) عند النحويين
- ٧ ثمة درجة عالية من التماثل الذي وصل إلى حد التطابق بين أنظار القدماء والمحدثين ومثل ذلك باستعمال عبد القاهر الجرجاني لمصطلح ' معنى المعنى ' الذي كان عنواناً لكتاب (أوغس ورينشارد ، ١٩٣٢م) The meaning of meaning ، فقد حاولا توضيح فكرة المعنى من خلال القاعدة المشهورة التي أسمياها ' المثلث الأساسي ' . إن هذا التماثل في كثير من الأفكار ، جعل بعض الباحثين يميلون إلى أن علماء اللغة العربيين قد اطلعوا بشكل أو بآخر على جهود علماء العربية ، وأفادوا منها في بناء علم اللغة المعاصر ، ويرى آخرون أن هذا التوافق ربما كان منها من قبيل التوارث الذي يحطر على الفكر الإنساني عند معالجة ظاهرة إنسانية واحدة . ولم تستبعد هذه الدراسة أن يكون وجه الشبه

بين التفكير اللغوي العربي ، والتفكير اللغوي الحديث عائداً إلى ذلك التواصل الفكري بين علوم الحضارة العربية الإسلامية وأوروبا منذ أقدم العصور، ويعزز هذا الأمر تاريخياً تأثير الإسبان بالحضارة الإسلامية في العصور الوسطى ، وقد أكد بعض المستشرقين ذلك التواصل ، كما ورد في الحديث الذي نقلنا طرفاً منه على لسان تشومسكي ، وغيره مثل المستشرق الألماني فايس^(١) . الذي أكد تأثير المعارف اللاتينية في مجال اللغة بالمعارف اللغوية العربية .

٨- وقفتُ على وجوه الاتفاق والاختلاف في مفهوم المعيارية عند النحاة العرب القدماء ، والمعيارية في المنهج التوليدي التحويلي ، وذلك ببيان الخطوات التي أتبعها كل طرف من هؤلاء في تشكيل معاييرهم .

٩- إن النحاة العرب لم يهتموا المعنى ، بل كان المعنى هدفاً رئيساً من أهدافهم، يبدو ذلك في كثير من أقوالهم النظرية وتطبيقاتهم العملية . وما نظرية العامل إلا نظرية تعليمية حاول النحاة من خلالها الربط بين المبنى والمعنى، غير أنهم كانوا يميلون أحياناً إلى المبنى ، وذلك ربما نتيجة لإحساسهم بأن الشكل أكثر ثبوتاً من المضمون، ويزيد الإحساس بتفوق النحاة في الربط بين المبنى والمعنى عند الاطلاع على المناهج الغربية ، وما واجهته من صعوبة في ضبط الظاهرة اللغوية ضبطاً تاماً يجمع بين المبنى والمعنى ، مما أدى إلى انحياز المدرسة السلوكية إلى الشكل ، في حين انحازت المدرسة الإنجليزية إلى المضمون، وقد واجهت هذه الصعوبات تشومسكي أبرز أعلام المنهج التوليدي التحويلي، وما التعديلات التي أجراها تلاميذ تشومسكي إلا محاولة منهم لإيجاد موازنة بين الشكل والمضمون .

١٠- رصدت مجموعة من العيوب التي انعكست على اللغة العربية من خلال التزام النحاة الصارم بالمعيارية ، متمثلة في التزامهم بنظرية العامل وتمحّلهم في بعض أقيمتهم ومبالغتهم في التعليل أحياناً .

(١) انظر إسماعيل عميرة : رأي فايس في كتاب : للمستشرقون ونظريتهم في نشأة الدراسات اللغوية العربية .

إريد ، ١٩٨٧ ، ص ٨٧

١١- تأثر معظم الباحثين العرب المحدثين ، بالنظريات الغربية ، وقد كان لتأثرهم هذا نتائج إيجابية ، لعل أبرزها نقل النظر إلى دراسة التفكير النحوي العربي وتمحيصه ، وكانت له أيضاً نتائج سلبية ، تبرز في التركيز على سلبيات نظرية العامل دون إيجابياتها ، ورسوم الجهود النحوية بالشكلية الخالصة والقصور بوجه عام .

وقد أكنت هذه الدراسة أن تلج جهود القدماء لا يتناسب مع منهج النحاة الذي خدم العربية خدمة واسعة، فقد جهد النحاة في استصفاء صورة منضبطة للعربية تجعلها ثابتة المعالم العامة على مرّ العصور .

١٢- وقد عرضت الدراسة إلى بعض محاولات المحدثين - وأخص المستشرقين منهم - في محاولة تقديم العربية من منظور وصفي يختلف عن الطرح التقليدي القائم على نظرية العامل، ولا تقلل من أهمية ذلك عندهم ، غير أننا نؤمن أن نظرية العامل أكثر دقة واستيعاباً ، وأقرب إلى الروح التعليمية من النظريات الحديثة، ونؤمن كذلك أن محاولات المحدثين من المستشرقين وغيرهم يمكن أن يستضاء ببعض جوانبها في تعميق وصف الظاهرة اللغوية العربية ، في نظرة منفتحة، تسعى إلى الأخذ بما تثبت صحته وجدواه.

١٣- نقد علماء اللغة المحدثين الغربيين لما أسموه بالنحو التقليدي للغات الكلاسيكية الأوربية (كال يونانية القديمة واللاتينية)، الذي كان شائعاً في القرون السابقة للنهضة في أوربا ، نقد مُسوَّغ ، فيما أرى، وبخاصة بعد أن فشلت محاولاتهم في الحفاظ على بقاء اللغة اللاتينية حية ، ومن ثمّ فهم يتابعون اللغة في مستواها الذي تطوّرت إليه، بينما نلاحظ أن هذا لا يتفق مع خصوصيّة اللغة العربية الفصحى في ارتباطها بالقرآن الكريم .

التوصيات

أشير فيما يأتي إلى بعض التوصيات التي ينبغي أن يأخذ الدرس اللغوي بها :

١- الانتفاع بأدوات المناهج المعاصر في دراسة اللغة العربية ، وذلك انطلاقاً من أن الظاهرة اللغوية تحتاج إلى تسليط الأضواء عليها من أكثر من منهج، على أن الأصل في هذه المناهج أن تكون متكاملة وليست متضادة .

وعلى هذا فإنه يمكن الإفادة من المنهج الوصفي الإحصائي مثلاً ، في إجراء إحصاء لقواعد اللغة العربية كما هي في الكتب النحوية ، وإجراء إحصاء آخر ، على مدى دوران هذه القواعد في واقع النصوص التي تقع ضمن زمن الاحتجاج اللغوي والنصوص الحديثة . مما يسهم في تحقيق ما يأتي :

أ. بناء تصور واضح للقواعد التي استند النحاة فيها إلى قياس وصفي، والقواعد التي استند النحاة فيها إلى القياس المنطقي .

ب. تأليف المناهج التعليمية تأليفاً يستند إلى المعرفة بواقع دوران هذه القواعد في الاستعمال اللغوي .

ج. معرفة مدى التطور في الأساليب اللغوية المتنوعة على مرّ الزمن .

وكذلك يمكن الانتفاع من المنهج التاريخي المقارن في المقارنة بين الخصائص والظواهر اللغوية في العربية وأخواتها الساميّات، وقد يترتب على هذا إلقاء الضوء على مسائل كانت مدار خلاف بين النحاة ، وبذلك فإنها تحسم هذا الخلاف ، وتقلل من عدد القواعد . وقد بينا ذلك من خلال بعض الأمثلة . وبإضافة إلى ذلك أن حرص الباحثين على نشر العربية في البلدان الإسلامية بوجه خاص ينبغي أن يدفع الباحثين إلى إجراء البحوث التقابلية بين اللغة العربية واللغات التي تتكلمها شعوب تلك البلدان ، تمهيداً لوضع الكتب التعليمية القائمة على أسس علمية تربوية مدروسة .

٢- إجراء مزيد من الموازنات بين المناهج الحديثة ، ونظرية النحاة القدماء ، وذلك بهدف الوصول إلى تشكيل قاعدة عربية تتسم بروح الأصالة ، وتتطلع إلى إيجاد نظرية لغوية ذات صبغة علمية محدّدة .

وقد حاولتُ في هذه الدراسة أن أورد جملة من الأمثلة التي تسعى إلى بيان أهمية الأخذ بهذه التوصيات .

لم تبلغ هذه الدراسة الغاية ، ولعلَّ عزائي أنني أخلصت النية في تناولها وبخلت فيها أقصى الجهد ، فأسأل الله أولاً وآخراً أن يتغمَّد الزلَّة بالرحمة ، وأن يجعل الخطأ - لإخلاص النية - اجتهداً يؤهلني إلى عدم الحرمان من الأجر، وأن أصيب فعسى أن يضاعف الله لي الحسنه .